الجزء الثالث　　　　　　　　المجلد الخمسون

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



جمادى الآخرة ١٣٩٥ هـ

تمـوز « يوليو » ١٩٧٥ م

خواطر في اللغة

الأستاذ شفيق جبري

أقلّب النظر من حين إلى آخر في معجم من معجمات اللغة ، والمعجم الذي ألفته من سنين طويلة إنما هو القاموس المحيط للفيروزابادي ، ولقد تخطر ببالي خواطر في خلال هذا التقليب فأدوّن بعضها ، من هذه الخواطر مروري بطائفة من بقايا الفصاح أو بصور لطيفة قد بطل استعمالها في عصرنا هذا ، أو بكثرة المصادر وغلبة بعضها على بعض ، أو بتناقض المعاني في بعض مشتقات مادّة من الموادّ ، أو بشقاوة بعض الألفاظ وسعادتها ، أو بموت بعض الألفـــاظ ، أو بغير ذلك من الأمور التي لا سبيل إلى إحصائها ، وإني لأسف الأسف كلّه على أني لست من علماء اللغة حتى أهتدي إلى الوقوف على أسرار اللغة وخصائصها ؛ وإذا عجزت عن مثل الوقوف فقد يرضيني أن أدوّن خواطري مكتفياً بالإعراب عنها من ناحية وبالإعراب عن عجزي في هذا المجال من ناحية ثانية .

من بقايا الفصاح مادّة تشيطن ، فالشيطان معروف ، وهو كلّ عاتٍ متمرّدٍ من إنس أو جنّ أو دابّة ، وتشيطن فعل فعله ، فهذه المادّة فصيحة وقد بقي استعمالها في لغة العامّة حتى يومنا هذا ، وأكثر ما تطلق على الصبيان الصغار فإذا قالوا في صبيّ : يتشيطن ، أرادوا بذلك أنه مثل الشيطان ، وقد اشتقّوا من هذه المادّة صورة لطيفة فقالوا : شيطان الفلا

وهم يريدون بذلك : العطش ، إلا أن هذه الصورة لم تبق بنا حاجة اليها في يومنا ، فالماء في الفلا عادة قليل نادر ، فإذا كنّوا عن العطش بشيطان الفلا فالكناية في محلها ، فكأن العطش في الفلا إنما هو عات ، متمرد مثل الشيطان . أمّا في عصرنا فالسفر في الفلا قليل ، وإذا لم يكن قليلا فقد يكون بالسيارات ، والمسافر يستطيع أن يقطع الفلوات الطويلة ومعه الماء في سيارته يُشرب منه إذا عطش . وهكذا نجد أن بعض الصور الشعرية تبطل ببطلان الحاجة إلى استعمالها ، حتى لو كانت هذه الصور طريفة .

وإذا انتقلنا من بقايا الفصاح ومن بعض الصور اللطيفة إلى كثرة المصادر وجدنا أن من مصادر قرأ : قَرْءاً وقراءة وقرآنا . فالقرء كاد يختفي في الاستعمال فنكاد لا نجد له أثراً في كتابتنا ، والقرآن غلب على كتاب الله عزّ وجلّ فهو التنزيل ، وقد جاء بمعنى القراءة في آية من محكمات الآيات : «فإذا قرأناه فاتّبع قرآنه»[1] أي قراءته ، كما جاء في شعر رُثي به عثمان رضي الله تعالى عنه :

ضحّوا بأشمط عنوان السجود به يقطّع الليل تسبيحاً وقرآنا

إلا أن هذا الاستعمال قد انفرد به الذكر الحكيم ، فلا يقول أحدنا في هذا اليوم : فلان حسن القرآن ، أي القراءة ؛ على أنا إذا قلنا هذا القول فقد يزداد قولنا شرفاً لأنه مقتبس من كتاب الله . فلم يبق من مصادر قرأ الثلاثة مصدر مستعمل إلا القراءة .

وما دمنا نتكلم على مصادر قرأ فلا بأس بذكر مصادر كتب ، يقال : كتبه كَتْباً وكِتاباً ، هذا مادوّنه صاحب القاموس المحيط ، فالكَتْب قلّ استعماله حتى كاد يختفي كما قلّ استعمال القَرْء . بقي الكتاب ، وهو المصدر الثاني وقد غلب هذا المصدر على ما يكتب فيه ، على أنه قد جاء في كتاب الله تعالى بمعنى القَرْض : «إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً»[2] ، كما

(١) القيامة ١٨/٧٥ (٢) النساء ٤/١٠٢

جاء بمعنى المكتوب على نحو ماذكره بعض المفسّرين : « وكلَّ شيء أحصيناه كتاباً »(١) وقد استُعمل الكتاب بمعنى الكتابة في بعض العصور على نحو ما جاء في شعر المتنبي :

حتّى رجعت وأقلامي قوائل لي ... المجد للسيف ليس المجد للقلم
فاكتب بنا أبداً بعدالكتاب به ... فإنّما نحن للأسياف كالخدم

أي بعد الكتابة به ، والضمير في به يرجع إلى السيف. أمّا اليوم فلا نجد من يقول : فلان حسن الكتاب أي الكتابة ، فهذا المصدر استقلّ في معناه وانفرد فأصبح له معنى خاصّ .

ومن هذا القبيل على ما نعتقد مادّة : الحياة ، فالحيوان والحياة في اللغة بمعنى واحد فهما نقيض الموت ، إلاّ أن الحياة انفردت بمعنى ولفظة الحيوان انفردت بمعنى آخر ، فلا نجد من يستعمل الحيوان بمعنى الحياة ، وقد وردت في التنزيل بمعنى الحياة ، ولا أذكر الآية الشريفة التي وردت فيها (٢) ، فالحيوان يطلق في المصطلح على جنس الحيّ ولا يرضى أحد أن يقال فيه إنه حيوان فهذه اللفظة غايةٌ في الذمّ ، وهكذا نجد أن اللفظتين : الحياة والحيوان ، قد انفردت كل واحدةٍ منها بمعنى خاص على الرغم من اشتراكهما في الأصل في معنى واحد .

فالذي يتبيّن لنا أن تنازع البقاء يجري على المصادر فيخفي منها بعضها ، ويغلّب منها بعضاً على بعض ويجعل لأحدها معنى مستقلاً لايشاركه فيه أخوه . ولسنا نعلم هل بحث علماء اللغة في القديم عن السرّ في كثرة المصادر ، فهل نعرف ماهو السبب في أن لبعض الأفعال أكثر من مصدر ، فإذا لم يبحثوا هذا البحث فهل يرشدنا علماء اللغة في عصرنا إلى أسرار هذا الامر .

وإذا فرغنا من كثرة المصادر ومن غلبة بعضها على بعض فلننتقل إلى

---

(١) النبأ ٧٨/٢٩

(٢) الآية هي : « وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون » سورة العنكبوت ، الآية : ٦٤ «المجلة»

الكلام على تضادّ المعاني في مشتقات مادّة من الموادّ ، يقال : الهشم كسر الشيء اليابس أو الأجوف أو كسر العظام أو الرأس خاصّة أو الوجه أو الأنف أو كل شيء ، يقال : هشمه يهشمه بالكسر فهو مهشوم وهشيم ، كل هذا واضح لا إشكال فيه . ولكن الإشكال يأتي إذا علمنا أن معنى تهشّم فلاناً : أكرمه وعظّمه كهشّمه ، فما هي الصلة بين كسر الشيء اليابس وبين الإكرام والتعظيم ، أفلا نرى شيئاً من التناقض بين هذين المعنيين المشتقين من مادّة واحدة وهي الهشم ؟ من هنا نرى حاجتنا إلى معجم يبيّن لنا تاريخ الألفاظ وميلادها أو موتها ، ويبيّن لنا ارتباط معاني هذه الألفاظ بعضها ببعض ، فنحن نغرّ بقولنا : تهشّم فلاناً أي أكرمه وعظّمه ولكنا لا نهتدي إلى سرّ هذا المعنى وأصله . وكيف كان الأمر فما نظن أن أحداً في هذا العصر يستعمل : تهشّم فلاناً بمعنى أكرمه وعظّمه ، وإنما نستغني عن هذه المادّة ونكتفي بقولنا : أكرمه وعظّمه .

والطريف بعد هذا كله انتقال بعض الألفاظ من سعادتها إلى شقاوتها ، فالعصابة في اللغة كالعصبة ، بالضم ، من الرجال والخيل والطير مابين العشرة إلى الأربعين . وقد وردت في شعر حسّان :

لله درّ عصابة نادمتهم يوماً بجلّق في الزمان الأوّل

إلاّ أن العصابة التي وردت في هذا الشعر كانت تطلق على ملوك غسّان ، وما أدراك بمجالس أولئك الملوك ، فجبلة بن الأيهم وهو آخر ملوكهم كان بمجلسه ـ على نحو ما جاء في الأغاني ـ يضم خمس روميات يغنين بالرومية بالبرابط ، وخمساً يغنين غناء أهل الحيرة ، وكان يفد إليه من يغنيه من أهل العرب من أهل مكة وغيرها ، وكان إذا جلس للشرب فرش تحته الآس والياسمين وأصناف الرياحين وضرب له العنبر والمسك في صحاف الفضة والذهب ، وأتي بالمسك الصحيح في صحاف الفضة ، وأوقد له العود المندّى إن كان شاتياً

وإن كان صائفاً بطّن بالثلج ، إلى آخر ما جاء في هذا الوصف ، مع حسن الوجه وحسن الحديث . . فعلى مثل هذه الطبقة أُطلقت العصابة في القديم . أمّا اليوم فإنها تطلق على جماعة من المجرمين والقتلة واللصوص وأصحاب السيرة المذمومة ، فإذا قلنا في عصرنا : قبضت الحكومة على العصابة فنحن نفهم أن هذه العصابة من الذين قتلوا أو سرقوا أو عاثوا في الأرض فساداً . على أن العصابات قد تطلق أيضاً على جماعة من الثوّار والمتمردين الذين يدافعون عن حقوق أوطانهم وليس من الضروري أن يكونوا من المجرمين ولكن الغالب على هذه اللفظة : العصابة أنها سعدت في عصر من العصور ثم شقيت في عصر آخر . فما أغرب اللغة وما أعجب حياتها ؟ .

وأخيراً فلنشهد موت بعض الألفاظ ، يقال : تغضّفت علينا الدنيا : كثر خيرها وأقبلت ، فهل نجد أحداً في هذا العصر يستعمل : تغضّفت علينا الدنيا ، وهل السبب في ذلك ثقل هذه اللفظة أم غرابتها ؟. إن العصر الذي نعيش فيه إنما هو عصر السرعة ، فلا يتسع وقت أحدنا لفتح المعجمات والتفتيش عن معنى مادّة غريبة وإنما نميل إلى أسهل الألفاظ وأقربها من فهمنا ، فإذا قال أحدنا في هذا اليوم كثر خير الدنيا وأقبلت ، فهم الناس هذا القول من أيسر الطرق ، أمّا إذا قلنا : تغضّفت علينا الدنيا أشكل عليهم فهمُ هذه المادة ، فالعصر عصر الإيجاز في كل شيء ولا سيّما في الأدب . وإذا قابلنا بين الخطب في زمن الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم وبين الخطب والرسائل التي حُبّرت في عصر اتساع مذاهب البيان كالرسائل التي جاءت على لسان صلاح الدين مثلاً في فتح بعض الأمصار عرفنا مبلغ البساطة في التعبير والإيجاز في البيان .

ما أكثر الخواطر التي تخطر بالبال في مطالعة معجمات اللغة !

« شفيق جبري »

الكلمات الدخيلة على العربية الأصيلة

المرحوم الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

قَزْمَة : من التركية kazma ، من المصدر (قازمق kazmak = حَفَرَ) . اسم لأبسط أنواع آلات الحفر القديمة . الصغيرة من أنواعها تسمى باللهجة الشامية (حافورة) وتستعمل لبحث التراب في حديقة البيت .

قِيشْلاق : بالتركية ، هي المشتى عامة . أما الثكنة العسكرية فهي (قيشلة أو قشلا kisla = البناء العظيم للجيش خاصة) .

قَلاوُظ : بالتركية بالحروف القديمة (قلاغوز وتلفظ قلاوز بالواو kulavuz) والمعنى الأصلي : دليل ، قائد / من تتوسط بين أهل الخاطب والمخطوبة في شأن الزواج . أما لمعنى دليل السفينة في المضائق البحرية فهو (ليمان قلاغوزى liman klavuzu) تخصيصاً بذكر (ليمان = المضيق) وباللهجة المصرية شاعت (قلاوظ) بحذف (ليمان) لكثرة الاستعمال في الشؤون البحرية . والمعاجم التركية لاتذكر لكلمة (قلاغوز) معنى لأنثى المسمار الملولب . فهو إطلاق خاص باللهجات العربية (بين الحدادين وبائعي الخردة) استعارة من معنى التوسط الآنف الذكر على مايبدو . ولقد اشتقوا منها (قَلْوَظ ، مُقَلْوَظ) . وفي سورية تلفظ القاف ألفاً مفخمة (آلاووظ) .

قَنَال : بالتركية عن الفرنسية canal وهذه عن اللاتنية canalis . في اللغة العربية (قناة) وتعني مجرى يحفر في باطن الأرض بين بئرين ج قنوات وقناً ، وقُنِيٌّ ، وقَنَيات . أفلا تكون اللاتينية مأخوذة عن العربية ؟

قِنْبِلَة : من التركية (kumbara محرفة عن الفارسية خُمْبَرَه ، بالخاء والراء) . ففى المعجم التركي أن (خمبره) فارسية معناها (گنْه ، بالكاف الفارسية) مجوفة . و (گله) هذه تركية تطلق على مرمى المدافع وكانت قديماً على شكل كرة والآن هي اسطوانية دقيقة الرأس . أما (خمبره) فمركبة من (خُم ، خاء مضمومة) أي (حُقّ) دنّ خمر / وباره = قطعة) . فالترك يلفظونها (قومبارا) ولا يزالون إلى يومنا هذا يطلقونها على (حُقّ) صغير من فخار عليه شق مستطيل يتسع لمرور (قرش مثلاً) ، يتجمع (يصمّد) فيه أولادهم مايأخذونه من آبائهم أو أقاربهم من النقود . والحُقّ الصغير هذا كرويّ يشبه القنبلة الصغيرة ويسمى باللهجات السورية (مطمورة) وفي الكتب المدرسية (حَصّالة النقود) .

وفي كتب التاريخ التركي تمر كلمة (خمبره) في سياق الوقائع الحربية ويلفظونها (هومبارا) بالهاء كما هي عادتهم ، ويقولون (خمبره‌جي) أي ملقي القنابل أو صاحب القنابل . فإذا لفظوها (هومبارا) أرادوا بها القنبلة الحقيقية ؛ وإذا لفظوها (قومبارا) بالقاف أرادوا بها ذلك (الحُقّ) الصغير الذي يجمع فيه صغارهم النقود [مما كتبته بعنوان (حول القنبلة) في مجلة المجمع العلمي العربي سنة ١٩٤٦ المجلد ٢١ ص ٢٨٧] .

قَوْرمَه : من التركية (قاوُرمه kavurma) مصدر تخفيفي من (قاوُرمق kavurmak = قَلي) ، اسماً . تطلق الكلمة على اللحم المفروم والمقلي بدهنه يُحفظ في أوعية مناسبة من الزجاج (قطرميز) أو من (تنَك) ليؤكل شتاءً ، خاصة . وباللهجة السورية تلفظ (آورمه) بالألف المفخمة بدلاً من القاف .

قُوزي : من التركية (قوزي) وتلفظ (قوزو kuzu = خروف) . والعامة باللهجة الشامية تلفظه (اوزي) بالألف ، لطعام يصنع من لحم الخروف والأرز ، وهو (الخروف المحشي . kuzu dolmasi) .

(ك)

كار : من التركية عن الفارسية (كار) بمعنى صنعة ، مهنة ؛ عمل ؛ فائدة.

كَرْخانَة : بالتركية عن الفارسية (كار = عمل ، صنعة الغزل / خانه = دار ، محل) تطلق الكلمة على (المصنع) في لبنان لمعمل الحرير (دود القز) وباللهجة الحلبية كانت تطلق على معمل نسيج خاص يعمل بأنوال قديمة . وقد حلّت كلمة (معمل / مصنع) مقابل هذه الكلمة التركية . أما بمعنى (الماخور / بيت الدعارة) فهو خاص باللهجة التركية ، وغير شائع في اللهجة السورية ألبتة .

كِرْباج : الأصل بالتركية (قرباج) بالقاف والجيم العربية . لكنهم يلفظونها بالجيم الفارسية المثلثة التحتية (kirbaç) ، لسوط مصنوع من الجلد (= مِقْرَعَة) .

گَرْدان : من التركية محرفة عن الفارسية (گردن = العنق ، الجيد) . وبالتركية يلصقون بالكلمة وسمة (لِق ، بمعنى لأجـل) gerdanlik وهو حلي للعنق ، للجيد : القلادة التي تتزين بها النساء

تعليقاً على أجيادهن . باللهجة السورية تسمى (بُخْنُق) محرفة عن (مِخنقة) الفصحى وهي القلادة الضيقة .[قلت : التِقْصار ، للقلادة القصيرة اللاصقة بالعنق . يقابلها المُرْسَلَة ، للقلادة الطويلة التي تقع على الصدر] .

كِرِيك : تحريفاً من التركية (كُورَك kürek) ومعناها = مجرفة ، رفش / مجذاف) . تطلق باللهجة السورية على المجرفة خاصة .

كَسْتَنا : من التركية محرفة (كستانه kestane) عن اللاتينية castanea . باللهجة المصرية (أبو فروة) ، وباللهجة الحلبية (أبو فريوة) على على التصغير . وباللهجة الشامية (كَسْتَنَة) .

كِشْتِبان: محرفةٌ عن الفارسية (أنكشت ـ بان) : (أنكشت بضم الكاف الفارسية = اصبع / بان – اداة فاعلة بمعنى حافظ ، واق) أي واقي الاصبع : لما يضعه الخيّاط (أو الخياطة) في اصبعة وقاية لها من وخز الإبرة حين دفعه لها فيما يخيطه .

كِشْك : بالتركية (كوشك بالواو kosk عن الفارسية ، لقصر ، أو بيت صغير يُعدُّ خاصة للاصطياف) . باللهجة الشامية ، يطلق على ذلك البناء الخشبي أو المعدني الصغير يقام على الأرصفة لأغراض شتى (كبيع أوراق اليانصيب ، وعلب الدخان ، والطوابع الخ) والعجيب أنهم جمعوه على (أكشاك) .

كَفْتَه : من التركية (كوفته kofte لطعام يصنع من اللحم المفروم ، بأشكال مختلفة) باللحم المفروم والصرف شيّاً ، مع البرغل ، مع الكمون الخ) بالحاق كلمة تدل على الشكل . أما باللهجة السورية واللبنانية فتطلق على اللحم المفروم المشوي منظوماً بالسفود .

وباللهجة الحلبية هو (الكباب) على خلاف المعنى التركي للكباب الدال على لحم منظوم بالسفود قُطيعات ويشوى ، وهو (التِكّة) باللهجة العراقية وهي فصحى .

كَبْشْتَه : محرفة عن التركية (كبچة kepçe) المحرفة هي نفسها عن (كفچه kefçe ، الفارسية) ومعناها (الكف الصغيرة) للأداة المستعملة لغرف الطعام (= المغرفة) . وباللهجة الشامية (كبجايه) بالجيم بدلاً من الشين وبزيادة (يه) . وباللهجة الحلبية (جمجايه) من التركية (جمجه Çemçe) محرفة عن (كبچه ، الفارسية) .

كَفْكير : من الفارسية (كف الفارسية = زَبَد / گير الفارسية أمر من مصدر گرفتَن = أخذَ ، قبضَ) ومعنى الكلمة قابضة الزَّبدَ . تطلق على أداة المطبخ التي تشبه الكف ، ذات ثقوب ، والتي تؤخذ بها الشوائب (زَبَد وسواه) من المقلاة . ولا أعلم لها كلمة خاصة بالتركية . وقد يقال (دليكلي كبچه delikli kepçe) أي كبجايه مثقبة : ذات ثقوب .

كَمَر : من التركية عن الفارسية (kemer) . باللهجة السورية واللبنانية يطلق على الحزام الذي يتمنطق به . أما المعنى الثاني (حديدة السقف) أو بمعنى جسر السقف أو طوق الشباك الخ تشبيهاً مجازاً فلعله خاص بغير اللهجتين المذكورتين .

كَنار : من التركية عن الفارسية (kenar) ومعناها الأصلي : نهاية الشيء ؛ منتهاه . ومن هنا كان استعمال الكلمة في التركية للأطراف النهائية من كل شيء إطلاقاً فإذا أريد التخصيص أضيفت الكلمة المناسبة للغرض . فيقال مثلاً (كنار الثوب ، كنار الشرشف الخ) بمعنى حافة ، (حاشية) الثوب أو الشرشف .

كُنْدُورَة: من التركية (قوندوره ، وتلفظ kundura للحذاء المعروف). بالهجة الشامية (كِنْدرَه). أما باللهجة الحلبية فتلفظ (قِنْدِرة) بالقاف الحلبية (= ألف مفخّمة).

كِيهْنَة : من التركية عن الفارسية (كُهْنَه kohne ـ كُهن kohen) تطلق على الشيء العتيق البالي.

كوبْري : في الأصل التركي (kopru) الباء المثلثة التحتية لما هو (الجسر) بالفصحى ، وباللهجة المصرية جمعت على (كباري). أما باللهجة السورية فلا تستعمل سوى الفصحى حتى في العهد العثماني السابق (الجسر).

لِغِــــم : من التركية. فبالحروف القديمة (لَغْم بفتح فسكون). وبالحروف الجديدة lagim بتحريك الغين حسب لفظها المتطور. ويظن أن أصلها من اليونانية (lacoma بمعنى مجرى تحت الأرض) للمياه القذرة وهو (الكَهْرِيس المُعَرَّبة عن الفارسية كاريز). وغلب استعمال (اللغم) باللهجات العربية بالمعنى التركي الثاني الذي هو مكان أو وعاء مملوء بمواد متفجرة للاستعمال في الحروب أو في المناجم والحفريات لأجل التخريب والتدمير ، أو الهدم. وجمعوها (ألغام).

لَـكَن : بالتركية عن الفارسية (لـگن بالكاف الفارسية legen) بإشمام الكاف الفارسية ياءً (leyen) بالتركية. وتطلق عندهم على وعاء معدني كالطست (أو الطشت بمعنى) للغسيل ، وباللهجة السورية كذلك. أما إطلاقها على المقلاة فهو خاص بريف مصر كما يقول الأستاذ عبد الرحيم.

لُوكانْدَه : بالتركية (لوقنطه lokanta ، من التليانية بمعنيين : المطعم ، والنُزُل). فباللهجة اللبنانية = فندق ، نُزُل. أما باللهجة الحلبية. فبمعنى = المطعم مثلما هي بالتركية تماماً. وباللهجة اللاذقية هي (أوتيل hôtel . من الفرنسية).

(م)

ماسُورَة : بالتركية (masura) عن الفارسية (ماشورة وماسورة ، بالسين والشين المعجمة) ، بمعنى مغزل مصنوع من عقدة من القصب ، الذي يلف عليه خيط للنسْج . وبالتركية زيادة عن هذا المعنى تطلق على حنفية القسطل ، والأنابيب التي يجري فيها الماء ، وعلى وحدة لمقدار الماء المستهلك . وفي اللهجات السورية : تطلق على أنابيب المياه (والشائع عنها : حنَّيات الماء ، بدمشق) . وتخصيصاً لانبوبة التدخين في اللهجة اللبنانية كما يقول الأستاذ عبد الرحيم .

ماشه : بالتركية (masa) للآلة المعدنية التي تلقط بها النار والمعاجم التركية لاتذكر أنها من الفارسية مما يدل على أنها تركية النِّجار (وهي الملقط بالفصحى) .

ماهيّه : من الفارسية من (ماه = الشهر ، القمر) ففي مصر والسودان أضيف إليها ياء النسبة ، كما يظن الأستاذ عبد الرحيم فجمعوها على (مهايا ، ومواه) . وبرأيي أنها محرفة عن كلمة فارسية بمعنى الراتب ، المشاهرة وهي (ماهيانه = المعاش / الراتب الشهري) . والأتراك يقولون آيلق aylik للمعاش الشهري . من (آي ay = شهر / لق lik أداة تخصيص) .

مَزَه : بالتركية (meze بالزاي) من الفارسية (مَزَه) بمعنى لذة الطعام فيقال (بي مزه = عديم اللذة ، بلا طعم / وخوش مزه = طعم لذيذ) . وأكثر ماتستعمل هذه الكلمة بمعنى (النُّقْل) الذي يتملل به مع المشروبات الروحية . في اللهجة المصرية واللبنانية كلمة (ماظة) بالظاء بهذا المعنى أي النُّقْل محرفة عن

(المُاظة) الفصحى للمعنى نفسه وهي بالفرنسية amuse - bouche (شهيّة الفم) اصطلاحاً سمعتُها من بعض الزملاء ، وبالفرنسية الفصحى تسمى (Hors - d'oeuvre) .

مَسْطُول: في التركية (مسطور ، من السطر أي ماسُطِّر) ولاذكر لها عندهم بمعنى (السكران) ألبتة . وبرأيي هي من (مست) الفارسية أي (سكران) وجملتها اللهجة العربية وزان مفعول (مستول = سكران) وبالإبدال صارت (مسطول) . أم هل هي (نحتاً) من (مست على طول ؟ !) . وهنالك كلمة عربية (المِسْطار) وهي الخمر الصارعة لشاربها . فالمسطور - عاميّاً - هو (المخمور) وبالابدال صار (مسطول) أي (مخمور مصروع) .

مَكوَجي: باللهجة المصرية ، من (مكواة) العربية و (جي ، التركية) اصطلاح خاص لمن يقوم بتنظيف الثياب وكيّها . أما باللهجة السورية فهو (كَوّى) . وباللهجة العراقية هو (اوتيجي) من (اوتو utu) التركية بمعنى (كيّ) و (جي) التركية ، أي من يقوم بتنظيف الثياب وكيّها بالمكواة .

(ن)

نِشان،نيشان: بالتركية (Nisau) عن الفارسية (نيشان) والمعنى الأصلي: (علامة ، أثر) . ومن معانيها : هدف / وسام/ ندبة الجرح أو أثره أو علامته . ومنها اشتقت اللهجة العربية (نيشنَة) بمعنى تنفيذ حكم إعدام رمياً بالرصاص (عسكرياً) كأن المحكوم هدف للرماية . ومن معانيها الخاصة عند الترك : الخطوبة ، إذ

يقدّم الخاطب خاتماً أو سواه من الحلي الثمينة هديةً علامة موافقته على من وقع الاختيار عليها لتكون زوجته بعد إتمام العقد الشرعي .

نِشانْكاه : بالتركية عن الفارسية ، بمعنى مكان الرماية ؛ جهاز في الأسلحة النارية لتسديد البصر من أجل الرمي (وقلت لعلها الشعيرة أو القمحة).

(و)

وابُور : بالتركية (وابور vapur) من الفرنسية (vapeur) الآلة البخارية وبخاصة للمركب البخاري (= الباخرة) . باللهجة السورية هي (بابور) بالباء . و (بَبُّور) للموقد البترولي المسمى (بريموس primus) .

(ي)

ياقه : بالتركية yaka (كلمة تركية النّجار) . ببعض اللهجات العربية تلفظ القاف ألفاً مفخمة (يا آ) بالفصحى هي (البنيقة) .

يَخْني : بالتركية yahni بالهاء كما هي عادتهم في لفظ الحروف الحلقية. عن الفارسية (يخني ومعناها الأصلي : مايدخر لأجل الأطعمة من حبوب وبقول . ومن معانيها : طعام مطبوخ ، طبيخ على الإطلاق ، وطبيخ من لحم مع البصل خاصةً) أما إطلاقها على نوع من (الشوربة) فهو في بعض اللهجات العربية على مايبدو .

يكي : بالتركية القديمة (ايكي iki ألف بعدها ياء) . ومعناها اثنان . باللهجة السورية في لعبة النرد (الطاولة) تلفظ (إيكي) كما يلفظها الترك تماماً فيقولون (ايكي - بير) إذا كان أحد الزهرين علي الاثنين والآخر علي الواحد لأن (بر pir = ١) .

يَمْخانَه : إنها تلفظ (يمه خانه) بتحريك الميم وبحذف الكاف من (يمكخانه) باللهجة المصرية ، محرفة عن (يَمَكْ خانه) لأن (يمك yemek) بالتركية هو الطعام اسماً ومصدراً . هذه الكلمة كانت شائعة في المدارس التركية الليلية التي كان فيها طلاب ليليون = داخليون . وقد اختفت هذه الكلمة من ألسنة العامة في سورية وحلت محلها ، الفصحى : المَطْعَم .

يَفْطَه : بالتركية (يافته yafta) بالتاء ، قلبت طاء باللهجة المصرية. وكنتُ قد عربتها (يَفْتَج) بحيث يسهل الاشتقاق منها (يفتجَ ، يفتجة ، ميفتَج الخ) .

يُوزْباشي : بالتركية (يوز = مئة / باشي = رئيس) بمعنى ضابط أو قائد المئة . ولم يعد لها استعمال في اللهجة السورية .

— للبحث صلة —

محمد صلاح الدين الكواكبي

دمشق في ديوان الأثري

الدكتور عدنان الخطيب

الشاعر وديوانه

إن قوارير الطيب إنما تغلو بقدر ما فيها من عطر ، والعطر يغلو مع ندرة الزهر الذي استخلص منه ، أفرأيت إلى قارورة من ذهب خالص ملئت بأغلى العطور ؟

بين يديّ الآن ما هو أثمن من أي قارورة طيب ، إنه ديوان صدر حديثاً ، تقرأ فيه شعراً بلغة سليمة مشرقة ، شعراً متألق القسمات ، فتان الرؤى ، يتيه بأبراد موشاة بأروع الصور ، تحسُّ معها صنعة من يتذوق الجمال ، ويحسن اختيار الألفاظ ، وتشمُّ وأنت تقرؤه شذى الريحان وعبق النرجس وأريج الياسمين .

إنه ديوان جديد ، ديوان شعر يعربي السمات ، في نشره فخر للعربية أي فخر ، وهو لعشاقها خمر ، وأية خمر تسكر بلا غول ولا إثم ،

هذا هو ديوان « ملاحم ... وأزهار » لشاعر بغداد الكبير وذخر العربية الجليل الأستاذ **محمد بهجت الأثري**[١] .

لقد امتاز شعر الأثري بصفات بوّأته المكانة الرفيعة التي يحتلها اليوم بين شعراء العربية ، وهو الذي أغنى الأدباء والنقـاد بشعره عن تعريف الشعر وبيان حقيقته ، فحدّد بنفسه معالمه ووصف سمـاته وعدّد بواعثه ، مشيداً بالنبيل من غاياته ومقاصده ، فاستهـل ديوانه بقصيدة من عيون الشعر خطّها بيده ، سلمت يده ، وقال في مطلعها [٢] :

الشّعرُ ... ما روّى النّفوسَ معينُه ... وجرت برقراق الشّعـور عيونُهُ
وصفَتْ كلألاءِ الضيـاء حروفُـه ... وزهت بِوُضّاءِ البيـان مُتونُـهُ
متألـِّق القسمات ، فتّان الرُّؤى ... يزهو صِبا الفصحى الطَّرِيَ رصينُه
حرٌّ المذاهب ... لا يشوب أصولَه ... كدَرٌ ، ولا واهي اللغاتِ يَشينُهُ
ابن الحقيقة والحقيقـــة نهجـهُ ... والصدق في أربَ الحياة خدينُهُ
تجري على سَنَنِ الجلال خِلالُه ... ويرود أوضـاحَ الجمـــال يقينُهُ
غرِدٌ .. كصدّاحِ الكنار ، مُساوِقٌ ... نغمَ الطبيعـة ، راقصٌ موزونُـهُ

ويمضي الشاعر في تحديد أوصاف الشعر الأصيل ، ثم يتساءل في ختام قصيدته قائلاً :

---

(١) ظهر الديوان في أواخر عام ١٩٧٤ عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وهو من منشورات وزارة الثقافة في جمهورية مصر العربية بتوصية من لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، وقد كتب مقدمة رائعة له رئيس اللجنة شاعر مصر الكبير وفقيد العربية الأستاذ عزيز أباظة .

(٢) القصيدة في ثمانية وثلاثين بيتاً ، وهي مثبتة أيضاً بدءاً من الصفحة ٢٦٣ من الديوان .

أين الجديدُ البكرُ . . ليس بظالعٍ مشياً ، وليس بناصلٍ تلوينُه ؟
الواثبُ الرُّوحِ ، الأصيلُ شعورُه وخيالُه ، ونزوعُه ، ويقينُه
تتصُّ من نبع البيان عروقُه ويجلُّه إيقاعُه ، ورَنينُه
زاه بأبكار التخيّل ثوبُه لا غُورُه تتناشُه ، أو عونُه
يَسْتَنّ سحرُ الحسن في أعطافه ويتيه منه رقيقُه ومتينُه
وكأنما سُقِيَ الرَّحيقَ مُعَلَّلاً فتوردتْ وجناتُه وعيونُه

إن شعر الأثري متعدد الأغراض متنوع المقاصد ، وديوانه « ملاحم.. وأزهار » سجل حافل بمختلف المقاصد والأغراض ، فمن شعر **النضال والجهاد** إلى شعر **الفخر والتغني بالمجد التليد** ، إلى **وصف الطبيعة ورسم الظلال** ، ومن شعر **الغزل** ووصف مختلف النوازع إلى **الرثاء وبكاء الأحباب.**

وما أنس لا أنس يوماً من أيام عام ١٩٤١ ، وقفت فيه في بغداد مع فتية أعدوا أنفسهم للاشتراك في حرب التحرير العراقية ، نستمع إلى الشاعر الأثري يخاطب العراق ، بصوت حمله الأثير إلى سمع الملايين في مختلف أرجاء الوطن العربي ، قائلاً من قصيدة طويلة[١] :

عمزوا إباءَكَ ، فاضطرمت أباءَ وحشدت جوَّكَ ، والثرى والماءا[٢]
راموك الذُّلَّ المقيم ، وقد مضى دهرٌ تسامُ به الشعوبُ سباءا

ثم عرّض الشاعر بالإنكليز ، الذين غلبوا على أعصابهم بسبب من هزائم جيوشهم أمام الجيوش الألمانية ، فقال :

يا ويحهمْ ! غُلبوا على أعصابهم فتحرّشوا بك سكرةً وغباءا

ثم أشار إلى الجيش العراقي ، وإلى الجماهير التي تدفقت لتحيته ، قائلا :

---

(١) القصيدة في ٤٦ بيتاً ومنشورة بدءاً من الصفحة ٨٤ من الديوان .
(٢) الأباء : بفتح أوله : القصب وهو سريع الاحتراق .

أنظرْ إلى الأبطال كيف تواثبت ... وإلى الثنايا كيف تُحنَ وِضاءَا
وإلى الحميّة كيف أجّ لهيبُها ... وسرت كألسنة اللّظى حمراءَا
وإلى الجموع الهاتفات .. كأنها ... تستقبل الأعراسَ والنّعماءَا

وختم الشاعر قصيدته قائلاً :

يا ساعةَ التحرير ! عُرسُكِ قد أتى ... إنّ البشائرَ تُحسْنَ والبشراءَا
سقياً ليومكِ في الزّمان ، فإنّه ... عن ليلة القدر الرّجبيّة ضاءَا

وخرجت بغداد يومئذ عن بكرة أبيها تلبي نداء الجهاد ، حتى إذا ما جرت الرياح بغير ما تشتهي السفن ، كان الشاعر الأثري في جملة من اعتقل ، وحمل إلى المنفى جزاء ما جرى على لسانه من دعوة إلى استخلاص حق مهدور وثورة على باطل قائم .

ولم يستكن الشاعر الحرّ ولم يهن ، بل رحب بالنفي وأخذ يهتف من أعماق سجنه في « الفاو[1] » للحرية التي ينشدها قومه بروائع من الشعر الخالد . وفي قصيدة منها يقول[2] :

مُبلِغي نفيي إلى « الفاوِ » الشطيرِ ... مرحباً بالنّفْيِ والسّجنِ الضرير[3]
مطمحُ الثّائرِ آفاقُ السّما ... وكذا مطمحُ رُوّادِ النسورِ
أتراه ، إنْ هوى ، يُضرِعُهُ ... نبأ السجن وإيغالِ المسيرِ ؟

ثم يشير الشاعر إلى ما صنعه فكان جزاؤه النفي ، معتزاً بما قدّم شامخاً بأنفه لصدقه وإبائه قائلاً :

(١) الفاو : بلدة في أقصى الجنوب من العراق .

(٢) القصيدة تبلغ ٣٥ بيتاً وهي منشورة بدءاً من الصفحة ٩٣ من الديوان .

(٣) وصف للسجن الذي سدت نوافذه .

كان شعري في مآسي أمتي عن أمانيَّ رسولي وسفيري
بين أيديها تغنّى ، ومشى بَلْسَمَ الجَرْحى ومسلاةَ الصدورِ
صادحٌ .. تُذكي أغانيه المُنى ، أو تثيرُ الشوقَ في القلب الكسير
صدقَ الأمّة ، إذ غنّى لها رائدُ الأمّةِ ذو صدقٍ وخير
لم يزِغْ عنها ، ولم يكذب ، ولا سار في موكب مُثْرٍ أو أمير

ثم يصيح الشاعر بسجانيه متوعداً :

لا أرى ثورتنا أبعدَ من قاب قوسَيْنِ ، وتأتي بالثبور !

وفي قصيدة أخرى هتف بها للعزة الوطنية من أعماق السجن فقال[1]:

ألا في سبيل الله والوطن الغالي بعاديَ عن داري وعِرسي وأطفالي
عصافيرُ .. لا ساعٍ يروح عليهمُ سوايَ ، ولا راعٍ يحوط ، ولا والِ

ثم يستدرك الشاعر قائلاً :

ولكنّ أوطاناً، نمتُ بخيرها ، سأوثرها حتى على النفس والآل
إذا ورّث الآباءُ أبناءَهم غِنىً فإني قد أغنيتُ بالمجد أشبالي

* * *

وإذا كان شعر الأثري يمتاز بجزالة اللفظ ومتانة الصياغة ، فإن من أهم ميزاته توافر « الغنائية » فيه ، فهو مطبوع بها وبجمال الصور ، وببراعة انتقاء الألفاظ مع عذوبة جرسها ، وكيف لا تكون « الغنائية » طابعاً لشعر الأثري ، وهو القائل في أحلك ليالي محنته من قصيدة عنوانها « سأغنيُ .. وأغنيّ »[2] :

---

(١) تبلغ أبيات هذه القصيدة الثانين ، وهي منشورة بدءاً من الصفحة ٩٧ من الديوان .

(٢) القصيدة في ٢١ بيتاً ، وهي منشورة بدءاً من الصفحة ١١٤ من الديوان .

دولةٌ ضـاقتْ بفرد ، واتَّقتْـهُ بجنٍّ ؟
أحرامٌ أن يطير الـطَّيرُ من غصنٍ لغصن ؟
عجباً .. والرَّوض روضي زاهياً ، والوكرُ وكري
أنا للحريةِ — الدَّهـرَ — أغنِّي ما أغنِّي
مـا لهم قد نقموا منِّـيَ تغريدي ولحـني ؟
وابتغوا ذلِّيْ وإسـكا تي بنفـيي وبسَجْني
سأغنِّي .. كلما يُنْشـكأ جرحي ، وأغنِّي
ليس بالحُرِّ الذي يجـزع ، أو يبكي لغبن

* * *

دمشق في الديوان

الشاعر في ديوانه واضح الاتجاه في الدعوة إلى التمسك بمبادىء الإسلام، شديد الاعتزاز بقومه والفخر بعروبته ، تراه في الكثير من شعره يتغنَّى بمحبة الأوطان ويشيد بوحدة الأقطـار العربية ، وهو يستحثّ قومه على النضال في سبيل إنقاذ بيت المقدس واسترداد فلسطين .

ويبرز ، في زحمة الأغراض التي نظم فيها الشاعر وجه دمشق مشرقاً متلألئاً ، إذ ينزلها من نفسه منزلة خاصة ، يتغنّى بمفاتنها ويشيد بأبنائها وقد أصفوه الود ، ومنحوه من حبهم وإجلالهم .

أتيحت للشاعر فرصة زيارة دمشق للمرة الأولى ، وهو في عنفوان شبابه لم يجاوز العشرين إلا قليلاً ، كان ذلك في صيف سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٥ م) ، وكان اسم الأثري قد سبقه إليها بفضل علمه وأدبه وماقدمه به أستاذه علامة العراق الكبير محمود شكري الألوسي أحد أعضاء المجمع

العلمي العربي القدامى ، فلقي الشاعر الشاب من رئيس المجمع ومن أعضائه والشباب من أدباء دمشق الحب والتقدير .

كانت دمشق يومئذ حفيـة بأمير الشعراء أحمد شوقي ، فهيئ للأثري أن يكون في عـداد المدعوين إلى حفلات التكريم ، فإذا به يلفت بأدبه وحسن روايته قلب أمير الشعراء ، فقرّبه منه وجعله موضع رعايته ، ممـا ترك أعظم الأثر في نفسه ، حتّى إذا كانت سنة ١٩٣٢ نعي أحمد شوقي ، فجاشت الذكريات في نفس الأثري وذكر دمشق لأول مرة في شعره المنشور ، فقال من قصيدة يرثي بهاأمير الشعراء (١) :

وكلٌ قريض غير ما أنتَ قائلٌ	أحسّ كأني منه في السّبَرات
وما نقموا إلاّ غناءَك بالهـدى	حثيثاً ، وإلاّ هدّمك الشُبُهات
وبعثَك أمجادَ العروبة في ثرى	(دمشقَ) وفي(الحمراء)مؤتلقات
رَزَءْتَ حَصَاةً، فاعتدلت مقالةً ،	وأنصفت مجداً جلّ عن غمَزات

ثم ذكر اجتماعه به على ضفاف بردى وما خلفـه في نفسه من أثر طيب فقال :

إلا لستُ أنسى منك مجلسَ حكمة	على (بردَى) قد مرَّ مذ سنوات
أخذْتَهوى نفسي ببشرِك طافحاً	وآنستني باللُطفِ والبسـمات
ومنَّيتُ نفسي بعـدَه بالتقـاءة	تروّي جَناني أو تبُلُّ لهـاتي
ولكن أبتْ أيامنا غير ما ترى :	فراقَ حبيبٍ ، وانطفاءَ حيـاةِ !

وفي آذار سنة ١٩٣٦ زار وفد من النواب العراقيين مصر ، فأقام السوريون المقيمون في القاهرة حفل تكريم احتفـاءً بهم ، أنشد الأثري

---

(١) القصيدة طويلة في ٧٨ بيتاً ومنشورة بدءاً من الصفحة ٢٤٩ من الديوان .

فيه قصيدة أشاد فيها بالوحدة التي كانت الأمل الذي يدغدغ النخبة من مفكري العرب في مختلف أصقاعهم ، قال فيها (١) :

شهد الله . لم تكن « مصرُ » إلا — بنت « عدنان » دارةً وقبيلا
اسأل الضادَ .. من رعاها حقوقاً؟ — واسأل الذكر .. من سقاه أصولا
لمست في نداء « بغداد » روحاً — يعربيّـاً فأوسعته قبـولا
تلك « بغداد » في ذُراها و « نجد » — وبلاد « الشآم » عرضاً وطولا
إن ما كان أمسِ حلما تجلّى — واقعيّاً ، وصـدّق التأميلا
يكذبُ المرجفون .. ماثمّ إلا — أمّةٌ ، وُحّدتْ هوىً وسبيلا

ومرّ وفد النواب العراقيين ، العائد إلى بغداد ، بدمشق وكانت في محنة من المحن التي انتابتها خلال الاحتـلال الفرنسي ، فوقف الشاعر في حفل تكريم أقيم للوفد ينشد الأبيات التالية (٢) :

أفَقنا على صوتٍ يَروع مجلجل — فقلنا : دمشقُ الشام في القيد تزأرُ
يحزّ بساقيـها الحديدُ ، ومالَه — إذا هي لم تغضب على القيد ، مكسرُ

ونسب الشاعر دمشق إلى معـاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية في الشام وتسـاءل قائلاً :

معاويّةٌ .. لم تعرف الذلّ ساعةً — فكيف على الذلّ المطاول تصبر ؟
أسيّدةٌ يستامها العلج مركبا — من الذلّ ؟ هذا الحادث المُتنكّر !

(١) القصيدة في ٤٣ بيتاً منشورة بدءاً من الصفحة ١٨٦ من الديوان تحت عنوان « أمة وحدت هوى وسبيلا » .

(٢) القصيدة في الصفحة ١٩٠ من الديوان .

ثم أشار الشاعر إلى جنات دمشق ينعم بها المستعمر المحتل وأهلها بين منفي ومشرد فقال :

بنفسيَ من جنّات عَدْنٍ خمائلاً على «بردى» من نعمة الحُسن تُزهر
أيطرُقُها من مارد الإنس عابثٌ ويغمُرها من مأثم النّقم أكدر ؟
وداغِلُها في كلّ روضٍ مُنَعَّمٌ وآهِلُها في كل منفىً مُعْفَّر

وختم الشاعر قصيدته بحثّ العرب في مختلف أقطارهم على الاتحاد والتمسك بمبادىء الإسلام قائلاً :

لعمرُ العلى لن يبلغَ «العربُ» العلى وهم فِرقٌ شتّى وشملٌ مدمّر
ألا فاسلكوها وحدةً عربيّةً لها من هُدى الإسلام روحٌ ومظهر

* * *

وليس من عجب في أن نرى الشاعر ، الذي أحب دمشق وأهلها وافتتن بطبيعتها وجمالها وغرد مع بلابلها وغنى مع خرير مياهها ، يسجل لهذه المدينة صنيعها ، يوم زحفت لتودع ياسين الهاشمي ابن بغداد ، وقد ضنت حكومتها على ثراها أن يضم رفاته ، فحنت عليها دمشق ، وكرمت جهاده في سبيل العروبة والوحدة العربية ، وجعلت مثواه في أكرم بقعة منها إلى جانب بطل الإسلام منقذ القدس صلاح الدين الأيوبي . قال الشاعر (١) :

(١) من قصيدة طويلة عنوانها « ملحمة الانقلاب الشعوبي » أنشدها في احتفال كبير مشهود ، أقامه الساسة المخلصون ببغداد في سنة ١٩٣٧ ، بعد أن دال الحكم الشعوبي الذي دهم العراق في أواخر عام ١٩٣٦ ، وشاركت فيه — إلى جانب ساسة العراق وخطبائه الوطنيين وفود رسمية وشعبية من الأقطار العربية ، بينها نفر من أعيان الخطباء وكبار الشعراء . والقصيدة في ١٢١ بيت ، وقد نشرت في الديوان بدءاً من الصفحة ٧٣ .

باتَ « العراقُ » على شجوٍ يكابدُه رهنَ السَّلاسلِ، يشكو ليلَ محيارِ
وباتتِ « الشّامُ » في أوجاعِ مكتئبٍ يمشي بها الحُزنُ في سهلٍ وأوعارِ
شجوا « بني عبدِ شمسٍ » أن مضى قمرٌ من « هاشمٍ » لم يخنهُ كشفُ أنوارِ
كأنَّ « مروانَ » خلفَ النعشِ من جزعٍ أصيبَ في ملكهِ الغالي بمُنهارِ
من حولهِ زمرُ الأملاكِ في حشَدٍ كأنما هي في تشييعِ « عمّارِ »
في موكبٍ يحسِرُ الأبصارَ مائجُهُ تخالُه طافياً في دمعِه الجاري
كلُّ البلادِ مناحاتٌ وأرديةٌ سودٌ على أبيضِ الأثوابِ معطارِ
ملهوفةٌ، تتوافى للعزاءِ بهِ قوافلاً بين وُرّادٍ وصُدّارِ

* * *

لئن حُرمتَ ثرى « بغدادَ » تنزلُه وما كمثلِ ثراها طيبَ أبشارِ
لقد نزلتَ ثرى أهلٍ ذوي رحمٍ، كُثرٌ فرفُ الخُلدِ.. لم يدنسْ بأوضارِ
زاكٍ ثوى الشُّمخاءُ الطّاهرون به من كلِّ خيِّرِ قومٍ وابنِ أخيارِ
من نازليهِ « صلاحُ الدّينِ ».. أيُّ فتىً صانَ الحِمى من صليبيين خُتّارِ
جاورتَهُ، فتباهى أنْ غدوتَ له جاراً، ويفرحُ مِسعارٌ بمسعارِ (١)
جارانِ.. فاخرتِ « الشّامُ » السّماءَ بأنْ باتا بها قمرَيْ سارينَ نُظّارِ
يُستهديانِ إلى سُبْلِ العلى أبداً، فيهديانِ، وما هادٍ كغرّارِ
يُريدُ للخيِّرينَ الأرذلونَ أذىً، ويُكرمُ الخيّرينَ الخالقُ الباري

* * *

تعددت زيارات الشاعر لدمشق يقضي فيها فصل الصيف، يتمتع بهوائها العليل وبمناظرها الخلابة متنقلاً بين رياضها ومنتزهاتها محاطاً بنخبة

(١) مسعار: شجاع يسعر الحرب دفاعاً عن قومه.

من أبنائها المقدرين لفضله وأدبه ، حتى إذا كان صيف سنة ١٩٣٩ أقام الأستاذ الرئيس محمد كرد علي حفل تكريم للشاعر ، **وكان المجمع العلمي العربي** قد انتخبه **عضواً** فيه ، وفي هذا الاحتفال أنشد رائعته في « دمشق » (١) :

مَنْ عذيرٌ من الهوى ومجيرُ ؟ فضحَ الشوقُ ما أجنَّ الضميرُ
أنا في قبضةِ الجمال . . فخَوْدٌ تستبيني ، وروضةٌ ، وغديرُ

وبعد هذا الاستهلال الرائع الذي غلب الشاعر فيه شوقه إلى دمشق وبواعث حبه لها ، أخذ يصف مفاتن الطبيعة فيها والجمال الآسر قائلاً :

هذه « جِلِّقٌ » .. تبارك ربّي ! بـلدٌ طيّبٌ ، وربٌّ غفورُ
الهوى ، والهواءُ ، والجدول الرقـ راقُ ، والروضُ ، والسنا ، والحورُ
حيثُ تقتدي ، فروضٌ أريضٌ عنبريُّ الشذا ، وماءٌ نميرُ
وظلالٌ ممدودة وهي تنـدى وشعاعٌ يرفُّ وهو منيرُ
من سنا الشمس فوقها ومن الزهـ ـر . . دنانيرُ عسجدٍ ، وعبيرُ

ويبدع الشاعر في وصف جو دمشق وما تورثه في نفوس عشاقها قائلاً :

يُقْتَلُ القيظُ في ذراها . ولكنْ في ذراها يحيا الهوى ويسورُ
جئت آوي من الحَرُورِ إليها فإذا في الحشا يشبُّ الحَرورُ
أنا . . منها ، ومن مهاها اللواتي يتقتلْنَ رقّةً ، مسحورُ
كلُّ بيضاءَ في لواحظَ سُودٍ رفَّ في خدها الدمُ المُستحيرُ
في قوامٍ لدنٍ المجسّةِ ريّا نَ ، وخصرٍ من الضنى يستجيرُ
وصباً ناضرِ الشباب . . غذاه ترفُ العيش ، والنعيمُ الوثيرُ

(١) القصيدة منشورة في الديوان بدءاً من الصفحة ٣٢٤ .

وأديمٍ مُنَمْنَمٍ في جَبِيرٍ ... يُوهِمُ المستبين ماؤه والحَبيرُ
لَمَعا.. كالسَّراب شَفَّ، فلم تَدْ ... رِ أماءٌ لألاؤه أم نور؟
تنفثُ السِّحرَ في الحليِّ فيَشْجى ... وتثيرُ الهوى به فيثورُ
ولقد زانها النفُورُ، وحسنُ الـ ... حُسنِ في الغادةِ العَرُوبِ النفُورُ
كرّم اللهُ وجهَ كلِّ نوارٍ ... صانَها الطهرُ والحياءُ الوَقورُ
لِيَ من هيكل الجمال المعاني، ... ولغيري ألفاظُه والقشورُ

يمضي الشاعر بعد هذا الوصف البديع لما فعله الجمال في نفسه، إلى تحديد منتزهات دمشق التي ملكت عليه لبّه فيقول:

وطنُ العُربِ، جَنَّةٌ.. و«دمشقٌ» ... رفرفٌ أقدسُ الطافِ طهورُ
شرقتْ بالرُّؤى مسارحُها الخُضْـ ... ـرُ، وروّى نسيمَهُنّ الشرُورُ
ربَّ نادٍ، تخيذتْهُ في الرَّوابي ... أقرأ الحسنَ منه وهو سُطورُ
فعلى «النُّوطتينِ» والشمسُ تبدو ... وعلى «النيرَبَين» وهي تغُورُ
فإذا «جِلِقٌ» رياضاً ودوراً ... كالمصابيح حفَّها الدَّيجور
عالمٌ.. من زَبَرجَدٍ، طاف بالـ ... دُّرِّ، وذكاه بالرُّواء النُّورُ
ساحِرُ المُجتَلى.. أطلَّ عليه ... «قاسيونٌ» كأنَّهُ مذعورُ
يغرق الحِسُّ في سناه، ويَفنى ... في تهاويل سحرِهِ التفكيرُ

ويصف الشاعر ليالي دمشق بعدئذٍ فيقول:

أنا إن أنسَ لستُ أنسى لياليّ ... إذِ البدرُ ضاحكٌ والثُّغُور
وكأنَّ الأكوانَ في دافق النُّو ... رِ بُحُورٌ قد أغرقتها بُحورُ
يمرَحُ القلبُ في سَناها كما يَمْـ ... ـرَحُ في الماء سابحاً عُصفورُ

قد تفرّدن بالصباحة ، لولا وجنات نازعتها ونحور

ثم يخص الشاعر ما حبا الله دمشق من طبيعة فاتنة بهذه الأبيات :

حبذا « الشام » ماؤها وهواها ومساري أنهارها والقصور
وميادين حسنها وهي شتى ومغاني اللذات وهي كثير
جادها الغيث من معاهد .. لا الشطف عداها ، ولا النعيم الخبير
محسنات الأوقات ، حتى ضحاها وشحته بلطفهن البكور
وبنفسي خرير أنهارها السبـعة دوامة عليها الطيور
تتلوى كالأين ريع ، وتهتز ارتماشاً ، وترتمي ، وتمور
وهي آناً في السهل تعدو ، وآناً في الروابي المسلسلات تغير
تغمر « الغوطتين » بشراً وزهواً مثلما يغمر النفوس الحبور
وعلى صوتها الطيور تغني ربما يطرب الطيور الخرير
عشقت لحنه ، والماء لحن يسكر السمع جرسه المخمور
حيث تغدو يلهيك منها سماع ومن الروض مؤنق منضور
عرس . . قام للطبيعة فيها يستخف الإنسان زهو وقور
تهزج الطير والأناسي فيه ، ويمور السنا ، ويذكو العبير

وبعد هذا الوصف المترف لجنات دمشق وأنهارها وغناء طيورها ، يقف الشاعر لحظة ويقول :

قف تمتع بما تراه قليلاً ، وقليل مما تراه كثير
للأنوف الشذا أريجاً ، وللسمـع الأغاني ، وللّحاظ البدور !

* * *

وحين كانت أعراس الشام سنة ١٩٤٧ ، بعد أن مضى عام كامل على جلاء المستعمر عن ثراها الطيب ، أحب شاعرنا الكبير أن يهنيء دمشق في أعيادها ويشكر لأبنائها حفاوتهم به ، فأعدّ خريدته « دمشق .. في ذكرى الجلاء[1] » وأنشدها في « دار المجمع العلمي العربي » :

يا نسمةً خطرت من أرض «جيْرون» حُيِّيتِ عاطرةً ، جاءت تُحيّيني
بكرتِ ، والفجر في أوضاح فاتنةٍ تبرّجت لفتىً هَيْمانَ مفتونِ
هل أنتِ للوافد المشتاق حاملةٌ من رَوْح أهلكِ أنفاسَ الرّياحين ؟
اللين واللطف والريّا التي انبعثت رُسْلُ الأحبة تلقاني وتدعوني
« بنو أميّةَ » .. مازالوا كما خُلِقوا بني المكارم والآداب واللين
لاقيتُ منهم كلألاء الضّحَى غُرراً هشّت إليّ تُحيّيني وتُحْبيني
من كلّ ناصيةٍ زهراء لامعةٍ كَعَسْجَدٍ ، تحت وقْدالشمس ، مفتونِ
أصبحت فيهم تهاداني سَراتُهُم كأنني مُصْحَفٌ في بيت ذي دينِ
أنا المُفَضّلُ بالنّعمى ، ومن عجبٍ أن جاء يشكرني من بات يَقْريني
عُوّدتُ كلّ جزيل من فواضلهم قِدماً ، وكلَّ ودادٍ غير مظنونِ
أنا الشّكور على ماقد خُصِصْت به من الأيادي ، وما شكري بمنونِ
سيذكر الدهر عني كلّ سائرة من الثناء عليهم في الدواوينِ
قد أوسعوني إجلالاً وتكرمةً فجئت أوسعهم مدحي وتلحيني

ثم غفر الشاعر للدهر مالاقاه من صروفه ، تكرمة لدمشق ذاكراً مقامه في جبل قاسيون المطل عليها ، واصفاً روعة تلك المناظر قائلاً :

---

(١) القصيدة منشورة في الديوان بدءاً من الصفحة ١٩٢ .

غفرت للدّهر أياماً .. سلفنَ له لمّا أتانيَ في «الفيحاء» يُشكيني
لي في خمائلها الخُضر التي حسُنت عُليا المقاصير من سُكنى المايمين
من تحتها «بَرَدَى» نشوانُ مُطَّرِدٌ بدافق من رَحيق الخُلد مَضنُوني(١)
كأنّه، وشعاعُ الشمس يضربه فِرَنْدُ سيفٍ صقيلِ الوجه مسنونِ
تنضّرت حوله الدّنيا به، وزهت بزخرفٍ من لباس الحسن موضونِ
ماأجملَ الأيكَ في شطّيه حانيةً من الحفاوة في أثوابها القينِ
تلك المفاتنُ .. شاقت كلُّ ساجعة فهيّجتها بألحانٍ أفانينِ
أكرمْ به مُنبتاً زهراً، وفاكهةً شتّى، ومُسْديَ خيراتٍ وماعونِ

ثم تساءل الشاعر عن مفاتن دار النعيم التي تخلو منها دمشق قائلاً:

أيّ المفاتن في دار النعيم .. خلت منها «دمشق»؟ وأيّ الرَّبْرَبِ العينِ؟
خميلةُ الله .. ما اهتزَّ الثّرى طرباً بمثل ما طاف فيها من تزايينِ
كلٌّ ضحوكٌ على ضاحي مشارفها زهرُ السماء وأزهارُ البساتينِ
كأنّما الجوّ، إذ يندى بها عبقاً، لطيمةٌ نُشرت من عطر «دارينِ»(٢)

ثم هنأ الشاعر دمشق بجلاء الغاصب عنها قائلاً:

يادارَ «مَرْوانَ» .. دامَ البِشرُ مؤتلقاً على جبينك لمّاحَ التلاوينِ
كرّمتِ مجدَكِ أنْ لمْ تعقِدي علَماً إلاّ على فَرْقِ برٍّ منكِ ميمونِ
ستذكر الدّولةُ الرّعناءُ مُعْتَرِكاً تَعَضُّ منه يَدَيْ نَدمانَ محزونِ

(١) مضنوني: نسبة إلى «مضنونة»، وهي بئر زمزم في بيت الله الحرام بمكة.

(٢) اللطيمة: وعاء المسك. دارين: فرضة «ميناء» بالبحرين، يجلب إليها المسك من الهند.

خرجتِ منه كنصْل السيف منصلتاً | يزهو ، وباءت بخذلانٍ وتوهينِ
ياليت عينيَ ، لما أجليتْ ، شهدت | بِشْرَ الجنانِ بإجلاء الشياطينِ
من كلّ أصهبَ .. كان الكبرُ شارته | يرمي ببنيك بطرفٍ منه مسنونِ
فنكّسَ اللهُ بالإذلال هامتهُ | وعاد خزيانَ يمشي مشيَ مغبونِ
لا يرفعُ اللحظَ إلا وهوَ يخفضُه | أعجِبْ بلحظ..بخدّ الأرض مقرونِ

وأنهى الشاعر قصيدته مخاطباً دمشق داعياً إياها إلى التمسك بعروبتها وإسلامها لتصون جمالها الذي يفتديه بنفسه قائلاً :

ياحُرّةً .. لم تدنْ يوماً لآسرها | ويافتــاةَ المطـاعيم المطاعيــنِ
إنّ العروبة والإسلامَ .. مافتئا | هنا بواديكِ في عزٍّ وتمكيــنِ
في جبهة الفلك الأعلى مقامُهما | منه ، وفي مربأ الشمّ العرانينِ
هما جناحاكِ .. مدّ اللهُ ظلّهما | على البريّة من دنيا ومن ديــنِ
صوني جمالكِ في الدنيا بسرّهما | يصُنْكِ من دَرَكاتِ الخسف والهونِ

* * *

مايبتغي «الغربُ» ، من فيحاءَ وارفةٍ | تعيش في كنفٍ للدهرِ مأمونِ ؟
شمّاءُ .. ما بينها غيرُ مأبيةٍ | على الدنايا ، وهمات السلاطيــنِ
وقتْ «دمشقَ» الرّزايا رحمةٌ برأت | «دمشقَ» من نفحات اللطف واللينِ
نفسي فداءُ جمالٍ .. طالما نعِمت | نفسي به في ليالي عيشيَ الجُونِ

ولما وقعت حرب حزيران سنة ١٩٦٧ ، تفجّر الألم الذي استولى على الشاعر قصيدةً طويلةً ذكر فيها دمشق مشيداً بجهادها مشيراً إلى دخول القائد الفرنسي « غورو » مدفن صلاح الدين الأيوبي ومخاطبته الضريح قائلاً :

«نحن حفدة الصليبين هنا بإصلاح الدين». قال الشاعر[1] :

وأين في «الشام» «غورو» في جحافله يُغير وهو يـــدكّ السِّلم تذليلا ؟
بل أين في «القدس» «ألنْبي» وقد رعبت رعوده جنبات «القدس» توهيلا[2]؟
نشوان من صلف، ملآن من حنق يجـــرّ سيفاً على الغبراء مصقولا
ياشـاهرَ السـيف مزهواً بباطله وعارضَ الجيش بعد الجيش تحفيلا
خلّ الغرور .. فإن الحقّ مابرحت شَباهُ ترجع حـدّ السيف مفلولا
قضى له الله بالعُقبى .. إذا صحب الـ إيمانَ والصبرَ، وعداً منه مكفولا
يرمي به باطلاً منـه فيدمغُـــه يا .. طالما دمّغ الحقّ الأباطيلا
إنّ الحروبَ سجالٌ بيننا أبـداً كأنهـا الدَّينُ في اللأواء مَطولا
إن لم تكونوا لنا سَلماً، نكن لكم حرباً .. تبادركـم بالموت تعجيلا
إنّا سـنلحق بالماضين حاضرَكم ممن يجيء حنيقَ الصدرِ مثكولا
لنصبرنّ كآباء لنا صـبروا صبراً .. يُعيد سوادَ الليل تحجيلا
نحن الجواهر .. ماهانت معادننا على الزمان كماةً أو مغازيـــلا

* * *

هذا هو الشاعر البغدادي الكبير الذي محض دمشق الخالدة الحبّ كله، وهذه هي دمشق بجمالها ومفاتنها تزينها غلالة من حب الشاعر وإعجابه.

---

(١) من قصيدة طويلة جاوزت ١٥٠ بيتاً عنوانها: «حرب حزيران ١٩٦٧» وهي منشورة في الديوان بدءاً من الصفحة ١٦٣.

(٢) ألنبي قائد الجيش الانكليزي الذي فتح القدس في الحرب العالمية الأولى، وقال في معرض الفخر: «اليوم انتهت الحروب الصليبية».

إن شعر الأثري نموذج حديث للشعر العربي الأصيل في ألفاظه المنتقاة ولغته المشرقة وأسلوبه القويم وجرسه المطرب. وشعره في دمشق خير دليل على ما حبا الله الشاعر من رهافة الحس ورقة الشعور وتذوق للجمال، ودليل ناصع على مايملكه الشاعر من أدوات استطاع معها الابداع في وصف الجمال وتصوير مايفعله في نفوس المحبين.

حفظ الله شاعرنا الكبير ذخراً للضاد أم اللغي.

وحفظ الله دمشق مصدراً للحب والإلهام.

عدنان الخطيب

كتاب الدلائل في غريب الحديث
لأبي محمد قاسم بن ثابت العوفي السرقسطي

الدكتور شاكر الفحام

٣

١ — وكان أبو محمد القاسم بن ثابت بن حزم بن عبد الرحمن بن مطرّف ابن سليمان بن يحيى العوفي السرقسطي(١) ثالث الأندلسيين الذين تصدوا لشرح غريب الحديث، والتأليف فيه.

— ولد أبو محمد القاسم سنة ٢٥٥ هـ، في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ) خامس أمراء البيت الأموي بالأندلس. وكان مولده بمدينة سرقسطة (٢) : المدينة التي شهدت من قبل مولد أبيه

---

(١) ابن الفرضي ١ : ١١٩ ، ٤٠٢ ، جذوة المقتبس : ١٧٤ ، بغية الملتمس : ٢٣٧ — ٢٣٨ ، ٤٣٤ ، الصلة ١ : ١٢٤ ، التكملة ١ : ٢٣٦ ، معجم البلدان (سرقسطة) ، بغية الوعاة : ٢٠٩ ، ٣٧٦ ، طبقات ابن قاضي شهبة (مخطوط) : ٢٣٦ ، الديباج المذهب : ١٠٢ . وجاء في طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٨٤ ، « ثابت بن عبد العزيز » وأظنه سبق قلم ، تابعه عليه القفطي في إنباه الرواة ١ : ٢٦٢ ، والفيروزابادي في البلغة : ٦٤ ، ١٨٥ ، واضطرب الأمر على ابن قاضي شهبة : ٢٣٦ — ٢٣٧ ، ٤٧٥ فظنهما اثنين وترجم لهما . وجاء في فهرست ابن خير : ١٩٣ ، وفي مخطوطتي الدلائل في المكتبة الظاهرية بدمشق وفي مكتبة متحف الأوقاف باستانبول : « عبد الرحمن بن غانم بن يحيى بن سليمان » .

(٢) ابن الفرضي ١ : ٤٠٣ ، مخطوطتا الظاهرية والأوقاف ، فهرست ابن خير : ١٩٣ ، وذكر في بغية الملتمس : ٤٣٥ ، أنه ولد في سنة ٢٤٧ هـ

ثابت . وكان ثابت أبو القاسم من العلماء الأجلاء ، ولد سنة ٢١٧ هـ أو نحوها ، وأقبل على الدرس والتحصيل ، وسعى لها في سرقسطة وغيرها من مدن الأندلس ، حتى عرف بالعلم وعدّ من أهله ، وبان فضله ، وكان حين ولد له ابنه القاسم في نحو الثامنة والثلاثين من عمره[١] .

- وينتمي أبو محمد القاسم إلى بني عوف من قبيلة غطفان ، إحدى قبائل قيس عيلان المشهورة ، ذكر ذلك ابنه ثابت بن القاسم (٢٨٩ - ٣٥٢ هـ) حين سأله الحكم المستنصر عن نسبه ، ولكن الحكم المستنصر لم يكتف بما سمع ، لما عرف به من حب التثبت والتوثق ، فسأل أبا يحيى زكريا بن خطاب الكلبي التطيلي[٢] عن صحة النسب ، وكان زكريا ثقة مأموناً ، استقدمه الحكم ، وهو ولي عهد ، إلى قرطبة ، وسمع منه أكثر روايته ، فذهب زكريا بن خطاب إلى أن القاسم بن ثابت من البربر ، وأنه مولى لبني زهرة بن كلاب من قريش ، مولى علاقة[٣] ، وأن انتماء البربر إلى ولاء زهرة بن كلاب في سرقسطة وجهاتها كثيرٌ جداً ، لا ترى أحداً من البربر يذكر غير ولاء زهرة إلا الشاذ منهم ، يزعمون أنهم أسلموا على يدي

(١) ابن الفرضي ١ : ١١٩ ، فهرست ابن خير : ١٩٣ ، مخطوطتا الظاهرية والأوقاف ، معجم البلدان (سرقسطة) ، بغية الوعاة : ٢١٠

(٢) تطيلة : بالضم ثم الكسر ، وياء ساكنة ولام ، مدينة بالأندلس من أعمال الثغر الأعلى ، بينها وبين سرقسطة سبعةعشر فرسخاً ، خرج منها العرب سنة ٥٢٤ هـ ، (معجم البلدان - تطيلة ، تقويم البلدان : ١٨٠ - ١٨١ ، الروض المعطار : ٦٤ ، نفح الطيب ١ : ١٦٦ و ٤ : ٤٥٥) .

(٣) قال ثابت بن قاسم بن ثابت : سمعت جدي يقول : الولاء ولاءان : ولاء عتاقة ، وولاء علاقة (فهرست ابن خير : ١٩٣ ، مخطوطة الظاهرية) .

رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف الزهري أقام بتلك الجهات وقت افتتاح الأندلس . ثم يفسر زكريا بن خطاب نسبة العوفي التي عرفت بها أسرة قاسم ، بأن أبا القاسم وقع بينه وبين الذين كان يتولاهم كلام ، فحلف ألاّ ينتمي إليهم ، ثم ندم وتذمم من ذلك فكتب : العوفي ، ولما قيل له : ما هذا يا أبا القاسم ؟ أجاب : أليس عبد الرحمن : ابنَ عوف ، وأنه من والى ولد عبد الرحمن فهو مولى عبد الرحمن(١) .

٢ – تقع مدينة سرقسطة(٢) مسقط رأس القاسم وأبيه في شرق الأندلس ، وكانت تعرف بالمدينة البيضاء ، لأن أسوارها القديمة من حجر الرخام الأبيض ، وتصفها كتب البلدان بأنها مدينة كبيرة ، من أطيب بلدان الأندلس بقعة ، وأكثرها ثمرة ، حسنة الديار والمساكن ، واسعة الشوارع ، متصلة الجنات والبساتين « ناهيك من مدينة بيضاء ، أحدقت بها من بساتينها زمردة خضراء ، والتفت عليها أنهارها الأربعة » . وكان الأندلسيون يطلقون على سرقسطة وجهاتها اسم الثغر الأعلى (الثغر الأقصى) ، وقد توسطت سرقسطة مدن الثغر ، وكانت أعظمها مدينة ، والمقصودة من جميع جهاتها ، فاستحقت بذلك أن تعدّ أمّ ذلك الثغر وقاعدته(٣) .

(١) ابن الفرضي ١ : ١٧٦ — ١٧٧ ، فهرست ابن خير : ١٩٣ ، مخطوطتا الظاهرية والأوقاف ، معجم البلدان (سرقسطة) ، نفح الطيب ١ : ٣٩٥ و ٢ : ٦٣٢ ، طبقات ابن قاضي شهبة : ٢٣٦

(٢) سرقسطة : بفتح السين المهملة والراء ، وضم القاف وسكون السين الثانية وبعدها طاء مهملة (معجم البلدان — سرقسطة ، تقويم البلدان : ١٨٠).

(٣) العذري : ٢١ — ٢٥ ، ٣٠ ، ١٨٥ ، البيان المغرب ٢ : ١٠٥ ، المغرب ٢ : ٤٣٤ ، الروض المعطار : ٩٦ — ٩٨ ، نفح الطيب ١ : ١٥٠ ، ١٦١ ، ١٦٦ ، ٢٧٣ و ٤ : ٤٦٠ ، المقتبس (ط . باريس) : ٢٠ ، معجم البلدان (سرقسطة) ، تقويم البلدان : ١٨٠ — ١٨١

ـ خبت سرقسطة وجهاتها في الفتنة أيام بني مروان ، وكثر المنتزون بها ، وكان من أقوى ثوار سرقسطة في القرن الثالث الهجري موسى بن موسى ابن فرتون من بني قسي ، المتوفى سنة ٢٤٨ ﻫ ، وثار من بعده ولده لب بن موسى القسوي الذي تغلب على الثغر سنة ٢٥٧ ﻫ ، وملك سرقسطة وتطيلة وغيرهما ، وأسر عمال الإمام محمد بن عبد الرحمن ، وقتل عرب سرقسطة من قبائل شتى ، أخرجهم إلى بقيرة ، فقتلهم بها ببرج يعرف ببرج العرب ، وذلك في سنة ٢٦٠ ﻫ ، وخلفه في الفتنة أخوه إسماعيل بن موسى الذي جدد بنيان مدينة لاردة سنة ٢٧٠ ﻫ ، وكانت جيوش بني مروان تغاديه القتال وتراوحه ، وكان بنو تجيب آخر من تداول حكم سرقسطة حتى قام أمير المؤمنين الناصر لدين الله (٣٠٠ - ٣٥٠ ﻫ) فأطفأ نيران الفتنة ، واستنزل أهل العصيان ، واستقامت له الأندلس في سائر جهاتها ، فأقر بني تجيب في ولاية سرقسطة بعد أن نزعوا إلى الطاعة ، واستجابوا للجماعة(١) .

٣ ـ لم تقتصر الفتنة على سرقسطة وماحولها ، بل عمت أرجاء الأندلس كلها في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، ولكنها ، على اتساعها واستشرائها ، لم تلق ظلالها الثقيلة البغيضة على الحركة العلمية والأدبية في الأندلس ، ومضى العلماء الأندلسيون يتابعون الخطا ليتموا البناء الذي أسسه لهم من سبقهم ، وكانت حلقاتهم ومجالسهم حافلة بالطلاب ، عامرة بفنون

---

(١) العذري : ٢٩ — ٤٢ ، البيان المغرب ٢ : ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٣٧ — ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ، ١٨٤ — ١٨٥ ، المقتبس (ط . باريس) : ١٦ — ١٧ ، ٢٠ — ٢١ ، ٨٥ — ٨٧ ، ١٠٥ — ١٠٦ ، ١١٨ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٤٠ ، الروض المعطار : ١٦٨ ، نفح الطيب ١ : ٣٥١ ، ٣٥٣

العلم وضروب المعرفة . ولقد عُني أبو القاسم ثابت بن حزم بابنه القاسم أتم عناية : أشرف على تنشئته ، وسهر على تعليمه ، وهيأ له أن يتزود من علوم عصره بخير زاد ، حتى إذا استكمل حظه من الثقافة في حاضرة الثغر ، عزم الأب وابنه على الرحلة في طلب العلم ، وقصدا إلى المشرق فعل العلماء الأندلسيين الذين كانوا يتشوفون أبداً إلى المشرق ، يردون منه المنهل العذب .

كان ذلك في سنة ٢٨٨ هـ ، وثابت الأب في نحو الحادية والسبعين من عمره ، وابنه أبو محمد القاسم في الثالثة والثلاثين من عمره . حقاً أنهما قد نالا من ضروب الثقافة والعلم ما نالا ، وافتنّا في المعرفة ، ولكنهما كانا يؤثران فنّي الحديث واللغة ، يخصانهما بمزيد من العناية ، ويبالغان في طلبهما والتحقّي بهما ، وهاهما ذان يقصدان إلى المشرق ليبلغا من هذين الفنين الغاية التي ما بعدها غاية .

كان أول خروجهما إلى الحج ، فمكة مقصد كل أندلسي توجه إلى المشرق ، وقد لقيا بمكة العلماء والجلة ، وسمعا منهم ، وأخذا عنهم . نعد منهم : أبا محمد عبد الله بن علي بن الجارود (٣٠٧ هـ) ومحمد بن علي بن زيد الصائغ (الجوهري) (٢٩١هـ) وأبا العباس مكي بن محمد بن أحمد ، وأبا عمران موسى ابن هارون الحمال (٢١٤ - ٢٩٤ هـ) وأبا الحسن علي بن محمد بن عبد الحميد السياري الهروي ، ومحمد بن القاسم بن عبد الرزاق الجمحي ، وأبا بكر جعفر بن محمد الفاريابي القاضي (٣٠١ هـ) وأحمد بن زكريا العابدي ، وإسحاق ابن أحمد الخزاعي (٣٠٨ هـ) وأحمد بن عمرو بن مسلم الخلاّل ، وأبا سعيد المفضل بن محمد بن إبراهيم بن المفضل بن سعيد بن عامر الشعبي المعروف بالجَنَدي (٣٠٨ هـ) وخلف بن عمرو العكبري (٢٩٦ هـ) وإبراهيم بن سعيد

ابن عثمان بن مسلم بن الوليد بن رباح الحذّاء المكي(١) .

وجاءا مصر وسمعا من جماعة من علمائها ، منهم : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٢٢٥ – ٣٠٣ هـ) وأبو بكر محمد بن جعفر الربعي البغدادي المعروف بابن الإمام (٣٠٠ هـ) ومحمد بن أحمد بن الهيثم التميمي، وأبو سعيد عبد الرحمن بن سليمان بن موسى بن مرداس الجوجاني ، وأحمد ابن عمرو بن عبد الخالق البصري البزار (٢٩٢ هـ) وأحمد بن حمزة بن محمد ابن هارون(٢) ، وإبراهيم بن حميد بن العلاء الكلابزي البصري (٣١٢ أو ٣١٦ هـ) (٣) .

وسمعا بالأندلس من محمد بن عبد السلام الخشني (٢٨٦ هـ) وعبيد الله ابن يحيى (٢٩٨ هـ) ومحمد بن وضاح (٢٨٧ هـ) ومطرف بن قيس ، وعبد الله بن مسرة (٢٨٦ هـ) ومحمد بن عبد الله بن الغاز (٢٩٦ هـ) وأبي

---

(١) ابن الفرضي ١ : ١١٩ ، ٤٠٣ ، معجم البلدان (سرقسطة) ،نفح الطيب ٢ : ٤٩ ، الديباج المذهب : ١٠٢ ، مخطوطتا الظاهرية والأوقاف ، فهرست ابن خير : ١٩١ – ١٩٣ ، بغية الملتمس : ٤٣٤

(٢) عد ابن الفرضي (١ : ١١٩) أحمد بن حمزة من شيوخ قاسم وأبيه بمكة ، وتبعه ياقوت (معجم البلدان – سرقسطة) وابن فرحون (الديباج المذهب : ١٠٢) .

(٣) مخطوطتا الظاهرية والأوقاف ، ابن الفرضي ١ : ١١٩ ، ٤٠٣ ، معجم البلدان (سرقسطة) ، نفح الطيب ٢ : ٤٩ ،الديباج المذهب : ١٠٢، بغية الملتمس : ٤٣٤

عثمان سعيد بن خمير (٣٠١ هـ) وأبي بكر يحيى بن أصبغ بن خليل (٣٠٥ هـ)[(١)] .

وانفرد ثابت بن حزم بالرواية عن أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد (٢٧٦ هـ) ويحيى بن إبراهيم بن مزين (٢٥٩ هـ) ومحمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي (٢٥٥ هـ)[(٢)] .

وسمعا بالثغر من محمد بن سليمان بن تليد (٢٩٥ هـ) وإبراهيم بن نصر الجهني السرقسطي (٢٨٧ هـ) ومحمد بن أبي النعمان[(٣)] . وانفرد ثابت بالرواية عن أحمد ويحيى ابني محمد بن عجلان ، وكان أحمد ممن روى عن مالك[(٤)] .

ويبدو من عبارة ابن الفرضي وياقوت أن قاسماً وأباه قد سمعا من الأندلسيين قبل بدء رحلتها في المشرق . وإن وفيات بعض شيوخهما الأندلسيين لتؤكد هذه الرواية[(٥)] .

— قضى الأب وابنه في الرحلة ست سنوات ، لقيا فيها من لقيا من الشيوخ وكبار العلماء ، ورويا من ضروب المعرفة والعلم ما أشبع شغفهما وتطلعهما،

---

(١) مخطوطتا الظاهرية والأوقاف ، ابن الفرضي ١ : ١١٩ ، ٢٥٦ و ٢ : ١٨٤ ، معجم البلدان (سرقسطة) ، الديباج المذهب : ١٠٢ ، ووهم ابن الفرضي (١ : ٢٥١) حين جعل قاسماً وأباه يرويان ويسمعان من عبد الله ابن الغازي بن قيس (٢٣٠ هـ) .

(٢) مخطوطة الظاهرية .

(٣) مخطوطة الظاهرية ، ابن الفرضي ١ : ٢٠ ، ١١٩ ، معجم البلدان (سرقسطة) .

(٤) مخطوطة الظاهرية ، ابن الفرضي ١ : ٣٤ و ٢ : ١٨٠ ، الديباج المذهب : ٣٧ ، ٣٥٥

(٥) ابن الفرضي ١ : ١١٩ ، معجم البلدان (سرقسطة) .

ولكنها عُنيا ، في هـذه الرحلة ، أكثر ما عُنيا بجمع الحديث واللغة ، ولقاء رجالهما ، وانصرفا إلى الثغر سنة ٢٩٤ هـ ، وقد أدخلا إلى الأندلس علماً كثيراً ، ويقال : إنهما أول من أدخل كتاب العين للخليل بن أحمـد ، وكانا قد انتسخاه بمكة(١) .

٤ — انصرف قاسم إلى العلم الانصراف كلّه ، لا يشغله عنه شيء ، وفتحت له رحلته وأسْميِعتُه(٢) آفاقاً من العلم رحيبة ، وكان ، إلى علمه وأدبه ، ورعاً تقياً ناسكاً ، عزف عن مباهج الدنيا ، وأشاح بوجهه عن مناصبها ، ولم يرض لعلمه أن يكون وسيلة يتقرب بها إلى السلطان : أُريدَ على أن يلي قضاء سرقسطة فامتنع ، وتأبّى ، ولما ألح عليه وكاد يُكره على قبوله وافاه الموت منقذاً . وقد أتاحت له فطرته تلك أن يتفرغ للهدف الذي قصد إليه ونصب نفسه له : كان عالماً بالحديث والفقه ، متقدماً في معرفة الغريب والنحو والشعر ، واسع الرواية ، اطلع على صنيع أبي عبيد القاسم ابن سلاّم ، وأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في غريب الحديث ، فرأى أن ينهض بعبء إكمال مابدآه ، واستيفاء مافاتهما وغاب عنهما ، فألف كتاب الدلائل في شرح الحديث ، بما ليس في كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام وأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة(٣) . وبلغ فيه الغاية في الإتقان

(١) مخطوطتا الظاهرية والأوقاف ، ابن الفرضي ١ : ٤٠٣ ، فهرست ابن خير : ١٩١ ، ١٩٣ ، طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٨٤ ، معجم البلدان (سرقسطة) ، إنباه الرواة ١ : ٢٦٢ ، المزهر ١ : ٨٣

(٢) درج علماء الأندلس على جمع « سماع » على « أسمعة » .

(٣) وهم صاحب بغية الملتمس : ٢٣٨ ، إذ وصف عمل قاسم في الدلائل بأنه ذكر فيه ما لم يذكر أبو عبيد ولا الخطابي ، والدلائل قد ألف قبل تأليف الخطابي كتابه في غريب الحديث .

والتجويد ، حتى حسد عليه ، وذكر الطاعنون أنه من تأليف غيره من أهل المشرق . وإذ كانت رحلته ورحلة أبيه واحدة وسماعهما واحداً ، فقد ذكر آخرون أنهما اشتركا في تأليفه ، واتفقا على جمعه . وفي الحق أن ثابتاً الأب « كان عالماً متفنناً ، بصيراً بالحديث والفقه ، والنحو والغريب والشعر » ، وأن الأب وابنه كانا من أهل الفضل والورع والعبادة، ولكن الموازنة بينهما انتهت بأصحاب التراجم إلى أن يروا أن « القاسم بن ثابت كان أعلم من أبيه وأنبل وأورع » وأن قاسماً هو الذي تصدى لتأليف كتاب الدلائل ، وفاجأ الموت القاسم بسرقسطة في شوال سنة ٣٠٢ هـ ، وهو في السابعة والأربعين من عمره ، وهناك رواية تفردت بها مخطوطة الأوقاف تذكر أنه توفي في سنة ٣٠٦ هـ ، ولم يكن القاسم قد أكمل كتابه الدلائل حين وافاه الأجل ، فأكمله من بعده أبوه ثابت ، وقد طال به العمر حتى أقرأ الدلائل وحُمِل عنه ، فقد عاش حتى الخامسة والتسعين أو نحوها ، وتوفي بسرقسطة في رمضان سنة ٣١٣ هـ ، وفي رواية : أنه توفي في سنة ٣١٤ هـ[1] .

٥ ـ عرف كتاب الدلائل في الأندلس وانتشر برواية ثابت بن قاسم بن ثابت .

---

(١) مخطوطتا الظاهرية والأوقاف ، ابن الفرضي ١ : ٤٠٣ ، فهرست ابن خير : ١٩١ ــ ١٩٣ ، جذوة المقتبس : ١٧٤ ، بغية الملتمس : ٢٣٨ ، ٤٣٤ ــ ٤٣٥ ، طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٨٤ ــ ٢٨٥ ، معجم البلدان (سرقسطة) ، إنباه الرواة ١ : ٢٦٢ ، الديباج المذهب : ١٠٢ . والعجب أن ابن فرحون قد ترجم لحفيده ثابت بن عبد الله المتوفى سنة ٤١٥ هـ وجعل من تصانيفه كتاب الدلائل (الديباج المذهب : ١٠٢ ، الصلة ١ : ١٢٤ ــ ١٢٥) .

ولد ثابت بسرقسطة ، بلد أبيه وجده ، سنة ٢٨٩ هـ ، ولم يشهد أبوه ولا جده ولادته ، إذ كانا قد بدآ رحلتها إلى المشرق في سنة ٢٨٨ هـ ، وحين عادا من الرحلة إلى سرقسطة كان ثابت في نحو الخامسة من عمره ، فأشرفا على تعليمه ، وسمع منهما وأفاد . وفقد ثابت أباه قاسماً في سنة ٣٠٢هـ ، وهو في الثالثة عشرة من عمره ، فأوى إلى ظلال جده لينعم برعايته وليغترف من معين علمه ، ونعم بجواره أحد عشر عاماً ، أخذ عنه فيما أخذ كتاب الدلائل الذي ألفه أبوه قاسم : قرأه عليه قراءة تدبر وتمحيص ، وصار من بعدُ يرويه عن أبيه إجازةً وعن جده قراءةً عليه . وكان ثابت في الرابعة والعشرين حين فارق جده الدنيا ، ليتفرد برواية كتاب الدلائل .

وكان ثابت بن قاسم مليح الخط ، جيد الكتاب ، إلا أنه كان مولعاً بالشراب ، فضعّف . كان شديد الاعتزاز بكتاب الدلائل ، فأكب عليه يُقرئه ويرويه ويكتب نسخاً منه ، ويذكر الحميدي أن له في كتاب أبيه زيادات. توفي ثابت في سنة ٣٥٢ هـ لسنتين خلتا من حكم أمير المؤمنين المستنصر ، ودفن بسرقسطة وقد بلغ من السن ثلاثاً وستين سنة (١) .

(١) ابن الفرضي ١ : ١٢٠ : مخطوطتنا الظاهرية والأوقاف ، طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٨٥ ، جذوة المقتبس : ٣١٢ ، بغية الملتمس : ٢٤٠ ، فهرست ابن خير : ١٩٢ ، ١٩٣ ، معجم البلدان (سرقسطة) . وفي فهرست ابن خير ١٩١ ، ١٩٢ ، أن قاسماً مات وترك ابنه ثابتاً صغيراً فلم يسمع منه الدلائل ، وإنما أجازه به . وعاش أبوه ثابت بن حزم حتى سمع منه حفيده ثابت ابن قاسم كتاب الدلائل قراءة منه عليه . بينما يذكر ابن الفرضي (١ : ١٢٠) أن ثابتاً سمع من أبيه [القاسم] ومن جده [ثابت بن حزم] ، ويمكن الجمع بين روايتي ابن الفرضي وابن خير بأن السماع في رواية ابن الفرضي لا يقصد به سماع كتاب الدلائل .

٦ – احتل كتاب الدلائل منزلة عالية بين كتب الغريب في الأندلس، فقد احتفل له مؤلفه القاسم بن ثابت أيما احتفال ، يعينه على ذلك تمكنه من ناصية اللغة معاني وشواهد ، ووقوفه على أسرارها . واطلاعه الواسع على الحديث وفقه مشكلاته . ومن هنا فقد أورد في كتابه الدلائل من اللغة مالم يورده أحد من أهل الأغربة[1]. ويذكر الحميدي أنه رأى من ينسب الكتاب إلى ثابت بن القاسم ، ثم يعلل ذلك بقوله : « ولعله من أجل روايته إياه ، وزياداته فيه نسب إليه ، وإلا فالكتاب من تأليف قاسم بن ثابت أبيه ». ويعيد الضبي في كتابه رواية الحميدي ليعقب بأنه رأى من ينسب الكتاب إلى ثابت بن حزم ، وأن قاسماً روى هذا الكتاب عن أبيه ثابت[2] . ومن هنا نجد في الكتب الأندلسية أمثال هذه العبارات : « روى عن ثابت بن قاسم كتاب الدلائل من تأليف جده »[3] بل نجد بعض المؤلفين يتسمحون فينسبون الكتاب إلى قاسم تارة والى أبيه تارة أخرى[4]

– مهما يكن فقد صح لنا من الروايات الثابتة الراجحة أن قاسم بن ثابت هو مؤلف كتاب الدلائل ، وأنه مات قبل أن يتمه ، فأكمله أبوه ثابت، ثم رُوي الكتاب من طريق ثابت بن قاسم بن ثابت[5] .

وتطلب الأندلسيون الكتاب ، وتدارسوه بينهم . يذكر أبو علي

(١) بغية الملتمس : ٢٣٨

(٢) جذوة المقتبس : ١٧٤ ، بغية الملتمس : ٢٣٨ ، وعبارة الضبي في في الأصل مضطربة .

(٣) الصلة ٢ : ٤٣١

(٤) التكملة ١ : ٢٣٦ و ٢ : ٨٠٠ ، تلخيص الحبير ٢ : ١١٨ و ٣ : ٥٧

(٥) جذوة المقتبس : ٢٩٩ ؛ فهرست ابن خير : ١٩١

القالي (٣٥٦هـ) إمام اللغة في عصره أنه أخذ كتاب الدلائل عن ثابت بن قاسم ، إعجاباً منه بالكتاب ، ولم يكن ثابت عنده أهلاً للأخذ عنه . وطلب الحكم المستنصر من ثابت بن قاسم ، وكان حسن الخط ، أن ينسخ له بخطه كتاب الدلائل ، ففعل ثابت وأجاز للحكم روايته(١) .

— ولعله يحسن بنا أن نورد في صفة الكتاب وبيان فضله كلمة الإمام اللغوي الكبير أبي علي القالي ، يقول أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (٣٧٩هـ) صاحب طبقات النحويين واللغويين : «سمعت إسماعيل بن القاسم البغدادي [أباعلي القالي] يقول : لم يؤلَّف بالأندلس كتاب أكمل من كتاب [القاسم بن] ثابت في شرح الحديث ، وقد طالعتُ كتباً ألفت فيما لديكم، ورأيت كتاب الخشني في شرح الحديث وطالعتُه ، فما رأيته صنع شيئاً ، وكذلك كتاب عبد الملك بن حبيب » . ثم يعقب الزبيدي على كلمة أستاذه القالي فيقول : « ولو قال إسماعيل [أبو علي القالي] : إنه لم يرَ بالمشرق كتاباً أكمل من كتاب قاسم في معناه لما رددتُ مقالته ، على أن لأبي عبيد [القاسم بن سلام] في هذا الفن فضل السبق عليه »(٢) .

— وذكر أبو الفضل عباس بن عمرو الوراق أنه سمع إسماعيل بن القاسم البغدادي [أبا علي القالي] يقول : كتبتُ كتاب الدلائل ، وما أعلم وضعاً بالأندلس مثله ، ثم يعقب على ذلك بأن القالي تعصب للمشرق، ولو قال : إنه ما وضع بالمشرق مثله ما أبعد(٣) .

---

(١) طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٨٥ ؛ نفح الطيب ١ : ٣٩٥ ؛ مخطوطة الاوقاف

(٢) طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٨٥ ؛ إنباه الرواة ١ : ٢٦٢ ؛ مخطوطة الاوقاف

(٣) ابن الفرضي ١ : ٣٤٣ ، ٤٠٣ ؛ معجم البلدان (سرقسطة) .

– وعرض للكتاب أبو محمد علي بن أحمد بن حزم فأثنى عليه وقال : ما شآه أبو عبيد [القاسم بن سلام] إلا بتقدم العصر[١] .

وأصبح الكتاب أثمن تراث في أهل بيت قاسم بن ثابت ، يتوارثه الأبناء عن الآباء ، يروونه ويقرئونه في بلدهم بسرقسطة :

خلف سعيد بن ثابت أباه ثابت بن قاسم في إقراء الكتاب وروايته ، ثم قام مقامه ابنه أبو إسحاق ثابت بن سعيد بن ثابت بن قاسم ، فحدث عن أبيه سعيد بكتاب جده المعروف بالدلائل عن سلفه ، ثم جاء أبو محمد عبد الله بن ثابت بن سعيد ، فحدث بالدلائل (من تأليف جده الأعلى قاسم بن ثابت) عن أبيه متصلاً ذلك في سلفه إلى مؤلفها . ثم كان آخرَ من حدث من أهل بيته القاضي أبو القاسم ثابت بن عبد الله ، روى عن أبيه عن سلفه . فلما سقطت سرقسطة بلده وبلد أهله من قبله ، في عام ٥١٢هـ[٢]، وتغلب عليها العدو ، خرج عن وطنه ، وتوفي بقرطبة في سنة ٥١٤هـ ، وكان نبيه البيت والحسب ، يفاخر أهل الأندلس بأوائل سلفه لعلمهم وفضلهم[٣] .

– واعتمد الأندلسيون الأصل الذي كتبه ثابت بن قاسم للحكم المستنصر، فكانوا يرجعون إليه : يقابلون به ، أو يقابلون بأصل مقابل عليه[٤] .

–أما أعظم الرواة الذين انتشر كتاب الدلائل عن طريقهم فاثنان،

---

(١) جذوة المقتبس : ٣١٢ ، بغية الملتمس : ٤٣٤ ، والشأو : السبق ، شأوت القوم شأواً وشأيتهم شأياً : سبقتهم .

(٢) نفح الطيب ١ : ٤٤١ و ٤ : ٤٧٢ و ٧ : ٢٨ ، معجم البلدان (سرقسطة) .

(٣) الصلة ١ : ١٢٤ – ١٢٥ ، التكملة ١ : ٢٣٦ و ٢ : ٨٠٠

(٤) مخطوط الظاهرية ، التكملة ٢ : ٨١٦

أولهما : أبو الفضل عباس بن عمرو بن هارون الصقلي الوراق الزاهد ، (٢٩٥ - ٣٧٩ هـ) وكان قد روى الدلائل قراءة عن ثابت بن قاسم بن ثابت[١] والثاني : غالب بن عمر المعروف بابن التياني ، من أهل قرطبة . وهو والد الأديب اللغوي أبي غالب تمام بن غالب[٢] ، ويذكر ابن الفرضي(١ :١٢٠) أنه أخبره بعض الشيوخ عن ثابت بن قاسم بالدلائل إجازةً .

وانتشر كتاب الدلائل في الأندلس : كان مرجعاً للمحدثين واللغويين والأدباء والفقهاء ، فتداولوه بينهم وقدروه حق قدره . ويكفي أن نقرأ ماخصه به ابن خير في فهرسته[٣] لتتراءى لنا صورة الدلائل في الأندلس ، ومارزق من عناية الأندلسيين وعظيم اهتمامهم .

وكان أبو الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث المعروف بابن الصفار (٣٣٨ - ٤٢٩ هـ) : قاضي الجماعة بقرطبة ، وصاحبُ الصلاة والخطبة بجامعها ، من أشهر الرواة الذين رووا كتاب الدلائل عن أبي الفضل عباس بن عمرو الوراق ، وكان الإمام العلامة أبو محمد علي بن أحمد بن حزم (٣٨٤ - ٤٥٦هـ) من أشهر رواة الدلائل عن أبي الوليد يونس بن عبد الله . وذكر الحميدي الأندلسي (٤٨٨ هـ) في كتابه جذوة المقتبس ، وقد ألفه ببغداد بعد رحيله عن الأندلس[٤] ، سماعَه لكتاب الدلائل في الأندلس من أبي محمد بن حزم ،

---

(١) ابن الفرضي ١ : ٣٤٣ ، ٤٠٣ ،جذوة المقتبس : ١٧٤ ، ٢٩٩ بغية الملتمس ٣١٧ - ٤١٨ . فهرست ابن خير : ١٩١ ، ١٩٢ ، جمهرة ابن حزم : ٧٩ ، ووقع فيها عباس بن محمد ، وصوابه : عباس بن عمرو .

(٢) الصلة ١ : ١٢٢ و ٢ : ٤٣١ ، فهرست ابن خير : ١٩٢

(٣) فهرست ابن خير : ١٩١ - ١٩٤

(٤) رحل الحميدي عن الأندلس إلى المشرق عام ٤٤٨ هـ (جذوة المقتبس ١٢٨ ، ٣٤٦ ، بغية الملتمس : ١١٣) .

قال : « وأخبرنا أبو محمد [ابن حزم] بكتاب الغريب [الدلائل] كله لفظاً بالإسناد المذكور إلى قاسم بن ثابت المصنف له[١].

٧ - لم يقدر لكتاب الدلائل ، وقد بلغ هذا الشأو في تأليفه ، أن يصل مبكراً إلى أسماع المشارقة ، ونهض الخطابي في المشرق في القرن الرابع الهجري فألف في الغريب كتاباً يتم به كتابي أبي عبيد وابن قتيبة ، ولو اطلع على الدلائل لعلم أنه قد سبق ، وظل الدلائل أمداً طويلاً مجهولاً في المشرق ، لم يفد منه أحد من مؤلفي الغريب واللغويين المشارقة . ولعل أول إشارة إليه نقع عليها في كتب المشارقة ما ذكره شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة المقدسي (٦٦٥ هـ) فقد نقل عنه في كتابه المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز[٢] ، ثم نجد نقولاً عنه في كتاب نصب الراية لأحاديث الهداية تأليف جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الحنفي الزيلعي (٧٦٢ هـ)[٣] ، ونعثر من بعد على الإشارة تلو الإشارة في كتب المتأخرين : ذكره الحافظ محمد بن أبي بكر ابن ناصر

---

(١) جذوة المقتبس : ٢٩٠ - ٢٩٣ ، ٢٩٩ ، ٣٦٢ - ٣٦٣ . الصلة ٢ : ٣٩٥ - ٣٩٦ ، ٦٤٦ - ٦٤٧ ، بغية الملتمس : ٤١٧ - ٤١٨ ، ٤٩٨ - ٤٩٩ ، فهرست ابن خير : ١٩١ ، ١٩٢ والإسناد الذي عناه الحميدي : « ابن حزم ، عن ابن مغيث ، عن العباس بن عمرو ، عن ثابت بن قاسم بن ثابت السرقطي عن أبيه » . (جذوة المقتبس : ٢٩٩)

(٢) المرشد الوجيز : ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٣

(٣) نصب الراية ١ : ٢٣٩ ، ٢٨٦ و ٢ : ١٩٧ ، ٣١٨ و ٣ : ١٦٥ ، ٢٩٧ ، ٣٤٤ ، ٣٦٦ و ٤ : ١٥٥ ، ٢٠٦ - ٢٠٧ ، ٤٠٨ ،

الدين الدمشقي (٨٤٢ هـ) في كتابه التوضيح[١] ، والحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني : ابن حجر (٨٥٢ هـ) في كتابيه : تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير[٢] والاصابة[٣]

٨ — انفردت مخطوطة الأوقاف في الترجمة التي خصت بها قاسماً بذكر كتاب ثان ألفه قاسم وهو كتاب الرطب[٤] ، جمع فيه من أشعار المتقدمين والمحدثين نحواً من أربعة آلاف قطعة في أنواع شتى من المعاني . وتناول هذا الكتابَ محمد بن أفلح مولى أمير المؤمنين الحكم المستنصر ، فاحتمل فيه على طريقة اسحاق بن إبراهيم الموصلي (٢٣٥ هـ)[٥] في كتابه المعروف بالأغاني من تسمية شعراء تلك الأشعار وموالدهم وبلدانهم وأخبارهم وما تضمنت تلك الأشعار من المعاني والآثار .

— للبحث صلة —

---

(١) الإكمال لابن ماكولا ١ : ٩٣ ، فقد نقل مصححه الشيخ عبد الرحمن اليماني في هامش الصفحة عن التوضيح حديثاً حدث به القاسم بن ثابت العوفي في كتابه الدلائل .

(٢) تلخيص الحبير ٢ : ١١٨ و ٣ : ٥٧

(٣) الاصابة ٥ : ٥٥ (ترجمة عيينة بن حصن)

(٤) رجحت هذه القراءة ، وقد تحتمل الكلمة وجهاً آخر .

(٥) انظر ترجمة أبي محمد اسحاق بن إبراهيم الموصلي في كتاب الاغاني لأبي الفرج ٥ : ٢٦٨ — ٤٣٥ وتاريخ بغداد ٦ : ٣٣٨ — ٣٤٥

هل كتب التنوخي كتاباً في التاريخ

الدكتور قاسم السامرائي

لقد عرفنا التنوخي أبا علي المحسّن بن علي التنوخي القاضي (٣٨٤ ه) من كتابه النشوار الذي وصل إلينا مبتوراً ومن كتابيه : الفرج بعد الشدّة والمستجاد من فعلات الأجواد ، وعرفنا ابنه أبا القاسم علي بن المحسن التنوخي (٤٤٧ ه) من رواياته الكثيرة المبعثرة في تاريخ بغداد والمنتظم وغيرهما ، وعرفنا أن التنوخي الأب قد صنف كتاباً آخر هو كتاب عنوان الحكمة والبيان الذي لم يزل ينتظر من ينشره (١) ، عرفنا ذلك كلّه من المقالات الكثيرة والكتب القليلة التي صنفت بالعربية وغير العربية عن النشوار أو الفرج وصاحبها وما فيها(٢) ، بيد أن أحداً من هؤلاء أو من أصحاب كتب التراجم لم يذكر أن أحد التنوخيين قد صنف كتاباً في التاريخ. والسؤال الآن : هل صنف التنوخي الأب أو الابن كتاباً في التاريخ ؟

في سنة ١٩٥٨ اشترت مؤسسة بril للنشر في لايدن مجموعة المستشرق الفرنسي هنري باسيه (المتوفى سنة ١٩٢٦) المخطوطة والمطبوعة ، وقد غفت المجموعة الخطية في قبو المؤسسة حتى سنة ١٩٧٣ حين عرض قسم منها للبيع فاشترتها مكتبة جامعة لايدن ، وأضافتها إلى ما لديها من مخطوطات عربية وغير عربية . وتحتوي هذه المجموعة على أربعة وخمسين مخطوطاً (٣) أكثرها عن تاريخ شمال إفريقية العربي الإسلامي مثل : أربع نسخ من كتاب فتوح

إفريقية للواقدي ، وهي تختلف اختلافاً بيّناً مع ما نشر من هذه الفتوح ، وكتاب السيرة وأخبار الأئمة لأبي زكريا الورجلاني (٤٧١ هـ) وهو تاريخ الإباضية في شمال إفريقية ، ومع أن هذا الكتاب قد ترجمه مسكوري إلى الفرنسية في سنة ١٨٧٨ م ونشر في الجزائر فإن أهمية هذا الكتاب تقع في أنه لم ينشر بالعربية بعد ، وإن ترجمة مسكوري اعتمدت على نسخة ناقصة من الكتاب استنسخت له من نسخة قديمة كانت في مزاب ، وكتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب لابن أبي زرع الفاسي (بعد ٧٢٦ هـ) ويبدو أن هنري باسيه كان قد أعدّ ترجمة فرنسية وتحقيقاً للنص العربي مع تعليقاته على النّص إلاّ أن تحقيق باسيه لم يصلنا كاملاً ، وما وصلنا منه محفوظ الآن مع المخطوط ، وكتاب عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لمحمد بن أبي راس بن أحمد بن عبد القادر الناصري (١٢٣٨ هـ) وهو شرح لقصيدته عن سقوط مدينة وهران .

وفي هذه المجموعة كتاب في تاريخ الدولة العباسية ويحمل العنوان « ذكر بني العباس وسبب ظهورهم » . ومن هذا الكتاب نسخة أخرى ناقصة (تنتهي عند خلافة المأمون العباسي) في الجزائر برقم ١٥٨٧ ، باسم « تاريخ العباسية » .

أول المخطوط : « قال أكثم بن صيفي : حججت مرة فرأيت بني عبد المطلب كأنهم بروج فضة ، وكأن عمائمهم ألوية ، وكأن العباس من بينهم طلعة البدر . . . »

تقع مخطوطة لايدن من هذا التاريخ في ١٦٠ ورقة من القطع الكبير ٢٢ × ٣٠ سم وتحتوي كل صفحة على ٢٥ سطراً وكتبت بخط مغربي حديث واضح ، إلا أن النص كثير التحريف والتصحيف ومؤرخ في « اثنتي عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة سبع ومائتين وألف » . والتشابه واضح بين نسخة الجزائر ونسخة لايدن لتشابه التصحيفات ومواقع

البياض فيها ، إلا أن ناسخ نسخة الجزائر كان أكثر دقة وعلماً من رفيقه محمد ابن عمر الجزيري ناسخ نسخة لايدن . ويبدو أيضاً أن النسختين قد استنسختا من نسخة مشتركة بينها ، لم تصلنا بعد ، ولعلها لم تزل في مكان ما من شمال إفريقية .

تبدأ النسخة في سرد فضائل العباس وولده عبد الله وما قيل فيها ، أورد مصنف هذا التاريخ كل ذلك ليثبت أحقيّة وأهليّة بني العباس للإمامة دون ولد أبي طالب ، ويظهر التشابه واضحاً هنا بين روايات النص وبين النص الذي نشره أستاذنا الفاضل الدكتور عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي ، باسم « أخبار الدولة العباسية ، وفيه أخبار العباس وولده » فلعلّ مصنفيها اعتمدا على كتاب « فضائل العباس » حين كان الخلفاء العباسيون يعنون به عناية زائدة لصلته بهم وتأكيده على إمامتهم [تاريخ بغداد ٣٧٩/٨] .

يتحدث المصنف عن الدعوة العباسية وظهورها وما لابس هذه الدعوة من حروب طويلة ذكرها أصحاب التواريخ والتي انتهت بإعلان الخلافة العباسية ، ومن ثم اندحار مروان بن محمد الأموي ومقتله ، ثم يتناول الخلفاء العباسيين واحداً واحداً ويورد أخبارهم ولُمَعاً من الحكايات التي تتصل بكل واحد منهم حتى ينتهي بمقتل المقتدر بالله في سنة ٣٢٠ هـ على ماهو معروف عند المؤرخين فيقول : « . . . ورثاه في الوقت الأمير أبو العباس الراضي ولده حيث يقول :

بنفسي ثرًى ضاجعتَ في ساحة البلى لقد ضمّ منك الليثَ والغيثَ والبدرا

ولكن هذا آخر ما بلغنا من أخبارهم والله سبحانه وتعالى أعلم . . . . »

يعوّل المصنف على كثير من كتب التاريخ والأدب المعروفة منها والمفقودة ، فمنها ما يذكرها صراحة مثل كتاب الوزراء للجهشياري ، وكتاب السّمار والندامى لابن جمهور العمّي ، أو يورد أقوال مصنفي الكتب مثل : قال

أبو الفرج الأصفهاني ، أو قال أبو الحسين المسعودي ، أو قال المسعودي ، أو قال المدائني ، أو قال علي بن محمد المدائني . ولما كان المسعودي ينقل أقوال المدائني فقد نقل المصنف كثيراً من هذه الأقوال أو الأخبار دون نسبة . ومن مقارنة النص مع التواريخ الموجودة بأيدينا ظهر لنا أنه نقل من المصادر الآتية :

١ ـ مروج الذهب للمسعودي
٢ ـ تاريخ اليعقوبي
٣ ـ تاريخ المدائني (رواياته أوردها المسعودي)
٤ ـ كتاب الوزراء للجهشياري
٦ ـ كتاب الأوراق أو كتاب الوزراء للصولي

وقد ظهر أنه نقل من مروج الذهب في أكثر من ١١٢ موضعاً ، وذكر اسم الصولي صراحة في ١٨ موضعاً ويبدو أنه نقل من كتاب الصولي حرفياً من أول خلافة المعتمد حتى نهاية خلافة المقتدر . وذكر اسم ابن واضح [اليعقوبي] ثلاث مرات ، وذكر كتاب السمار والندامى لابن جمهور مرة واحدة ، وذكر كتاب الجهشياري مرة واحدة ونقل منه في أكثر من ١٨ موضعاً (ولما كان كتاب الجهشياري ناقصاً فإن بعض النصوص في المخطوط تكمل كتاب الجهشياري مثل خبر خدابوذ المجوسي الذي كان الفضل ابن سهل ينزل عليه إذا دخل مدينة السلام أثناء خموله ، فهو أكمل هنا وناقص في كتاب الجهشياري (٣١٨ ـ ٣٢٠) وورد هذا الخبر بالنص في كتاب الفرج بعد الشدة (مخطوط لايدن ٢٩٦ ـ ٢٩٩) ، ولم يرد في النسخة المطبوعة (سنة ١٩٥٥ بالقاهرة) .

أما المصادر التي لم يذكرها صراحة ونرجح أنه عوّل عليها لوجود التشابه الحرفي بينها وبين ما أورد فهي :

١ ـ كتاب الأغاني لأنه أورد بعض النصوص مصدرة بـ : قال أبو الفرج الأصبهاني . وأكثر هذه النصوص وردت إما في الأغاني ، أو كتاب المستجاد ، أو الفرج بعد الشدة ، وكلاهما للتنوخي .

٢ ـ كتاب الكامل للمبرّد في أكثر من سبعة مواضع

٣ ـ كتاب بغداد لابن طيفور في أكثر من أربعة مواضع

٤ ـ كتاب الفرج بعد الشدة (المطبوع والمخطوط لأن بعض الحكايات التي وردت في المطبوع لم ترد في المخطوط ، وكثير مما ورد في المخطوط لم يرد في المطبوع) نقل منه في ١٧ موضعاً .

٥ ـ كتاب المستجاد من فعلات الأجواد ، نقل منه في ٢٨ موضعاً نقلاً حرفياً .

ولما كان المخطوط خالياً من المقدمة واسم الكتاب والمصنف فإننا لانشك أن هناك جزءاً سبق هذا وذلك للأسباب الآتية :

١ ـ في الحديث عن عبد الحميد الكاتب وأنه حين جيء به إلى المنصور قال له : « استبقني يا أمير المؤمنين ، فإنني كاتب مجيد فاستبقاه ووصله ، وهو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد ، وهو أول من طوّل الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب ، فاستقفى الناس أثره ، **وقد ذكرت من بعض فصوله في مامضى من هذا الكتاب . . .**»(ورقة ٣٧ ب وورقة ٥٩ أ من نسخة الجزائر) .

٢ ـ في الحديث عن أن كل سادس من الخلفاء يُخلع ويُقتل : « ... وآخرهم عبد الله بن الزبير فخُلع ابن الزبير وقتل — رحمة الله عليه — **وهو الذي ذكرت أنه لم يستنّ كاستنان ما قبله ولا ما بعده . . .** (ورقة ١٥٢ ب) . أي أن ابن الزبير — رحمه الله — لم يسر مسيرة من جاء قبله أو بعده .

وقد ورد في نهاية المخطوط نصٌّ يوحي أنَّ هناك جزءاً ثالثاً وبه يكمل الكتاب ، فقد ورد في حديثه ع ن كل سادس من الخلفاء : قلت : وكان سادس من ولي بعد المقتدر الطائـع لله وهو المسترشد بالله خلـع وقتـل . فالظاهر في هذا النص أن : [وهو المسترشد] مقحمة هنا فلعلها كانت في حاشية النسخة التي استنسخت هذه منها فأدرجها الناسخ جهلاً وغفـلة ، وذلـك لأن المسترشد بالله لم يخلع ، وإنما اغتيل وهو أسـير عند السلطان السلجوقي مسعود في سنة ٥٢٩هـ وذكرُ ذلك مستوفىً في كتب التاريخ ، ومن ثم فإن الطائع لله غير المسترشد بالله ، وقد خلع الطائع لله سنة ٣٨١هـ خلعه بهاء الدولة أبو نصر خسروفيروز بن عضد الدولة السلجوقي ، ومكث الطائع لله بعد خلعه مستظهراً عليه بدار الخلافة إلى أن توفي سنة ٣٩٣هـ ولم يقتل على كثير من الروايات ، (مختصر التاريخ لابن الكازروني ١٩٥ ، تاريخ ابن العمراني ١٨٢ وغيرهما) . فإذا كان النص صحيحاً فإن مصنف الكتاب كان حياً سنة ٣٩٣هـ ، وتوفي بعد هذا التاريخ ، وهذا يتنافى مع الأدلة التي سوف نتعرض لها حين نحاول أن نثبت نسبة هذا التاريخ لأبي علي المحسّن التنوخي المتوفّى سنة ٣٨٤هـ ، إلا إذا اعتبرنا الجملة : قلت . . . خُلع وقتل ، إلى آخرها مقحمةً وليست من أصل النص ، ومثل هـذا كثير الحـدوث ويعرفه دارسو المخطوطات . أما إذا كانت الجملة غير مقحمة فتعني أن هناك جزءاً ثالثاً يحوي تراجم الخلفاء بعد مقتل المقتدر سنة ٣٢٠هـ وإلى مـا بعد سنة ٣٩٣هـ وأن وفاة المصنف كانت بعد إنجازه الكتاب .

أما عن عبدالحميد الكاتب فقد اختلفت الروايات في مصيره والمشهور أنه قتل مع مروان ، أو جيء به إلى السفاح أو إلى المنصور ، وأورد ابن خلكان حكاية عبدالحميد الكاتب وسلام الحادي والبعلبكي المؤذن ، مع المنصور ، حيث استبقى البعلبكي والحادي وأمر بقتل عبد الحميد الكاتب :

وقال له عبد الحميد الكاتب : استبقني يا أمير المؤمنين . قال : وما بلغ من كتابتك ؟ قال : أنا أبلغ أهل زماني في الكتابة . فقال له المنصور : أنت الذي فعلت بنا الأفاعيل وعملت بنا الدواهي ! فأمر به فقطعت يداه ورجلاه ثم ضرب عنقه . وقال ابن خلكان : والله أعلم أيّ ذلك كان . والحكاية التي أوردها ابن خلكان منقولة عن محمد بن العباس اليزيدي بإسناد ذكره (٤) ووردت بالنص في المخطوط إلاّ في مصير عبد الحميد الكاتب الذي ذكرناه .

لقد ذكرنا أن مصنف هذا التاريخ قد نقل من كتاب المستجاد في ٢٨ موضعاً ، ومن كتاب الفرج بعد الشدّة في ١٧ موضعاً ، وأن بعض هذه الأخبار مشتركة بين الكتب الثلاثة في الإسناد أو الرواية الحرفية للنص ، فمثلا : قصة إبراهيم بن المهدي واستتاره من المأمون ، فقد وردت في المستجاد صفحة ٧٤ بالإسناد : قال أبو الفرج الأصفهاني : أخبرني أحمد بن محمد البزّاز الأطروش قال : حدثنا أبو مسكين جعفر بن المحرز بن الوليد عن أبيه قال الواقدي : كان إبراهيم قد ادّعى الخلافة لنفسه بالريّ وأقام مالكها سنةً وأحد عشر شهراً واثني عشر يوماً ، وله أخبار كثيرة أحسنها عندي ما حكاه لي قال : لما دخل المأمون الريّ وطلبني أشدّ طلب . . . وقد وردت هذه الحكاية الطويلة بالنص الحرفي في مخطوط التاريخ ورقة ٨٦ أ — ٨٩ ب إلاّ أن مصنفه اكتفى من الإسناد السابق بقوله : قال الواقدي ، كما في نشرة باولي من المستجاد (صفحة ٥٨) ، وقد ورد قسم كبير من الحكاية في مخطوطة الفرج (٣٦٦ — ٣٦٩ ، مخطوطة لايدن رقمها ٦١ شرقي ومؤرخة في ٨٩٠هـ ومرقمة حسب الصفحات) ولم ترد في النسخة المطبوعة من الفرج بعد الشدة (القاهرة ١٩٥٥) . ومن إشارات محمد كردعلي في المستجاد يبدو أنها وردت في النسخة من الفرج التي اعتمد عليها في تحقيقه كتاب المستجاد (صفحة ٧٧) . لقد حوى كتاب الفرج المطبوع سنة ١٩٥٥ قصتي استتار

كلٍّ من الفضل بن الربيع وإبراهيم بن المهدي من المأمون والحوادث التي مرت بكل واحد منها ، غير أن هذه الحوادث قد تشابكت في قصة اختفاء واستتار الفضل بن الربيع مع قصة استتار إبراهيم بن المهدي في النسخة المطبوعة من كتاب الفرج ، بينا رويت القصتان منفصلتين وبإسهاب في المخطوط من التاريخ ، إلا أن الحجّام الذي آوى إبراهيم بن المهدي في المستجاد ومخطوط التاريخ صار مُزيّناً في كتاب الفرج ، وأن هذا المزين آوى الفضل بن الربيع (صفحة ٣٥٦ — ٣٥٩) . أما القسم الذي يروي غناء الحجام لإبراهيم وغناء إبراهيم له والأبيات التي غنّوا بها فلم يرد في مخطوطة الفرج ولا في المطبوع سنة ١٩٥٥ ، وإن رواية الفرج تشبه رواية المسعودي (مروج ٦٣/٧ — ٧٢) حيث لم يذكر حكاية الجندي الذي رام القبض على إبراهيم بن المهدي فدفعه فزلق الجندي ، وعندها تمكن من الهرب واللجوء إلى دار تعود للجندي فآوته امرأة الجندي ثلاثة أيام ، ثم خرج منها إلى مولاة له أسلمته لإسحاق بن إبراهيم المصعبي صاحب شرطة المأمون . والغريب في الأمر أن اسم إسحاق بن إبراهيم المصعبي ورد : إبراهيم الموصلي في كل من المستجاد (صفحة ٨١ ونشرة باولي ٦٥) ومخطوط التاريخ (ورقة ٨٧ ب) . أما في المطبوع من كتاب الفرج (صفحة ٣٥٨) فقد ورد في حكاية الفضل بن الربيع : فما شعرت إلا وإسحاق نفسه في خيله ورجله قد أحاط بالدار ثم كبسها فاستخرجني منها ، حتى أوقفني بين يدي المأمون حافياً حاسراً . . . .

وفي المستجاد (صفحة ٨١) : فما شعرت إلا بإبراهيم بنفسه في خيله ورجله وحفله والمولاة معه حتى سلمتني إليه فرأيت الموت عياناً . . . ومثل هذا في مخطوط التاريخ . فما تعليل هذا الخطأ التاريخي المشترك بين مخطوط التاريخ وكتاب المستجاد ؟ والجواب أن أحدهما نقل من الآخر

فتواتر الخطأ . والظاهر أن مصنف المستجاد قد نقل من كتاب التاريخ هذا دون تصحيح الخطأ لتعويله على أمانة مصنف الكتاب واطمئنانه لكل ما أورد .

قلنا إن مصنف هذا التاريخ قد عوّل على كثير من كتب التاريخ والأدب ولو تتبعنا وفيات مصنفي هذه الكتب فإننا لا نجد أيّاً منهم كان حيّاً بعد التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ ، وإننا لا نجد في الكتاب أية إشارة توحي أن هذا الكتاب كتب بعد وفاة التنوخي ، وهناك بعض الأدلة التي وردت في الكتاب تؤكد أصالته للتنوخي وهي :

١ ـ دليل الرواية

٢ ـ تشابه روايات كتاب التاريخ مع روايات الفرج والمستجاد .

٣ ـ أن التنوخي لم يكن معتزلياً

١ ـ دليل الرواية :

في الورقة ٦٩ب ، روى حكاية جعفر البرمكي حين أراد شراء جارية في البصرة فقد رويت بالنص الحرفي في كتاب الفرج بعد الشدة .

في المطبوع من الفرج ٢/٣٩٣ جاء الإسناد : حدثني أبو الفرج علي ابن الحسين المعروف بالأصبهاني إملاءً من حفظه قال : حدثني الحسن بن يحيى الرقاشي قال : حدثنا حماد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : لما دخل الرشيد ...

وفي المخطوط من الفرج ٥٢٠ جاء الإسناد : وعن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : حدثني أبي قال : لما دخل الرشيد ...

وفي مخطوط التاريخ جاء الإسناد : قال إبراهيم الموصلي : لما دخل الرشيد . . .

وفي نهاية الخبر في ورقة ٧١أ جاء : ذكر أبو علي محمد بن الحسين ابن جمهور العمي البصري الكاتب في كتاب السمار والندامى « فزعم أن الرشيد لما حجّ معه إبراهيم الموصلي وساق الخبر عن قريب مما ذكرناه . . » فقد ورد بالنص الحرفي في كتاب الفرج المطبوع ٣٩٦ ، ننقله مع تصحيفاته وتحريفاته : « ووجدت هذا الخبر بخلاف هذا على ما ذكره أبي علي محمد بن الحسن بن جمهور العجمي البصري الكاتب في كتابه كتاب (السمّار والندماء) فزعم أن الرشيد لما حجّ كان معه إبراهيم الموصلي ، واقتصّ الخبر على قريب مما ذكرناه » .

وفي المخطوطة من الفرج ٥٢٥ « وقد ذكر في هذا الخبر زيادة من وجه آخر ذكره أبو علي في كتاب السمّار والندماء وأن الجارية غنت بصوت إبراهيم ... » . وأبو علي هذا هو محمد بن الحسن أو الحسين بن جمهور العمي شيخ المحسّن التنوخي الذي قال فيه : « كان محمد بن الحسن ابن جمهور العمي الكاتب من شيوخ أهل الأدب بالبصرة وكثيرَ الملازمة لأبي ، وحرّر خطي لما قويتُ على الكتابة لأنه كان جيد الخط ، حسن الترسل ، كثير المصنفات لكتب الأدب ، فكثرت ملازمتي له » (معجم الأدباء ٦/٤٩٨) . وقال عنه في النشوار « حدثنا أبو علي محمد بن الحسن ابن جمهور العمي الكاتب الصلحي البصري صاحب الستارة (إشارة إلى جاريته المغنية زادمهر) المشهور بالأدب والشعر وتصنيف الكتب » (٣/٢٥٨ نشرة الشالجي) .

وعن ابن جمهور هذا قال الشابشتي المتوفّى سنة ٣٨٨ هـ في كتاب الديارات : « كان أبوه من رواة أهل البيت صلوات الله عليهم وحاملي الأثر عنهم ، وكان أبو علي ظريفاً متأدباً مليح الشعر والكتابة ، وقد سافر في طلب العلم وتطرّح في مواطن اللعب ، وعاشر أهل الخلاعة ، وطرق

الحانات والديارات ، ثم أقام بالبصرة وحسنت حاله بها وصارت له نعمة كثيرة » . (صفحة ١٧٢ نشر كوركيس عواد – بغداد ١٩٥١) . وذكره ابن النديم في فهرسته (صفحة ٢٢٣) فقال : « بصريّ ، ويعدّ من خاصة أصحاب الرضا عليه السلام ... وقد روى كتاب الأمل والرجاء لابن يقطين الشيعي ، وهذا الكتاب يذكر فيه أشياء مما يرجو الشيعة من فضائلهم ومنزلتهم . » وقد عدّه أصحاب الرجال من الشيعة من رجالهم ، كرجال النجاشي ٦/٤٩٨ ، ومنهج المقال في أحوال الرجال لمحمد بن إسماعيل ص ٣٥٧ ، وتنقيح المقال في أحوال الرجال للمامقاني ٣/١٠٠ – ١٠١ . ولعلّ هذا الظرف وما تبعه من ملاحة في الأدب والشعر هو الذي قرّب بينه وبين والد المحسّن ، فكثرت ملازمته له ، لما كان يجمعهما من الظرف وحسن المنادمة وطيب العشرة ، على تباين مشربيهما ، فالتنوخي كما وصفه بعض المؤرخين كان حنفياً معتزلياً ، وابن جمهور كان شيعياً ، ولعل اتصال والد المحسن ، ومن ثم المحسن نفسه ، بابن جمهور هذا ، ورواية كتاب قضاة بغداد عن طلحة بن محمد بن جعفر الشاهد المعتزلي الذي كان يذهب إلى الاعتزال ويدعو إليه ، حدا ببعض أصحاب التراجم أن يصفوا ابنه أبا القاسم علياً بالرفض والاعتزال معاً[٥] ، ولاندري كيف يكون معتزلياً ، وقد روى نفسه ما يسيء إلى ابن أبي دؤاد وهو رأس من رؤوس الاعتزال . فقد روى الخطيب[٦] : « أخبرني علي بن المحسن التنوخي ... قال أنشدني أبو الحجاج الأعرابي :

نكست الدين يا بن أبي دؤادِ فأصبح من أطاعك في ارتدادِ
زعمتَ كلام ربك كان خلقاً أما لك عند ربك من معادِ »

ولعل قولَ أبي الفضل بن خَيْرون : قيل كان رأيه الرفض والاعتزال . وقولَ شجاع الذهلي : إنه كان يتشيع ويذهب إلى الاعتزال على ما روى

ابن حجر العسقلاني (٧) ـ مردّه إلى الحكاية التي رواها ابن الجوزي ، (المنتظم ٨/١٤١ - ١٤٢) : « وفي يوم عيد الفطر ثارت الفتنة بين أهل الكرخ [من الشيعة] وأهل القلائين [من السنة] فاشتدت ووقع بينها جرحٌ وقتل ... وانتهى إلى الخليفة أن القضاة أبا الحسن السمناني ، وأبا الحسن البيضاوي ، وأبا علي الدامغاني ، وابن الواثق وابن المحسن الوكيلين ، حضروا عند القاضي أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي ، وجرى ذكر أهل الكرخ وما عملوا فقال التنوخي : هذه طائفة نشأت على سبِّ الصحابة وما مُنعت منه إلا جدّدت به ، ولا كان لدار الخلافة أمرٌ عليها ، فما تحاول الآن منها ؟ ... » وهنا تعريض واضح بالخليفة وضعفه ، وقد نقل قوله هذا للخليفة فأمر قاضي القضاة بالتوقف عن قبول شهادته وملازمة بيته لأنه قال صدقاً وأبان حقيقةً وكان هذا كافياً لأن يوصم بالرفض .

وقد نقل قول ابن الجوزي الذي قال فيه : « وكان محتاطاً صدوقاً إلا أنه كان معتزلياً ويميل إلى الرفض » (المنتظم ٨/١٦٨) كلُّ من جاء بعده ، مع أن تلميذه الخطيب البغدادي لم يذكر ذلك عنه على أن ديدنه ذكر مذاهب الرجال .

ومن دليل الرواية ماورد في ورقة ٩١ أ من مخطوط التاريخ : [حدثني طلحة بن محمد بن جعفر الشاهد قال : حدثني ابن أبي حسان الزيادي [قال : حدثني أبي عن أبيه] قال : ضقت ضيقة شديدة ...

وحدثني هذا الحديث أيضاً أبو الفرج جعفر بن محمد ولد صاحب المصلّى قال : حدثنا أبو القاسم علي بن محمد بن أبي حسان الزيادي وكان محدثاً ببغداد مشهوراً ثقة قال : حدثني أبي عن أبيه قال : كنت وليتُ القضاء من قبل أبي يوسف القاضي ثم صرفت وتعطلت سنين فضقت ضيقة

شديدة . . وذكر الحديث على نحوماذكر ، قال أبو الفرج في حديثه : فلما بلغ بي حماري مربعة الخُرْسي استقبلني موكب فيه مهرجان والنفاطات قد أضاءت الطرق . . . فإذا رجل من الموكب يقول لي : أبو حسان والله ، وتأملت فإذا هو دينار بن عبد الله . . . وذكر محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء في أخبار دينار أنه لقي أبا حسان في الطريق . . .

وحدثني أبي بهذا الحديث في المذاكرة قال : حدثني شيخ ذكره وأنسيتهُ أنا عن أبي حسان بنحو ما ذكره محمد بن جعفر . . .]

هذه الحكاية وردت بالنص الكامل مع الإسناد في الفرج بعد الشدّة ١٦٠ إلاّ أنه روى بداية الحكاية عن القاضي أبي طالب محمد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي فيما أجاز له « لي روايته عنه بعد ما سمعته منه »، ثم قال : ووقع لي هذا الخبر من طريق آخر بأسانيد ، قالوا : حدثنا أبو حسان . . . إلى أن قال : « وحدثني بهذا الحديث أبو الفرج محمد بن جعفر قال : حدثنا أبو القاسم بن أبي حسان . . . وذكر الحديث على نحو ماذكره طلحة إلا أنه قال : فلما بلغت بغلتي مربعة الخُرْسي . . . وحدثني أبي هذا الحديث في المذاكرة قال : حدثني شيخ ذكره أبي وأنسيته أنا عن أبي حسان الزيادي بنحو ماذكره محمد بن جعفر . . . »

إن قوله : « على نحو ماذكره طلحة » يدلّ أن الحديث كان حديث طلحة ، وأن اسم طلحة سقط من الإسناد الذي جاء كاملاً في مخطوط التاريخ . وأن رواية المحسّن التنوخي عن طلحة هذه ليست فريدة ، فقد روى عنه مرة أخرى في الفرج فقال : « حدثني أبو القاسم طلحة بن محمد الشاهد » (١/١٩٣) ، غير أن ابنه أبا القاسم كان أكثر حديثاً عن طلحة منه . ولعله هو الشاهد الذي طلب من التنوخي أن لا يذكر اسمه حين روى في النشوار خبر خلع المطيع لله نفسه من الخلافة (٣/٢٠٦ الشالجي) فقال : « وأخبرني

شاهد من الشهود المقبولين ببغداد ، وسألني أن لا أذكر اسمه » ، فقد ورد اسمه مع الشهود الأربعة في تاريخ ابن الكازروني (صفحة ١٨٩ - ١٩٠) وخلاصة الذهب المسبوك لعبد الرحمن الإربلي الذي نقل رواية ابن الكازروني دون نسبتها له (٢٥٨) . وقد فعل مثل هذا كثيراً . وطلحة بن محمد بن جعفر الشاهد ولد سنة ٢٩١ هـ وتوفي سنة ٣٨٠ على ماروى الخطيب البغدادي وأنه كان المتقدم في وقته على الشهود ويذهب مذهب الاعتزال (٣٥١/٩) .

أما أبو الفرج محمد بن جعفر ولد صاحب المصلّى فقد ولد سنة ٢٩٦هـ وتوفي ٣٧٤هـ (تاريخ بغداد ١٥٤/٢ - ١٥٦) وقد رآه المحسّن التنوخي وحدثه وحدث ابنه أبا القاسم أيضاً ، قال الخطيب البغدادي : « أخبرنا التنوخي (أبو القاسم علي بن المحسن) قال : سمعت أبا الفرج محمد بن جعفر بن الحسن بن سليمان بن علي بن صالح صاحب المصلّى وسأله أبي عن سبب تسمية جدّه بصاحب المصلى فقال . . . » (٤٣٨/١١)

وأما أبو القاسم بن أبي حسان الزيادي فهو عمر بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان بن حسان بن عبد الرحمن بن يزداد ، قال عنه الخطيب : « كان ثقة وتوفي سنة ٣١٤ هـ » (٢٢٤/١١) .

إن حكاية أبي حسان الزيادي لم ترد في مخطوط التاريخ والفرج بعد الشدة فحسب ، بل إن قسماً منها ورد في النشوار الذي وصلنا أيضاً . قال المحسن التنوخي : « حدثني أبي بإسناد ذكره أن أبا حسان الزيادي كان من وجوه فقهاء أصحابنا ومن غلمان أبي يوسف ، وكان من أصحاب الحديث وكان قد تقلد القضاء قديماً ثم تعطل فأضاق فلزم مسجداً حيال داره يفتي ويدرس الفقه ويؤمّ ويحدث ، وإضاقته كلّ يوم تزداد . . . » (٢٢٣/١ - تحقيق مارجليوث) ثم روى الحكاية كما وردت في كلٍّ من الفرج بعد الشدّة ومخطوط التاريخ .

٢ ـ تشابه روايات المخطوط مع كلٍ من الفرج والمستجاد :

وإليك بعض الأمثلة من هذا التشابه :

١ ـ بلغ إسراف خالد في المال فعزله وألزمه ثلاثة آلاف ألف درهم . . .

مخطوط التاريخ ورقة ٣٨ب ، الفرج ٢/٢٨٧ . وأوردها ياقوت في إرشاده ٦/٨ والجهشياري في كتاب الوزراء ١٩٧ وقالوا : إن المهدي ألزم يحيى بن خالد ألف ألف درهم . . .

٢ ـ حكاية المهدي حين انتبه ليلاً وطلب من صاحب شرطته أن يطلق علوياً في السجن بسبب رؤيا رآها .

مخطوط التاريخ ورقة ٥٣ أ ، الفرج ١/١٦٥ ، وروى المسعودي هذه الحكاية وأنها حدثت للرشيد حين أطلق موسى بن جعفر ـ عليه السلام ـ (مروج الذهب ٦/٣٠٦ ـ ٣١١) .

٣ ـ حكاية الزنادقة الذين حملوا للمأمون من البصرة وانضمام طفيلي لهم وتدخل إبراهيم بن المهدي لإنقاذه حين روى المأمون حكايته إذ تطفل وما جرى له .

مخطوط التاريخ ورقة ٨٤ أ ، المستجاد ٥٣ ـ ٦٣ ، فقد رويت في كليهما عن عبد الرحمن بن عمر الفهري عن رجال سماهم ، وأوردها المسعودي عن ثمامة بن أشرس (٧/١٢ ـ ٢٥) .

ومثل هذا التشابه يصح على كثير من الروايات المشتركة بين كتاب التاريخ والفرج والمستجاد ، مثل حكاية عمرو بن مسعدة مع الصيرفي البغدادي فروى التنوخي في الفرج (صفحة ٢٤٤) قصة الكاتب المتعطل ثم أردفها بقوله : « قال مؤلف هذا الكتاب : بلغني لعمرو بن مسعدة في زلاله خلاف حدثني به عبد الله بن الحسن العبسي وهو يذكر . ان عمرو بن مسعدة

كان مصعداً من واسط إلى بغداد . . . » فقد رويت قصة الصيرفي البغدادي حرفياً في كتاب التاريخ إلا أن مصنفه أو لعل ناسخه اكتفى بـ : « حدّث عبيد الله بن محمد بن الحسن الحنفي العبسي قال . . . » بدلا من : « حدثني . . . » (ورقة ٩٥ ب) .

٣ ـ هل كان المحسن التنوخي معتزليا ؟

لقد ذكر مارجليوث وتبعه كلُّ مَنْ كتب عن التنوخي أنه كان معتزليا لأنه أورد في النشوار حكايات عن المعتزلة أو عن صبيانهم وأسندها إلى جماعةمن أصحابه ممايدل على قبوله لها ، وان أثر الاعتزال واضح في كتب التنوخي حيث أورد أخبار بعض المعتزلة وبعض قصصهم التي تظهر فيها المبالغات والتي لايتقبلها سوى صاحب الميل كقوله : « سمعت جماعة من أصحابنا يقولون : من بركة المعتزلة أن صبيانهم لا يخافون الجن » . ذكر هذا كلّه بدرى محمد فهد في كتابه : القاضي التنوخي وكتاب النشوار (بغداد١٩٦٦ ، صفحة ٢٣) ولكي يُمين قوله هذا بحجة فقد أحال على كتاب الفرج (صفحة ٣٤٦) والنشوار (٢٧٠/١) ، ولما تصفحنا الفرج وجدنا التنوخي يروي قصة العتابي منقولة من كتاب الوزراء للجهشياري : « ذكر محمد بن عبدوس في كتابه كتاب الوزراء قال حدثني . . . حدثني يموت بن المُزَرِّع قال : كان العتابي يقول بالاعتزال فاتصل ذلك بالرشيد(٨) . . . » فيا عجبي ! كيف نصف المحسن التنوخي بالاعتزال لأنه أورد أخبار بعض المعتزلة ولا نصفه بالزندقة لأنه أورد حكايات بعض المجوس والزنادقة ؟ ولو يصحّ مثل هذا القياس لتغيرت معالم العلماء ونِحَل المصنفين . والتنوخي نفسه روى في حكاية إبراهيم بن عبد الله الهبيري الذي كان يلتمس تصرفاً من الوزير محمد بن عبد الملك الزيات فقال : « وكان ابن الزيات » يرى آي المعتزلة ويقول إن الأرزاق بالاكتساب » مع أن مدلول القصة يعني أن الرزق بالتقدير الإلهي وليس اكتساباً لأن الهبيري أخذ رزقه رغم أنف الزيات .

(مخطوطة الفرج ٣٤٠ - ٣٤١ ، ولم ترد في المطبوعة(٩)) . فلو كان الرجل معتزلياً لأعرض عن مثل هذا القدح في رأي يراه مع أن أحداً من أصحاب التراجم لم يصمه بالاعتزال كما وصموا أباه أو ابنه ، ولعل السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢ هـ كان أول من قال في أبيه : « وكان يعرف الكلام في الأصول على مذهب المعتزلة ، ويعرف النجوم وأحكامها معرفة ثاقبة » (ورقة ١١٠ ب) فحرّف ابن الأثير هذا القول فقال عنه : « وكان عالماً بأصول المعتزلة والنجوم » (الكامل ٨/٣٨٠) . وشتان ما بين الكلامين ، ولكنهما يتفقان مع غيرهما من أصحاب التراجم في أن والد المحسن كان فقيهاً حنفياً . وقول السمعاني إنه كان يعرف الكلام في الأصول على مذهب المعتزلة وقول ابن الأثير : إنه كان عالماً بأصول المعتزلة ، لا يجعلان منه معتزلياً ، بله ابنه المحسّن الذي قال فيه ابن الأثير : « وكان حنفي المذهب شديد التعصب على الشافعي يطلق لسانه فيه » (الكامل ٩/١١) . ولكن ابن الأثير لم يُعد كلامه هذا في سنة وفاة التنوخي واكتفى بقوله : « وكان فاضلاً » (٩/٧٤) ، والأدلة كثيرة على تحنف المحسن في كتبه ، نورد واحداً منها .

قال التنوخي في النشوار (٣/٥٢ - ٥٣ نشر الشالجي) : « حدثني عبد الله بن أحمد بن داسة . . . كان أبو زهير الجبائي الفقيه ورعاً حاذقاً بمذهب أبي حنيفة . . . قال لي عبد الله بن داسة : إن أبا زهير هذا هو أستاذ أبي محمد بن عبدل الذي علمه الفقه على مذاهب أصحابنا . وكان محمد بن عبدل أستاذنا نحن في الفقه وقد درست عليه وشاهدته الطويل وما سمعت منه هذه الحكاية » .

فلو صح افتراضنا في أن هذا الكتاب للتنوخي المحسن فإن فيه أكثر من دليل يثبت ان التنوخي لم يكن على الإطلاق معتزليا إلا إذا اعتبرنا هذه الأخبار (وكلها في نهاية خلافة المعتصم) مقحمة في أصل النص وأنها كانت على الحاشية فأضافها الناسخ إلى الأصل ، ولما كانت هذه النسخة الوحيدة (هذا

القسم سقط من نسخة الجزائر) فإننا لا نستطيع أن نثبت أو ننفي أصالة هذه الأخبار (وهي خمسة أخبار تحتل صفحة من المخطوط) وإن كنت لا أشك في أن أكثر من واحد منها مقحم في النص :

١ - جاء في الورقة ١١٤ أ : « وكان المعتصم مع خلاله الحميدة وأفعاله السديدة قد أغواه الشيطان ، وقال بخلق القرآن ، تقليداً لغاوٍ أغواه ، وفاسق أثبته حتى اشتمل عليه واحتواه ، وحمل الناس عليه وندبهم بالسيف وضربهم بالسياط ، ليقولوا بهذا الخباط ، وبلغ به الجدّ في ذلك والاغتباط ، على أن يضرب الإمام أبا جعفر (كذا : وهو أبو عبد الله) أحمد بن حنبل ، فأحضره في شهر رمضان وضربه نحو ثلاثين [سوطاً] وهو عريان فمالت عنقه ، فظنوا أنه قد ذهب رمقه ، فترك وطرحت عليه ثيابه ، وسبب الله له السلامة انسباب (كذا) وعصم الله الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه من اتباعه على الضلال ، وقوله بهذا المقال » ، فإن في هذا النص تكلفاً لغوياً وحماسة مذهبية حنبلية ظاهرة ، والتنوخي بعيد عن مثل هذا التكلف والتعصب.

٢ - وفي الورقة نفسها جاء : « قال أبو شعيب الحرّاني : كنا مع أبي عبيد القاسم بن سلام بباب المعتصم ، وأحمد بن حنبل يضرب ، فجعل أبو عبيد يقول : أيضرب سيدنا الأمير ، أيضرب سيدنا الأمير ، فقال أبو شعيب :

ضربوا ابنَ حنبل بالسياط بجهلهم ... بغيـاً فثبت بالثبات الأنـور
قال الموفق حين مدّ بينهم ... مدّ الأديم على الصعيد القرقر
إني أموت ولا أبوء بفجـره ... تصلى بوائقها محل المفتـري

٣ - وفي الورقة نفسها وردت حكاية عبد الله بن أحمد بن حنبل وقد دخل على أبيه فأشهده على عفوه عن المعتصم فقال : « وإني أشهدك أني جعلت المعتصم في حلّ ».

٤ ـ وفي الورقة نفسها ب : وردت حكاية أحد أصحاب أحمد بن حنبل حين رآه في النوم فقال له : مافعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ورحمني وحباني وقال لي : يا أبا عبدالله إنما أعطيتك لأنك قلت القرآن غير مخلوق ».

٥ ـ وفي الورقة نفسها : وردت الحكاية الأخيرة : « وروى عن علي ابن الموفق قال : حدثني أبو عمرو التمار قال: كان لنا جار مجوسي يقال له بهرام فمات فرأيته في أقبح صورة فقلت : بهرام ! فقال بصوت ضعيف: نعم بهرام يا أبا عامر ، فقلت له : إلى أي شيء صرت ؟ فقال : إلى قعرها ، فقلت: أيجيئكم أحد ؟ قال : هؤلاء الذين يقولون : القرآن مخلوق » .

وفي خلافة الواثق بالله أورد مؤلف الكتاب خبرين أحدهما عن المسعودي وكلاهما في الرد على من قال بخلق القرآن :

١ ـ قال عبادة المخنث : دخلت على الواثق أمير المؤمنين والناس يمتحنون ، بعضهم بضرب ، وبعضهم بقتل ، وبعضهم بحبس ،قال عبادة : . . . فقلت : أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين ،فقال لي : ويحك في من ؟ قلت : يامولاي في القرآن ، فقال لي : والقرآن يموت ؟ فقلت : يامولاي أليس كل مخلوق يموت ؟ فإذا مات القرآن في شعبان بم تصلي في الناس في رمضان ؟ فقال : أخرجوه . وقيل : إنه رجع عن القول بخلق القرآن من ذلك اليوم .

٢ ـ الحكاية التي رواها المسعودي في مروجه (٨/٢٢ - ٢٧) وهي حكاية الشيخ الذي قدم على الواثق من أدنة ، وما جرى له مع أحمد بن أبي دؤاد (ورقة ١١٥أ وما بعدها) . وأعاد ذكر هذه الحكاية في خلافة المهتدي محمد بن الواثق بالله (ورقة ١٣٥ ب) حين همّ صالح بن علي الهاشمي أن يسأله فقال المهتدي : « كأني بك وقد استحسنت مارأيت من مجلسنا؟ فقلت : أي خليفة خليفتنا إن لم يكن يقول بخلق القرآن . . . فقال : قد كنت على ذلك برهة من الدهر حتى أقدم على الواثق شيخ طوال

حسن السيلة من أهل الفقه والحديث من أهل أدنة . . . فرجعت من ذلك الوقت عن تلك المقالة ، ورجع الواثق عنها » .

فنحن بين أمرين لا ثالث لهما ، إما أن نقبل افتراضنا في أن هذا الكتاب هو من تصنيف المحسن التنوخي فيتعين عندنا أنه لم يكن معتزلياً وإن عدّه ابن المرتضى (المتوفى سنة ٨٤٠ هـ) وعدّ أباه من المعتزلة ، لأن ابن المرتضى عدّ محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة والإمام الشافعي ودعبل الخزاعي في من عدّ من القائلين بالعدل ، وكلٌ واحد من هؤلاء له مشربه المعروف به ، ثم قال في ترجمة دعبل الخزاعي : « ونظراؤه من فحول الشعراء من القائلين بالعدل أكثر من أن يُحصَوْا ، كالكميت في المتقدمين ، وعلي بن محمد التنوخي وابنه وغيرهم » (طبقات المعتزلة ١٣٢) فقد عدّهم في الشعراء ، والشعر أقلّ شيء عرفوا به ، هذا إذا قلنا : إنه أراد بهذين الاسمين المحسّن وأباه .

والأمر الثاني : أو أن نرفض نسبة هذا الكتاب له ، وهنا يتعين علينا أن نجد تفسيراً معقولاً للأدلة التي أوردتها في نسبة الكتاب له ، وهي أقوى من دفعه عنه .

إضافةً إلى كل ماذكرت من الأدلة فإن هناك إشارتين وردتا في الكتاب:

الأولى : في كلامه على الوزير أبي عبيد الله معاوية بن عبيد الله الأشعري ، وزير المهدي قال : « وهو جد محمد بن عبد الوهاب الكاتب » ، ورقة ٥١ ب.

الثانية : في خلافة المقتدر ، ورقة ١٥٧ ب ورد ما يأتي : « وفي سنة أربعة عشر وثلاثمائة عزل المقتدرُ أحمدَ بن إسحاق بن البهلول القاضي وكان على قضاء مدينة المنصور أحمد بن سهل الأشناني ثم ندم على ذلك ، فأنفذ بقهارمته مهلة وأم موسى وغيرهما ، يأمره بالرجوع إلى القضاء فقال :

قد كبر سني وفي رقبتي علم أحب أخرجه إلى الناس وإلقاؤه إليهم ، وأنا أسأل أمير المؤمنين إعفائي منه ، ثم أخرج رقعة من تحت وسادته فقرأها عليهن وأنفذها مع الذي كتبه من المسألة له في الإعفاء عن القضاء وفيها :

تركت القضاء لأهل القضاء وأقبلت اسموا إلى الآخرة
فان يك فخراً بعيد الثناء فقد نلت منه يداً فاخرة
وان يك وزراً فأبعد به فلا خير في نعمة وازرة ،

لقد نقلت هذا النص بما فيه من أخطاء بأنواعها ، فإن المشهور عند أصحاب التراجم أن القاضي أحمد بن إسحاق بن البهلول صرف عن القضاء بمدينة المنصور سنة ست عشرة وثلاث مائة بأبي الحسين عمر بن الحسن بن علي بن الأشناني الذي عزل بعد ثلاثة أيام من توليه القضاء(١٠) ، وأن أحمد ابن سهل الأشناني لم يكن قاضياً وإنما كان أحد القراء المجوّدين كما يقول الخطيب (١٨٥/٤) ، فلا بد أن شيئاً سقط من النص وهذا ظاهر بيّن ، لأن أحمد بن إسحاق بن البهلول هو الذي كان قاضياً على مدينة المنصور ، ولأن أحمد بن سهل الأشناني كان قد توفي سنة ٣٠٧ هـ وقبل أن يعزل ابن البهلول ، فلعل الساقط من النص كان : . . . قضاء مدينة المنصور [بأبي الحسين عمر بن الحسن الأشناني وهو صهر ، ختن] أحمد بن سهل الأشناني ، أو شيء من هذا حتى يستقيم النص تاريخياً في الأقل . وقد رويت حكاية هذا العزل في مصادر عديدة كتاريخ بغداد ، والمنتظم ومعجم الأدباء ، وكلها روت الحكاية عن أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي عن طلحة ابن محمد بن جعفر الشاهد ، وأضاف ياقوت أن ابن عبد الرحيم التنوخي سمع الحكاية من أبي القاسم علي التنوخي وكان له بأمره (أحمد بن إسحاق ابن البهلول) الخبرة التامة لما يجمعها من النسب في الصناعة (معجم الأدباء

٩٢/١) . أما الخطأ في تاريخ العزل فلعله خطأ من الناسخ .

أوردت هذه الحكاية لأنها الحكاية الوحيدة في المخطوط تذكر شيئاً عن قاضٍ عباسي ، وأهمية هذه الحكاية تأتي من أن ابن البهلول يتصل بالنسب مع التنوخيين .

أما محمد بن عبدالوهاب الكاتب فلم أعثر على ذكر له في ما لديّ من مصادر ، فلعل أحداً من الإخوة القراء له علم بـه ، فإن فوق كل ذي علم عليم .

وبعد ، ألا يحق لنا أن نقول : إن أبا علي المحسن بن علي التنوخي صنف كتاباً في التأريخ ؟ .

الدكتور قاسم السامرائي
لايدن ــ هولندا .

التعليقــات

(١) منه نسخة في مكتبة بودليان باكسفورد ، ذكر هذا بروكلمان في الملحق ٢٥٣/١ ، رقم ٤

(٢) من هؤلاء : رشدي فكار كتب رسالة جامعية عن التنوخي وكتاب الفرج بعد الشدة ، وبدري محمد فهد كتب كتاب القاضي التنوخي وكتاب النشوار ، وشكري فيصل كتب مقالاً طريفاً عن النشوار ورحلته في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، وقبله كتب أحمد تيمور عن ألفاظ النشوار في المجلة نفسها ، وكتب المستشرق الألماني فينر عن أدب الفرج بعد الشدة في مجلة در إسلام الألمانية ، وباريت في الموسوعة الإسلامية وغير هؤلاء . وانظر كتاب بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ملحق ٢٥٢/١ ـ ٢٥٣ عمن كتب عن التنوخي .

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

ذكر بني العباس وسبب ظهورهم

قال الهيثم بن عدي حدثني مرة قال رأيت بني عبد المطلب كأنهم بروج
فضة وكان عمّا يعمهم الزينة وكان العباس رضي الله عنه من بينهم كطلعة
البدر تلألأت عنهم فقيل لي هؤلاء بنو عبد المطلب فقلت أرى الله إذا أراد أن
يبني دولة أنبت لها مثل هؤلاء هذا غرس الله لا غرس البشر وحق من يسر
ساعة يراهم فقال والله ليكونن لهؤلاء بنو عظيم وأمر جسيم
وكان العباس رضي الله عنه وكنيته أبو الفضل كان رئيسا
في الجاهلية وكان يقوم بالسقاية والرفادة في الجاهلية فأقره رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ذلك في الإسلام وكانت له عمارة المسجد الحرام
ولا يقول فيه هجرا فكان يحملهم على عمارته في الخير يستعينون لذلك
امتناعا من ملأ قريش اجتمعوا وتعاقدوا على ذلك فكانوا له أعوانا
عليه وسلموا ذلك إليه وكان رضي الله عنه من أوسع الناس صدرا وأكرمهم
أخلاقا وأحلمهم وكان له ثياب لعاري قريش وجفنة لجائعهم وسلسلة
لعاصيهم وجاء الإسلام وهو كذلك فقال عمر رضي الله عنه
هذا والله هو الشرف يطعم الجائع ويكسو العاري ويؤدب الجاهل
ربه وفي جفنته وكسوته وسلسلته يقول البرهر شـــمة

نموذج الصفحة الأولى من كتاب « ذكر بني العباس وسبب ظهورهم »
انظر وصف المخطوطة في ص ٥٢٩

(٣) نشر صديقي شورد فان كوننكزفلد فهرساً لطيفاً لهذه المجموعة مع وصف مقتضب لها في مجلة :

Bibliotheca Orientalis , Sept - Nov . 1973 , No : 5 - 6 , PP . 370 - 385

Nederlands Instituut voor het Nabije Oosten , Leiden — Holland .

(٤) وفيات الأعيان ، نشر وستنفلد ، رقم الترجمة : ٤١٦ ، وحكاية عبد الحميد الكاتب والبعلبكي المؤذن والحادي لم ترد في مخطوطة الوفيات المحفوظة في لايدن برقم ١٥٩١ شرقي* ، ورقة ٤٨٤ ، ولا في تلك التي نشرها محمد محيي الدين عبد الحميد رحمه الله بالقاهرة ١٩٤٨ ، ٣٩٤/٢ — ٣٩٥ ، لكنها وردت عند الثعالبي في كتابه : ثمار القلوب ١٩٨ — ١٩٩ ، ٣٥٩

(٥) النجوم الزاهرة ٢١٨/٢ ، المنتظم ١٦٨/٨

(٦) تاريخ بغداد ١٥٣/٤

(٧) لسان الميزان ٢٥٢/٤ — ٢٥٣

(٨) أما في النشوار ٢٧٠/١ ، فهناك ثلاث حكايات ولعله أراد التي فيها : أخبرني غير واحد من أصحابنا ... أو قوله الآخر : سمعت جماعة من أصحابنا يقولون : من بركة المعتزلة ... إذ ليس في هذين القولين دليل على اعتزاليته ، فكم روى عن متكلم شيعي أو حنبلي أو متزندق أو شاعر أو أمير أو وزير فإن قوله : سمعت جماعة من أصحابنا لا يعني إطلاقا : من أصحابنا المعتزلة .

(٩) وقد ذكر التنوخي حكاية المبيري في النشوار (٢١١/١ — ٢١٤) إلا أنه ذكر أن الوزير كان ابن أبي خالد الأحول ، ولم يذكر في الحكاية ماسبق أن نقلناه من كتاب الفرج المخطوط ، بيد أن قصد القصة واحد في الحكايتين .

(١٠) تاريخ بغداد ٢٧٨/١ ، ٣١/٤ ، ٢٣٧/١١ ، المنتظم ١٤٦/٢ ، ١٦٦ ، ٢٣٢ ، معجم الأدباء ٨٢/١ — ٩٤ ، وكيع ٢٨٥ ، مروج الذهب ٣١٠/٤ ، الجواهر المضية ٥٧/١ — ٥٩

(*) وردت الحكاية في نشرة الدكتور إحسان عباس للوفيات ج ٣ ص ٢٣٠ ومابعدها . وانظر تعليق الاستاذ المحقق .

كتاب المتوارين

للحافظ عبد الغني بن سعيد الأزدي

٣٣٢ - ٤٠٩ هـ

تحقيق

الشيخ محمد حسن آل ياسين

من الرسائل الصغيرة التي أثارت اهتمامي وأنا أتصفح فهرست المجاميع المخطوطة التي تضمها دار الكتب الظاهرية بدمشق : رسالة « المتوارين » تأليف الحافظ المصري عبد الغني بن سعيد الأزدي ، المتوفى سنة ٤٠٩ هـ .

والرسالة — كما يرشد اسمها — تُعنى بأخبار عددٍ من المشاهير اضطرتهم السلطة إلى التواري والتخفي والتنكر والهروب عن أعين الناس . وقد وردت تلك الأخبار فيها مدعمةً بأسانيد رواتها فرداً فرداً ، وبأنباء أولئك المتوارين أثناء تواريهم وما جرى عليهم خلالها من شؤون وشجون .

ولم يجهد الأزدي نفسه في استيعاب أخبار المتوارين في التاريخ الإسلامي ، وإنما اقتصر على خصوص منْ توارى في فترة الحجاج بن يوسف الثقفي والروايات التاريخية تدلنا على أنّ المؤلف قد ذاق مرارة

التواري بعض الوقت خوفاً من جبار مصره في عصره ، لأنه « كانت بينه وبين أبي أسامة جنادة اللغوي وأبي علي المقري الأنطاكي مودة أكيدة ، واجتماع في دار الكتب ومذاكرات ، فلما قتلهما الحاكم صاحب مصر استتر بسبب ذلك الحافظ عبد الغني خوفاً أن يلحق بهما لاتهامه بمعاشرتهما . وأقام مستخفياً مدة حتى حصل له الأمن فظهر »[1] ، وقد يرجح في الظن أن تأليف الكتاب قد تمّ خلال هذه المدة التي أقام فيها مستخفياً ، وكانت — على وجه التحديد — سنة ٣٩٩ هـ ، وهي سنة مقتل صديقَيْه السالفي الذكر .

وعندما يجمع كتابٌ ما طرافة الموضوع وأهمية المؤلف ومعاناته التي أملتْ عليه التأليف يكون — في ظني — أهلاً للتحقيق والنشر ، ليطلع عليه المعنيون ويستفيد منه المتتبعون ، ويُضَمّ — من ثَمّ — إلى مجموعة التراث الخالد .

إنّ مؤلف الرسالة هو الحافظ الشهير أبو محمد ، عبد الغني بن سعيد ابن علي بن سعيد بن بشر بن مروان بن عبد العزيز ، الأزدي ، الحَجْري ، المصرى .

ولد لليلتين بقيتا أو خلتا من شهر ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وقيل : سنة ثلاث وثلاثين . وتوفي والده سعيد — وكان من كبار الفرضيين — سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة .

سمع من عثمان بن محمد السمرقندي ، وأحمد بن بهزاذ السيرافي ، وإسماعيل ابن يعقوب الجراب ، وعبد الله بن جعفر بن الورد ، وأحمد بن إبراهيم بن جامع ، وأحمد بن إبراهيم بن عطية ، ويعقوب بن مبارك ،

(١) وفيات الأعيان ٢/٣٩٠

وحمزة بن محمد الحافظ . وبالشام من أبي بكر الميانجي ، والفضل بن جعفر المؤذن ، وأبي سليمان بن زَبْر ، وطبقتهم .

روى عنه محمد بن علي الصوري ، ورَشأ بن نظيف ، وأبو عبد الله القضاعي ، وعبد الرحمن بن أحمد البخاري ، وأبو علي الأهوازي ، وأبو إسحاق النعماني الحبال ، وخلق كثير .

أثنى عليه لفيف من علمــاء عصره كأبي الوليد الباجي والبرقاني والدارقطني والطرسوسي والطيوري والعتيقي وأضرابهم .

وله من المؤلفات :

١ ـ كتاب إيضاح الإشكال في الرواة

٢ ـ كتاب الرباعيات في الحديث .

٣ ـ كتاب الغوامض والمبهمات .

٤ ـ كتاب الفوائد المنتقاة عن الشيوخ الثقات .

٥ ـ كتاب كشف الأوهام .

٦ ـ كتاب المتوارين « وهو هذا الذي نقدم له » .

٧ ـ كتاب مشتبه النسبة « طبع بالهند سنة ١٣٢٧ هـ » .

٨ ـ كتاب المؤتلف والمختلف في أسماء الرجال « طبع بالهند مع الكتاب السابق في مجلد واحد في سنة ١٣٢٧ » .

توفي في سابع شهر صفر ، ليلة الثلاثاء ، سنة تسع واربعمائة ، بمصر ، وفي رواية السمعاني : سنة نيف وعشرة واربعمائة ، وكانت له جنازة عظيمة تحدّث بها الناس [١] .

* * *

(١) رجعنا في ترجمة المؤلف إلى الكتب الآتية :
الأنساب : ١/١٨١ ، والمنتظم : ٧/٢٩١ ، ومرآة الجنان : ٣/٢٢ ، والبداية والنهاية : =

تحتفظ دار الكتب الظاهرية بدمشق بأصل الرسالة[1] ضمن المجموع ذي الرقم (٧١) . تبدأ الرسالة من الورقة ٢١/أ وتنتهي مع سماعاتها بالورقة ٢٨/أ ، قياس كل صفحة ١٦ × ١٣ سم ، ٢٠ سطراً في المعدَّل . خط الرسالة تعليق وكتب بالقلم الأحمر على أوائل الأبواب . ليس فيها ذكر لاسم الناسخ ولا لتاريخ النسخ ولكنَّ أقدم سماع فيها مؤرخ ٥٩٨ هـ . أهمل الناسخ إثبات الهمزة كما أهمل إثبات الألف في كثيرٍ من الأسماء فكتب «خلد» يعني خالد ، وكذلك أهمل النقط في أكثر الكتاب .

والرسالة موقوفة بدار الحديث بالضيائية ، ويقول مفهرس قسم التاريخ من مخطوطات الظاهرية إن الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي هو صاحب النسخة وواقفها .

وقد وُشِّحَتْ الصفحة الأولى من الرسالة بخط نصر الله بن الصفار (وهو أحد أصحاب السماعات ، وسيأتي ذكره) ويوسف بن عبد الهادي (ت ٩٠٩ هـ . شذرات الذهب : ٨/٤٣) .

* * *

حفلت النسخة في آخرها بعدة سماعات كتبها بخطه عدد من المحدِّثين المعروفين ، وتلك ميزة ذات أهمية كبرى في تعزيز قيمة الرسالة وتصحيح روايتها وتثبيت نصها واضفاء القيمة العلمية عليها . ونسرد في أدناه نص تلك السماعات كما وردتْ في الكتاب :

● « بلغتْ قراءةً لجميعه على الشيخ الصالح أبي عبد الله محمد بن حامد

= ٢/١٢ — ٨ ، وتذكرة الحفاظ : ٣/١٠٤٧ — ١٠٤٩ ، ووفيات الأعيان : ٢/٣٩٠ — ٣٩١ والنجوم الزاهرة : ٤/٢٤٤ ، وشذرات الذهب : ٣/١٨٨ — ١٨٩ وتاريخ الأدب العربي « الترجمة العربية » ٣/٢٣٠ — ٢٣١ ، وتاريخ التراث العربي « الترجمة العربية » ١/٥٤٩ — ٥٥٠

(١) فهرس مخطوطات الظاهرية (قسم التاريخ : ٩٦)

الارتاحي [ت ٦٠١ هـ . شذرات الذهب : ٥/٦] ، فسمع الإمام الحافظ المتقن ضياء الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي [ت ٦٠٠ هـ . شذرات الذهب : ٤/٣٤٥] والفقيه أبو الحرم مكي بن عمر بن نعمة الحنبلي [ت ٦٣٤ هـ . شذرات الذهب : ٥/١٦٩] وأبو القاسم عبد الغني بن قاسم [ت ٦١٨ هـ . شذرات الذهب : ١٥/٨١] والشيخ عشير بن أحمد بن ثابت وعبد الرحمن بن الحسين بن عبد الرحمن وولده محمد . وذلك يوم الأربعاء الثامن من شهر الله رجب سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وصلّى الله على محمد وآله . »

«قرأتُ هذا الجزء على الشيخ أبي عبد الله محمد بن حمد بن حامد الارتاحي، بإجازاته من الفرّاء ، فسمعه أبو عبد الله بن عبد الرحمن العسقلاني ، في يوم الأحد سابع عشري محرم سنة ستمائة .

كتبه عبدالله بن عبد الغني المقدسي [ت ٦٢٩هـ. شذرات الذهب : ٥/١٣١]».

● «سمع جميع هذا الجزء على الشيخ الفقيه الإمام العالم الحافظ جمال الدين أبي موسى عبد الله بن الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ، بسماعه فيه ، بقراءة الإمام أبي موسى عيسى بن سليمان بن عبد الله بن عبد الملك الرعيني [ت ٦٣٢ هـ . شذرات الذهب : ٥/١٥٦] : الإمام الأوحد نجيب الدين أبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن أبي طالب الشيباني الصفّار [ت ٦٥٦ هـ . شذرات الذهب : ٥/٢٨٥] وسيف الدولة أحمد ابن حمدان بن مرزبان الهدبالي(١) وحسين بن فارك بن باد الهدبالي وكاتب السماع

---

(١) الكلمة في الأصل غير منقوطة ، ولم نقف في كتب الأنساب المعروفة على هذا الاسم ، وفي شذرات الذهب : ٥/٢٧٤ « المدثاني » ولكن المفهرس كتبها في الفهرست « المدباني » . والله العالم .

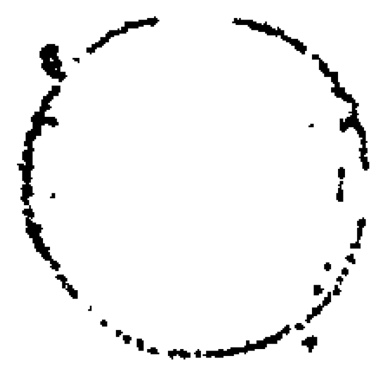
إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز بن الحسن بن علي القرشي [ت ٦٦٣ هـ . شذرات الذهب : ٥/٣٢١] عفا الله عنه . وذلك في يوم الخميس خامس عشري شعبان سنة ست وعشرين وستمائة ، بمسجد المسمع ، بمدينة دمشق ، والحمد لله ، وصلاته على محمد وآله » .

● « قرأت جميع هذا الجزء على الشيخ ناصر الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن داود بن حمزة المقدسي [ت ٧٩٩ هـ . شذرات الذهب : ٦/٣٦٢] ، بإجازاته من القاضي تقي الدين سليمان بن حمزة [ت ٧١٥ هـ . شذرات الذهب : ٦/٣٥] ، بإجازته من الحافظ جمال الدين أبي موسى [عبد الله بن عبد الغني المذكور في السماع السابق] : يوم الثلاثاء ، سلخ [ذي] الحجة ، سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ، بمنزل المسمع بدير الحنابلة . وكتب محمد بن عبد الرحمن بن محمد المقدسي [ت ٨٠٣ هـ . شذرات الذهب : ٧/٣٦] » .

وإلى القارىء الكريم أصل الرسالة(١) :

---

(١) يجد القارىء على الصفحة التالية صورة الورقة الأولى من الرسالة بوجهيها : الأول الذي يتضمن عنوانها والثاني الذي يتضمن بدايتها .



الجزء فيه من :

[٢١/أ] كتاب المتوارين

جَمْـــع

عبد الغني بن سعيد الأزدي الحافظ

رواية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال وأبي زكريا عبد الرحيم بن أحمد البخاري ، عنه .

رواية أبي الحسن علي بن الحسين بن عمر الفراء الموصلي .

رواية الشيخ أبي عبد الله محمد بن حمد بن حامد الارتاحي .

سماع سيدنا الشيخ الحافظ الناقد أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي ابن سرور المقدسي .

[٢١/ب] بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ يَسِّرْ وأعِنْ

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن حمد بن حامد(١) ، قراءةً عليه ، قال :

أنبأنا أبو الحسن علي بن الحسين بن عمر ، الفراء(٢) ، قال :

---

(١) الارتاحي ، المصري ، المولود حوالي سنة ٥٠٧ هـ والمتوفى سنة ٦٠١ هـ بمصر. شذرات الذهب ٥/٦

(٢) الموصلي ثم المصري ، المولود سنة ٤٣٣ ، والمتوفى سنة ٥١٩ هـ . شذرات الذهب ٤/٥٩

أنبأني الشيخان أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد بن عبد الله الحبال[١] وأبو زكريا عبد الرحيم بن أحمد البخاري[٢] ، قالا :

أنبا عبد الغني بن سعيد ، الأزدي ، الحافظ ، قال :

هروب أبي عمرو بن العلاء[٣] من الحجاج بن يوسف[٤]

وتواريه منه باليمن

حدثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد بن الورد[٥] إملاءً ، ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن حميد البصري القاضي[٦] ، ثنا أبو حاتم سهل بن محمد ابن عثمان السجستاني[٧] ، ثنا الأصمعي[٨] ، عن أبي عمرو بن العلاء قال :

« أخافني الحجاج فهربتُ إلى اليمن ، فولجتُ في بيتٍ بصنعاء ، فكنت

(١) النعماني ، المصري ، المتوفى سنة ٤٨٢هـ عن تسعين سنة . شذرات الذهب ٣٦٦/٣

(٢) الحافظ ، المتوفى سنة ٤٦١هـ عن تسع وسبعين سنة . شذرات الذهب ٣٠٩/٣

(٣) التميمي ، المازني ، البصري ، المتوفى سنة ١٥٤هـ عن أربع وثمانين سنة ، المترجم في طبقات النحويين ٢٨ - ٣٤ ، ونور القبس ٢٥ - ٣٧ ، ووفيات الأعيان ١٣٦/٣ — ١٣٩ ، وفوات الوفيات ٣٣١/١ — ٣٣٢ ، وشذرات الذهب ٢٣٧/١ — ٢٣٨

(٤) الثقفي ت سنة ٩٥هـ . شذرات الذهب ١٠٦/١

(٥) ت ٣٥١هـ . شذرات الذهب ٨/٣

(٦) لعله إبراهيم بن حماد القاضي المتوفي ٣٢٣هـ كما في تاريخ بغداد ٦١/٦

(٧) ت ٢٥٠هـ . شذرات الذهب ١٢١/٢

(٨) ت ٢١٦هـ . شذرات الذهب ٣٦/٢

أظهر بالليل على سطحه وأكمن بالنهار فيه . قال : فإني لفي غدوةٍ من الغدوات على سطح ذلك البيت إذْ سمعتُ رجلًا ينشد :

ربما تجزع النفوس من الأمـ ـرِ له فَرْجَةٌ كحلّ العقالِ

قال : فقلت « فَرْجَة » ! ، قال : فسررتُ بها . قال : وقال آخر : مات الحجاج ، قال : فوالله ماأدري بأيها كنتُ أسرّ ؟ بقوله : « فَرْجَة » أو بقوله : مات الحجاج » .

حدثنا أبو علي الحسن بن الخليل بن قوام الحميري ، ثنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة(١) ، ثنا أحمد بن أبي عمران(٢) ، ثنا أبو نصر أحمد بن حاتم(٣) ، عن الأصمعي ، عن أبي عمرو بن العلاء قال :

استعمل الحجاج أبي على بعض أعماله ، فنقم عليه ، فخرج أبي إلى بادية قومه فتوارى بها وأنا معه ، فبينا نحن في سحرٍ من الأسحار إذْ أقبل راكب وهو يقول :

ربما تجزع النفوس من الأمـ ـرِ له فَرْجَةٌ كحلّ العقالِ

قال : قلت : وماذاك ؟ قال : مات الحجاج . فوالله ماأدري بأيها كنت [٢٣/أ] أشدّ فرحاً ! بقوله : « مات الحجاج » أو بقوله : « فَرْجَة(٤) » .

(١) ت ٣٢١هـ . شذرات الذهب ٢/٢٨٨

(٢) ت ٢٨٠هـ . شذرات الذهب ٢/١٧٥

(٣) ت ٢٣١هـ ، طبقات النحويين ١٩٨

(٤) الروايات مختلفة في كون الهارب أبا عمرو أو أباه ، وتراجع في قصة بيت الشعر : المصادر التي أسلفنا ذكرها في الإشارة إلى ترجمة أبي عمرو ، كما يراجع أيضاً التصحيف والتحريف ٢١٣

ذكر تواري الحسن بن أبي الحسن البصري[1]

من الحجاج بن يوسف

وكان تواري الحسن في منزل أبي خليفة الحجاج بن عتاب[2] ، وكان من التابعين ، وله ولد يُحدّث يقال له عمر بن أبي خليفة[3] يحدث عن محمد ابن زياد أبي الحارث الجمحي[4] .

حدثنا هشام[5] ، ثنا أبو جعفر الطحاوي[6] ، ثنا أحمد بن داود[7] ، ثنا ابن عائشة[8] ، ثنا حماد بن سلمة[9] ، عن حميد[10] قال :

قرأتُ القرآنَ كلّه على الحسن وهو متوارٍ في بيت أبي خليفة ،

---

(١) توفي سنة ١١٠هـ ، وله ترجمة مفصلة في وفيات الأعيان ٣٥٤/١ — ٣٥٦ ، وتذكرة الحفاظ ٧١/١ — ٧٢ ، وتهذيب التهذيب ٢٦٣/٢ — ٢٧٠ وشذرات الذهب ١٣٦/١ — ١٣٧

(٢) المذكور في تهذيب التهذيب ٤٤٣/٧

(٣) ت ١٨٩هـ . تهذيب التهذيب ٤٤٣/٧

(٤) المترجم في تهذيب التهذيب ١٦٩/٩

(٥) الرعيني ، ت ٣٧٦هـ . المشتبه ٢٢٠

(٦) هو أحمد بن محمد بن سلامة السابق الذكر .

(٧) لعله السراج ، ت ٢٨٦هـ . تاريخ بغداد ١٤٠/٤

(٨) عبيد الله بن محمد ، ت ٢٢٨هـ . شذرات الذهب ٦٤/٢

(٩) ت ١٦٧ هـ . شذرات الذهب ٢٦٢/١

(١٠) الطويل ، ت ١٤٣ هـ . شذرات الذهب ٢٢١/١ وقد ورد خبره هذا عن قراءة القرآن على الحسن وتفسير الحسن له على الإثبات — أي إثبات القدر — في تهذيب التهذيب ٢٧٠/٢

ففسَّره لي على الإثبات ، وكان مالك بن دينار(١) يغشى الحسنَ في ذلك التواري . يُصدّق(٢) ذلك حديثُ حدثني بـــه الوليد بن القاسم ، ثنا الحسن بن علي بن موسى النخاس(٣) ، ثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب(٤) ، ثنا جعفر بن سليمان الضبعي(٥) قال :

كنّا عند الحسن ـ رحمة الله عليه ـ عند أبي خليفة العبدي قال : فجاءه رجل فقال : ياأبا سعيد ! رأيتُ على أبي حمزة(٦) جبة خزّ ، فقال الحسن : لأنْ أقطّــع مسيحي(٧) فألبسه أحبُّ إليَّ من أنْ ألبس جبة خزّ .

حدثنا محمد بن جابر الحجري(٨) ، ثنا إسحاق بن أحمد بن جعفر القطان(٩) ، ثنا أبو سعيد الأشج(١٠) ، ثنا عيسى بن يونس(١١) ، ثنا العلاء ابن المغيرة البندار قال :

بشرتُ الحسن بموت الحجاج فسجد .

---

(١) ت ١٢٧ هـ . شذرات الذهب ١/١٧٣
(٢) الكلمة في الأصل مشوشة ، ولعل الصواب ما أثبتناه .
(٣) المذكور في المشتبه ٦٣٣
(٤) ت ٢٤٤ هـ . شذرات الذهب ٢/١٠٥
(٥) ت ١٧٨ هـ . شذرات الذهب ١/٢٨٨
(٦) أظنه : أنس بن مالك نزيل البصرة ، ت ٩٣ هـ . شذرات الذهب ١/١٠٠
(٧) كذا في الأصل ، والمَسيح : المنديل الأخشن، والمُسَيَّح من العباء: المخطط.
(٨) المذكور في الإكمال ٣/٨٩ ، والمشتبه ٢١٩
(٩) ت ٣١٥ هـ . تاريخ بغداد ٦/٣٩٣
(١٠) عبد الله بن سعيد ، ت ٢٥٧ هـ . شذرات الذهب ٢/١٣٧
(١١) ت ١٨٨ هـ . شذرات الذهب ١/٣٢٠

حدّثنا عبد الله بن جعفر بن الورد ، ثنا علي بن محمد بن حيّون[١] ثنا محمد بن هشام[٢] ، ثنا سفيان بن عيينة[٣] ، عن أبي عثمان[٤] قال :

قال الحسن حين بلغه موت الحجاج : اللهم أنتَ قتلته فاقطعْ سنّته . وكان يقول : أتانا أُخَيْفِش أعَيْمِش له جُمَيْمَةٌ ينقضها[٥] ، شقي من الأشقياء ، لا والله ماعرق تحت ثيابه غبارٌ قــط في سبيل الله[٦] [٢٢/ب] .

قال عبد الغني : أبو عثمان هو عمرو بن عبيد[٧] ، والله أعلم .

تواري عبد الله بن الحارث الهاشمي « بَبَّه »[٨]
عن الحجاج بن يوسف

قال محمد بن سعد[٩] كاتب الواقدي :

---

(١) لعله علي بن عبد الله بن محمد بن حيون ، ت ٢٨٧ هـ . الإكمال ٢/٥٨٠
(٢) ت ٢٤٥ هـ . شذرات الذهب ٢/١٠٩
(٣) ت ١٩٨ هـ . شذرات الذهب ١/٣٥٤
(٤) سيأتي ذكره .
(٥) ولعلها : ينفضها وفي أمالي المرتضى «يرجلها» .
(٦) كلام الحسن ، مع بعض الاختلاف ، في الموفقيات ١٠٤ وأمالي المرتضى ١/١٥٥ وفيها : « ماعرق فيها عنان في سبيل الله » .
(٧) ت ١٤٢ هـ . شذرات الذهب ١/٢١٠
(٨) ت ٨٤ هـ . له ترجمة في الإكمال ١/١٨٢ ، وتهذيب التهذيب ٥/١٨٠ — ١٨١ ، وشذرات الذهب ١/٩٤ ، ويرجع في أخباره إلى تاريخ الطبري ٥١٢/٥ — ٥١٤ و ٥١٧ و ٥٢٩ و ٥٦٧ و ٦١٥
(٩) ٢٣٠ هـ . شذرات الذهب ٢/٦٩

عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم . يُكنّى أبا محمد ، وهو الذي لقّبه أهل البصرة « بَبَّه » . هلك بعُمان عند انقضاء فتنة [ا] بن الأشعث ، وكان خرج إليها هارباً من الحجاج. وولد في زمن النبي صلّى الله عليه وسلم ، وسمع من عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ خطبته بالجابية[1] .

تواري إبراهيم بن يزيد النخعي ، أبي عمران ، الفقيه[2] من الحجاج

حـدثنا هشام بن محمد الرعيني ، ثنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة ، ثنا محمد بن علي بن داود[3] ، أنبا سعيد بن سليمان[4] ، عن أبي شهاب[5] ، حدّثني الحبر بن عمرو (٦) قال :

خبأنا إبراهيم في داره[7] حين توارى من الحجاج ، وكان لا يصلي في جماعة مخافة من الحجاج .

(١) الترجمة مقتبسة من طبقات ابن سعد ٥/١٥ – ١٦

(٢) ت ٩٥ أو ٩٦ هـ . له ترجمة في وفيات الأعيان ١/٦ ، وتذكرة الحفاظ ١/٧٤ ، والوافي بالوفيات ٦/١٦٩ ، وشذرات الذهب ١/١١١

(٣) ت ٢٦٤ هـ . تاريخ بغداد ٣/٦٠

(٤) سعدويه ، ت ٢٢٥ هـ . شذرات الذهب ٢/٥٦

(٥) عبد ربه بن نافع ، ت ١٧١ هـ . شذرات الذهب ١/٢٨٠

(٦) كذا في الأصل ، وأظنه تصحيف : الحسن بن عمرو الفقيمي الراوي عن إبراهيم النخعي ، المتوفى ١٤٢ هـ . تهذيب التهذيب ٢/٣١٠

(٧) كذا في الأصل ، ولعل في العبارة سقطاً أو تصحيفاً .

حدثنا هشام بن محمد ، ثنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة ، ثنا ابن أبي داود[١] ، ثنا سعيد بن منصور[٢] ، ثنا مهدي بن ميمون[٣] ، عن شعيب بن الحبحاب[٤] قال :

كان إبراهيم متوارياً من الحجاج ، فتوفي ، فدفن ليلاً ، فحضرت الصلاة عليه ثم أتيتُ الشعبي[٥] فقال : لقد توفي في هذه الليلة رجل ما ترك بعده مثله ، قلتُ : بالكوفة ؟ ، قال : لا بالكوفة ولا بالبصرة ولا بالمدينة ولا بمكة ، قال : وكان إذا تكلّم يسجع .

وفي مشافهة علي بن عمر[٦] إياي بإجازاته لي ، عن عثمان بن أحمد ابن السماك[٧] عن حنبل[٨] ، عن محمد بن داود[٩] ، عن عيسى بن يونس ، عن الأعمش[١٠] قال :

رأيتُ على إبراهيم خفتاناً[١١] وقباءً أعور[١٢] ، كأنه نبطيٌّ قدم من الرستاق

(١) إبراهيم بن سليمان ، ت ٢٧٢ هـ . شذرات الذهب ٢/١٦٢

(٢) ت ٢٢٨ هـ . شذرات الذهب ٢/٦٢

(٣) ت ١٧٢ هـ . شذرات الذهب ١/٢٨١

(٤) ت ١٣٠ هـ . شذرات الذهب ١/١٧٧

(٥) ت ١٠٤ هـ . شذرات الذهب ١/١٢٦

(٦) الدارقطني ، ت ٣٨٥ هـ . شذرات الذهب ٣/١١٦

(٧) ت ٣٤٤ هـ . شذرات الذهب ٢/٣٦٦

(٨) ابن إسحاق ، ت ٢٧٣ هـ . شذرات الذهب ٢/١٦٣

(٩) لعله ابن أبي ناجية ، ت ٢٥٠ هـ . وتهذيب التهذيب ٩/١٥٣

(١٠) ت ١٤٨ هـ . شذرات الذهب ١/٢٢٠

(١١) في الأصل : خفتان آ والظاهر أن الألف في الأخير متصل بالنون علامة لنصب الكلمة . ويراجع في خفتان : المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ١٣٣

(١٢) الأعور : الرديء من كل شيء ، والعوار — بفتح العين وضمها — خرق أو شقٌّ في الثوب وقيل هو عيب فيه . اللسان (عور)

[٢٣/أ] ، قال : وذلك أن الحجاج كان يطلبه .

حدثنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن سالم ، ثنا إسحاق بن أحمد ابن جعفر ـ هو القطان ـ ثنا زياد بن أيوب[1] ، ثنا إسماعيل بن علية[2] ، عن ابن عون[3] قال :

بشرتُ إبراهيم بموت الحجاج فبكى[4] ، وما ظننتُ أحداً يبكي من الفرح . بَيَّنَ هذا أنّ موت إبراهيم كان بعد موت الحجاج ، وهو صحيح .

تواري مجاهد بن جبر أبي الحجاج[5] وأبي عياض[6] من الحجاج

حدثنا أبو الطاهر السدوسي[7] ، حدثني أبي[8] ، حدثني أيوب بن

---

(١) ت ٢٥٢ هـ . شذرات الذهب ١٢٦/٢

(٢) ت ١٩٣ هـ . شذرات الذهب ٣٣٣/١

(٣) ت ١٥١ هـ . شذرات الذهب ٢٣٠/١

(٤) الخبر في تذكرة الحفاظ ٧٤/١ ، ونصه هناك : « فسجد وبكى من الفرح ».

(٥) ت ١٠٣ هـ ، له ترجمة في طبقات ابن سعد ٣٤٣/٥ — ٣٤٤ ، وطبقات خليفة ٧٠٢/٢ ، وتذكرة الحفاظ ٩٢/١ ، وتهذيب التهذيب ٤٢/١٠ — ٤٤

(٦) عمرو بن الأسود ، المذكور في طبقات خليفة ٧٠١/٢ ، والمترجم في تهذيب التهذيب ٤/٨ — ٦ و ١٩٤/١٢ — ١٩٦

(٧) محمد بن أحمد ، ت ٣٦٧ هـ. تاريخ بغداد ٣١٤/١

(٨) أحمد بن عبد الله ، ت ٣٢٢ هـ. تاريخ بغداد ٢٢٩/٤

الوليد[١] ، نا يحيى بن السكن[٢] ، أنبا شعبة[٣] ، ثنا الحكم[٤] قال :

كان مجاهد وأبو عياض متوارين من الحجاج ، فلمّا كان يوم الفطر أمّهم[٥] أبو عياض .

تواري سليمان بن مهران ، أبي محمد ، الأعمش[٦] من الحجـاج

حدثنا محمد بن أحمد بن جابر ، ثنا إسحاق بن أحمد بن جعفر ، ثنا أبو سعيد الأشجّ ، ثنا ابن فضيل[٧] ، عن الأعمش قال :

كنّا نختبىء أيام الحجاج في الآجـام ، وكنتُ في أجمة كثيرة الطير ، وكنت افرّج القصب وآخذ الصيد فأذبحه بالقصب ، فسألت إبراهيم[٨] والشعبي[٩] عن ذلك فقالا : لا يضرك بأي شيء ذبحتَ إذا ذكّيت .

(١) ت ٢٦٠ هـ . تاريخ بغداد ١١/٧

(٢) ت ٢٠٢ هـ . تاريخ بغداد ١٤٦/١٤

(٣) ت ١٦٠ هـ . شذرات الذهب ٢٤٧/١

(٤) ت ١١٥ هـ . شذرات الذهب ١٥١/١

(٥) كذا ورد بضمير الجمع في الأصل

(٦) ت ١٤٨ هـ . له ترجمة في تاريخ بغداد ٣/٩ -١٣ ، ووفيات الأعيان ١٣٦/٢ - ١٣٨ وتذكرة الحفاظ ١٥٤/١ ، وشذرات الذهب ٢٢٠/١ - ٢٢١

(٧) محمد . ت ١٩٥ هـ . شذرات الذهب ٣٤٤/١

(٨) النخعي ، المارّ الذكر .

(٩) عامر بن شراحيل ت ١٠٤ هـ . شذرات الذهب ١٢٦/١

تواري سعيد بن جبير[١] من الحجاج وفراره منه إلى أنْ ظفر به

حدّثنا أبو علي الوسي [٢] ، ثنا أحمد بن عبد الله بن شابور[٣] ، ثنا واصل وهو ابن عبد الأعلى [٤] ، ثنا أبو بكر بن عياش [٥] ، عن أبي حصين[٦] قال :

أتيتُ سعيد بن جبير بمكة فقلتُ إنّ هذا الرجل قادم ـ يعني خالد ابن عبد الله[٧] ـ ولِمَ يقدم ، ولا آمنه عليك ، فأطعني واخرج ، قال : واللهِ لقد فررتُ حتى [٢٣/ب] استحييتُ من الله عزّ وجل ، فقلتُ : واللهِ إني لأراك كما سمّتكَ أمّك[٨] .

قال أبو بكر بن عيّاش : وأخبرني يزيد أبو عبد الله[٩] قال :

---

(١) ت ٩٥ هـ . وله ترجمة في وفيات الأعيان ٢/١١٢ — ١١٦ ، وتذكرة الحفاظ ١/٧٦ ، وتهذيب التهذيب ٤/١١ — ١٤ ، وشذرات الذهب ١/١٠٨ — ١١٠

(٢) الكلمة في الأصل مطموسة لم نهتد إلى الصواب فيها .

(٣) ت ٣١٣ هـ . شذرات الذهب ٢/٢٦٦

(٤) ت ٢٤٤ هـ . تهذيب التهذيب ١١/١٠٤

(٥) ت ١٩٣ هـ . شذرات الذهب ١/٣٣٤

(٦) عثمان بن عاصم ، ت ١٢٨ هـ . شذرات الذهب ١/١٧٥

(٧) القسريّ ، والي مكة ، ت ١٢٦ هـ . شذرات الذهب ١/١٦٩

(٨) الخبر — مروياً عن حصين أيضاً وبتفصيل أكثر — في الطبري ٦/٤٨٨

(٩) ابن أبي زياد ، ت ١٣٧ هـ . تهذيب التهذيب ١١/٣٣٠

أتينا سعيد بن جبير حين جيء به ، فإذا هو طيب النفس وبُنَيَّة له في حجره ، فنظرتْ إلى القيد فبكتْ ، قال : فشيَّعناه إلى باب الحبس[١] ، قال له الحرس . أعطنا كفيلاً[٢] فإنَّا نخاف أنْ تغرق نفسك ، قال يزيد : فكنتُ فيمن كفل به[٣] .

قال أبو بكر : قال سليمان[٣] : قال بعض أصحابنا قال : قال الحجاج حين قتل سعيد بن جبير :

إئتوني بسيف رغيب[٤] - يعني عريضاً - اضربوا قُصاص[٥] المنكبين، قال : ثم ركب ساعةَ ضَرْبِ عنقه . فمرَّ به رجل من قريش ، فطرح عليه جِذْمَ حائط ، يعني سعيد بن جبير .

حدَّثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن الورد ، ثنا يحيى بن أيوب[٦] وعبد الرحمن بن معاوية العتبي[٧] قالا : ثنا عمرو بن خالد[٨] قال : سمعتُ

---

(١) في رواية الطبري ٦/٤٨٩ إلى الجسر ، وهو الذي ينسجم مع خوف إغراق نفسه .

(٢) في الأصل : « كفلا » ،وما أثبتناه من الطبري .

(٣) ابن فيروز، ت ١٣٨ هـ . شذرات الذهب ١/٢٠٧

(٤) والنص نفسه في لسان العرب (رغب) منسوبا للحجاج لمّا أراد قتل سعيد بن جبير .

(٥) قصاص كتفيه : منتهاهما حيث التقيا . أساس البلاغة (قصص)

(٦) ت ٢٨٩ هـ . شذرات الذهب ٢/٢٠٢

(٧) المذكور في المشتبه ٤٤٣

(٨) ت ٢٢٩ هـ . تهذيب التهذيب ٨/٢٦

عتاب بن بشير[١] ، عن سالم الأفطس[٢] قال :

أتى سعيد بن جبير إلى الحجاج وفي رجله قيود ، فلما دخل عليه أمر بضرب عنقه ، فما قام الحجاج من مجلسه حتى خلط وجعل يقول : قيودنا قيودنا[٣] .

حدثنا أبو الطاهر ، ثنا إبراهيم قال[٤] :

قيل لسعيد بن جبير : [ما تقول في][٥] مايقول الحسن : إذا أخذ الحجاج الرجل فيقول له اكفر ، فرخّص له أن يقول ذاك ؟ فقال سعيد ابن جبير : يرحم الله الحسن ، لاتقية في الإسلام .

حدثنا الحسن بن رشيق[٦] ، ثنا علي بن سعيد[٧] ، ثنا ابن أبي عمر[٨] ثنا سفيان[٩] ، عن سالم بن أبي [٢٤/أ] حفصة[١٠] قال :

---

(١) ت ٢٨٨ هـ . شذرات الذهب ١/٣٢٠

(٢) ت ١٣٢ هـ . شذرات الذهب ١/١٨٩

(٣) الخبر – مروياً عن عتاب عن سالم مع بعض الاختلاف – في الطبري ٦ / ٤٩٠ .

(٤) هكذا ورد السند في الأصل ، وربما كان فيه سقط .

(٥) زيادة يستدعيها السياق .

(٦) ت ٣٧٠ هـ . شذرات الذهب ٣/ ٧١

(٧) ت ٢٩٩ هـ . لسان الميزان ٤/٢٣١

(٨) محمد بن يحي ، ت ٢٤٣ هـ .شذرات الذهب ٢/١٠٤

(٩) ابن عيينة ، ت ١٩٨ هـ. شذرات الذهب ١/٣٥٤

(١٠) ت حوالي ١٤٠ هـ . تهذيب التهذيب ٣/٤٣٤

لما دخل سعيد بن جبير على الحجاج قال له : ما اسمك ؟ قال : سعيد ابن جبير ، قال : شقي بن كسير ، قال سعيد : إني أعوذ منك بما عاذت به مريم بنت عمران بالرحمن إن كنتَ تقياً ، قال : لأقتلنَّك ! ، قال : أنا إذن كما سمَّتني أمي . فلما ذهب به لتقتل قال : دعوني أصلي ركعتين ! قال الحجاج : وجهوه لقبلة النصارى ، فلما وُجِّه قال : فأينما تولّوا فثمَّ وجه الله[1] .

قال محمد بن عمر الواقدي[2] :

في سنة أربع وتسعين كتب الحجاج بن يوسف إلى خالد بن عبد الله : أن ابعث إلي سعيد بن جبير وطلق بن حبيب[3] ، فبعث بهما إليه[4] .

هذا في الكتاب الذي أعلمني علي بن عمر أنه سمعه من محمد بن عبد الله المستعيني[5] عن العباس بن عبد الباكساني[6] ، عن محمدبن محمد بن عمر الواقدي[7] ، عن أبيه ، عن عمر بن سعيد بن أبي حسين[8] ، عن ابن أبي مليكة[9] .

---

(١) الخبر بالتفصيل في وفيات الأعيان ٢ : ١١١ - ١١٥

(٢) ت ٢٠٧ هـ . شذرات الذهب ٢ ١٨

(٣) ت قبل ١٠٠ هـ . تهذيب التهذيب ٥/٣١ - ٣٢

(٤) يراجع في هذا الخبر تاريخ الطبري ٦/٤٨٨

(٥) ت ٣٢٥ هـ . اللباب ٣/١٣٦

(٦) ت ٢٦٧ هـ . تهذيب التهذيب ٥/١٢٠

(٧) المترجم في تاريخ بغداد ٣/١٩٦

(٨) في الأصل « عمر بن سعيد بن جبير » . وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه ، ويراجع تهذيب التهذيب ٧/٤٥٣

(٩) عبد الله ت ١١٧ هـ . شذرات الذهب ١/١٥٣

قال : وحدثني ابن [أبي] سبرة[١] ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم[٢] قال :

رأيت سعيد بن جبير وطلق بن حبيب يطوفان بالبيت في كبول حين خرج بهما إلى الحجاج .

وقال : ثنا عبد الله بن جعفر[٣] ، عن زكريا بن عمرو قال :

أخذ خالد[٤] سعيد بن جبير فقال : أنتَ ممّن يطلب أمير المؤمنين وأنتَ مقيم في جواري ؟ ! ، فبعث به إلى الحجاج .

حدثنا أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن محمد بن أحمد بن خلاد التميمي الجوهري القاضي ابن بنت نعيم بن حماد ، ثنا محمد بن زبان[٥] ، ثنا سلمة بن شبيب[٦] ، ثنا عبد الرزاق[٧] ، أنبا معمر[٨] ، أخبرني الزهري[٩] قال[١٠] :

---

(١) أبو بكر ت ١٦٢ هـ . شذرات الذهب ٢٥٦/١ ، والزيادة على الأصل منه .

(٢) ت ١٣٢ هـ . شذرات الذهب ١٨٩/١

(٣) لعله المخرمي المتوفى ١٧٠ هـ أو المديني المتوفى ١٧٨ هـ . تهذيب التهذيب ١٧٢/٥ و ١٧٥

(٤) في الأصل جلد ، والصواب ما أثبتناه .

(٥) ت ٣١٧ هـ . شذرات الذهب ٢٧٦/٢

(٦) ت ٢٤٧ هـ . تهذيب التهذيب ١٤٧/٤

(٧) ابن همام ت ٢١١ هـ . تهذيب التهذيب ٣١٤/٦

(٨) ابن راشد ت ١٥٣ هـ . تهذيب التهذيب ٢٤٥/١٠

(٩) محمد بن عبد الله ، ت ١٢٤ هـ . شذرات الذهب ١٦٢/١

(١٠) تكررت كلمة « قال » في الأصل مرتين .

حججتُ مع عمر بن عبد العزيز - وحجَّ بالناس في خلافة الوليد - ، فلمّا كنّا بمنى أتاني [٢٤/ب] سعيد بن جبير ليلاً وهو متوارٍ من الحجاج ، قال : فقال لي : أتخاف عنّي صاحبك هذا ؟ قال : قلتُ : لا ولن آمن .

حدّثنا أبو أحمد السعدي[١] ، ثنا جعفر بن أحمد العبدي[٢] ، ثنا إسحاق ابن أبي اسرائيل[٣] قالا[٤] : ثنا هشيم[٥] ، عن أبي بشر[٦] قال :

قال لي سعيد بن جبير : إنّ الحجاج قاتلي ، قال : قلتُ : ولِمَ ذاك ؟ قال : رؤيا رأيتُها .

حدّثنا هشام بن [أبي] خليفة محمد بن قرة الرعيني[٨] ، ثنا أبو جعفر أحمد بن سلامة ، ثنا محمد بن جعفر بن [محمد] بن حفص[٨] قال : سمعتُ الرمادي[٩] يقول : سمعتُ مسدداً[١٠] يقول سمعتُ يحيى القطان[١١]

---

(١) لعله ابن الناصح المتوفى بمصر ٣٦٥ هـ أو الحاكم المتوفى ٣٧٨ هـ أو السامري المتوفى ٣٨٦ هـ . شذرات الذهب ٣/٥١ و ٩٣ و ١١٩

(٢) لعله الغافقي المصري المتوفى ٣٠٤ هـ . لسان الميزان ٢/١٠٨

(٣) ت ٢٤٠ هـ . تهذيب التهذيب ١/٢٢٤

(٤) كذا في الأصل ، والتثنية لا وجه لها إلا إذا كان هناك سقط

(٥) ابن بشير ، ١٣٨٠ ت هـ . تهذيب التهذيب ١١/٦٢

(٦) جعفر بن إياس ت ١٢٣ هـ . تهذيب التهذيب ٢/٨٤

(٧) مر ذكره ، والزيادة من الأنساب ٤/٧٤ ، والمشتبه ٢٢٠

(٨) ت ٣٠٠ هـ . تاريخ بغداد ٢/١٣١

(٩) أحمد بن منصور ، ت ٢٦٥ هـ . شذرات الذهب ٢/١٤٩

(١٠) ابن مسرهد ، ت ٢٢٨ هـ . شذرات الذهب ٢/٦٦

(١١) ت ١٩٨ هـ . شذرات الذهب ١/٣٥٥

يقول : سمعتُ سفيان الثوري[1] ذكر سعيد بن جبير فقال :

ما أعدلُ به من التابعين أحداً ، مازال على بصيرةٍ من أمره حتى قُتِل ، ما أشبّهه إلا بعمّار .

حدّثنا هشام ، ثنا أبو جعفر ، ثنا روح بن الفرج[2] ، ثنا عبد الله ابن محمد الفهمي[3] ، ثنا عبد الرحمن بن القاسم[4] ، عن مالك بن أنس[5] قال .

أخرج الحجاج سعيد بن جبير وطَلْق بن حبيب من الكعبة فذبحها ذبحاً[6] .

حدّثنا الحسن بن رشيق ، ثنا أبو بشر الدولابي[7] ، ثنا إبراهيم ابن يعقوب الجوزجاني[8] ثنا الحسن بن واقع[9] ، ثنا ضمرة[10] ، عن ابن

---

(١) ت ١٦١ هـ . شذرات الذهب : ٢٥٠/١

(٢) ت ٢٨٢ هـ . تهذيب التهذيب : ٢٩٧/٣

(٣) لعله عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن فهم ، المترجم في تاريخ بغداد : ٨٦/١٠

(٤) ت ١٩١ هـ . تهذيب التهذيب : ٢٥٣/٦

(٥) ت ١٧٩ هـ . شذرات الذهب : ٢٨٩/١

(٦) وفي رواية الطبري : ٤٨٨/٦ : أن طلقاً قد مات في الطريق .

(٧) محمد بن أحمد ، ت ٣٢٠ هـ . اللباب : ٤٣١/١

(٨) ت ٢٥٩ هـ . شذرات الذهب : ١٣٩/٢

(٩) ت ٢٢٠ هـ . تهذيب التهذيب : ٣٢٤/٢ . وفي الأصل : نافع ، والصواب ماأثبتناه .

(١٠) ابن ربيعة ، ت ٢٠٢ هـ . تهذيب التهذيب : ٤٦١/٤

شوذب[١] قال :

أعظمَ الناسُ أخذَ سعيد بن جبير بمكة ، وكان القسري أخذه فصعد المنبر وهو جانب الكعبة فقال : لو أنَّ أمير المؤمنين كتب اليَّ أن انقض هذا حجراً حجراً - ووضع يده على الكعبة - لنقضتُه حتى أدعه غديراً ترده الإبل .

حدَّثنا الحسن ، ثنا أبو بشر ، ثنا إبراهيم بن يعقوب ، حدَّثني إبراهيم بن موسى[٢] ، ثنا عيسى بن يونس ، ثنا أبي[٣] ، قال : سمعتُ شمر بن عطية[٤] يقول :

لمَّا ثقل الحجاج جعل يقول [٢٥/أ] : مالي ولسعيد بن جبير[٥].

حدَّثنا أبو أحمد السعدي ، ثنا محمد بن جعفر بن أعين[٦] ، ثنا ابن أيوب المقابري[٧] ، ثنا خلف بن خليفة[٨] ، ثنا رجل من الحرس - يعني حرس الحجاج - :

(١) عبد الله ، ت ١٥٦ هـ . شذرات الذهب : ٢٤٠/١

(٢) ت بعد ٢٢٠ هـ . تهذيب التهذيب ١٧١/١

(٣) يونس بن إسحاق ، ت ١٥٩ هـ . شذرات الذهب ٢٤٧/١

(٤) المترجم في تهذيب التهذيب ٣٦٤/٤

(٥) الخبر في الطبري ٤٩١/٦

(٦) ت ٢٩٣ هـ . تاريخ بغداد ١٢٩/٢

(٧) يحيى ، ت ٢٣٣ هـ . شذرات الذهب ٧٩/٢

(٨) ت ١٨١ هـ . شذرات الذهب ٢٩٥/١

أنْ سعيد بن جبير لمّا سقط رأسه إلى الأرض قال : لاإله إلا الله ، ثلاث مرات ، قال مرّتين كلاماً بيّناً ، وقال الثالثة بلسانٍ منكسر(١) .

تواري عمران بن حطان السدوسي(٢)

من الحجاج بن يوسف

سألتُ أبا الحسن الخطابي عن خبره ، وكانتْ تمسّه منه ولادة من قبل بناته ، فكتبه لي بخطه ، وقال فيه :

ذكر بعضُ أهله أنه لما اشتدّ طلبُ الحجاج لعمران ، وأخاف قومه وراءهم بسببه ، فاختلفوا عليه وذكروا له خوف عبد الملك وعمّاله والحجاج وغيره(٣) ، فارق قومه وتنقّل من حيٍّ إلى حيٍّ ، إلى أنْ نزل برَوْح بن زِنباع الجُذامي(٤) ، فبينا رَوْح ذات ليلة في سمر عبد الملك إذْ قال عبد الملك : هل تدرون مَنْ يقول هذا البيت وفيمن قيل :

أكرِمْ بقومٍ بطونُ الطير أقبرهم   لم يخلطوا دينهم بغياً وعدوانا

---

(١) الخبر — مروياً عن خلف بن خليفة — في الطبري ٤٨٩/٦ ونصه فيه : « مرة يفصح بها وفي الثنتين يقول مثل ذلك فلا يفصح بها » .

(٢) ت ٨٤ هـ . وله ترجمة في الأغاني ١٠٩/١٨ — ١٢٠ ، والمؤتلف والمختلف ٩١ ، وتهذيب التهذيب ١٢٧/٨ — ١٢٨ ، وخزانة الأدب ٤٣٦/٢ — ٤٤١

(٣) في الأصل : « وعيره » . ولعل صواب الجملة ، عبد الملك وأعماله والحجاج وغيرهم .

(٤) ت ٨٤ هـ . شذرات الذهب ٩٥/١

هل تدرون مَنْ قاله ؟ وهل أحد منكم يزيدنا عليه أبياتاً ؟ فقالوا : لا ، قال : فمن أتاني بعلم ذلك فله عندي ماسأل بعد(١) ، ألا " يشطط ، فخرج روح حتى أتى منزله فقال لعمران(٢) : ياعبد الله ! هل تدري مَنْ يقول هذا الشعر ؟ وأعاده ، فقال : عمران بن حطان ، وأنشد القصيدة بطولها، فلما غدا رَوْح على عبد الملك أنشده [٢٥/ب] الشعرَ الذي أنشده عمران، فقال له عبد الملك : من أين أصبتَ هذا الشعر ؟ فقال : من ضيفٍ لي مارأيتُ أحْفَظَ منه بشيء قط ، مارويتُ له شيئاً إلا" وسابقني إليه وزادني منه مالا أعرفه ، ورأيتُ نعته ونمته(٣) ، ورأيتُ رجلاً عابداً كثير الصلاة ، واني لأظنه من الحرورية أهل العراق . قال عبد الملك : ياغلام ائتني بطومار الحجاج ، فأتى به ، فإذا رقعة ، فقرأ حليته فإذا حلية عمران، فقال عبد الملك : فانطلقْ فائتني بضيفك وأعلمه أنه آمن ليحدِّثني مجلساً واحداً فلمّا رجع روح إلى منزله قال له : أيها الشيخ ! إنَّ أمير المؤمنين استزارك فَزُرْه ، فقال : مالي وللأمير ؟ قال : إنه قد أحبَّ ذاك ، قال : فَخُذْ لي كتاب أمانٍ بخط يده أسكن إليه ، قال : نعم ، ثم أتى روح عبد الملك فقال : يا [أ] مير المؤمنين ! إنه قد أحبَّ أن يكون معه كتاب أمانٍ بخط يدك وخاتمك ، قال عبد الملك : هذه بعض خدع أهل العراق، ذهبَ الرجل وتركك ، أما أنَّي أراك سترجع ولا تجده .

فانصرف روح إلى منزله ، وقد خرج عمران وخَلَّف في منزله رقعة فيها أبيات شعر ، وهي :

---

(١) كذا في الأصل .

(٢) في الأصل « عمران » ، والسياق يستدعي إضافة اللام .

(٣) كذا في الأصل .

يا رَوْح كم من أخي مثوًى نزلتُ به قد ظنَّ ظنَّك من لخم وغسانِ
حتى إذا خفته زايلتُ منزلــه من بعد ماقيل: عمران بن حطّانِ
قد كنتُ ضيفَك حيناً لايؤرقني فيه طوارقُ من إنس ومن جانِ
حتى أردتَ بيَ العظمى فأوحشني مايوحش الناس منجور ابن مروانِ
[٢٦/أ] فاعذرأخاك ابن زنباع ـ فإنَّ له في الحادثات هنات ذات ألوانِ
يوماً يمانٍ إذا لاقيتُ ذا يمنٍ وإنْ لقيتُ معدّيّاً فعدناني
لو كنتُ مستغفراً يوماً لطاغيــةٍ كنتُ المقدَّمَ في سري وإعلاني
لكن أبتْ ليَ آياتٌ مطهرة[1] عند الولاية[2] في طه وعمرانِ[3]

وسار حتى أتى زفر بن الحارث الكلابي فأقام عنده زماناً وهو ينتسب إلى الأوزاع ـ حيٍّ من اليمن ـ ، وهم أخوال زفر ، وقدم رجل ممَّن كان في ضيافة روح إلى زفر ، فلما رأى عمران عرفه ، فقال له زفر : أتعرف هذا الرجل ؟ قال : نعم ، قال : وأين عرفته ؟ قال : عند روح ابن زنباع ، قــال زفر : فممَّنْ هو ؟ قال رجل من أزد شنوءة ، قال : فإنه قد زعم أنه من الأوزاع . قال : ونظر اليه زفر متعجباً فقال: أزديٌّ مرة وأوزاعي مرة ! لو صدقتنا عن خبرك ! أخْبِرْنا ممَّن أنت ؟ فإنْ كنتَ خائفاً آمنّاك وإنْ كنتَ طريداً آويناك ، قال : فنظر إليه عمران فضحك فقال : إن الله عزَّ وجل هو المؤوي الساتر . وأولعَ

(١) في الأصل : « مقطعة » . وما أثبتناه من الكامل والأغاني والخزانة .
(٢) في الأصل : « عنك الولاه » ، وما أثبتناه من الكامل والخزانة .
(٣) الأبيات وقصتها ـ مع بعض الاختلاف ـ في الكامل ١٦٩/٣ ، والأغاني ١٨/ ١١٠ ، والخزانة ٤٣٨/٢

به فتيان زفر وشبابٌ من بني عامر ، وكان كثير الصلاة ، وكان إذا صلّى يهزأون[١] ويقولون : أخبِرْنا يرحمك الله[٢] ، فلما أكثروا عليه ارتحل عنهم وقال :

إنَّ التي أصبحتْ يعيا[٣] بها زفرٌ ... أعيا عَياها على روح بن زنباعِ
مازال يسألني حولاً لأخبره ... والناس ما بين مخدوع وخدّاعِ
حتى إذا انجذمتْ منّي حبائله ... كَفَّ السؤالَ ولم يولع بإهلاع
فاكففْ كما كفَّ رَوْحٌ إنني رجل ... إمّا صريحٌ وإما فقعة القاعِ[٤]
واكففْ لسانك عن شتمي ومنقصتي ... ماذا تريد إلى شيخٍ لأوزاع[٥]
[٢٦/ب] أكرِمْ بروح بن زنباع وأسرته ... حيّاً إذا مادعاهم للهدى داعِ
جاورتُهم سنةً فيما ذعرتُ[٦] به ... عرضي صحيحٌ ونومي غير تَهْجاعِ
أمّا الصلاة فإني لستُ تاركَها ... كل امرىءٍ بالذي يُعنى به ساعِ
إعملْ فإنّك معنيٌّ[٧] بحادثةٍ ... حسب اللبيب بهذا الشيب من داعِ[٨]

(١) في الأصل ، « يهزلون » ، ولعل الصواب ماأثبتناه .
(٢) كذا في الأصل ، والجملة لاتخلو من تشويش أو سقط .
(٣) في الكامل والأغاني والخزانة « يعيا » .
(٤) في الأصل : « إما صريح وإما بقعة العاع » وما أثبتناه من الأغاني ، ويقال لمن لا أصل له : فقعة القاع .
(٥) في الأصل : « لأوزاعي » ،
(٦) في الأصل : « دعرت » ، وفي الأغاني : « دعوت » .
(٧) في الكامل والأغاني والخزانة : « منعي » .
(٨) في الكامل والأغاني والخزانة : « من ناعي » . وقد وردت الأبيات وقصتها — مع بعض الاختلاف — في الكامل ٣/١٧١ — ١٧٢ ، والأغاني ١٨/١١٣ ، والخزانة ٢/٤٣٩

ثم خرج فنزل بالسراة بحيّ من الأزد يرْونَ رأيه ، فسرّه ما رأى عندهم وقال :

نزلتُ بحمد الله في خير أسرةٍ ... أسَرّ بما فيهم من الانس والخَفَر(١)(٥)
نزلتُ بحيّ يجمع الله شملهم ... فليس لهم عود سوى الحق يُعتَصَر
من الأزد ، إنّ الأزد أكرمُ أسرةٍ ... يمانية يوماً إذا انتسب البشر
فأصبحتُ فيهم آمناً لا كمعشرٍ ... عَدَوْا لي(٢) فقالوا: من ربيعة أو مضر
أو الحي قحطانٍ ، وتلك سفاهةٌ ... كما سالني(٣) رَوْحُ وصاحبه زُفَر
ونحن بنو الإسلام والدين واحدٌ ... وأوْلى عباد الله بالله مَنْ شكر
وما منهمُ(٤) إلاّ يُسَرّ بنسبةٍ ... تقر بني منه وإنْ كان ذا نَفَر

وهذا ما كان من خبره .

حدّثنا أبو الطاهر السدوسي قاضي مصر ، أخبرني محمد بن الحسن بن

(١) في الأصل : « اسرىها من الخفر » وفي الوسط بياض ، وقد أثبتنا نص الأغاني .

(٢) كذا في الأصل ، ولها وجه من الصحة ، وربما كان المقصود « غدوالى » ورواية الأغاني : « بَدَوْني » ، والكامل الخزانة « أتوني » .

(٣) في الأغاني والخزانة : « كما قال لي » .

(٤) في الأصل : « وحامىهم » ، وفي الكامل : « ومامنها » .

(٥) الأبيات وسبب نظمها – عدا الأخير – في الأغاني ١١٤/١٨ وبأجمعها في الكامل ١٧٢/٣ ، والخزانة ٤٣٩/٢

دريد(١) ، ثنا أبو حاتم(٢) ، عن أبي عبيدة(٣) قال :

أطرد الحجاجُ عمرانَ بن حطان ـ وكان ببلاد بكر بن وائل بين الكوفة والبصرة يحرض ولا يشهد القتال ـ فقدم بريد من الشام من عند عبد الملك يريد الحجاج ، فصحبه عمران ببعض الطريق ، فرآه فصيحاً عالماً ، فأعجب البريدَ فقال له : إن لي ناحيةً من الأمير أفلكَ حاجة أكفيكها وأقوم لك بها ؟ قال : نعم ! تبلغه هذا الكتاب ، وأعطاه كتاباً . فلمّا صار إلى الحجاج وقضي حوائجه أخبره خبر الرجل ؛ وقد حملني كتاباً [٢٧/أ] فإذا فيه :

أسدٌ عَلَيَّ وفي الحروب(٤) نعامة فتخاء تفزع من صفير الصافرِ
هلاّ برزتَ إلى غزالة في الوغى بل كان قلبك في جوانح طائرِ
ذعرتْ غزالةُ قلبَه بفوارسٍ تركتْ فوارسَه كأمسِ الغابرِ(٥)

فقال له الحجاج : أتدري مَن هو ؟ قال : لا ولكنّي أعجبني مارأيتُ من طُرَفهِ(٦) ، قال ذاك عمران بن حطان .

(١) ت ٣٢١ هـ . شذرات الذهب ٢/٢٨٩
(٢) هو سهل السجستاني المار الذكر .
(٣) معمر بن المثنى ، ت ٢١٠ هـ . شذرات الذهب ٢/٢٤
(٤) في الأصل : الحروف .
(٥) الأبيات — مع بعض الاختلاف — في الأغاني ١٨/١١٦
(٦) كذا في الأصل ، ولها معنى مقبول ، وربما كان المقصود « ظرفه » .

هرب عون بن عبد الله[1] من الحجاج

ذكر محمود بن محمد الأديب في تاريخه [2] : أن هلال بن العلاء[3] حدثهم ، ثنا سعيد بن سلم بن قتيبة [4] قال :

خرج عون بن عبد الله مع ابن الأشعث [5] ، فطلبه الحجاج ، فهرب إلى محمد بن مروان [6] بالجزيرة ، فأجاره وضمَّ إليه ابنه يزيد ابن محمد يؤدبه ، وسأله عنه بعد حين فقال : إن أتيته [7] حجب وإن

---

(١) عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، ت ١١٠ هـ . له ترجمة في تهذيب التهذيب ٨/١٧١ — ١٧٣ ، وشذرات الذهب ١/١٤٠ ، ووردت شذرات من أخباره في البيان والتبيين ١/٢٣٣ و ٢٦١

(٢) لم نعرف هذا التاريخ ولا مؤلفه ، وتاريخ الرقة المعروف إنما هو تأليف أبي علي محمد بن سعيد القشيري الحراني ؛ الراوي عن هلال بن العلاء أيضاً . انظر تذكرة الحفاظ ٣/٨٤٦ ، وشذرات الذهب ، ٢/٣٧٧ ، وكشف الظنون ١/٢٩٥ . أما تاريخ الجزيرة فقد صنف فيه علي بن علان الحراني المتوفى ٣٥٥ هـ والحسن بن محمد الحراني المتوفى ٣١٨ هـ وغيرهما ممن لم نعرف اسمه ، ويراجع معجم البلدان ٣/٢٤٣

(٣) ت ٢٨٠ هـ . تهذيب التهذيب ١١/٨٤

(٤) ت ٢١٧ هـ . تاريخ خليفة ٢/٧٨٠

(٥) في الأصل : « أبي الأشعث » ، والصواب ما أثبتناه ويعني به عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث ، الثائر ، قتل ٨٤ هـ . شذرات الذهب ١/٩٤

(٦) أمير الجزيرة ، ت ١٠١ هـ . شذرات الذهب ١/١٢١

(٧) في الأصل : « ابنته » ، والتصويب من البيان والتبيين ١/٢٦١

بعدت عنه عتب، وإن عاتبته غضب، وإن جاوبته صخب. ثم ولاه نصيبين، وتزوج بها امرأة، ثم قدم عليه فسأله: كيف نصيبين؟ قال: قليلة الأقارب كثيرة العقارب (١).

هرب بني العباس من بني أمية قبل مصير الأمر اليهم

في كتاب محمود بن محمد الأديب الذي صنّفه في تاريخ أهل الجزيرة: أنّ أبا وهب عبيد الله بن المثنى بن عبيد الله بن عمرو(٢) حدّثه عن أبيه عن جده قال:

أقبل أبو العباس(٣) وأبو جعفر(٤) وعمرومهما(٥) من الحُمَيْمَة يريدون الكوفة فنزلوا بدير القائم غربي الرقة خوفاً من زائدة بن أبي يحي مولى الوليد وهو يومـ[ـئذٍ] يخلف عثمان بن سفيان بن حرب العامري [٢٧/أ] على الرقة، وكان متشدداً على الهاشميين وشيعتهم، فعلم بهم جماعة من أهل الرقة، قال: فدفعوا إليّ صلة وسألوني أن أؤديها إليهم وأعتذر لهم في

(١) النص في البيان والتبيين ١/٢٣٣

(٢) عبيد الله بن عمرو بن أبي الوليد، مفتي الجزيرة، ت ١٨٠ هـ. تذكرة الحفاظ ١/٢٤١

(٣) السفاح، الخليفة، ت ١٣٦ هـ. شذرات الذهب ١/١٩٥

(٤) المنصور، الخليفة، ت ١٥٨ هـ. شذرات الذهب ١/٢٤٤

(٥) كذا في الأصل، ولم أهتد لقراءتها، ولعلها «هروبهما» أو «مسيرهما» أو «ومواليها»

التخلف من تشدّد[1] زائدة وكثرة أنصاره بالرقة وانحرافهم عن بني هاشم، ففعلت، وحذّرتهم أن يعلم بهم أحد، وعرّفتهم أنّ الحزم في سرعة رحيلهم، فسمعتُ أبا جعفر يقول لأبي العباس : إن أفضى الأمر إلينا لم ننتفع بالجزيرة أو نبني إلى جانب الرقة مدينة وأوما إلى موضع الرافقة. فلما استخلف أبو جعفر بناها سنة خمس وخمسين ومائة[2] .

آخره : والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله .

(١) في الأصل : « متشدد » ، ولعل الصواب ماأثبتناه .

(٢) معجم البلدان ٢٠٨/٤

فهرست المراجـــع

١ ـ أساس البلاغة : للزمخشري — القاهرة ١٣٧٢ هـ
٢ ـ الأغاني : للأصبهاني ، جـ ١٨ — القاهرة ١٣٩٠ هـ
٣ ـ الإكمال : لابن ماكولا — الهند ١٣٨١ هـ
٤ ـ أمالي المرتضى — القاهرة ١٣٧٣ هـ
٥ ـ الأنساب : للسمعاني — الهند ١٣٨٥ هـ
٦ ـ البداية والنهاية : لابن كثير الدمشقي — القاهرة ١٣٥١ هـ
٧ ـ البيان والتبيين : للجاحظ — القاهرة ١٣٥١ هـ
٨ ـ تاريخ خليفة — دمشق ١٩٦٨ م
٩ ـ تاريخ الطبري — القاهرة ١٩٦٢ م
١٠ ـ تاريخ الأدب العربي : لبروكلمان ـ الترجمة العربية ـ القاهرة ١٩٦١ م
١١ ـ تاريخ بغداد : للخطيب البغدادي — بيروت طبعة مصورة
١٢ ـ تاريخ التراث العربي : لسزكين ـ الترجمة العربية ـ القاهرة ١٩٧١ م
١٣ ـ تذكرة الحفاظ : للذهبي — بيروت طبعة مصورة
١٤ ـ التصحيف والتحريف : للعسكري — القاهرة ١٣٨٣ هـ
١٥ ـ تهذيب التهذيب : لابن حجر — بيروت طبعة مصورة
١٦ ـ خزانة الأدب : للبغدادي — بيروت طبعة مصورة
١٧ ـ شذرات الذهب : لابن العماد الحنبلي — القاهرة ١٣٥٠ هـ
١٨ ـ طبقات ابن سعد — ليدن ١٣٢١ هـ
١٩ ـ طبقات خليفة — دمشق ١٩٦٧ م

٢٠ ـ طبقات النحويين : للزبيدي — القاهرة ١٣٧٣ هـ
٢١ ـ فوات الوفيات : لابن شاكر الكتبي — القاهرة ١٩٥١ م
٢٢ ـ فهرس مخطوطات الظاهرية ـ قسم التاريخ ـ : ليوسف العش — دمشق ١٣٦٦ هـ
٢٣ ـ الكامل : للمبرد — القاهرة (دار نهضة مصر)
٢٤ ـ كشف الظنون : لحاجي خليفة — تركية ١٣٦٠ هـ
٢٥ ـ اللباب : لابن الأثير — القاهرة ١٣٥٧ هـ
٢٦ ـ لسان العرب : لابن منظور — بيروت ١٩٥٥ م
٢٧ ـ لسان الميزان : لابن حجر — بيروت طبعة مصورة
٢٨ ـ المؤتلف والمختلف : الآمدي — القاهرة ١٣٥٤ هـ
٢٩ ـ مرآة الجنان : لليافعي — بيروت طبعة مصورة
٣٠ ـ المشتبه : للذهبي — القاهرة ١٩٦٢ م
٣١ ـ المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب : لدوزي ـ الترجمة العربية — بغداد ١٣٩١ هـ
٣٢ ـ معجم البلدان : لياقوت — القاهرة ١٣٢٤ هـ
٣٣ ـ المنتظم : لابن الجوزي — الهند ١٣٥٨ هـ
٣٤ ـ الموفقيات : للزبير بن بكار — بغداد ١٩٧٢ م
٣٥ ـ النجوم الزاهرة : لابن تغري بردي — القاهرة طبعة مصورة
٣٦ ـ نور القبس : لليغموري — بيروت ١٩٦٤ م
٣٧ ـ الوافي بالوفيات : للصفدي — طهران طبعة مصورة
٣٨ ـ وفيات الأعيان : لابن خلكان — القاهرة ١٩٤٨ م

أشعار اللصوص وأخبارهم(١)

القسم الثالث

[١٠]

السَّمْهَرِيُّ بنُ بِشْرٍ العُكْلِيُّ

أخبـــاره وأشعاره

جمع وتحقيق
الأستاذ عبد المعين الملوحي

ترجمتـــه :

جاء في مختار الأغاني لابن منظور (ط . دمشق) ٦ : ٩٨ - ١٠٣:
هو السمهري بن بشر بن أويس(٢) بن مالك بن الحارث بن أقيش العكلي ، ويكنى : أبا الديلم ، لقي هو وبهدل ومروان ابنا قرفة الطائيان ، وقرفة أمهما ، وأبوهما حبان الطائي ، عونَ بن جعفر بن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ابن لأي بن غالب ، ومعه عدة من أعوانه ، خاله أحدُ بني حارثة بن

---

(١) نشر القسم الأول من هذا البحث في ج٢ م ٤٩ .

(٢) وورد أقيش

لأم من طيىء ، بالثعلبية صادراً ، وهو يريد الحج أو يريد المدينة ، فقالوا له : العُراضة (١) ، أي : مُر لنا بشيء ، فقال : يا غلام جفّن (٢) لهم ، فقالوا : لا والله ما الطعامَ نريد ، فقال : عرِّضهم (٣) ، فقالوا : ولا ذاك نريد ، وعلم أنهم لصوص ، فارتاب بهم ، وأخذ السيف فشدّ عليهم وهو صائم ، وكان بهدل لا يسقط له سهم ، فرمى عوناً فأقصده ، فلما قتلوه ندموا فهربوا ولم يأخذوا إبله ، فتفرقت فنجا خاله الطائي ، إما عرفوه وكفّوا عن قتله ، وإما هرب . ولم يُعرف القتلة ، فوجُد بعض إبله في يدي شافع بن واتر الأسدي . وبلغ عبد الملك بن مروان الخبر ، فكتب إلى الحجاج بن يوسف ، وهو عامله على العراق ، وإلى هشام بن إسماعيل ، وهو عامله على المدينة ، وإلى عامل اليمامة : أن يبالغوا في طلب قتلة عون ، وأن يجعلوا لمن دلّ عليهم جعالة (٤) ، وانشام (٥) السمهري في بلاد غطفان ما شاء الله .

سجنه :

ثم مرّ بنخل ، فقالت عجوز من بني فزارة : أظن والله هذا العكلي الذي قتل عوناً ، فوثبوا عليه فأخذوه ، ومرّ أيوب بن سلمة المخزومي بهم ، فقالت له بنو فزارة : هذا العكلي الذي قتل عوناً ابن عمك

(١) العراضة : الهدية يقدمها القادم من السفر .
(٢) جفن لهم : ضع لهم جفان الطعام .
(٣) أي أعطهم شيئاً
(٤) جعالة : مكافأة
(٥) انحاز ودخل .

فأخذه منهم ، فأتى به هشام بن إسماعيل المخزومي عاملَ عبد الملك على المدينة فجحد ولم يقرْ ، فحبسه .

هربه من السجن :

فألحوا على بهدل في الطلب ، وضيقوا على السمهري في القيود والسجن ، بالمدينة فأيقن السمهري أنه غير ناجٍ ، فجعل يلتمس الخروج من السجن ، فلما كان يوم جمعة ، والإمام يخطب ، وقد شغل الناس بالصلاة كسر إحدى حلقتي القيد ، ثم رمى بنفسه من فوق السجن ، والناس في صلاتهم ، فقصد الحرة ، فولج غاراً في الحرة ، وانصرف الإمام من الصلاة فخاف أهل المدينة عامتهم اتباعه . وغلقوا أبوابهم . وقال لهم الأمير : اتبعوه . فقالوا : وكيف نتبعه وحدنا ؟ فقال لهم : أنتم ألفا رجل ، فكيف تكونون وحدكم ؟!

فقالوا : أرسل معنا الأبليين ، وهم حرس وأعوان من الابلة . فلما أمسى كسر الحلقة الأخرى ، [ثم همس(١) ليلته طلقا] وأصبح وقد قطع أرضاً بعيدة ، فبينما هو يمشي إذ نعب غراب عن شماله فتطير ، فإذا بالغراب على شجرة بانٍ ينشنش ريشه ويلقيه ، فاعتاف شيئاً في نفسه ، فمضى وفيها ما فيها ، فاذا هو قد لقي راعياً في وجهه ذلك ، فسأله : من أنت ؟فقال: رجل من لهب أنتجع أهلي ، فقص عليه حاله ، وخبره عن الغراب والشجرة . فقال اللهبي : هذا الذي فعل ما فعل ، ورأى الغراب على البانة يطرح ريشه ، سيصلب ، فقال السمهري : بفيك الحجر . فقال اللهبي : بفيك أنت الحجر(٢) ، استخبرتني فأخبرتك ، ثم تغضب . فمضى حتى أتى أرض بني عذرة

(١) همس : بلافتور

(٢) لاحظ تقارب الروايات في القبض على اللصوص .

ابن سعد يستجير القوم فجاء إلى القوم متنكراً ، ويستحلب الرعيان اللبن فيحلبون له ، ولقيه عبد الله الأحدب بن بغيض السعدي ، أحد بني مخزوم ، من بني عبد شمس ، وكان أشد منه وألص ، فجنى جناية فطلب ، فترك بلاد بني تميم ، ولحق ببلاد قضاعة وهو على نجيبة لأتُسَايَر(١) ، فبينا السمهري يماشي راعياً لبني عذرة ، ويحدثه عن خيار إبلهم ويسأله السمهري عن ذلك ، وإنما يريد أنه يستدله على أنجاهن(٢) ليركبها فيهرب بها ، لئلا يفارق الأحدب ، فأشار له إلى ناقة ، فقال السمهري : هذه خير من التي تفضلها ، هذه لا تُجارى ، فتحين الغفلة ، فلما غفل وثب عليها ثم صاح بها ، فخرجت تطير به ، وذلك في آخر الليل فلما أصبحوا فقدوها وفقدوه فطلبوه في الأثر .

وخرجا حتى استقبلتها سعة وهي أوسع من الطريق ، فظنا أن الطريق فيها ، فسارا ملياً ، فلما عرفا أنهما جائران(٣) والتقت الجبال أمامها ، ووجد الطلبُ أثر بعيريها ورأوه قد سلك النقب في غير الطريق ، عرفوا أنه سيرجع فقعدوا له بفم النقب ، ثم كرا راجعين ، وجاءت الناقة وعلى رأسها مثل الكوكب من لُغامها وأبصر القوم ، فهم أن يعقر ناقتهم ، فقال له الأحدب : ما هذا جزاؤها . فنزل ونزل الأحدب ، فقاتلها القوم حتى كادوا يغشون السمهري فهتف بالأحدب ، فطرد عنه القوم حتى توقلا في الجبل ، وفي ذلك يقول الأحدب :

---

(١) لاتساير : لاتلحق

(٢) أسرعهن .

(٣) جار عن الطريق : ضل .

لما دعـاني السمهري أجبته بأبيض من ماء الحديد صقيلِ
وما كنت ما اشتدت على السيف قبضتي
لأسـلم من حب الحيـاة زميلي

القبض عليه مرة ثانية :

فرجع إلى صحراء منعج ، وهي إلى جنب أضاخ ، والحلة قريب منها ، وفيها منازل عُكل ، فكان يتردد ولا يقرب الحلة ، وقد كان أكثر الجعل فيه ، فمر بابني فائد بن حبيب ، من بني أسد ، ثم من بني فقعس ، فقال : أجيرا متنكراً فحلبا له فشرب ، ومضى ولا يعرفانه ، وذهبا هما ، ثم لبث السمهري ساعة وكر راجعاً ، فتحدث إلى أخت ابني فائد ، فوجداه منبطحاً على بطنه يحدثها ، فنظر أحدهما إلى ساقه مكدحة(١) وإذا كدوح طرية . فأخبر بذلك أخاه ، فنظر فرأى ما أخبره به أخوه ، فقال أحدهما : هذا والله السمهري الذي جُعل فيه ما جُعل ، فوثبا عليه ، فقعد أحدهما على ظهره ، وأخذ الآخر برجليه ، فوثب السمهري فألقى الذي على ظهره تحت إبطه ، وعاجل الآخر ، فجعل رأسه تحت إبطه أيضاً ، وجعل الرجلان يعالجانه ، فناديا أختهما أن تعينهما ، فقالت : لي الشرك في جعلكما ؟ قالا : نعم . فجاءت بجرير فجعلته في عنقه بأنشوطة ، ثم جذبته حتى رنحته ، وهو مشغول بالرجلين عنهما ، فلما استحكمت العقدة ، خلى عنهما ، وشد أحدهما ، فجاء بحبل فألقاه في رجله ، وهو يداور الآخر . والأخرى تخنقه . فخر لوجهه فربطاه ، ثم انطلقا به إلى عثمان بن حيان المري ، أمير المدينة وأخذا ما جُعل لأخذه .

(١) مكدحة : فيها خدوش من آثار القيد .

قتــــله :

فكتب فيه إلى الخليفة ، فكتب أن أدفعه إلى ابن أخي عون ، فدفع إليه ، فقال له السمهري أتقتلني وأنت لا تدري أقاتلُ عمك أنا ، أم لا ؟ أدنُ أخبرك ، فأراد الدنو منه فنودي : إياك والكلبَ . وإنما أراد أن يقطع أنفه ، فقتله .

مصير رفيقيه بهدل ومروان :

وأما بهدل ومروان فإن طيئاً أخذت بها أسداً فقالوا : إن حبسنا لم نقدر عليها ونحن محبوسون ، ولكن خلوا عنا حتى [نتحسس(٢) عنها] فنأتيكم بها وكانا قد تأبدا مع الوحش ، يرميان الصيد ، فهو رزقها ، فلما طال ذلك على مروان ، هبط إلى راعٍ فتحدث إليه فسقاه وبسطه حتى عرفه ولم يخبره أنه عرفه ، فجعل يأتيه بين الأيام فلا ينكره ، حتى إذا جاء مروان إليه كما كان يفعل سقاه وحدثه فلم يشعر حتى أطافوا به فأخذوه ، فأتوا به عثمان بن حيان أيضاً فأعطى الذي دل جُعله وقتله .

وأما بهدل فإنه كان يأوي إلى هضبة سلمى ، فبلغ ذلك سيداً من سلمى فقال : قد أخيفت طيىء ، وشردت من أجل هذا الفاسق الهارب، فجاء حتى حل بأهله أسفل تلك الهضبة . ومعه أهلات(١) من قومه ، فقال لهم : إنكم بعيني الخبيث فإذا كان النهار فليخرج الرجال من البيوت ، وليخلوا النساء ، فإنه إذا رأى ذلك انحدر إلى القباب ، وطلب الحاجة ، فكانوا يخلون الرجال نهاراً ، فإذا أظلموا ثابوا إلى رحالهم أياماً ، فظن

---

(١) نبحث :

(٢) جماعة .

بهدل أنهم يفعلون ذلك لشغل نابهم فانحدر إلى قبة السيد ، وقد أمر النساء : إذا انحدر إليكن رجل فإنه ابن عمكن فأطعمنه وادهن رأسه . وفي قبة السيد بنتان له ، فسألها : من أنتما ، فأخبرتاه وأطعمتاه ، ثم انصرف ، فلما راح أبوهما أخبرتاه ، فقال : أحسنتما إلى ابن عمكما ، فجعل ينحدر إليهما حتى اطمأن ، وغسلتا رأسه ، ودهنتاه ، فقال الشيخ لابنتيه : افلياه إذا أتاكما هذه المرة ، واعقدا خُصل لمته إذا نعس رويداً بحمل القطيفة ، ثم إذا شددتما عليه ذلك فاقلبا القطيفة على وجهه وخذا أنتما بشعره من ورائه فمدا به إليكما ، ففعلتا ، وشدوا عليه فربطوه ، فدفعه إلى عثمان ابن حيان فقتله ، فقالت ابنة بهدل ترثيه .

فيا ضيعة الفتيان إذ يعتلُونه ببطن الشرى مثل الفنيق المُسدم
دعا دعوة لما أتى أرض مالك ومن لا يُجب عند الحفيظة يكلم
فَيَقتُل جبراً في فتى لم يكن له بواءً (١) ولكن لا تكايل بالدم

أي : لا يكون الدم مثل الدم في الكثرة ، والقلة . وجبر هذا : هو الذي أخذ بهدلاً وحمله إلى السلطان حتى قتل ، وهو جبر بن عبيد من بني مالك بن نبهان .

ويورد صاحب الأغاني بعد ذلك أخبار رثاء ابن دارة للسمهري ، وأخذ أخيه مالك لثأره من قتلة السمهري في شعر كثير وحوادث مفصلة ، يرجع إليها من يشاء .

(١) البواء : الكفء

أشعاره

— ١ —

قال ، وهو سجين (*) :

١ ـ فَمَنْ مُبْلِغٌ عني خليليَ مالِكاً رسالَةَ مشدودِ الوَثاقِ غريبِ
٢ ـ ومَنْ مُبْلَغٌ حزْماً وتَيْماً ومالِكاً وأربابَ حامي الجفرِ رهطَ شبيبِ
٣ ـ لِيَبْلوا التي قالتْ بصحراءِ مَنْعجٍ لي الشِّرْكُ يا ابنيْ فائدِ بن حبيبِ
٤ ـ لتضربَ في لَحْمي بسهمٍ ، ولم يَكُنْ لهـا في سهـامِ المسلمينَ نصيبُ

(*) التخريج : الأغاني (ساسي) ٢١ : ٥٤

١ و ٢ — مالك وحزم وتيم : أصدقاؤه .

الجفر ، في معجم ما استعجم : مفتوح الأول ، ساكن الثاني موضعان ، أحدهما في رسم جفاف ، والثاني في رسم جنفاء .

٣ — منعج ، بكسر العين : واد في رسم ضرية وخزاز حيث قبض على السمهري .

ابنا فائد بن حبيب : الرجلان اللذان قبضا عليه وأسلماه مع أختهما التي عاونتها لقاء اشتراكها في الجعل عند القبض عليه .

ومعنى الأبيات : يشير إلى حادثة القبض عليه ، وقد اشتركت فيها أخت ابني فائد مع أخويها ، فهو يستصرخ في السجن أصدقاءه للانتقام له منها ، فقد أرادت أن تأكل من لحمه ، وليس لها حق في لحوم المسلمين .

— ٢ —

قال (*)

١ ـ لَقَدْ جَمَعَ الحَدَّادُ بَيْنَ عِصابَةٍ تَساءَلُ في الأَسْجانِ : ماذا ذُنُوبُها؟
٢ ـ مُقَرَّنَةُ الأَقْدامِ في السِّجْنِ تَشْتَكي
ظَنابِيبَ قَدْ أَمْسَتْ مُبيناً عُلُوبُها
٣ ـ بِمَنْزِلَةٍ أَمَّا اللئيمُ فَآمِنٌ بِها ، وكِرامُ القَومِ بادٍ شُحُوبُها

(*) تخريج الأبيات :
الأبيات السبعة ماعدا الخامس في الوحشيات : ٢٢٢
وفي الأغاني ٢١ : ٥٤ (بولاق) وفي الخالديين : ٢٢٩
والأبيات ١ و ٣ و ٤ في مجموعة المعاني ١٣٨ - ١٣٩
وزادت بيتاً تفردت به وهو الخامس .
١ - الحداد : السجان ، وروي تساءل في الأقياد .
٢ - الظنابيب : جمع ظنبوب : حرف العظم اليابس من الساق .
وفي الوحشيات : الظنانيب ، وهو تصحيف أو خطأ مطبعي .
العلوب : ج علب : أثر الضرب ، والجمع علوب . يقال ذلك في أثر الميسم وغيره .

ومعنى الأبيات : جمع السجن فئات شتى من الناس ، تتساءل ماذا جنت حتى تسجن ، وقد قرنوا أرجل المساجين بعضها ببعض ، حتى اشتكت عظام الأقدام ، وظهرت عليها آثار القيود .

ان هذا السجن يأمنه اللئيم أن يدخله ، أما الرجال الكرام فهو مأواهم .

٤ ـ إذا حَرَسِيٌّ قَعْقَعَ البــابَ أُرْعِدَتْ
فرائِصُ أقْوام ، وطــارَتْ قُلوبُهــا

٥ ـ نَرى البابَ ، لا نسطيعُ شَيْئاً وَراءَهُ
كَأَنَّا قُنِيٌّ أَسْلَمَتْهــا كُعُوبُهــا

٦ ـ ألا لَيْتَني مِنْ غَيْرِ عُكْلٍ قَبيلَتي
وَلَمْ أَدْرِ ما شُبَّانُ عُكْلٍ وشِيبُهــا

٧ ـ قُبَيِّلَةٌ لا يَقْرَعُ البــابَ وَفْدُهــا
بِخَيْرٍ ولا يَــأْتِي السَّدادَ خَطيبُهــا

٨ ـ فَــإنْ تَكُ عُكْلٌ سَرَّهــا ما أَصابَني
فَقَدْ كُنْتُ مَصْبُوباً عَلى مَنْ يَرِيبُهــا

---

٤ – الحرسي : الحارس والسجان .

٥ – القني : ج قناة . الكعوب : ج كعب وهو عقدة ما بين الأنبوبين من القصب والقنا .

ومعنى البيتين : إذا حرّك السجان الباب سرت فينا رعدة ، وطارت قلوبنا خوفاً ، ونحن ننظر إلى الباب في حسرة ، فلسنا نستطيع أن نتجاوزه ولا نستطيع أن نفعل شيئاً وراءه ، فكأنا قناة قد تكسرت الأنابيب التي تجمع بين عقدها ، فهي عاجزة جوفاء .

٧ – في الأغاني : ولا يهدي الصواب خطيبها .

ومعنى الأبيات : ينعي السمهري على قبيلته عكل خذلانها له ، وإسلامها إياه ، فليت له بقبيلته قبيلة تنصره ، فقبيلته لا تفعل الخير ولا تهتدي إلى صواب ، ولئن سرها ما أصابني من أسر وقيد وتهديد بالقتل فطالما دافعت عنها ورددت كيد أعدائها .

- ٣ -

وقال (*) :

١ - تَمَنَّتْ سُلَيْمى أَنْ أُقيم بأَرْضِها
وأَنَّى ، لِسَلمى ، - ويْبَها - ما تَمَنَّتِ

٢ - أَلا ليتَ شِعري ! هَلْ أَزُورَنَّ ساجِراً
وقد رَوِيَتْ ماءَ الغوادي وعَلَّتِ

٣ - بني أَسدٍ هل فيكُم من هَوادَة
فَتعفوا، لَوآن كانَتْ بِيَ النَّعْلُ زَلَّتِ

(*) التخريج : البيتان ١ و ٢ في معجم البلدان (ساجر) للشاعر . والثلاثة في الأغاني (بيروت) ٢٦٤

الويب : كلمة مثل ويل . ويباً لهذا الأمر : عجباً له .

الغوادي : ج : غادية : السحابة الممطرة .

١ و ٢ - ساجر في المعجم : ماء في بلاد بني ضبة وعكل ، وهما جيران .

ومعنى البيتين : تمنت سليمى أن أبقى معها في أرضها ، وأنى لها أن أحقق لها ما تمنت ، ويحها ألا تدري أني أضرب في الآفاق طلباً للرزق ولست غنياً لأقيم في دارنا كما يقيم الأغنياء في ديارهم .

ليت شعري ! متى أزور أرض بلادي وقد روتها السحب ، وأخصبت .

٣ - يرقق بني أسد عليه ، لعلهم يعفون عنه .

ثم جاء في الأغاني : وبنو تميم تزعم أن هذا البيت لمرة بن محكان السعدي ، وروي في المطبوع من الأغاني (ساسي) فتغفروا إن كانت ...

— ٤ —

وقال يذكر سجنه في اليمامة (*) :

١ ـ كانَتْ منازِلُنـــا الَّتي كُنَّـــا بِـها
شَـتَّى ، فَـــأَلَّـفَ بَيْنَنَـــا دوَّارُ

— ٥ —

وقال (*) :

١ ـ ألا أيُّها البيتُ الذي أنا هاجِرُهُ فلا البيتُ مَنْسِيٌّ، ولا أنا زائِرُهُ
٢ ـ ألا طَرَقَتْ ليلىٰ ، ورِجْلي رَهينةٌ
بأَشْهَـبَ مَشْدودٍ عَـــلَيَّ مســـامِرُهْ

تخريج البيت : لم أجد غير هذا البيت فيما راجعت من مصـادر ، ووجدته في معجم ما استعجم . قال : دوار : مفتوح الأول ، وهو اسم سجن في اليمامة ، وكذلك قال ياقوت ، ولم يورد هـذا البيت ، وأورد أبياتاً كثيرة للصوص آخرين يشتكون فيها هذا السجن الرهيب .

ومعنى البيت :

كانت منازلنا مختلفـة متفرقة ، فجمـع ســجن دوار بيننا ، فنحن فيه من كل قبيلة ، ومن كل أرض .

(*) التخريج : الأغاني (ساسي) ٢١ : ٥٣ (بيروت) ٢١ : ٢٦٣
ومعنى الأبيات : ورد هذا المعنى مراراً في شعره ، ووردت الألفاظ نفسها مكرورة .

٣ ـ فإنْ أنْـجُ يا لَيْلىٰ ، فَرُبَّ فتىً نَجَا
وإنْ تَكُنِ الأُخرىٰ ، فَشَيءٌ أحاذِرُهْ

٥ ـ وما أَصْدَقَ الطيرَ التي بَرَحتْ بنـا
ومـا أعْيَفَ اللِّهْبِي ، لا عَزَّ ناصِرهْ

٦ ـ رأيتُ غُراباً ساقطـاً فوقَ بانةٍ
يُنَشْنِشُ أعْـلى ريشهِ ويُطـايِرُهْ

٧ ـ فقـالَ : غُرابٌ باغترابٍ مِنَ النَّوىٰ
وبانٌ ببَيْنٍ مِنْ حَبيبٍ تُحـاذِرُهْ

٨ ـ فكانَ اغترابٌ بالغُرابِ ونِيَّـةٌ
وبالبـانِ بَيْنٌ بَيِّنٌ لَكَ طـائِرُهْ

يا بيت الحبيبة ، أنا أهجرك ، لا أني أنساك ، ولكني لا أستطيع زيارتك . لقد زارني طيف ليلى وأنا في السجن ، والقيود تثقل رجلي ، وأنا أمام الموت ، فإما أن أنجو ، وقد ينجو الفتى من المهالك ، وإما أن أموت ، ولا مفرّ من الموت رغم كل حذر .

(٣) الأخرى : يريد القتل أو البقاء في السجن

٥ و ٨ – برحت : بفتح الراء مرت عن اليمين ، وهي البارح .

ينشنش : ينتف .

النية : الرحلة والسفر .

ومعنى الأبيات واضح .

- ٦ -

وقال (*) :

١ - نَجَوْتُ ، ونَفْسي عنــدَ ليلىٰ رَهِينَةٌ
وَقَدْ عَمَّني داجٍ ، من الليــلِ ، دامِسُ

٢ - وغامَسْتُ عَنْ نفسي بأَخلَقَ مقْصِلٍ
ولا خيرَ في نفسِ امرئٍ لا تغــامِسُ

٣ - ولَوْ أَنَّ ليلىٰ أَبْصَرَتْنِيَ غُدْوَةً
وَصَحْبِيَ ، والصَّفَ الذينَ أُمــارِسُ

٤ - إِذَنْ لَبَكَتْ لَيْلىٰ عَلَيَّ ، وَأَعْوَلَتْ
وما نالتِ الثَّوْبَ الّذي أنــا لابِسُ

(*) التخريج : في الحماسة الشجرية (تحقيقنا) ص : ١٤٢ ، وذكر ابن الشجري السمهري العكلي ، وقال : وهو من اللصوص . وفي الأغاني (بيروت) ٢١ : ٢٦١

١ - في بعض النسخ : غمني . بالغين المعجمة .

٣ - في الأغاني : ومطواي .

ومعنى الأبيات : نجوت من السجن في ليل داج ، ولكن نفسي ما تزال رهينة عند ليلى ودافعت عن نفسي بسيفي ، ولا خير فيمن لا يدافع عن نفسه ، ولو رأتني ليلى وما أكابد من أهوال ، وما أعالج من حراس وأقفال لبكت علي ولم تستطع أن تنال ثوبي ، وتحتفظ به من أثري .

وقال يرثي نفسه (*) :

- ٧ -

١ ـ ألا طَرَقَتْ لَيْلىٰ ، وسـاقي رَهِينَةٌ
بأسمرَ ، مَشْدودٍ ، عَـلَيَّ ثقيلِ

٢ ـ فما البينُ يا سلمىٰ بأنْ تشحطَ النَّوى
ولكنَّ بَيْناً مـا يريـدُ عَقِيلُ

٣ ـ فانْ أنْجُ مِنْها ، أنْجُ منْ ذي عَظيمةٍ
وإن تكنِ الأُخْرىٰ ، فتلكَ سَبيـلُ

٤ ـ وما كُنْتُ مِحياراً ، ولا فَزِعَ السُّرىٰ
ولكنْ حذا حُجْراً بغير دليـلِ

(*) التخريج : وردت الأبيات الثلاثة في الأغاني (ساسى) ٢١ : ٥٤ وورد البيت الرابع فيها ٢١ : ٥٢ ، ويظهر أنها من قصيدة واحدة أو من قصيدتين ففي الأبيات بيتان فيها إقواء .

١ ـ الأسمر يريد القيد . ٢ ـ تشحط : تبعد .

٣ ـ محياراً : كثير الحيرة والتردد .

٤ ـ حجر : بفتح الحاء : مدينة باليمامة وبضمها : قرية باليمن .

ومعنى الأبيات : زارتني ليلى في نومي فلم أستطع السير إليها ، لأنني موثق بالقيود الثقيلة .

يا ليلى ! ليس بعدنا ، ونحن حيان ، بالبعد ولكن البعد أن يفرق بيننا الموت .

- ٨ -

وقال أيضاً وهو طريد (*) :

١ ـ فلا تَيْأَسا من رَحْمَــةِ اللهِ وانظُرا
بوادي جَبُونــا أنْ تَهُبَّ شَمــالُ

٢ ـ ولا تَيْأَسا أنْ تُرْزَقا أرْحَبِيَّةً
كَعينَ المَهــا أعْنَاقُهُنَّ طِــوالُ

٣ ـ من الحارِثيينَ ، الذينَ دِمــاؤهُم
حَرامٌ ، وأمَّــا مالُهُمْ فَحَــلَالُ

فإن أنج منه فقد نجوت من أمر عظيم ، وإن قتلت فسبيل الموت طريق الناس جميعاً .

لم أكن في حياتي متردّداً أخاف الأهوال ولكني كنت أقطع الفيافي دون دليل فضللت .

(*) التخريج : الأغاني (ساسي) ٢١ : ٥٣ (بيروت) ٢١ : ٢٦٥ — ٢٦٦

١و٢و٣ - جبونا : لم أجدها في البلدان ولا في معجم ما استعجم ، ووجدت جبوب . ولعله جبوب بدر أو حصن باليمن . الأرحبية : الإبل التي تنتسب لقبيلة أرحب ، أو إلى فحل بعينه .

لعله في الأبيات يخاطب صديقيه المتشردين بهدلاً ومروان يدعوهما إلى الثقة برحمة الله ، وبكرم بني الحارث .

- ٩ -

وقال (*) :

١ ـ أعاذلُ! بَكِّيني لأضيافِ لَيْلةٍ تَزورِ القِرى، أمْسَتْ، بليلاً شمالُها

٢ ـ أعامرُ مهلاً لا تَلُمْني، ولا تَكُنْ خَفِيًّا إذا الخيراتُ عُدَّتْ رِجالُها

٣ ـ أرى إبلي تَجزي مَجازي هَجْمَةٍ
كَثيرٍ، وإن كانَتْ قليلاً إفالُها

(*) التخريج : الأبيات في الحماسة (شرح المرزوقي) ص : ١٧٠٧ـ ١٧٠٩ ورقمها : ٧٥٤ ، وفيها وقال آخر . وقال التبريزي : وقال العكلي : وذكر الأبيات .

١ ـ ورد في التبريزي في شرح البيت مختصراً : أكثري البكاء من أجل أضياف ليلة قليلة القرى ، لإمساك الناس عن الإنفاق .. وقد أمست ريح الشمال فيها ذات بلل وبرد .

٢ ـ في التبريزي مختصراً : جمع على نفسه لائمة ولائماً ، فيقول : يا عامر ! رفقاً في عتبك علي ، ولومك إياي ، واقتد بي في طلب السمو والاعتلاء على الأقران ، وفعل الخيرات .

٣ ـ الهجمة : القطعة من الإبل بين الستين إلى المائة . الإفال : ج أفيل : صغار الإبل .

ومعنى البيت : إن إبلي قليلة ، مفجعة بأولادها ، ومع ذلك فهي تغني غناء الإبل الكثيرة عند بخيل لا يصرفها إلى الحقوق والضيفان .

٤ ـ مثاكيلُ ، مـــا تَنْفَكُّ أرْحلَ جُمَّةٍ
تُرَدُّ عليهـــمْ نوقُهـــا وجِمالُهـــا

- ١٠ -

قال (*) :

---

٤ - مثاكيل : ج مثكال ، التي تثكل أولادها . جمة : الجماعة من الناس .

ومعنى البيت : إن إبلي لا يعيش أولادها إلا ريثما تنمو للأضياف، وهي مازالت مثوى الجماعة الكثيرة من الناس ، تصرف إليهم إناثها للحلب واللبن ، وذكورها للنحر واللحم .

(*) التخريج : الأبيات ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ١١ - ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥ في الأغاني (ساسي) ٢١ : ٥٤ ، ومختار الأغاني لابن منظور ٦ : ١٠١ — ١٠٢

والبيتان ٦ - ٧ في الأمالي ١ : ٤٤ ، والسمط ١٧٨ ، والحماسة الشجرية : ٦٧٣ - ٦٧٤ ، ونسبت تصحيفاً للنمري ، والبيتان ١١ - ١٢ في مجموعة المعاني : ١٣٩

والأبيات ٨ - ٩ - ١٠ في معجم البلدان (الغريان) و (بيشة) وزادت الحماسة في التخريج : التشبيهات : ١٠٧ - الحماسة البصرية ٢ : ١٦٠ ومنتهى الطلب : ١٥٤ كما زاد السمط الخزانة ٣ : ٤٨٣ ، والبيت ٧ في قواعد الشعر لثعلب : ١٦

١ ـ ألا حَيِّ لَيْلَى ، إذْ أَلَمَّ لِمامُها وكانَ مَعَ القَومِ الأعادي كَلامُها
٢ ـ تَعَلَّلْ بلَيْلَى ، إنَّما أنْتَ هامَةٌ من الغَدِ ، يَدنو كُلَّ يَوْمٍ حِمامُها
٣ ـ وبادِرْ بلَيْلَى أوبةَ الرَّكْبِ ، إنَّهُمْ
مَتى يَرْجِعوا يَحْرُمْ عَليكَ لِمامُها
٤ ـ وَكَيْفَ تُرَجِّيها ، وَقَدْ حِيلَ دونَها
وأَقْسَمَ أَقْوامٌ مَخُوفٌ قَسامُها
٥ ـ لَأَجْتَنِبَنْها أَوْ لَيَبْتَدِرُنَّني
بِبِيضٍ ، عليها الأَثْرُ ، فُقْمٌ كِلامُها

---

١ ـ اللمام : الزيارة في الأحايين .

ومعنى الأبيات : ألمت بك ليلى ، في سجنك ، وتوسلت إلى الحراس من أعدائك ، لتستطيع مقابلتك ، فحيها وتعلل بها حيناً فأنت غداً ميت ، وعجل لقاءها قبل أن يعود الركب فلا تراك ولا تراها .

٤ ـ القسام من القسم : والقسامة اليمين .

٥ ـ الأثر : في السيف فرنده ورونقه . الفقم : الواسعة . الكلام : الجروح .

ومعنى البيتين : وكيف ترجي لقاءها وبينك وبينها أقوام أقسموا ، وقسمهم مخيف ، لأتركنها أو ليقتلنني بسيوف عليها آثار الضراب ، جراحها واسعة قاتلة .

٦ ـ وبَيْضاءَ ، مِكسالٍ ، لَعوبٍ ، خَريدةٍ
لذيذٍ ، لَدى ليلِ التَّمامِ ، شِمامُها
٧ ـ كأَنَّ وميضَ البَرْقِ ؛ بَيْني وبَيْنَها
إذا حانَ ، مِنْ خَلْفِ الحِجابِ ، ٱبتسامُها
٨ ـ ونُبِّئْتُ لَيلى بالغَرِيَّيْنِ سَلَّمتْ
عَلَيَّ ودوني طَخْفَةٌ ورِجامُها
٩ ـ فإنَّ التي أَهْدَتْ ، عَلى نَأْيِ دارِها ،
سَلاماً ، لَمَرْدُودٌ عَلَيْها سَلامُها
١٠ ـ عديدَ الحَصى والأثْلِ مِن بَطْنِ بيشةٍ
وطَرْفائِها ، ما دامَ فيها حَمامُها

٦و٧ ـ معنى البيتين : ليلى فتاة بيضاء ، مترفة ، لعوب ، يلذ شمها وضمها في الليالي المقمرة ، كأن بسمتها وراء الحجاب ، وميض البرق .

٨ ـ الغريان : مثنى الغري ، وهو المطلي ، والغريان بناءان كالصومعتين.

٩ ـ طخفة : في معجم البلدان ، مكان في البصرة إلى مكة .

١٠ ـ بيشة : قرية غناء في واد كثير الأهل من بلاد اليمن ، وفي وادي بيشة موضع مشجر كثير الأسد .

ومعنى الأبيات : علمت أن ليلى ، وهي قاطنة في الغريين ، سلمت علي وبيني وبينها طخفة وأحجارها ، فعليها سلامي مكروراً ، عدد الحصى وأشجار الأثل والطرفاء في وادي بيشة ، وقد غنت حمائمه على الأغصان.

١١ ـ لَقَدْ طَرَقَتْ ليلىٰ ، ورِجْلي رهينةٌ
فما راعَني ، في السِّجْنِ ، إلا سَلامُهـا

١٢ ـ فَلَمَّا ارتفقتُ للخيـالِ الّذي سَرىٰ
إذِ الأرْضُ قَفْرٌ ، قَدْ عَلاهـا قَتامُها

١٣ ـ فإلا تَكُنْ لَيْلىٰ طَوَتْكَ فَـإنَّهُ
شبيـهٌ بِليلىٰ حُسْنُها وقَوامُهـا

١٤ ـ ألا لَيْتَنـا نَحْيا جَميعـاً بِغِبْطَةٍ
وتَبْلىٰ عِظامي ، حِينَ تَبْلىٰ عِظامُهـا

١٥ ـ لذلكَ ما كانَ المحِبُّونَ قَبْلَنـا
إذا ماتَ مَوْتـاهـا تَزَاوَرُ هامُهـا

١١و١٢و١٣ — ارتفق : اتكأ على مرفقه أو على وسادة .

معنى الأبيات : زارتني ليلى ، وأنا في السجن ، ففاجأني سلامها علي ، وانتبهت وحاولت القيام لتحيتها ، فإذا هي حلم ، وإذا السجن مظلم ، وإذا الأرض يغطيها الليل . لعمري لئن لم تكن ليلى هي التي زارتني وضمتني ، فإن من زارتني تشبهها في جمالها وقوامها .

١٤و١٥ — ومعنى البيتين : ليتني أنجو من الموت ، وأحيا مع ليلى في سرور وغبطة ، فإذا متنا متنا في يوم واحد . فأما إذا مت قبلها فلها علي أن تزورها هامتي في قبري ، وكذلك كان المحبون قبلنا يتزاورون بعد الموت .

- ١١ -

وقال (*) :

١ ـ أقولُ لأدْنى صـــاحِبَيَّ نَصِيحةً
وللأسْمَرِ المِغْوارِ : مـا تَرَيانِ ؟!!

٢ ـ فقالَ الذي أبدى لي النُّصْحَ مِنهما :
أرى الرأيَ أنْ تَجتـــازَ نَحْوَ عُمانِ

٣ ـ فـإن لا تَكُنْ في حاجِبٍ وبلادِهِ
نجـاةٌ ، فَقَدْ زَلَّتْ بِكَ القَدَمانِ

٤ ـ فَتًى من بني الخَطّـابِ يَهْتَزُّ للندىٰ
كما اهْتَزَّ عَضْبُ الشَّفرتينِ يَمـانِ

(*) تخريج الأبيات : الأمالي ٣ : ٧٧

قال : وأنشد رجل من عكل يقال له : السمهري بن بشر . وفي ذيل السمط ٣٨ : وهو ابن بشر (لا ابن أسد . كما قال الشيباني) ... شاعر لص خبيث ...

الأسمر في الأمالي : رجل من طيىء .

٣ ـ حاجب هذا ـ في الأمالي ـ هو حاجب بن خشينة العبشمي .

٥ ـ هُوَ السَّيْفُ إنْ لايَنْتَهُ لانَ مَسُّهُ
وغَرْبـاهُ إنْ خاشَنْتَهُ خَشِنانِ

— ١٢ —

وقال (*) :

١ ـ أَعِنّي على بَرْقٍ أُرِيكَ وَمِيضَهُ
يَشُوقُ ، إذا اسْتَوْضَحْتَ بَرْقاً يمانِيا

---

٥ — الغرب : حد كل شيء .

وورد في ذيل السمط : ٣٨ :

والبيت الأخير ـ أي هذا البيت ـ سائر .

ونسبه ابن سعيد لليلى الأخيلية وقبله :

كريم يغض الطرفَ فضلَ حيائه ويدنو ، وأطراف الرماح دوان

ومعنى الأبيات : ينصحه صديقه أن يهرب إلى عمان .

(*) التخريج : جمعت المقطوعة بيتين وردا في معجم البلدان (طية) وأبياتاً خمسة وردت في الأغاني ٢١ : ٥٥ (الساسي) و ٢١ : ٢٦٦ (بيروت) وأظن أن الأبيات السبعة من قصيدة واحدة .

١ — في معجم البلدان : ورد : إذا استوضحتُ برقاً عنانيا

وأظن فيه تصحيفاً ، ولذلك أوردته كما أرى .

ومعنى البيت : إذا كنت يا صاحبي تستوضح برقاً من اليمن فدعني أرقب برقاً نجديًا يشوقني وميضه .

٢ ـ أَرِقْتُ لَهُ ، والبَرْقُ دُون طَمِيَّةٍ
وذي نَجَبٍ ، يا بُعْدَهُ من مَكانِيا !

٣ ـ أَلَمْ تَرَ أَنِّي وابنَ أَبْيَضَ قَدْ خَفَتْ
بنا الأَرضُ ، إلا أَنْ نَؤُمَّ الفيافيا .

٤ ـ طَريدَيْنِ من حَيَّيْنِ شتى ، أَشَدَّنا
مَخافَتُنا ، حتى عَلَلْنا التَّصافِيا

---

٢ ـ طمية : جبل لبني فزارة ، وهو من نواحي نجد بالإجماع .
ذو نجب : واد قرب ماوان في ديار بني محارب .

ومعنى البيت : لقد أرقني البرق يلمع ما بين أرض فزارة وأرض بني محارب . فما أبعدك عني يا برق بلادي .

٣ ـ خفت الأرض : سكنت وهدأت .

أنا وابن أبيض نمشي في الأرض خفاتاً جزعين ساكنين ، إلا أن ندخل الفيافي والقفار فتعود إلينا أصواتنا وحركاتنا .

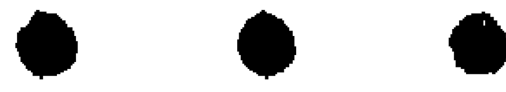
٤ ـ نحن طريدان من عشيرتين مختلفتين ، ولكن الذي جمع بيننا السجن والهرب واللصوصية ، حتى أصبحنا صديقين مخلصين .

٥ ــ وما لمتُه في أمرِ حزمٍ ونَجْـــدةٍ
ولا لامني في مِرَّتي واحتياليـــا

٦ ــ وقلتُ له ــ إذْ حلَّ يسقي ويَسْتقي ــ
ــ وقد كان ضَوْءُ الصبح لليلِ حاديا ــ :

٧ ــ لعمري لقد لاقتْ رِكابُك مَشْرَباً
ــ لئن هي لَمْ تصبـــحْ عَلَيْهِنَّ ــ عاليا

عبد المعين الملوحي



ــ للبحث صلة ــ

---

٥ ــ المرّة : الشدة والقوة .

وفي الأبيات الثلاثة يصف تعاونه مع صديقه ، وصفاءَ الأخوة بينهما ، ومعناها واضح .

تاريخ وفاة ابن النديم

الدكتور رودولف زلهايم

تعريب الأستاذ حسام الصغير

ما الماضي إلا حياة غابرة ، وما أسرع ما يقلب الموت الذي نخشاه على أنفسنا حاضرنا إلى ماضينا . لقد وجد المسلمون عزاءهم عن ذلك في إيمانهم العميق بأن الموت باب الحياة الآخرة (١) ، يعبره كل مخلوق حيّ في هذه الدنيا . وما إن أخذت القبائل العربية بعد وفاة الرسول ﷺ وفي موجة الفتوحات الكبرى بالاستقرار في مدن بلاد الشرق الأوسط ذات

(*) يعتمد هذا التعريب على مقال للمؤلف نشر في الكتاب التذكاري لوفاة المستشرق S. M. Stern باللغة الألمانية قبل سنين ، وعلى حواشي نسخته الشخصية ، وبذا فقد غدا أصلاً جديدا ، قرأه المؤلف وأجازه ، كما أجاز من قبل تعريبي لمقاله الموسع « فتنة عبد الله بن الزبير » ، والذي نشر في هذه المجلة ٤٩/١٩٧٤/٨٢٩ – ٨٧٠ (المترجم) .

(١) قارن مثلاً : « الموت باب الآخرة » في كتاب الآداب لابن المعتز ، تحقيق I. Kratchkovsky في مجلة المستشرقين الإسكندنافيين Le Monde Oriental ، ١٨/١٩٢٤/٧٣

الحضارات العريقة ، حتى بدأت ضمن نمو وتطور مجالات حضارتها الإسلامية العديدة بتدوين تاريخ وفاة موتاهـا على أحجار القبور باليوم والشهر والعام تبعاً للتقويم الإسلامي (١) لم يؤرخوا وفقاً لأي تقويم ما ، وإنما حسب ذلك التقويم الذي ابتـــدأ بهجرة الرسول ﷺ إلى مدينة يثرب ، وارتبطت الأحداث به بعد دعوة خاتم الأنبياء إلى الإسلام في طريقها إلى يوم القيامة . إن هذا التصور الزمني ، كوحدة قياسية للبعد بين الدنيا والآخرة ، هو الذي أمدّ المؤرخين بالإطار الذي رتبوا فيه أخبارهم عندما تقيدوا بشكل الحوليات . وكذا انطلق مصنفو تراجم الرجـال من النبي ﷺ ونظروا إلى صحابته وتابعيه وأولادهم وأحفادهم تبعاً لتدرجهم عنه وترتيبهم الزمني والمكاني : أي تبعاً لطبقاتهم (٢) . ولما اتسعت المادة وأدى غناهـــا إلى ترتيبها على حروف الهجاء ، ازدادت أهمية تاريخ الوفاة ، وأضاف المصنفون عمر المترجم له وتاريخ ولادته ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، كما ذكروا في تراجم العلماء أسماء أساتذتهم وتلاميذهم .

---

(١) قارن : Catalogue Général du Musée Arabe du Caire
Stèles Funéraires ، ١ — ١٠ . القـاهرة ١٩٣٢ — ١٩٤٢
؛ أيضاً : Répertoire (Musée National de l'art Arabe)
Chronologique d. épigraphie Arabe ١ — ١٦ ، القـــاهرة
١٩٣١-١٩٦٤ (publications de l' Institut Français d' Archéologie
Orientale

(٢) قارن O. Loth في مقاله : Ursprung und Bedeutung der
Tabakat, Vornehmlich der des Ibn Sa'd في مجلة جمعية المستشرقين الألمانية
Zeitschrift der Deutschen Morgenlaendischen Gesellschaft
٢٣/١٨٦٩/٥٩٣ — ٦١٤

وفي عام ٣٧٧هـ/٩٨٧ – ٩٨٨م صنف الوراق والناسخ البغـدادي أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بابن النديم كتاب الفهرست الشهير ، والمعتمد في الماضي والحاضر . كما تدلنا مخطوطاته الموجودة (١) فقد جعله على شكلين ، مقتضب ومطول ، وأثبت فيه التراث العربي الذي وصل إليه ، أو تناهى إليه وصفه عن طريق الثقـــات (٢) . لقد وجه ابن النديم اهتمامه في الدرجة الأولى لأسماء الكتب ، وكثيراً مـا وصف محتواها ومقدمتها وحجمهـا أو أعطى لمحات حول فرع من فروع الآداب والعلوم ؛ وإلى ذلك كله فقد جمـع وأورد قسماً من تراجم العلماء وضمنها

---

(١) قارن J. Fueck في مقاله Eine Arabische Literaturgeschichte: aus dem 10. Jahrhundert n. Chr. Der (Fihrist des Ibn an-Nadim) ، في مجلة جمعية المستشرقين الألمانية المذكورة ٨٤/١٩٣٠/١١١ – ١٢٤ ، وخصوصاً ص ١١٣ ومايليها .

(٢) راجع : كتاب الفهرست ١ (النص) – ٢ (التعليق) ، حققه وعلق عليه G. Fluegel ، ليبزج ١٨٧١ – ١٨٧٢ ، الجزء الأول ، مقدمة ص ٢٠ ؛ راجع أيضاً J. Lippert في مقاله : Ibn al-Kufi, ein Vorgaenger Nadim's, ، في مجلة المستشرقين النمساويين Wiener Zeitschrift fuer die Kunde des Morgenlandes ١١/١٨٩٧/١٤٧ – ١٥٥ ؛ وقارن مقال V. V. Polosin بعنوان About one of the Written sources of the « Fihrist » by Ibn an-Nadim وقـد طبـع باللغة الروسية في نشرات معهد موسكو للدراسات الشرقية Pis' mennyje Pamjatniki Vostoka ، ١٩٧١ (موسكو ١٩٧٤) / ٨٦ – ١٠٨ ، (وهو يعني بهذا المصدر المكتوب كتاب الورقة لابن الجراح) .

تواريخ حياتهم ووفاتهم (راجع مقدمته) . وما أشدّ ما تثير هذه الأخبار بالذات اهتمام الباحثين في تاريخ الأدب العربي ، وخصوصاً لأن بعضها أحياناً هو الشاهد الوحيد المتوفر لما دُوّن بالعربية في القرون السابقة لعصر ابن النديم .

وبعد ، أليس من المدهش حقاً ، أن يستبين لنا أن أخبار حياة ابن النديم نفسه تكاد تكون معدومة ، إن استثنينا بعض إشارات عابرة نثرها في كتابه [١] . كما أننا نكاد لا نعلم - كما يبدو - سنة وفاته علم اليقين ، مع أن المصنفين العرب لتراجم الرجال لم يغفلوا عنه [٢] ، وهم الدقيقون عادة في مثل هذه الأمور . وإن رجعنا إلى كتاب بروكلمن « تاريخ الأدب العربي » (الذيل الأول ١٩٣٧ ، ص ٢٢٧) ، أي إلى أكثر المراجع الحديثة استعمالاً ، لما وجدنا أكثر من العبارات التالية : لقد صنف ابن النديم كتاب الفهرست سنة ٣٧٧ هـ/٩٨٧ م ، ووسّعه في العام ذاته وظل يلحق به بعدها إضافات وصلت إلى بداية القرن الخامس الهجري ،

(١) راجع J. Fueck في مقاله المذكور آنفاً ، ص ١١١ - ١٢٤ ؛ وراجعه أيضاً في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الجديدة) Encyclopaedia of Islam ٣ (١٩٧١) ، مادة ابن النديم » التي نشرت في العدد الصادر ١٩٦٨ ، (حيث تفسر « دار الروم ») الواردة في الفهرست ٣٤٩/١ سطر ١٧ (صواباً بالمحلة الرومية في بغداد ،) وليس بالقسطنطينية كما لدى Fluegel في الفهرست ، الجزء الأول ، مقدمة ص ١٣ ، والجزء الثاني ص ١٨٤ ملاحظة رقم ٩ ، أو في مقال Fueck المذكور ص ١١٧) .

(٢) راجع : معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٩/١٩٦٠،٤١/١ وما بعدها ؛ ومراجع تراجم الأدباء العرب لخلدون الوهابي ١ /١٩٥٦/ ١٢٩ - ١٣١

أما « عام وفاته فمجهول »[١]. إن هذه المعلومات ترجع إلى أقوال مماثلة لمحقق كتاب الفهرست G. Fluegel (عام ١٨٧١ م) وذلك في مقدمته للجزء الأول ص ١٢ و ١٣ ، والتي ذكر فيها أن ابن النديم قد صنف – كما قال بنفسه – كتاب الفهرست سنة ٣٧٧ هـ على شكلين ، مقتضب ومطول ؛ ولا بد وأنه عاش طويلاً بعد ذلك ، إذ أن المحقق عثر في كتابه هذا على تواريخ تتجاوز ذلك العام وتصل إلى سنة ٣٩٩ أو ٤٠٠ هـ[٢]. أما حاشية مخطوطة مكتبة ليدن رقم ١٩ (or. 1221)[٣]، والتي تستند إلى ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » ، وتنص على وفاة ابن النديم يوم الأربعاء في ٢٠ شعبان ٣٨٥ (!) ، فلم ير فيها Fluegel أهمية تذكر ، لما وجده

---

(١) وفي كتاب « تاريخ التراث العربي للأستاذ فؤاد سزكين ، والذي يعتبر محوراً جديداً للدراسات العربية ، نرى المؤلف يتعرض لمسألة الاختلاف حول تاريخ وفاة ابن النديم ، واحتمال حياته حتى مطلع القرن الخامس الهجري أيضاً ، ولكنه لايتخذ موقفاً إزاءها ويقول : « إن سنة ٣٧٧ هـ التي صنف فيها كتاب الفهرست هي التاريخ الوحيد الثابت » ، راجع Fuat Sezgin Geschichte des Arabischen Schrifttums الجزء الأول ، ليدن ١٩٦٧ ، ص ٣٨٥

(٢) راجع أيضاً G. Fluegel في مقاله Ueber Muhammad bin Ishak' s Fihrist al - ulum ، في مجلة جمعية المستشرقين الألمانية المذكورة ١٣/١٨٥٩/٦٠٠ ، ملاحظة رقم ١ ، حيث يقول : « وتدل أقوال متفرقة على أن ابن النديم كان لايزال على قيد الحياة بعد عام ٤٠٠ هـ/١٠٩٩ م » .

(٣) ١٩ وليس ٢٠ كما لدى Fluegel في الفهرست ، الجزء الأول ، مقدمة ص ١٦ و ١٨ (إقرأ تبعاً لذلك ٢١ عوضاً عن ٢٢ و ٢٠ عوضاً عن ٢١ ، وذلك في المقدمة ص ١٦ ومايليها) .

في كتاب الفهرست من تواريخ تتجاوز هذا العام (الفهرست : الجزء الأول ، مقدمة ص ١٢ ملاحظة رقم ٢ ، و ص ١٩)[١] . أما J. Fueck فلم يجزم بذلك أولاً في مقاله في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى : الجزء الثالث ١٩٣٦ ، مادة : النديم) ، وترك مجالاً لاحتمال إضافة هذه

---

(١) لقد نشر Fluegel هذا التاريخ — تبعاً للحاشية القديمة في مخطوطة ليدن ١٩ (or. 1221) : « ومات يوم الأربعاء لعشر بقين من شعبان سنة ٣٨٥ (راجع ملاحظة رقم ١٦ في هذا المقال) — وذلك في Jahresbericht der Deutschen Morgenlaendischen Gesellschaft fuer 1845 - 1846 ليبزج ١٨٤٦ ، ص ٥٩ ، فتقبله الجميع غرباً وشرقاً ؛ ففي الغرب مثلاً : D. Chwolsohn في كتابه Die Ssabier und der Ssabismus ، الجزء الثاني (١٨٥٦) مقدمة ص ١٩ ؛ J. Fueck ، في مقاله المذكور في مجلة جمعية المستشرقين الألمانية ٨٤ / ١٩٣٠/١١٦ ؛ ذاته أيضاً في مقاله Neue Materialien zum Fihrist ، في المجلة المذكورة آنفاً ١٩٣٦/٩٠/٣٠٠ ؛ أو أخيراً ذاته أيضاً في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الجديدة) ، الجزء الثالث ١٩٧١ ، مادة ابن النديم (التي نشرت في العدد الصادر عام ١٩٦٨) . وفي الشرق مثلاً : إسماعيل باشا (١٨٣٩-١٩٢٠) في هدية العارفين (فرغ منه ١٩٠٧) ، الجزء الثاني ص ٥٥ ؛ (وتبعه ناشراً كشف الظنون لحاجي خليفة ، طبعة استانبول ١٩٤٢/٢/١٣٠٣ ، مادة : فوز العلوم) ؛ جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، الجزء الثاني (الطبعة الثانية) ١٩٣٠ ، ص ٣١٥ ؛ فهرست ابن النديم ، القاهرة ، مطبعة الاستقامة ، بدون تاريخ ، مقدمة ص ٣ ؛ محمد علي مدرس ١٨٧٩ — ١٩٥٣ : ريحانة الأدب (الطبعة الثانية ١٣٤٩ شمسي) ٢٠٢/٨ ومابليها ، مادة ابن النديم .

التواريخ بيد أخرى ؛ ولكنه قطع في هذا الأمر في طبعة دائرة المعارف الإسلامية الجديدة (١٩٦٨) ، حيث قال : « كل تاريخ يتعدى سنة ٣٨٥ هـ [عام وفاة ابن النديم المزعوم] هو إضافة من الناسخ ، مثلاً : ص ٨٧ سطر ٦ ؛ وص ١٦٩ سطر ١٣ ، وكلاهما ساقط من مخطوطة ب [أي مخطوطة Chester Beatty والتي سيأتي ذكرها] »(١) .

لعمري لقد علمتنا الخبرة في مصنفات التراجم العربية الوافرة ، أنه يمكن الوثوق عموماً بتاريخ السنة إذا رافقه تاريخ الشهر واليوم ، ولاسيما إذا عُيّن اسم اليوم أيضاً ؛ فلطالما صدرت هذه التواريخ عن تقييدات مباشرة كملاحظات كتبها أصدقاء وزملاء ، أو أقارب ومعارف على ظهور كتبهم المختلفة ، أو أوراقهم المتفرقة ، أو على أحجار القبور ، كما يمكن البرهنة على ذلك(٢) . ولربما حصل ابن النجار (٥٧٨ هـ/١١٨٣ م - ٦٤٣ هـ/١٢٤٥ م) على التاريخ الصحيح لوفاة ابن النديم عن هذا الطريق . ومن

---

(١) قارن : الفهرست ، الجزء الأول : مقدمة ص ١٣ ، حيث يرد Fluegel على O. Loth الذي سبقه في هذا الرأي ، أي في احتمال إضافة هذه التواريخ بيد أخرى ، وذلك في كتابة Das Classenbuch des Ibn Sa'd ليبزج ١٨٦٩ ، ص ٣ ملاحظة ٨

(٢) راجع أمثلة على ذلك في فهرس المواد من كتابنا حول المخطوطات العربية في ألمانيا (تحت الطبع) ؛ وكذلك مقالنا حول أحجار القبور في مكة ، والذي سيصدر في مجلة Oriens ؛ كما نود أن نشير إلى كتاب أبي الحسن القفطي « نهزة الخاطر ونزهة الناظر في أحاسن مانقل من ظهور الكتب » ، والذي لم يصل إلينا كما يبدو ، (قارن مجلة Oriens ٨ / ٣٤٩/١٩٥٥) .

المؤسف أن ما يدعى « بالذيل » لتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ/ ١٠٧١ م) لما يصل إلينا منه إلا قطع قليلة ، وعلى قدر ما تبين لنا فهي لا تتضمن ترجمة لابن النديم (١) .

وفي الآونة الأخيرة جاءنا B . Ddge بدليل آخر على التاريخ الصحيح لوفاة ابن النديم ، وذلك في مقالة « حياة ابن النديم » (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٤٥/١٩٧٠/٥٤٥ — ٥٥٥) والذي ترجمه عن الانكليزية الدكتور أ . ج . شوريز ، معتمداً على مقدمة Dodge في ترجمته لكتاب الفهرست إلى الإنكليزية الصادرة في نفس العام أيضاً . لقد وجد Dodge في مخطوطة الفهرست الأصلية الموجودة في مكتبة Chester Beatty تحت رقم ٣٣١٥ (٢) ، أن المقريزي قد أضاف بخطه عام ٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م الحاشية التالية : « توفي يوم الأربعاء لعشر بقيت من شعبان سنة ثمانين وثلثمائة » مقال Dodge المذكور آنفاً ص ٥٥٥) .

---

(١) راجع Caesar E. Farah في مقاله : Ibn - al - Najjar a neglected Arabic historian في المجلة الأميركية Journal of the American Oriental Society ٨٤/١٩٦٤/٢٢٠ — ٢٣٠ خصوصاً ص ٢٢٣ و ٢٢٧ ومايليها ؛ إن كتاب المستدرك على تاريخ الخطيب المذكور ص ٢٢٤ تحت رقم ٢١ ، هو قسم من « الذيل » كما يبدو ، وله عنوان آخر أيضاً وهو « تأريخ لمدينة السلام وأخبار فضلائها الأعلام ومن وردها من علماء الأنام » .

(٢) لقد وصف Dodge هذه المخطوطة مستفيداً بذلك من سابقه A. J. Arberry في مقدمة ترجمته للفهرست The Fihrist of al - Nadim a tenth - century survey of Muslim Culture والتي نشرها في مجلدين عام ١٩٧٠ (نيويورك — لندن) ونشر فيها صورة لصفحة عنوان =

إن الفرق الأساسي بين هذا التاريخ والتاريخ الذى يقرره Fluegel تبعاً لحاشية ابن النجار هو في تاريخ السنة : أي ٣٨٠ هـ عوضاً عن ٣٨٥هـ . فإذا ما راجعنا النص الذي اعتمده Fluegel ودققنا في أصله – وهو مخطوطة ليدن رقم ١٩ (or. 1221) [1] – وجدنا أن في الأمر تصحيفاً سببه اعتبار

= هذه المخطوطة وعليها حاشية المقريزي ؛ وهناك أمثلة أخرى لخط المقريزي ، راجع من أجلها : بروكلمن في « دائرة المعارف الإسلامية » (الطبعة الأولى) مادة المقريزي ؛ الزركلي في الأعلام ١٧٢/١ لوحة ١١٨ ؛ هذا وقــد نقد S. D. Goitein ترجمة Dodge المذكورة ، وذلك في المجـلة الأميركية The Middle East Journal ، ٨٧/١٩٧٢/٢٦ ومابليها . كما نقد الأستاذ محمد جواد مشكور طبعة الفهرست الجديدة التي نشرها الأستاذ رضا تجدد في طهران ١٣٥٠ شمسي ، وذلك في المجلة الإيرانية « راهنماى كتاب » ١٥ / ١٣٥١ شمسي /٢٦٣ – ٢٧٣ و ٤٤٩ – ٤٦٠ . وإنه لمن المؤسف حقاً أننا لانزال نفتقر إلى تحقيق يستوفي جميع الشروط العلمية لهذا المؤلف القيّم ، فالمستشرق الألماني J. Fueck والأستاذ العربي محمد بن تاويت الطنجي رحمها الله لم يكتب لها إتمام عملها في تحقيقه . فقد توفي Fueck في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٧٤ في مدينة Halle بعد أن جاوز الثمانين من عمره ، وكانت جمعية المستشرقين الألمانية قد كلفته في الثلاثينيات بتحقيق كتاب الفهرست لسلسلة « النشرات الإســلامية » التي تصدرها ؛ وكما يبدو فإن عمله لم يتعد جمع جزازات وافرة لعناوين كتب وأسماء مؤلفين . أما محمد الطنجي فقد بــدأ في إعداد التحقيق في الخمسينيات وتوفي في شباط ١٩٧٥ في أنقرة بعد أن درّس فيها أكثر من عشرين عاماً ؛ وإننا لاندري مدى ما خلفه وراءه من هذا العمل .

(١) راجع من أجل هذه المخطوطة مقال P. S. Van Koningsveld في المجلة الألمانية Der Islam ٢٩٤/١٩٧٢/٤٩ ومابليها .

الصفر في هذا الرقم خمسة (١). إن تعيين يوم الأربعاء يؤيد صحة تاريخ الوفاة في سنة ٣٨٠ هـ . فالعشرون من شعبان قد وقع ذلك العام حقاً في يوم الأربعاء ، أما في سنة ٣٨٥ هـ فقد صادف يوم الخميس . كما أننا نجد تاريخ السنة ٣٨٠هـ مكتوباً بالكلمات لا بالأرقام لدى الصفدي (ت ٧٦٤هـ ١٣٦٣ م) وذلك في كتاب الوافي بالوفيات ٢ (١٩٤٩) ، ص ١٩٧ رقم ٥٦٨) . أما ما نراه في لسان الميزان (٥/٧٢ رقم ٢٣٧) لابن حجر (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م) تبعاً لأبي طاهر الكرجي (في الطبعة : الكرخي) من أن ابن النديم « مات في شعبان سنة ثمان وثلاثين » ، فهو لا شك خطأ مطبعي أو سهو في نسخ « ثمانين وثلثمائة » (٢) والله أعلم .

---

(١) إن نقطة الصفر كبيرة نسبياً ، ولكنها صفر قطعاً ، فهي نقطة وليست دائرة ؛ راجع أعلاه ملاحظة رقم ١١ . كما أود في هذا الموضع أن أكرر شكري لمكتبة جامعة ليدن لإرسالها نسخة مصورة عن الصفحات الأولى لهذه المخطوطة .

(٢) لقد عدل الزركلي في الأعلام (٦/١٩٥٥ ، ٢٥٣) الرقم المصحف ٣٨ إلى ٤٣٨ ، مبتعداً بذلك عن الصواب . أبو طاهر الكرخي الذي يعتمده ابن حجر ، هو أبو طاهر أحمد بن الحسن الكرجي (ت ٤٨٩ هـ/١٠٩٦ م) ؛ راجع : الأنساب للسمعاني ورقة ٤٧٧ ب ؛ المنتظم لابن الجوزي ٩/٩٨ ، حيث يروي « الكرخي » . تذكرة الحفاظ للذهبي (الطبعة الثانية) ص ١٢٢٧ : حيث يروي « الكرخي » ، والعبر للذهبي أيضاً ٣/٣٢٤ ، حيث يروي « الكرجي » ؛ الوافي بالوفيات للصفدي ٦/٣٠٦ ويروي« الكرجي » شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٣/٣٩٢ ويروي « الكرخي » ؛ ومن المعلوم أن ابن النجار قد اعتمد أبا طاهر الكرجي وكتبه كمصدر من مصادره ، انظر : G. Makdisi في كتابه باللغة الإفرنسية Ibn Aqil دمشق ١٩٦٣ ، ص ٤١

وبالإضافة إلى ذلك كله فإن لدينا حجة أخرى تدعم تاريخ وفاة ابن النديم يوم الأربعاء في العشرين من شعبان سنة ٣٨٠هـ/١٢ تشرين الثاني ٩٩٠م(١) . فلقد دون ابن النديم نفسه (الفهرست ١/١٣٢ ،سطر ٧ وما يليه) أن المرزباني ولد « في جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين ومائتين ويحيا إلى وقتنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلثمائة » ومن المدهش أن يلي ذلك مباشرة « وتوفي سنة ثمان وسبعين وثلثمائة » . لا بد وأن هذه الكلمات الخمس حاشية تداخلت مع النص ويجب حذفها منه ، كما سبق وأشرت إلى ذلك عام ١٩٦٤ في مقدمة تحقيقي لكتاب المقتبس للمرزباني باختصار الحافظ اليغموري والمسمى بنور القبس . ما أبعد تاريخ الوفاة هذا عن الصواب ، فقد توفي المرزباني في بغداد في الثاني من شوال سنة ٣٨٤/٩ تشرين الثاني ٩٩٤م ، ولا أظن أن ابن النديم قد كتب هذه الحاشية الخاطئة ، وهو الذي كان يعرف المرزباني معرفة شخصية ويقدره حق قدره ، وما كان أحرى به أن يضيف تاريخ وفاته الصحيح ، وأن يعدل النص لو لم يكن نفسه قد فارق الحياة قبله(٢) . ومن الواضح أن ابن النديم قد اعتزم بعد إنهائه لمؤلفه عام ٣٧٧هـ / ٩٧٨ — ٩٨٨ م أن يضيف

(١) لقد أخطأ مترجم مقال Dodge ، إذ ذكر (ص ٥٥٥) : ١٢ تشرين الأول ، والصواب : ١٢ تشرين الثاني .

(٢) هناك موضع آخر في الفهرست ١/٢٨٣ ومايليها (مادة : الكوهي) قد يدل أيضاً على أن ابن النديم لم يعش بعد عام ٣٨٠هـ ؛ راجع مقال Dodge المذكور ، ص ٥٥٣

إليه تباعاً ، ولعله نظر إلى صحته وعمره (١) ، فتوجه إلى الناظر في كتابه (الفهرست ١ / ١٩٣ ، سطر ١٧) طـالباً منه أن يلحق به ما يتناهى إليه من معلومات جديدة : « ... فإن رأى ناظر في كتابنا شيئاً منها ألحقها بموضعها إن شاء الله تعالى » .

ترجمة : حسام الصغير

(١) ولاتذكر المصادر تاريخ ولادة ابن النديم أو عمره ؛ ويعتبر J. Fueck عام ٣٢٥ هـ/ ٩٣٦ - ٩٣٧ م أقرب نقطة يمكن تحديدها كتاريخ لولادته ، مستنداً بذلك إلى موضع الفهرست ١/٢٣٧ ، سطر ٦ ، وذلك في مقاله المذكور في مجلة جمعية المستشرقين الألمانية ٨٤/١٩٣٠/١١٦ ، كما في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الجديدة) ، مادة : ابن النديم . هذا وإنا لم نستطع الاهتداء إلى مصدر عباس القمي (بروكلمن Gal ، ذيل ٢/٨٤٠) في الكنى والألقاب ١/٤٣٢ ، حيث يعتبر جمادى الآخرة عام ٢٩٧ هـ تاريخاً لولادة ابن النديم (راجع أيضاً : ريحانة الأدب للمدرس ٨/٢٥٣ ، الطبعة الثانية) ، وهذا التاريخ هو تاريخ ولادة المرزباني .

رُوّادُ شرحِ الشِّعر

الدكتور فخر الدين قباوة

عندما نشطت حركة التدوين خرج العلماء إلى البادية ، يجمعون الشعر القديم ، محلّى بما يقتضيه من أخبار وأنساب (١) وتفسير لما أشكل من غريبه ومعانيه . ولهذا كان أبو عمرو بن العلاء يجمع ، طوال حياته ، أشعار العرب القدماء ، ملحقاً بها شروحاً مع بعض الملاحظات اللغوية (٢). وكذلك كان يفعل معاصروه ، أمثال حمّاد الراوية ، والمفضّل الضبّي ، وخلف الأحمر ، الذين ألحقوا بما رووه أو دوّنوه من أشعار العرب إشارات سريعة من تفسير لغريب ، وشرح لمعنى ، وبسط لخبر أو نسب ، ونقد لشاعر.

ففي أمثال العرب ، للمفضّل الضبي (٣) أن قيس بن زهير أغار على إبل بني زياد ، واستاقها ، حتى قدم بها مكة ، وباعها . « فقال قيس في ذلك :

أَلم يَبلُغْكَ ، والأنباءُ تَنْمِي   بما لاقَتْ لَبُونُ بَني زِيادِ ؟

---

(١) تاريخ الأدب العربي لبلاشير ١ : ١٢٦ ، والعصر الجاهلي ص ١٤٨

(٢) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢ : ١٢٩ حيث نسب المؤلف إلى أبي عمرو الشرح المنشور على ديوان الخرنق . والراجح أنه لشارح آخر نقل عن أبي عمرو في ص ٦ و ٧ وعن أبي مرهب في ص ٧ ، وانظر ص ٩ منه أيضاً .

(٣) أمثال العرب ص ٣٨ — ٣٩

ومَحْبِسِها، لدَى القُرشيِّ، تُشْرَى بأدراعٍ ، وأسيافٍ ، حِدادِ
أمْ يَعْلَمْ بَنُو الميقابِ أنّي كريمٌ ، غيرُ مُعتلثِ الزّنادِ

أي : ليس بفاسد الأصل . الوقب : الأحمق . والميقاب مثله ، وقالوا : التي تلد الحمقى . ومعتلث : لاخير فيه .

أطوّفُ ما أطوّفُ ، ثم آوي إلى جارٍ ، كجارِ أبي دُؤادِ

جار قيس بن زهير : ربيعة بن قرط بن غيلان بن أبي بكر بن كلاب . ويقال : جار أبي دؤاد : الحارث بن همّام بن مرّة بن ذهل ابن شيبان . وكان أبو دؤاد في جواره ، فخرج صبيان الحي يلعبون في غدير ، فغمسوا بُنيَّ أبي دؤاد ، فمات . فخرج الحارث ، فقال : لا يبقى في الحيّ صبيّ إلا غرّقته في الغدير . فودى ابنَ أبي دؤاد ، بذلك عدّة ديات » .

وإذا كان أكثر ما دوّنه رجال هذه الطبقة لم يصل إلينا ، خالصاً مجرّداً صرفاً كما أثبتوه ، لنستطيع أن نتبيّن مدى أثرهم الشخصي فيه ، فإن المتأخّرين ، من علماء القرنين الثاني والثالث ، قد استوعبوا في مصنّفاتهم نبذاً كثيرة من تلك الجهود تقدّم للدارس أمثلة حيّة من آثار أسلافهم ، في تقريب الشعر القديم إلى الأفهام ، وحفظه من الاندثار بين طيات الغموض والإبهام .

ثم كان الجيل الثاني ، من أمثال الأصمعيّ ، وأبي عبيدة ، وأبي زيد ، والأخفش الأوسط ، وأبي عمرو الشيبانيّ ، وابن الأعرابيّ ، فتلقف أبناؤه تراث شيوخهم وأضافوا إليه ، من جهودهم ، ثروةً غنيّة من التفسير والشرح والنقد . وبذلك اتسع ميدان الشروح ، وتكوّن من نتاج صنيعهم

خطوة واضحة للشروح الأدبية المقصودة ، محتفظة بالبساطة القائمة على الإيجاز ، والدقّة ، والإجمال ، خلا ما يورد أحياناً من أخبار مطوّلة مسهبة .

كان همّ الطبقة الأولى هو جمع الشعر العربي وحفظه من الضياع ، فانصبّت جهود رجالهـا في روايته وتدوينه (١) . أمّا ما ضمّوه إليه من تعليقات ، فقد كان عنصراً ثانوياً ، عارضاً غير مقصود لذاته . ذلك لأنّ حماداً ، والمفضّل ، وخلفاً ، وأضرابهم ، كانوا رواة للشعر والأخبار أكثر منهم رجال لغة ومعان ، في حين أنّ تلاميذهم كانوا أصحاب رواية ، ولغة ، وتفسير ، ونقد . فظهرت في مصنّفاتهم أصداء هذه الجوانب ، متعاونة منسجمة ، وإن كانت الرواية قد لبثت في آثارهم محتفظة بسيادتها وظهورها .

وبين رجال هاتين الطبقتين تطوّرت حركة الشروح تطوّراً ظاهراً في الإملاء والتصنيف . وقد كان أكثر مدوّني المصنّفات الأولى يثبتون - أو يملون - القصيدة ، أو المقطوعة ، كاملة ، ثم يُتبعونها تعليقاتهم . ولكن منتصف القرن الثاني استطاع أن يدفع العلماء إلى تعديل تلك الطريقة بحيث يتيسر للقارىء والسامع الفهم وصحة الاستفادة . ذلك أنّ إثبات التفسير في ذيل القصيدة ، أو المقطوعة ، يتطلب من السامع حفظَ الأبيات المفسّرة كلّها ، ومن القارىء الرجوعَ إلى الأبيات مراراً ، ليتم استيعاب المعاني . وهذا أمر يعسر تحقيقه على الشادين والضليعين (٢) . وقد أحسّ العلماء ، بضرورة إيجاد سبيل يزيل ذلك العسر . فكان أن أثبت

(١) تاريخ الأدب العربي لبلاشير ١ : ١٤١ وشرح ديوان أبي تمام ص ١٠ من مقدمة الناشر .

(٢) انظر شرح الحماسة للتبريزي ١ : ٦

الأخفش تحت كل بيت من الشعر تفسيره .

وقد اختلف في تحديد الأخفش الذي خطا هذه الخطوة بالشروح ، فقيل : هو أبو الخطّاب الأخفش الأكبر . وقيل : هو الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة ، قال السيوطيّ (١) : « أبو الخطّاب أوّل من فسَّر الشعر تحت كلِّ بيت . وما كان الناس يعرفون ذلك قبله ، وإنما كانوا إذا فرغوا من القصيدة فسّروها » . وقال أبو العباس أحمد بن يحيى (٢) : « أوّل من أملى غريبَ كلِّ بيت من الشعر تحته الأخفش ـ وكان ببغداد ـ وكان الطوسيُّ مستمليه . ولم أدْرِكْه ، لأنه كان قبل عصرنا ، وكان يقال له: الأخفش الراوية » .

وإذا كان لا بدّ لنا من الخوض في هذا الخلاف ، فإننا نرجّحُ قول أبي العبّاس ثعلب ، على قول السيوطيّ ، للأسباب التالية :

١ ـ ثعلب من علماء القرن الثالث ، والسيوطي من علماء القرن التاسع . وللقِدم في مثل هذا الموضوع حقّ الترجيح ، ولا سيّما إذا علمنا أن ثعلباً قد ولد (٣) في عصر الأخفش الأوسط ، وعاصر أصحابه وتلاميذه ، وأخذ عنهم أخباره . أما السيوطي فقد كان ينقل عن الكتب التي وقف عليها ، وليس بعيداً أن يكون قد تعجّل النقل فنسب إلى الأخفش الأكبر ما هو للأخفش الأوسط .

---

(١) المزهر ٢ : ٤٠٠ ، وبغية الوعاة ص ٢٩٦ وانظر : الأعلام ٤ : ٩٥ وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢ : ١٥١

(٢) طبقات النحويين واللغويين ص ٧٦ وإنباه الرواة ٢ : ٣٩ . وكلاهما في ترجمة الأخفش الأوسط .

(٣) ولد ثعلب سنة ٢٠٠ وتوفي الأخفش سنة ٢١٥ . بغية الوعاة ص ١٥٨ و١٧٢

٢ - اتصل أبو العباس ثعلب بالمصنفات الأدبية واللغوية ، منذ صباه . فاطلع على مؤلفات الأخفش الأوسط ومن تقدّمه وعاصره . وقد ازداد بها خبرة حين رجع إليها ، وصنع الشروح على دواوين الشعر القديم(١). فكان أقدر على القول الفصل في مثل هذا الموضوع .

٣ - عُرف الأخفش الأكبر باللغة والنحو ، فلم يترك آثاراً في ميدان الشروح الأدبية ، يَستخلص منها الدارسُ طريقته في الشرح . بل إنه قلما ورد ذكره في مصنّفات الشروح الأدبية وغيرها . أما الأوسط فقد كان له ، بالإضافة إلى شهرته اللغوية والنحوية ، جهود في الشروح الأدبية ، خلّف منها كتاب (٢) « معاني الشعر » ، وذكراً ظاهراً في مصنّفات المتأخرين من الشراح . وحَرِيٌّ بآثاره هذه أن تقدّم لثعلب وغيره أنموذجاً من صنيعه في تاريخ الشروح الأدبية .

٤ - الأخفش الأكبر معاصر لرجال الطبقة الأولى من مدوّني الشعر ومفسّريه ، ولم يكن قبله من يعملون في هذا الميدان لننسب إليهم تفسير الشعر جملة . أما الأخفش الأوسط فقد تقدمه رجال الطبقة الأولى ، أمثال أبي عمرو بن العلاء ، وحماد ، والمفضّل ، وخلف . وغير بعيد أن يكون هؤلاء قد التزموا في بدء مصنّفاتهم وأماليهم أن يفسروا أبيات القصيدة بعد الفراغ من إنشادها .

وأيّاً كانت الحال فإنّ ظاهرة تفسير غريب كلّ بيت تحته يمكننا أن نجعل منتصف القرن الثاني تاريخاً لها . فهي - أكانت صنيع الأخفش الأكبر أو صنيع الأوسط - من نتاج تلك الحقبة . فالأخفش الأوسط ، وإن كان قد أدرك العقد الثاني من القرن الثالث ، هو من معاصري الأخفش

---

(١) انظر مجالس ثعلب ص ١٨ - ٢٢ من مقدمة الناشر .

(٢) إنباه الرواة ٢ : ٤٢ . وانظر معاني الشعر ص ٦

الأكبر . وذلك أن الأخفش الأوسط كان من طبقة سيبويه وأقدم منه[١]. فهو ، على هذا ، مولود في العقد الثالث من القرن الثاني ، ومعاصر للأخفش الأكبر ، قريباً من نصف قرن[٢] .

فإذا اطمأننا إلى ما ذكرناه من تحديد تاريخ تلك الظاهرة ، استطعنا أن نفهم لمَ كانت بعض شروح الطبقة الأولى متّبعة نهج الأخفش ، فالمفضّل الضبيّ مثلاً ، وهو من رجال الطبقة الأولى ، غالباً ما يلزم في كتابه « أمثال العرب » طريقة الأخفش[٣] . فلعله لمس جدواها وفائدتها ، فاعتمدها في مصنفاته مؤخّراً ، وإن بقيت آثار النهج القديم في مواطن[٤] من تلك المصنفات .

وقد استطاع النهج المحدث أن يشق سبيله ويجمع لنفسه الأنصار والمريدين ، حتى استبدت سلطته بأكثر من تصدّى لتصنيف الشروح . وها نحن أولاء نعرض نماذج متفرقة لشروح الطبقة الثانية تمثل المؤرخ صورة واقعية لتلك الجهود .

ففي ديوان سلامة بن جندل شروح لأبي عمرو الشيباني مثالها ما يلي[٥]:

كنّا نَحُلُّ ، إذا هبّتْ شآميةً بكلّ وادٍ حَطيبِ البَطنِ مجدُوبِ

(١) قال المبرد : « الأخفش أكبر سناً من سيبويه » . إنباه الرواة ٢ : ٤٠ وانظر طبقات النحويين ص ٧٤ وبغية الوعاة ص ٢٥٨

(٢) لم يعرف تاريخ وفاة الأخفش الأكبر ، وحدده بروكلمن بعام ١٧٧

(٣) انظر أمثال العرب ص ٨ و ١٠ و ١٤ و ٢٤ و ٣٠ و ٣٧ و ٣٨ و٣٩ و ٤٣ . . .

(٤) انظر أمثال العرب ص ٧ و ٢١ و ٢٢ و ٤٥

(٥) ديوان سلامة بن جندل ص ١١٩ — ١٣١

قال أبو عمرو : مجدوبٌ : مَعيبٌ . وأنشد :

آبارِقُ ، إنّي لا أريدُ أذاكُمُ ولا ضَرْبَكُم،مالم تُعينُوا على جَدْبي

أي : عيبي . ويروى : خصيبِ البطنِ . فمن روى : خصيب ، يقول : هذا الوادي فيه مرعى ونبات ، فهو ثغر يتحاماه الناس ، فنحن نحلّه ونرعى ما فيه ، لعزّنا .

شيبِ المَبارِكِ،مَدْرُوسٍ مَدافِعُهُ هابي المَراغِ،قليلِ الوَدْقِ،مَوْظُوبِ

قال أبو عمرو : شيب : ليس به كلأ ، ولا ثَمَّ شيء ، فهو أبيض. وموظوب : واظبوا عليه ، حتى أكل ما فيه . ويكون من : واظبتْ عليه السنون . والدّرس : الدّياس ، عند أهل الشام وعند أهل العراق . وأنشد لابن ميّادة :

يكفيكَ ، من بعضِ ازديارِ الآفاقْ سَمراء ، ممّا دَرَسَ ابنُ مِخْراقْ

سمراء : حنطة . دَرَسَ : داس .

كنا إذا ما أتانا صارخٌ ، فَزِعٌ كانَ الصُّراخُ لهُ ، قَرْعَ الظّنابيب

قال أبو عمرو : الظُّنبوب : عظم السّاق . قال : إذا أرادوا أن يُنيخوا البعير فتعسر عليهم ، ضربوا ظنبوبه فيبرك . يقول : إذا أتانا صارخٌ ، أنخنا الإبل ، ثم ركبنا . ويروى : كانت إناختُنا . وأنشد :

إذا استَرخَتْ عِمادُ الحيِّ شُدَّتْ ولا يَثْنَي ، لقائمةٍ وظيفُ

يقال : جعلَ أمرَه على ظنبوبِ ساقهِ ، وعلى حبل ذراعهِ : إذا اعتزم عليه وهمّ به . وقال النابغة :

* وقد جَعَلُوا المِصاعَ على الذّراعِ *

وفي شرح النقائض نرى ، على بيت الفرزدق :

وعَضُّ زَمانٍ ، يا ابنَ مروانَ ، لم يَدَعْ
من المالِ ، إلاّ مُسْحَتاً ، أو مُجلَّفُ

الشرح التالي [١] : قال سعدان : أخبرنا أبو عبيدة قال : سمعتُ راوية الفرزدق يروي هذا البيت : لم يَدَعِ * من المال إلاّ مُسحِتٌ ، أو مُجرِّفُ ، بالرفع . يقول : لم يَدَعِ ، من الدّعة ، أي لم يتّدِع . قال : والمسحِتُ : الذي لا يدع شيئاً إلاّ أخذه . قال : والمجرِّف : الذي أخذ ما دون الجميع . قال : ومن قال إلاّ مسحَتاً أو مجرَّف ، أراد وهو مجرّف . قال أبو عبيدة : قوله : « لم يدعِ » أي لم يثبت ويستقرّ ، من الدّعة ، إلا مسحت من المال ، ومجرّف . قال : فارتفع مسحت ومجرف بفعلها . قال : وأنشدنا لسويد بن أبي كاهل :

* أرّقَ العينَ خَيالٌ ، لم يَدِعْ *

يقول : لم يستقرّ . وهو من الدَّعة .

وقال البغدادي [٢] في شرح هذا البيت :

كفَى بالنَّأْيِ ، من أسماءَ ، كافي ... وليسَ لنأيِها ، إذ طال ، شافي

« هذا البيت مطلع قصيدة لبشر بن أبي خازم .. وقال أبو عبيدة شارح ديوان بشر – وهو عندي بخطّه ، وهو خط كوفيّ – المعنى : لا يُصيبني بعد هذا شيء أشدُّ منه ، وهو سَقَم ومرَض . ويروى : وليس لسُقمه ، أي : السقمِ الناشيء من بعدها ، ويروى أيضاً : وليس لسقمها ، أي : السقمِ الذي حصل لي منها . هذا كلامه » .

---

(١) شرح النقائض ص ٥٥٦ – ٥٥٧
(٢) الخزانة ٢ : ٢٦٢

وقال أبو زيد الأنصاري (١) : « قال نقيع (٢) بن جرموز بن عبد شمس - وهو جاهلي - :

أطوِّفُ ما أطوِّفُ ثُمَّ آوِي   إلى أمَّا ، ويُرْوِيني النَّقيعُ

قال المفضَّل : كذا أنشدَناه أبو المدرّج : إلى أمَّا ، كما يقال : يا أبا ، موضع : يا أبي .

وفي النوادر أيضاً (٣) : « قال الأعشى :

ولستَ بالأكثرِ منهُمْ حَصىً   وإنَّما العِزَّةُ للكاثِرِ

أبو زيد : أراد : بأكثر منهم حصى . والحصى : العدد الكثير . وكذلك القِبْصُ » . وقال العجاج :

وآضتِ الأعناقُ سُوقَ العُنْصُلِ   مُختضِعاتٍ ، برؤوسٍ ، مُيَّلِ

فقال الأصمعيُّ (٤) شارحاً : « قوله : آضت ، يقول : صارتْ تنثني ، من النّعاس ، مثلَ سوق العنصل . والعنصل : نبت يشبه البصل . مختضعات ، يقول : صارت الرّقاب منكّسات » .

وقال الأصمعيّ في شرح هذا البيت ، من شعر ذي الرُّمَّة (٥) :

وبالشَّمائلِ ، من جِلّانَ ، مُقتنِصٌ
زَوْلُ الثِّيابِ ، خَفِيُّ الشَّخصِ ، مُنْزَرِبُ

---

(١) النوادر ص ١٨ — ١٩
(٢) وقيل هو نقيع . انظر المؤتلف والمختلف ص ٣٠٠ ، والنوادر ص ١٨
(٣) النوادر ص ٢٥
(٤) ديوان العجاج ص ٣٠٨
(٥) الخزانة ٢ : ٣٦٥

الشمائل : جمع شمال . وجلاّن : قبيلة من عنزة وهم رُماة [١] . وزولُ الثياب ، خلقتُها . وخفيُّ الشخص بمعنى ضئيل الشخص ، خلقةً . والمنزرب : الداخل في الزّرْب ، وهو قُتْرة الصائد . يقال : انزرب ، إذا دخل » .

وقالَ ذو الرُّمّة [٢] :

أعاذلَ ، عُوجي من لسانِكِ ، عن عَذْلي
فمـا كلُّ من يَهْوَى رَشادِي على شَـكْلي

فما لامَ يوماً من أخٍ ، وهْو صادقٌ ،
إخايَ [٣] ، ولا اعتلَّت على ضَيْفهـا إبلي

إذا كان فيهـــا الرِّسْلُ لم تأتِ دُونَهُ
فِصـــالي ، ولو كانتْ عِجافاً ، ولا أهلي

وإنْ تعتذِرْ بالمَحْلِ مِن ذي ضُروعِها
إلى الضَّيفِ ، يَجرَحْ في عَراقيبها نَصْلي

وقد علّق البغدادي على هذه الأبيات ، بما يلي : « قال الأصمعي في شرح ديوانه : عوجي من لسانك ، أي : كُفّي . ولفظ « عوجي » على الحقيقة : اعطفي . والشكل : الضرب . يقول : ما كلُّ من يهوى ذلك مني على طريقتي وعلى مذهبي . وقوله : فما لام يوماً من أخ ، قال الأصمعي : « اعتلّت » أطلق اللفظ على الإبل ، والمعنى على أصحابها .

(١) في المطبوعة : « مارة » .

(٢) الخزانة ١ : ٢٨٤ — ٢٨٥

(٣) في مطبوعة الخزانة « أخاي » .

يقول : لم أبخل ، فأعتذرَ إلى الضيف . وقوله : إذا كان فيها الرِّسل : قال الأصمعي : الرِّسل : اللبن ، حلوه وحامضه وخاثره ورقيقه . يقول : لا أسقي فصالي وأدع ضيفي ، ولو كانت عجافاً مهازيل . يقال : عَجِفَ الدابةُ ، وأعجفَه صاحبُه . وعَجَفْتُ نفسي عن كذا ، إذا صَرفتها . وقوله : وإن تعتذر بالمحل ، قال الأصمعي : اعتذارها للضيف ألاّ يرى فيها محتَلَباً من شدة الجدْب والزمان . فإذا كانت كذلك عقرتها . قال الأصمعي : كل ذي أربع عرقوباه في رجليه ، وركبتاه في يديه . وعرقتُ الدابّةَ : قطعتُ عرقوبها . والعرقوب من الإنسان : العصب الغليظ الموتّر فوق العقب . والنصل : حديدة السّيف والسّكّين » .

وقال ابن هشام[1] : « أنشدني أبو محرز ، خلف الأحمر ، وأبو عبيدة لعبّاس بن مرداس ، أحد بني سُلَيم بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان ، يفخر بعَكّ :

وعَكُّ بنُ عدنانَ الذينَ تلقَّبوا بغَسّانَ ، حتّى طُرِّدُوا كلَّ مَطْرَدِ

وهذا البيت في قصيدة له . وغسّان : ماء بسدّ مأرب باليمن ، كان شرباً لولد مازن بن الأسْد بن الغوث ، فسُمّوا به . ويقال : غسان : ماء بالمُشلَّل قريب من الجُحْفة . والذين شربوا منه ، فسمّوا به قبائلُ من ولد مازن بن الأسْد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . قال حسّان بن ثابت الأنصاريّ : ـ والأنصار : بنو الأوس والخزرج ، ابني حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن

(١) السيرة ١ : ٥ ـ ٧ . وقد صنع كتاباً في شرح أشعار السير . وفيات الأعيان ٢ : ٣٤٩

عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث ـ :

إمّا سألتِ فإنّا مَعشرٌ نُجُبٌ الأسْدُ نِسبتُنا ، والمــاءُ غسّانُ

وهذا البيت من أبيات له » .

وقال أبو تمام (١) ، في شرح بيت الأخطل :

حُشُدٌ على الحقّ ، عن قولِ الخنا خُرُسٌ
وإنْ ألمّتْ بهم مَكْرُوهةٌ صَبَرُوا

« حشد : يتحاشدون على الحقّ ، ويتعاونون عليه ، ويجتهدون فيه . والخنا : الفحش . ألمّت بهم (٢) : أصابتهم . مكروهة : داهية وشدّة . يقول : هم يتعاونون على إقامة الحقوق ، وهم حُلماء يصمتون عن الفحش ، وإن أصابتهم الشدائد صبروا عليها » .

وقال ابن الأعرابي (٣) : « سُبيع بن الخطيم التيميّ ، فرسه نحلة . ويقال له : فارس نحلة . خطب إلى عمه ، فقال له : نعم أزوّجك بنتي ، على أن تعطيني فرسك نحلة ! فأبى ، وقال في ذلك :

إنّي رأيتُ أبــا شَــياءَ مُتّلِبــاً إذا أكلّمُــهُ في رأسِ أسلوبِ
يقولُ : نحلةَ أودِعْني ، فقلتُ لهُ : عوّلْ عليَّ بأبكارٍ ، هَراجيبِ
ماذا أقولُ ، إذا مُلّيكتُ ، وابتكَرُوا بسَمْنجَجٍ ، كقناةِ الرُّمحِ ، سُرحُوبِ
جُنّتْ عــليَّ عِــينٌ ، لا أبدّلُهــا من ذاتِ قُرْطينِ ، بينَ النّحرِ والشّوبِ

(١) نقائض جرير والأخطل ص ١٥٥
(٢) سقط « بهم » من المطبوعة .
(٣) أسماء خيل العرب وفرسانها ص ٥٨ — ٥٩

الأبكار : التي وضعتْ بطناً واحداً . والمراجيب : الطوال السّمان » .

وفي شرح بيتِ بشر بن أبي خازم :

تَراهـا ، من يَبيسِ الماءِ ، شُهباً
مُخالِطَ دِرَّةٍ ، منهـا ، غِرارُ

قال ابن الأعرابي (١) : « يقول : لا ينقطع عَرقُها ، فتنقطعَ (٢)، ولا يكثر فيضعفَها . والدِّرة : أن تدرَّ . والغرار : القلَّة . ويقال : غارّت الناقةُ ، إذا قلّ لبنُها ، بعد مجيئه » .

حلب – كلية الآداب فخر الدين قباوة

(١) المعاني الكبير ص ١٠

(٢) زيادة من شرح المفضليات للأنباري ص ٦٧٥ حيث أورد بعض شرح ابن الأعرابي .

السماع بالإفادة

الأستاذ مطاع الطرابيشي

لاحظتُ أثناء تحقيقي كتاب السؤالات للحافظ السِّلَفي (١) أنه تكرَّر في أجوبة خميس الحَوْزيّ عبارة السماع بالإفادة ، ومع تتبُّع المواضع التي وردت فيها ؛ قاد البحثُ إلى مثيلات لها في المصادر الأخرى ، فاجتمع لديَّ بذلك قدر لا بأس به منها ، أحببتُ تسجيله مرتَّباً لعل المقارنة تهدي إلى الكشف عن معنى تلك العبارة ، وإنْ كنتُ أعتقد أن هذه الدراسة الموجزة والنتائج التي انتهت إليها ليست في غاية المطاف أكثر من محاولةٍ ؛ أرجو أن تكون قد وُفقتُ لإثارة البحث في مصطلح السماع عند المحدِّثين .

قال أبو نُعَيم الأصبهاني (ت ٤٣٠) :

في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن أسيد : « سمع بفائدة والده من العراقيِّين » .

(أخبار أصبهان ٢/٢٧٣)

---

(١) عنوانه الكامل : « سؤالات الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي أبا الكرم خميس بن علي الحوزي عن جماعة من أهل واسط ومن الغرباء القادمين إليها . » وقد فرغت من تحقيقه بحمد الله .

وقال الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣) :

في ترجمة أبي العلاء الواسطي : « أنبأنا القاضي أبو العلاء من كتابه في سنة (٤٢٣) ، نبأنا عبد الله بن موسى السلاميّ الشاعر ؛ بفائدة ابن بكير .. » وساق حديثاً بإسناده ثم قال : « أفدتُ هذا الحديثَ عن أبي العلاء جماعةً من أصحابنا مع تعجبي ؛ فإن السلاميَّ حدَّثَ ببخارى وتلك النواحي ولا علمتُ أنه قدم بغداد .

فلما حدَّثني عنه أبو العلاء جوَّزْتُ أن يكون ورد إلينا حاجاً فظفر به أبو عبد الله بن بكير وسمع معه أبو العلاء منه .. فلما كان في سنة (٤٢٩) وقع إليّ جزء بخط ابن بكير ؛ وفيه الحديث الذي ذكرته عن أبي العلاء عن السلامي بعينه ؛ بسياقه ولفظه » .

(تاريخ بغداد ٣/٩٨)

وقال خميس الحَوْزيّ (ت ٥١٠) :

١ – في ترجمة أبي محمد الغَنْدَجاني : « سمع بإفادة أبيه وعمّه من المُخلّص والكَتّاني .. نبيلٌ جليلٌ صحيح الأصول صدوق » .

(السؤالات : ٢)

٢ – وفي ترجمة أبي البركات بن نفيس : « وجدنا سماعه في الأصول مع أبيه من ابن التُبّانيّ وابن خَزَفَة » .

(السؤالات : ٣)

٣ – وفي ترجمة أبي طالب الصيرفيّ : « سمع بإفادة أخيه أبي القاسم.. وكان صحيح الأصول جيّد السماع ؛ أكثرها بخط أخيه » .

(السؤالات : ٥)

٤ – وفي ترجمة أبي الحسن بن مَخْلد : « سمع بإفادة أبيه أبي طالب، من أبي بكر بن بيري وأبي عبد الله العَلَويّ .. وكان جيّد الأصول، ثقةً فيما يرويه ويقول » .

(السؤالات : ١٩)

٥ – وفي ترجمة أبي البركات الجُمّاريّ : « وولده أبو نُعيم محمد ابن إبراهيم الذي حدّثَ بمسند مُسدَّد ؛ وكان سمعه بإفادته وكلاهما ثقة » .

(السؤالات : ٢٧)

٦ – وفي ترجمة أبي الحسن العطار : « صاحب أبي محمد بن السّقاء الحافظ ؛ روى عنه مُسند مُسدَّد ، وحدّثَ به عنه أبو نُعيم الجمّاري ، وكان عنده الأصل بخطّه » .

(السؤالات : ٧٠)

٧ – وفي ترجمة أبي عبد الله السّقَطيّ : « يُعرف بابن أخت مهديّ ، وكان الذي أفاده خاله أبو بكر بن مهدي » .

(السؤالات : ٧٦)

وقال ابن خلِّكان (ت ٦٨١) :

في ترجمة عمر بن طبَرْزَذ : « وكان أخوه الأكبر أبو البقاء قد أسمعه الكثير من الحديث ، ثم استقلّ بإفادة نفسه ، وعُمّر حتى حدّثَ سنين ، وحفظَ الأصولَ إلى وقت الحاجة إليها وكانت بخط أخيه أبي البقاء المذكور إلا القليل .. وكان عالي الاسناد في سماع الحديث ، طاف البلاد وأفاد أهلها » .

(وفيات الأعيان ٣/٤٥٢)

وقال ابن الفُوَطي (ت ٧٢٣) :

في ترجمة أبي المظفَّر ضياء بن صالح البغداديّ : « أفاده عمّه المبارك ابن كامل باستجازة جماعةٍ من الشيوخ له » .

(تلخيص معجم الألقاب ٤/٧٩١)

وقال الذهبيّ (ت ٧٤٨) :

١ — في ترجمة أبي طاهر المُخلِّص : « سمع بعناية والده من .. »

(سير النبلاء ١٠/ل ٢٦٧)

٢ — وفي ترجمة أبي محمد الغَنْدَجاني : « سمع باعتناء أبيه من .. »

(سير النبلاء ١١/ل ٢٠٣)

٣ — وفي ترجمة أبي طاهر السِّلَفي ؛ نقلَ قول الحافظ ابن المفضَّل فيه : « وكلُّ مَن سمع من أبي صادق المدينيّ [1] ومحمد بن أحمد الرازيّ المُعدَّل [2] من المصريين ؛ فأكثره بإفادته » .

(سير النبلاء ١٣/ل ٥)

٤ — وفي ترجمة ابن أبي عثمان ؛ نقلَ قول المؤتمن الساجيّ فيه :

---

(١) المحدث الثقة أبو صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المديني ثم المصري ، المتوفى سنة (٥١٧) ، سمع منه السلفي في سنة وفاته — ترجمته في سير النبلاء (١٢/ل ١١٠) والعبر (٤/٤١) وانظر طبقات السبكي (ط الحسينية : ٤/٤٤) .

(٢) الشيخ العالم المعمر الثقة ؛ مسند الإسكندرية ومصر أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن إبراهيم الرازي ثم المصري ، الشروطي المعدل ، المعروف بابن الحطاب . خرّج له السلفي « السداسيات » وروى عنه . مات سنة (٥٢٥) وله (٩١) سنة — ترجمته في سير النبلاء (١٢/ل ١٣٤) والعبر (٤/٦٥) .

« أفاده أبوه مع إخوته : أبي محمد وأبي تمام ، مع شراسة أخلاقٍ ونفور طبعٍ لا وجه له » .

(سير النبلاء ١١/ل ٢٨٣)

٥ – وفي ترجمة أبي القاسم البغوي : « سمع في الصغر بعناية جدّه لأمّه أحمد بن منيع ، وعمّه عليّ بن عبد العزيز.. وأول ما كتب الحديث سنة (٢٢٥) . »

(العبر ٢/١٧٠)

٦ – وفي ترجمة عمر بن طَبَرْزَذ :« أكثر سماعه مع أخيه وبإفادته» .
(ميزان الاعتدال ٣/٢٢٣)

٧ – وفي ترجمة أخيه أبي البقاء : « سمع أخوه الكثير بقراءته » .
(ميزان الاعتدال ٤/٣٠)

وقال السخاويّ (ت ٩٠٢) :

في مسألة (اشتراط بعضهم في صحة الحديث بالقراءة إقرارَ الشيخ عند تمام السماع بأنه كما قُرِىء عليه) قال السخاوي في ختام البحث :

« وبالجملة فتصريحُ المحدِّث بالإقرار مُستحبٌ ؛ فقد قال الخطيب : ولو قال له القارىء عند الفراغ : كما قرأتُ عليك ؟ فأقرّ به ، كان أحبَّ إلينا [1] ، انتهى . ولو كان الاعتماد في سماعه على المُفيد فالحكمُ فيه فيما يظهر كذلك » .

(فتح المغيث ٢/٣٨ – ط المكتبة السلفية)

يتبيَّنُ مما سبق أن مسألة الإفادة هذه ذاتُ وجهين اثنين : الأول منها يتعلق بالإفادة مجرَّدةً ؛ والثاني يختصُّ بها مركَّبةً مع السماع .

---

(١) انظر الكفاية ٢٨٠

فالإفادة – وما تقلّبَ منها كالفائدة وأفادَ – كلمةٌ لم تُجاوزْ مدلولها الأصليّ فتدخل في حيّز المصطلح ؛ فالسُّقطيُّ أفاده خاله حين اعتنى بتعليمه ، وعُمر بن طَبَرْزَد عُني به أخوه في صغره ، ثم كبر فاستقلَّ بإفادة نفسه ، ثم طاف البلاد وأفاد أهلها علماً . أما أبو المظفَّر البغداديّ فقد استجاز له عمُّه جماعةً من الشيوخ فأفاده بذلك . هذا ومرَّ بنا في ترجمة الغَنْدَجاني أنّ الذهبيَّ استعمل كلمة العناية في موضع الإفادة الواردة في كلام خميس الحوزيّ .

على أنّ هذه العناية تأخذ شكلاً خاصاً في قولهم : سمع بإفادة فلان أو سمع بعناية فلان ؛ إنها قد تعني أنّ أبا المُترَجم أو جدّه أو عمّه أو خاله أو أخاه الأكبر كان اعتنى به في صغره ، فأحضره مجالس العلم وسمّعه من العلماء الأعلام في وقته .

لكنّها لا تعني بالضرورة أن السامع في كلّ هذه الأحوال صغير السنّ لا يستطيع أن يستقلّ بنفسه في الطلب ، أو أن السماع مع أحد من هؤلاء المذكورين معناه السماع بإفادته ؛ فابن نفيس مثلاً سمع مع أبيه ولم يقولوا سمع بإفادته ، وبالمقابل أبو طالب الصيرفيّ سمع بإفادة أخيه أبي القاسم مع أنه أصغر منه بثماني سنوات فقط ، ولقد كانت سنّه تؤهله للسماع بنفسه من الشيوخ ؛ فقد كان يناهز السادسة عشرة حين مات بعض أولئك الذين سمع بإفادة أخيه منهم (١) .

---

(١) ولد أبو طالب الصيرفي سنة (٣٦٣) ومن شيوخه : أبو حفص ابن الزيات (ت ٣٧٥) ، والحسين بن محمد العسكري (ت ٣٧٥) ، وعلي بن محمد بن لؤلؤ الوراق (ت ٣٧٧) ، وأبو بكر بن شاذان (ت ٣٧٦) ، ومحمد بن المظفر (ت ٣٧٩) . انظر : تاريخ بغداد (٣١٩/١) والعبر (٣٦٩/٢ ، ٣٧٠ و ٣/٣ ، ٤ ، ١٢) .

إنما الارتباط الوثيق قائم بلا ريب بين هذا السماع والأصول المكتوبة وكلُّ الشواهد التي مرَّت بنا تشير إلى ذاك التلازم بل تؤكّده ، فالسامع في هذه الحال كما يبدو ليست لديه أصول خاصّة به ، وإنما اعتماده في السماع على أصول المفيد .

فالمفيد كتبَ الأصولَ بخط يده وضبَطها وقابلَها ، ثم بذَلها للمستفيد هبةً أو إعارةً . يتبيَّنُ ذلك جلياً في ترجمة عمر بن طبَرْزَد ، فقد كان أكثر أصوله بخط أخيه أبي البقاء وبقراءته أيضاً ، وكذلك أبو طالب الصيرفيّ .

كما أن الشواهد الأخرى تؤيد هذا المعنى أيضاً ؛ فإفادة السِّلَفي للمصريين إنما كانت ببذله أصوله التي كتبها بخطه وقرأها على ذينك الشيخين ؛ بَذَلها لهم ليكتبوا منها أو يُقابلوا عليها أو يسمعوا بها . وإلى ذلك أشار الخطيب البغداديّ إذ قال في الترغيب في إعارة كتب السماع : « إذا كان لرجلٍ كتابٌ مسموع من بعض الشيوخ الأحياء فطُلب منه ليُسمَعَ من ذلك الشيخ ، فيُستَحَبُّ أن لا يمتنع من إعارته ؛ لما في ذلك من البرّ واكتساب المثوبة والأجر . وهكذا إذا كان في كتابه سماعٌ لبعض الطلبة من شيخٍ قد ماتَ ، فابتغى الطالبُ نسخَهُ استُحبَّ إعارته إياه وكُرِه أن يمنعه منه . أخبرنا الحسن بن أبي بكر .. حدثنا أبو طالب عبد الجبار ابن عاصم قال : سمعتُ يحيى بن معين يقول : مَن بخلَ بالحديث وكسرَ على الناس سماعهم لم يُفلح (١) » .

وفي هذا المعنى قال ابن الصلاح ؛ وصرَّح بالإفادة : « ومَن ظفرَ

(١) الجزء الرابع من كتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع . نسخة الظاهرية (الصفحة الثالثة)

من الطلبة بسماع شيخٍ فكتمه غيره لينفرد به عنهم ، كان جديراً بأن لا ينتفع به ، وذلك من اللؤم الذي يقع فيه جهلة الطلبة الوضعاء . ومن أول فائدة طلب الحديث الإفادة ، روينا عن مالك رضي الله عنه أنه قال: مِن بركة الحديث إفادة بعضهم بعضاً . وروينا عن إسحاق بن إبراهيم ابن[1] راهويه أنه قال لبعض مَن سمع منه في جماعةٍ : انسخ من كتابهم ما قد قرأت . فقال : إنهم لا يمكنونني . قال : إذن والله لا يُفلحون ؛ قد رأينا أقواماً منعوا هذا السماعَ فما أفلحوا ولا أنجحوا » [2] .

وهكذا نرى أن السماع بإفادة المفيد قد يعني السماع معه ، لكنّ الإفادة هنا لا تقتصر على الصحبة في السماع فحسب ، بل تشير إلى ما وراء ذلك من وجوه الاعتماد على المفيد في تحمّل العلم ؛ باكتساب أصوله أو باستعارتها ، ولا يخفى ما في ذلك من التعاون العلمي النبيل ؛ تدفع إليه الروح العلمية الأصيلة ؛ التي أشرقت شمسها من معالم تراثنا العظيم .

دمشق مطاع الطرابيشي

---

(١) بإثبات ألف (ابن) الثانية على أنها بدل من الأولى ، وراهويه هو إبراهيم : جمعوا بين اسمه ولقبه ليتم تعريفه . انظر شرح النووي على صحيح مسلم (ط المصرية ١٣٤٧ هـ) : ج ٢/ص ١٠٢ والمطالع النصرية للهوريني (ص١٢٠) . وقد مرت هذه الكلمة في طبعات المقدمة محذوفة الألف ومن غير تعليق فحقّ التنبيه .

(٢) مقدمة ابن الصلاح (ط دار الحكمة ص : ١٢٥) .

التعريف والنقد

ملاحظات على وفيات الأعيان

المجلد السابع

تحقيق الدكتور إحسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ،
مطبعة دار القلم – كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧١

الدكتور علي جواد الطاهر

١ – انتهى المجلد السادس بالترجمة رقم ٨٢٨ : يعقوب بن الليث الصفار الخارجي ، وانتظر القارىء المتتبع أن يبتدىء المجلد السابع بالترجمة رقم ٨٢٩ : يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي . ولكن المنتظر لم يقع ، والذي وقع غريب جداً في بابه ، فقد فُتحت الصفحة الأولى من المجلد السابع (ورقمها ٥) بعنوان يقول : مصادر ترجمته وأخباره . وعلى هذا العنوان إحالة في الهامش من الصفحة نفسها تقول : ذكرت المصادر أن له ترجمة في تاريخ الحافظ . . . الخ .

فمن هو هذا ؟ ومصادر من هذه ؟

ثم تتوالى المصادر : كمال الدين ابن الشعار (– ٦٥٤) ، عقود الجمان في شعراء هذا الزمان . . . ، شهاب الدين أبو شامة (– ٦٦٥) ، ذيل الروضتين . . . شمس الدين بن خلكان (– ٦٨١) وفيات الأعيان ، ويمضي في ذلك إلى مايقرب من وسط الصفحة ٧ ويصعب أن يظن ظان ما يفتح

المجلد السابع هذا أن الضمير في ترجمته وأخباره يعود على ابن خلكان. ولِمَ ابن خلكان؟ وما دخله بين يعقوبين؟ وإذا كانت هذه مصادر ابن خلكان مؤلف الكتاب فلِمَ لم تذكر في أول المجلد الأول لدى حديث المحقق عن ترجمة المؤلف قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان؟ لقد كان ذلك مكانها الطبيعي الذي تقتضيه مناهج التحقيق والبحث.

٢ ـ وتنتهي المصادر فتبدأ صفحة بيضاء كتب في وسطها مقدمة في المؤلف وكتابه، فنعرف أن هذه مقدمة يكتبها المحقق عن المؤلف (ابن خلكان) وكتابه (وفيات الأعيان)، وكان اللازم ـ إذا كان لا بد من ترجمة ابن خلكان هنا مُعترضاً بين يعقوبين: الأول في نهاية المجلد السادس، والثاني يجب أن يكون في مفتتح المجلد السابع ـ أن تأتي هذه الصفحة البيضاء التي كتب في وسطها مقدمة في المؤلف وكتابه أُولى في المجلد، لتدل بعض الدلالة على قصد المحقق. أقول: بعض الدلالة، لأنها لا يمكن أن تدل دلالة تامة على القصد، وإلا فكيف تكون المقدمة عن المؤلف والكتاب في مقدمة المجلد السابع من الكتاب، وليس في مقدمة المجلد الأول؟

يمكن لقائل أن يقول: من الممكن أن يؤخر، في تحقيق الكتاب، الحديثُ عن الكتاب ومؤلفه لكي يكون كلام المحقق متماسكاً ناضجاً. ونقول: ذلك ممكن، ولا سيما بعد أن نص المحقق في مقدمته للمجلد الأول (ص١٧) على ذلك، فقال: «وسيدرج في الجزء الثامن ترجمة تفصيلية للمؤلف ودراسة لكتاب وفيات الأعيان. وإني أرجو أن أوضح هنالك شيئاً من طبيعة التأليف المتدرج الذي جرى عليه المؤلف في كتابه هذا».

نقول: ممكن، وننتظر الجزء الثامن... وإن كان الأولى أن تكتب المقدمة ـ كما هو طبيعي ـ في المقدمة، وأن يدفع المحقق بأجزاء الكتاب الذي يحققه بعد أن ينتهي من الحصول على المخطوطات والمقابلة وكل شيء.

نقول : ممكن . . . ولكنها لاتعود ـ في هذه الحال ـ مقدمة ، وإنما تكون ذيلاً أو ملحقاً ، ومن شأن الذيل والملحق أن يأتيا في آخر الأجزاء . وليس هذا الذي حدث في تحقيق وفيات الأعيان بالمقبول ، فقد جاءت المقدمة ـ ولا بأس في قبول اسمها ـ في بداية المجلد السابع ، أي أنها لم تأت بعد ختام الكتاب وإنما قطعت سلسلة التراجم فوضعها المحقق معترضة بين يعقوبين ، ففصل بين كلام المؤلف بأكثر من مئة صفحة . قد يقول الدكتور إحسان عباس : إن الملاحظة شكلية ونحن نقول : إنها شكلية ، ولكنها جزء لا يتجزأ من عمل المحقق ، ولا موجب للفصل . إن المقدمة قيمة ، ولكن وضعها حيث جاءت أخلّ بها وبنظام الكتاب، وإذا صعب أو استحال وضعها في مقدمة الكتاب كان مناسباً أن توضع في ختامه . . .

وأخشى أن تكون الحال خاضعة للعرض والطلب ، وإلى المطبعة التي تريد أن تدور عجلاتها .

٣ ـ الجزء والمجلد : مسألة شكلية أخرى . ولكننا نحرص على استعمال الكلمة التي استعملها المؤلف أو الذين تحدثوا عنه ، فذلك أدلّ على الدقة وأنفع لمن يدرس تطور الكلمة التي صارت مصطلحاً ويريد أن يعرف الفرق بين الجزء والمجلد ، وفي أي عصر استعملا ولدى أي مؤلف ـ وقد يصل إلى نتيجة ، فهل قسم ابن خلكان كتابه إلى مجلدات أو إلى أجزاء ؟

إذا نظرنا التحقيق الذي صدر باسم الدكتور إحسان عباس نرى الكتاب مقسماً إلى مجلدات : المجلد الأول ، المجلد الثاني . . . الخ فهل يعني ذلك تقسيم المؤلف أو تقسيم المحقق ؟ لم يفرق المحقق لنا بين المجلد والجزء فهو إذ يقسم الكتاب إلى المجلد الأول والمجلد الثاني . . . يتحدث وكأنه قسم الكتاب إلى أجزاء ، فيقول مثلاً في مقدمته الأولى ص١٧ : وقد قدرت أن يجيء

هذا الكتاب في سبعة أجزاء . وأن يكون الجزء الثامن خاصاً بالفهارس المفصلة ،وأنا أتوقع أن يكون اعتمادي في الأجزاء الأخرى . . .الخ .

وجاءت إحالاته على ابن خلكان بالرمز ج وهو رمز للجزء، ورمز المجلد مج ، وينظر مج ٢ ص ٧ ، مج ٤ ص أ .

ومن يدري فقد يكون « الجزء » أكثر صلة بعمل ابن خلكان والذين تحدثوا عنه من « المجلد » . . . ومن ذلك أن المحقق عندما يصف لنا النسخ المخطوطة ص ١٦ من مقدمته الأولى يقول· النسخة « د » . . . تقع في أربعة أجزاء . . . الجزء الرابع . . . الجزء الثاني . . . الجزء الثالث . . . وعندما يصف في ص١٧ النسخة « ط » يقول : « . . . وفي آخرها : تم الجزء الرابع من وفيات الأعيان وبه يتم الكتاب .» وعندما وصف النسخ في الجزء الذي ورد اسمه : المجلد الثاني ، قال ص ٦: « نسخة أحمد الثالث . . . من ثلاثة أجزاء . . . الجزء الأول . . . الجزء الثاني . . . الجزء الرابع . . . »وعندما تحدث عن المختار من وفيات الأعيان الذي عمله ولد المؤلف (موسى) وردت كلمة « جزء » أكثر مما وردت كلمة مجلد . وانتهى المحقق في مج ٤ ص و إلى القول : « وهذا يدلنا على أن التجزئة النهائية التي اعتمدها المؤلف (ابن خلكان) لكتابه جملته خمسة أجزاء نعرف منها بوضوح حدود الجزئين الأخيرين ... » .

وعاد إلى ذلك عندما درس النسخ في المجلد السابع ص ٨٨ فقال : « ... النسخة ذات الأجزاء الخمسة التي كان يملكها ابن المؤلف . . . » .

والحاصل من مجموع حديث المحقق عن النسخ ومن موقفه «وأن كلمة «جزء » أولى من «كلمة » مجلد ،ولكنه استعمل كلمة مجلد فقال: المجلد الأول ، المجلد الثاني، ولم يقل الجزء الأول ، الجزء الثاني .. دون بيان للسبب .

هذا وقد ورد في حديثه في مقدمة المجلد الرابع ص ج لدى وصف نسخة مكتبة قاضي زاده محمد باستنبول مايفيد أن الجزء أصغر من المجلد وأنه

بعض منه فقال: « في المكتبة المذكورة مجلدان ، في كل مجلد جزءان ، وتحتوي الأجزاء الأربعة جميع كتاب الوفيات ، فالمجلد الأول ... مكتوب بنفس الخط الذي كتب به المجلد الثاني ... »

وقال حاجي خليفة في كشف الظنون ٢ : ٢٠١٧ - ٢٠١٨ « وفيات الأعيان - في مجلدين » .

إن المسألة شكلية ولكنها تهم من يتتبع تاريخ الكلمات ، ويحاول تحديد المصطلحات . ويرى تفضيل الراجح على المرجوح ، وأن يبقي المحقق قريباً من الأصل .

٤ - ص ٧٦ : « وقد يستغرب المرء ... أن يختار [المؤلف] الترتيب الأبجدي ... لأن الترتيب الأبجدي ... »

وصحيحُ الترتيب الأبجدي : الترتيبُ الهجائي ، والفرق ، وإن كان معروفاً ، فإنه على أي حال فرق ، فالأبجدي : أ ، ب ، ج ، د ، ه ... والهجائي أ ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ...

وقد استعمل المحقق المصطلحين (الأبجدي والهجائي) في الصفحة نفسها (أي ٧٦ من المجلد السابع) بمعنى واحد فقال : « اختار الترتيب على حروف الهجاء ... الترتيب الهجائي ... »

٥ - ص ٧٦ « ولكنه [أي المؤلف] لم يلتزم الترتيب الهجائي إلا في الاسم الأول ولم يراع ذلك في الأسماء الواردة في سلسلة النسب ، واضطرب لديه الترتيب في حرف العين كثيراً ، فجاء عبد الملك قبل عبد السلام وورد اسم عبد الجبار بعد عبد الكريم » . والملاحظ على هذا :

١ - أنه لم يلتزم الترتيب الهجائي حتى في الاسم الأول ، وإنما التزم الترتيب الهجائي للحرف الأول ، من الاسم الأول ، أما في الحروف الأخرى فقد يلتزم أو لا يلتزم ، ولنا أن نفتح المجلد الثاني من التحقيق الماثل أمامنا فنرى : حبيب ، حاتم ، الحجاج ... الزبير ،

زبيدة . أو أن نقول إنه التزم الحرف الأول ، وحاول التزام الحروف الأخرى ولكنه اضطرب فيها . ومن هذا الذي نراه اضطراباً مايمكن أن يرد إلى منهج لديه ، فقد يُردّ تقديمه (في المجلد الثالث) عبيد الله على عبد الرحمن إلى أنه أتى بمن اسمه عبيد الله نسقاً بعد أن انتهى ممن اسمه عبد الله .

ب ـ لم يكن اضطراب في حرف العين إذا علمنا أنه لم يقيد نفسه إلا بالحرف الأول ، وما نسميه اضطراباً في الحروف الأخرى وقع في حرف العين وغيره ، أما مسألة عبد الملك ، عبد السلام ، عبد الكريم ، عبد الجبار فهي جزء من نهجه ، أي من عدم تقيده المطلق بالحروف التالية للحرف الأول ، وعدم تقيده بحروف الآباء ، فكان المهم لديه أن تتوالى لفظة عبد ، أيّاً كان لفظ المضاف إليه من أسماء الله الحسنى : الملك أو السلام أو الكريم أو الجبار أو . . .

جـ ـ نحن لا نقول: اضطرب ، وإنما نقول : لم يلتزم ، لأن إسناد الاضطراب إليه يعني أنه قرر أن يلتزم الحروف التالية للحرف الأول من الاسم الأول ، وأن يلتزم حروف الأسماء التالية للاسم الأول ـ وهذا مالا يبدو وإذن فهو لم يضطرب وإنما لم يلتزم ـ وفرق بين الاثنين لدى مراعاة الدقة .

٦ ـ ص ٨١ : « وقد جاءت التراجم في المطبوعة المصرية ٨٢٦ ترجمة » .

لا يني الأستاذ المحقق يقول ويعيد القول في المطبوعة المصرية ، المطبوعة المصرية ... كأن لم يطبع وفيات الأعيان في مصر إلا طبعة واحدة وكأن قول المحقق: المطبوعة المصرية كافٍ وحده لأن يحدد للقارىء هذه الطبعة ... لا ... وهذا غير صحيح وغير دقيق ، فقد طبع الكتاب في مصر مراراً . وإذا شاء محقق أن يقصر قوله على طبعة واحدة من هذه الطبعات ألزم بتعيينها وتحديد وصفها في مكان ثم الرمز إليها بما يميزها ، إنه يريد : وفيات الأعيان ، مطبعة

السعادة ، نشر مكتبة النهضة المصرية ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ١٣٦٨ / ١٩٤٨ . لكن ، بشرط أن يحدد ويوضح . فما يعلمه المحقق لا يعلمه الناس كلهم ، والمحقق لا يحقق لنفسه ، ومن الناس من يملك مطبوعة مصرية غير المطبوعة التي يشير إليها المحقق .

نقول : إن الحديث عن المطبوعة المصرية والإحالة عليها دون تحديدها غير صحيح ، لأن هناك أكثر من مطبوعة مصرية ، منها - كما جاء في معجم المطبوعات لسركيس - :

أ - بولاق ، ج ٢ ، ٢ - ١٢٧٥ ، الجزء الأول بتصحيح الشيخ عبد الرحمن قطة العدوي ماعدا ست ملازم ، والجزء الثاني بتصحيح نصر الهوريني .

ب - بولاق ، ج ٢ ، ١٢٩١ وبهامشه ...

ح - مط . الوطن ، ج ٣ - ١٢٩٩

د - مط . الميمنية - ١٣١٠

٧ - ص ٨٨ : « ... ليس هناك مطبوعة - بين المطبوعات المختلفة التي صدرت لهذا الكتاب تمثل حقيقة ماصنعه المؤلف بدقة ... »

أ - ما المطبوعات المختلفة ؟ وأين ؟ لم يسجل المحقق هذه الطبعات ولم يصفها في مكان ولم يدلّ على أنه ألمّ بها لدى التحقيق - وقد يكون فيها ما ينفع أو ما يحسن التنبيه على نقصانه وخطئه في الأقل .

ب - وقد ذكر المحقق في مقدمته للمجلد الأول ص ١٧ بأنه « سيدرج دراسة لكتاب وفيات الأعيان ، راجياً أن يوضح شيئاً من طبيعة التأليف المتدرج الذي جرى عليه المؤلف في كتابه هذا » .

وقد برّ بقسط كبير من وعده في المجلد السابع - لا الثامن - ص ١٨ - ٨٨ ولكنه قصر حديثه على المخطوطات أو على القسم الذي حسبه - وهو أعلم من غيره بالموضوع - الأهمّ .

ولكن ، أما كان مناسباً أن يعرّج ـ لهذا السبب أو لغيره مما يلزم التحقيق صاحبه به من الاستقصاء ـ على المطبوعات وهي ليست مما يستهان به في موضوع وفيات الأعيان ، إنْ في بيان الجيد فيها وإن في بيان الرديء ، ليكون الناس على علم يتلقونه على يد أخبر الخبراء ، وليكون المحقق نفسه على علم بما يتصل بعمله وليتمم المنهج الذي ألزم به نفسه من دراسة المؤلف والكتاب ـ ومطبوعات الوفيات جزء من دراسة الكتاب ـ أجل ، فقد طبع الكتاب مراراً ، وتحدث المحقق عن طبعة وستنفلد في مقدمة المجلد الأول ص ١٥ ـ ١٦ فقال : « بين عامي ١٨٣٥ و ١٨٥٠ قام الأستاذ فرديناند وستنفلد بنشر كتاب وفيات الأعيان في اثني عشر جزءاً [لنلاحظ كلمة جزء] وخصص الجزء الثالث عشر لاختلاف القراءات للزيادات في النسخ ... » ويشعر القارىء بحاجة إلى تفصيل أكثر من الكلام على هذه الطبعة لأنها الأساس الذي انطلق منه الدكتور إحسان عباس . ثم إن الأستاذ المحقق ذكر لنا النسخ التي اعتمدها وستنفلد وهي « أ » بليدن ، « ب » من غوطا ، « ج » من برلين نسخها سنة ١٠٨٣ ، « د » من برلين ... وهي من أشد النسخ إسهاباً في التراجم ، « ه » من غوطا ... نسخها ١٢٠١ ... ولم يشر الأستاذ المحقق إلى ما حصل عليه من أصول تحقيق وستنفلد ، ويبدو أنه لم يسعَ للحصول على ذلك ...

ومناسب لو نص على مكان الطبع : غوطا .

وقد رأينا المطبوعات المصرية ، إلا أنه لم يشر إلا إلى واحدة ، كأن لم يكن غيرها .

ثم هناك طبعات أخرى ، كان مناسباً أن تذكر ـ ولو ذكراً فقط ـ وفاءً بالغرض . منها ، كما يذكر سركيس : ج ١ ، باريس ١٨٣٨ وتنتهي بآخر ترجمة الشريف الرضي .

وقد اطلعت على هذه الطبعة ، وهي لدى التحقيق ليست طبعة بالمعنى الحرفي ، وإنما هي تصوير ، فهي والحالة هذه تنطوي على الأهمية التي ينطوي عليها مخطوط . ومنها طبعة طهران ، يقول عنها سركيس : ج ٢ - ١٢٨٤ بعناية محمد باقر بن عبد الحسين خان الصدر الأصفهاني .

وكان أستاذنا الدكتور مصطفى جواد - وهو من هو في علم التراجم والوفيات - يثني على هذه الطبعة ويراها الأكمل والأجدر بالمراجعة .

فهل اطلع الأستاذ المحقق على هذه المطبوعات ، أما كان مناسبا الاطلاع لتكون الأحكام أدق ؟ أما كان مناسباً الحديث عنها لتكون دراسة الكتاب أكمل ؟ بل إن الدراسة تقتضي إعلام القارىء باللغات التي ترجم إليها الكتاب كلاً أو جزءاً ، قديماً أو حديثاً . قال جرجي زيدان ٣ : ١٧٢ (ط ٢) : « نقله إلى الفارسية يوسف بن عثمان سنة ٨٩٥ (في المتحف البريطاني) وابن أويس اللطيفي (في اكسفورد) وترجمه إلى الإنجليزية دي سلان ، ونشر في لندن سنة ١٨٤٢ - ١٨٧١ في أربعة مجلدات ضخمة . ونشر بعضه مع ترجمة لاتينية في ليدن سنة ١٩٠٨ » .

٨ - لو حاول الأستاذ المحقق الاستمداد لعمله قبل البدء الجدّ في تحضير مايجب أن يكون حاضراً قبل الشروع ، فجنّبه ذلك كثيراً من الاضطراب والاستدراك . وقد رأينا أنه تعجل فانطلق من طبعة وستنفلد ومخطوطتين ، وظل كلما تقدم خطوة عثر على مخطوطة أو مخطوطتين حرم من فوائدها المجلد المحقق السابق ، واضطر المحقق إلى ضروب من الاستدراك ... وفي هذا الذي فات المحقق في البداية وعثر عليه بعد البداية مالم يكن سراً مجهولاً ، وحسبك أن يكون منه ماهو كائن في المتحف البريطاني ومنه ما كان مطبوعاً...

كان مناسباً جداً أن يستشير الأستاذ المحقق أقرب المراجع الحديثة في الدلالة على المخطوط والمطبوع ... من فهارس وتراجم وتواريخ أدب وبروكلمان ...

لقد فرح كثيراً إذ عثر ـ بعد صدور المجلد الأول ـ على مسودة المؤلف ، ولو بدأ بالبداية ورجع إلى فهارس المخطوطات لرآها في المتحف البريطاني رقم ٢٥٧٣٥ ؛ وفرح كذلك إذ وجد نسخة الظاهرية رقم١٨٥٤في دمشق ،والظاهرية في متناول المحققين . وفرح كذلك لدى عثوره ـ بعد أن صدر من الكتاب ثلاثة مجلدات ـ على المختار من وفيات الأعيان الذي عمله ولد المؤلف : موسى . وحقّه أن يفرح لأن الاكتشاف هام جداً ، ولكنه لو سار منهجياً في التحقيق لعثر على هذا المختار قبل أن يبدأ ، فما وجوده بسرّ ، ويكفي لمحقق يحاول أن يلمّ علمياً بمادة عمله كي يقف عليه ، وهل أقرب من جرجي زيدان في كتابه ، تاريخ آداب اللغة العربية (ط ٢ ، ٣ : ١٧٣) . إنه يقول بعبارة صريحة : « من مختصراته لابنه موسى في المكتب الهندي بلندن » .

٩ ـ عندما عثر ـ بعد صدور ثلاثة مجلدات ـ على المختار الذي عمله موسى ابن المؤلف قال في مقدمة المجلد الرابع ص ز : « هو ـ أي موسى ـ رجل مثقف .. وسنتحدث عنه بشيء من التفصيل عند الحديث عن المؤلف وكتابه وما يتصل بها في موضع آخر » .

ثم جاء الموضع الآخر فتحدث المحقق في المجلد السابع حديثاً قيّماً عن المؤلف وكتابه ، ولكنه نسي وعده فيما يتعلق بموسى .

١٠ ـ ص ٨٨ . « وقد كنت أودّ أن أدوّن هنا ما اطلعت عليه من نسخ ابن خلكان في المكتبات التي زرتها باستانبول وبورسه واسكدار وبرلين وتوبنجن والمتحف البريطاني ومنشستر وادنبره ، وأن أصف كل نسخة منها ، وهي تقارب الثمانين . . ولكن وجدت ذلك يثقل هذه المقدّمة ... » .

لا ، إنه لا يثقلها ، لأنه من صميمها وصميم عملية التحقيق .

هذا إلى أنه جزء من دراسة الكتاب ، وأنه مما يمكن أن يخدم ناقداً للتحقيق ، أو محققاً جديداً يعتزم إعادة التجربة ، أو هيئة عامة ترى أن تجمع مخطوطات الكتاب ، وما هو منها وإليها ، في مكان خاص خدمة له ودعوة إلى درسه وتهيئة لتحقيق جمعي .. وإذْ أضرب الأستاذ المحقق عن تدوين ما اطلع عليه ، كنا نودّ لو عمل جريدة بهذه المخطوطات : مكانها ، رقمها ، أهم صفاتها – وليس في هذا ما يثقل مقدمة تكتب للتحقيق . إن هذه الجريدة أهمّ كثيراً في التحقيق من (١٦) صفحة تخصص لأشعار ابن خلكان ودوبيتاته .

١١ — ص ١٥ (من المجلد السابع) : « محمد بن يعقوب .. توفي .. سنة عشرة وستمائة [لعشر خلون من شعبان] ... » وقال المحقق مذيلاً على ما بين المعقوفين « لم يرد في النسخ الخطية » . ويتساءل القارىء كيف حدث ذلك وإزاءنا أكثر من عشر نسخ خطية ؟ وإذا لم يكن في الخطية فمن أين أتينا به ؟.

١٢ — ص ٤٦ : « وذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف وأبو هلال العسكري في كتاب الأوائل أن أول من وضع المنجنيق جذيمة الأبرش ملك العرب » .

وذيّل المحقق على كتاب المعارف قائلاً : المعارف ٥٥٤ .
ومنهجه يقتضيه التذييل على « الأوائل » كذلك .

١٣ — ص ٨١ – ٨٢ ، الأعلم الشنتمري : « وغالب ظني أنه شرح الحماسة » مناسب أن نؤكد ظن ابن خلكان برواية ياقوت في معجمه ٢٠ – ٦٠ « الأعلم ... وشرح الحماسة شرحاً مطوّلاً ... »

١٤ – الترجمة ٨٤٨ يوسف بن هارون الرمادي ، ص ٢٥٥ – ٢٥٦ :

« وذكر أبو منصور الثعالبي في كتاب يتيمة الدهر الأبيات التي مدح بها يوسف بن هارون أبا عليّ القالي ، وأورد له ...

وثلاث شيبات نزلن بمفرقي | فعلمت أن نزولهن رحيلي
طلعت ثلاثاً في نزول ثلاثـة | واشٍ ووجهُ مراقب وثقيل
فعزلنني عن صبوتي فالآن ذالـ | ـت لقد سمعتَ بذلة المعزول »

وأحال المحقق إلى اليتيمة ٢ : ١٠٠ – ١٠١

أ – صحيحُ الإحالة : اليتيمة ٩٩

ب – صحيحُ « ووجـهُ مراقب » الواردة بضم الهـاء : « ووجهِ مراقب » بكسرها لأنها معطوفة على واشٍ ، وهي بدل من ثلاثة .

جـ – المفضل لدى الإحالة الاستفادة من الفروق ، والذي جاء في اليتيمة ٢ : ٩٩ :

فعذلنني عن صبـوتي متذللاً | ولقـد سمعـت بذلة المعزول

ثم إن عذلنني بالذال أنسب – إن لم تكن الصحيحة الوحيدة – والأبيات في الغزل ولا موجب للعزل – حتى إذا عزي ذلك إلى عامل المطبعـة الذي يلفظ الذال زاياً .

ثم إن تحويل سمعت إلى الخطاب من المتكلم يستدعي حجة ومناقشة ، فما المانع في أن تكون سمعت أنا ..

١٥ – إن عمل المحقق الأول هو المقابلة وإثبات الفروق (والخلافات) في الذيل أمانة وحرصاً على الاقتراب من قصد المؤلف ، وخدمة للقارىء

والباحث .. ولم يكن الدكتور إحسان عباس يجهل ذلك ، ولا أدل على علمه من أنه كان يضع في الذيل عدداً من الفروق .

ولكننا نلاحظ ـ ولاحظنا ـ أن هذه الفروق أقل كثيراً مما يجب ، بحكم ما راجع الأستاذ المحقق من نسخ مخطوطة ، وبحكم الاختلاف بين هذه النسخ ، وما عرفه الأستاذ المحقق ، قبل غيره ، من زيادة في واحدة ونقص في أخرى ، ومما زاده ابن خلكان نفسه وألحقه على مر الزمن وتجدد العلم ..

لقد وضع الأستاذ المحقق في المجلد السابع صوراً لثلاث عشرة نسخة رجع إليها ، ودلنا ـ في حديثه عن النسخ في مقدمات مجلداته ـ على اختلاف ملحوظ ـ إن لم يكن كبيراً ـ وأقل ما يعني هذا ألا تخلو صفحة من مجلداته السبعة من فروق أو فرق ... ولكننا نأتي لنختبر ما هو أقرب إلينا من المجلد السابع الذي بلغت صفحاته ٢٥٩ ، فنلاحظ بوضوح ندرة الفروق في الصفحات التي ذيلت بفروق ، ونلاحظ بوضوح كذلك صفحات كثيرة مرت دون أي فرق ؟ نذكر هنا الصفحات : ١ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٠ ، ٦١ – ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٠ – ٩٢ ، ٩٤ – ١٠٥ ، ١٠٧ – ١١١ ، ١١٣ – ١٢٥ ، ١٢٧ – ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٦ – ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ – ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٨ – ١٧٠ ، ١٧٥ – ١٧٩ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٤ – ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ – ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٣ – ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ،

٢٢٨ ، ٢٣٠ – ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢ – ٢٤٥ ، ٢٤٧ –
٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ – ٢٥٩

١٦ — ينتهي المجلد السابع وهو الأخير من الكتاب ص ٢٥٩ ، ويفاجأ القارىء بـ ٤٤ صفحة مخصّصة لمصورات من صفحات للمخطوطات المتمدة ، والتصوير هذا من شرائط التحقيق ، ولكن جمع الصور في آخر الكتاب يفقد جزءاً من الفائدة ،لأن الأصل أن تكون الصورة قريبة من وصف النسخة لتوضح هذا الوصف وتمتحنه ، ومن هنا كان المناسب أن تأتي هـذه الصور موزعة على المجلدات لدى وصفها وبدء الاستفادة منها . ولو كان المحقق قد جمع النسخ المخطوطة اللازمة قبل أن يصدر المجلد الأول والثاني والثالث .. لجاء وصف النسخ في مكان واحد من مقدمة المجلد الأول ولجاءت المصورات هناك كذلك .

ثم ماذا نلاحظ :

أ — بقيت نسخة المتحف البريطاني ذات الرمز ط ، من غير صورة — ولا بأس — على حين تمتعت بعض النسخ بتصوير عدّة صفحات — ولا بأس كذلك .

ب — نجد صوراً لنسختين من آيا صوفيا « برمز ص » الأولى رقم ٣٥٣٢ والثانية رقم ٣٥٣٣ على حين لم يحدثنا المحقق إلا عن نسخة واحدة هي آيا صوفيا : ٣٥٣٢ ورمزها ص (ينظر وصفه في المجلد الثاني ، المقدمة ، ص ٧)

فما خبر آيا صوفيا الثانية ، إذاً ، وما قيمتها ؟ وما سبب التصوير هنا ؟ وكيف يكون رمز واحد لنسختين ؟

جـ — ونجد صوراً لنسختين من لاله لي برمز « لي » : الأولى رقم ٢١١٢ والثانية رقم ٢١١٣ ، ولم يحدثنا المحقق إلاّ عن نسخة واحدة هي لاله لي رقم ٢١١٢ ورمزها « لي » ، وكيف يكون رمز واحد لنسختين ؟

د — ونجد صوراً من نسخة نور عثمانية « ع » رقم ٣٠٧٦ ولم يحدثنا المحقق بشيء من مقدماته عن هذه النسخة : قيمتها ؟ كمالها أو نقصها ؟ مدى استفادته منها ؟...

هـ — اتخذ المحقق – منذ البداية – تحقيق وستنفلد لوفيات الأعيان أساساً ومنطلقاً ، وهذا يكون في النشر ، ولا يكون في النشر العلمي. وتحدث عن النسخ التي اعتمدها وستنفلد في تحقيقه أ ، ب ، ج ، د ، هـ ، ف ، ولكننا لم نجد لهذه النسخ الخمس أو الست صوراً أو صورة بين الصور الكثيرة المتكررة للنسخة الواحدة أحياناً . فلماذا ؟ إنه أقلّ ما يعني أن الدكتور إحسان عباس منح وستنفلد ثقة مطلقة ، وأنه لم يحاول أن يحصل على هذه النسخ أو بعضها ، ولا يستحيل الحصول على بعضها.

وكنا نودّ لو قالها صريحة منذ البداية وفي كل جزء ، فقد كان يخيّل للقارىء أحياناً – دون سبب واضح – أن الدكتور إحسان عباس إذ اعتمد تحقيق وستنفلد اعتمده بعد امتحان ومقابلة ، وحصول على نسخ أو محاولة في الحصول على النسخ .

لقد كان الدكتور إحسان عباس أميل إلى الصمت فيما يتصل بوستنفلد ومدى ما انتفع به ، وما يمكن أن يكون في هذا الانتفاع مما لا يناسب المنهج العلمي في التحقيق .

ومن الأمور التي تركها دون تعليل مع حاجتها العلمية إلى التعليل إضرابه عن فروق وستنفلد – بعد أن أصدر مجلدين كاملين من طبعته –

إضراباً تاماً مقرراً بوعي ، فلم يعد مجال للإفادة بما أفاده وستنفلد من خمس أو ست هي : أ ، ب ، ج ، د ، ه ، ف = ليدن ، غوطا ، برلين ، برلين ، غوطا ... لماذا ؟

كلّ ما رأيناه أن الأستاذ المحقق قال في مقدمة المجلد الثالث : « ويحسن أن نشير إلى أنّ الفروق بين النسخ التي اعتمدها وستنفلد قد توقفت الإشارة إليها عند آخر حرف الظاء (أي عند نهاية الجزء [يقصد المجلد] الثاني حسب تجزئتنا) » . لماذا ؟ مرة أخرى . وهل يعني ذلك أننا اكتشفنا عيباً كبيراً في تحقيق وستنفلد ؟ وهل يعني أننا أضربنا إضراباً كليّاً عن الاستعانة به أو أننا أهملنا فروقه فقط ؟ وهل ؟ وهل ؟ وإذا كان العيب في وستنفلد نفسه فلم لم نسعَ في الحصول على ما يمكن الحصول عليه من النسخ التي اعتمدها ؟ ثم ما مصير المجلدَين الأولَين اللذيْن انتهت عندهما الظاء ؟

بغداد — كلّية الآداب علي جواد الطاهر

نحوُ النثر العربي الحديث

Syntax of Modern Arabic Prose

تأليف فيجنته كانتارينو

Vicente Cantarino

الجـــزء الأول

Indiana University Press, Bloomington Iondon , (1974)

مراجعة الدكتور صفاء خلوصي
الأستاذ المتفرغ للبحث والتأليف

منذ أيقن الغربيون أن بلادهم أصبحت أكثر اعتماداً من ذي قبل على اقتصاديات البلاد العربية ولا سيما خامات المعادن ، وعلى الأخص البترول ، أخذوا يعتبرون البلاد العربية جزءاً مما يسمّونه بأوربا الكبرى التي تضم شمالي إفريقيا وجنوب غربي آسيا ، أي البلاد العربية برُمّتها ، ومن ثَمَّ أخذ اهتمامهم يزداد باللغة العربية وآدابها ونحوها وصرفها ، وصارت المعجمات وكتب النحو العربي تؤلَّفُ بشتى اللغات الأوربية على مقياسٍ لم نألفه من قبل ، وها هي ذي المطابع الانكليزية تُصدِرُ كتاباً جديداً بعنوان « نحو النثر العربي الحديث » (الجزء الأول) بدعمٍ من مركز الشؤون العالمية بجامعة انديانا ، ومن وضع الأستاذ « فيجينته كانتارينو » وهو أستاذ أميركي من أصل ايطالي .

ويعالج المؤلف في هذا الجزء الجملة البسيطة the simple sentence ويعني بذلك الجملة الخالية من التراكيب المعقدة ، والعبارات الاعتراضية . وعِدّة الكتاب ١٦٨ صفحة من القطع المتوسط ويضمّ ، فضلاً عن المقدمة وقائمة الاختصارات ، أربعة أبواب :

١ — الجملة الاسمية . ٢ — الجملة الفعلية .

٣ — أدوات النفي . ٤ — الجمل الاستفهامية .

وكان الاتساق يقتضي أن يكون عنوان الباب الثالث : « الجمل المنفية » يُعالَجُ ضمنها أدوات النفي .

ويعرّف المؤلف الجملة بأنها وحدة كلامية قائمة بذاتها في تركيب لفظي دالّ على معنى ، ولا تحتاج العربية إلى فعل كأحد مقومات الجمل الأساسية[1]، لذلك كان تقسيم الجمل العربية إلى نوعين رئيسيين :

١ — الجمل الاسمية حيث الأسماء والضمائر والصفات الخ ..

٢ — الجمل الفعلية التي لا بدّ لها ، كما يدلّ اسمها ، من أن تضم فعلاً بين عناصرها .

وهو بهذا يخالف ما تعارف عليه العرب من أن الجملة الاسمية هي التي تكون مستهلّة باسم ، والفعلية ما كان منها مبدوءاً بفعل[2] ، بيد أن المؤلفين الغربيين يعارضون هذا التعريف ويفضلون ما أورده « كانتارينو » .

---

(١) كانتارينو : « نحو النثر العربي الحديث » ص ٢ .

(٢) راجع شرح ابن عقيل (ط . محمد محيي الدين عبدالحميد) ، القاهرة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م ، ج ١ ص ١٤ ، والزمخشري : المفصّل في علم العربية ، القاهرة ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م ص ٦ ، و « رايت » : « قواعد اللغة العربية » (النسخة الإنكليزية) ج ٢ ص ٢٥١ (أعلاها) .

ويهدف « كاتارينو » من تأليفه هذا الكتاب إلى استنباط قواعد اللغة العربية المعاصرة من جمل اختارها من مجموعة من الكتب العربية الحديثة لمشاهير الكتاب والمؤلفين وهم :

أحمد أمين في « ضحى الإسلام » و « ظهر الإسلام » ، وجرجي زيدان في « تاريخ آداب اللغة العربية » ، وجبران خليل جبران في المجموعة الكاملة لمؤلفاته (٣ أجزاء ، بيروت ، ١٩٤٩ – ١٩٥٠) ، ومحمد حسين هيكل في « حياة محمد » ، وتوفيق الحكيم في « أهل الكهف » و « شهرزاد » و « سليمان الحكيم » و « يوميات نائب في الأرياف » ، وطه حسين في « الأيام » و « على هامش السيرة » ، ونجيب محفوظ في « القاهرة الجديدة » و « زقاق المدق » ، ومصطفى لطفي المنفلوطي في « الشاعر » و « ماجدولين » ، وسلامة موسى في « أدب للشعب »(١) ، وميخائيل نعيمة في « كان ما كان » و « لقاء » ، ومصطفى صادق الرافعي في « وحي القلم » ، وأمين الريحاني في « ملوك العرب » (بيروت ١٩٥١) ؛ واستشهد بآخرين بين الحين والآخر ، ولا يتجاوز مجموع من ذكرهم الخمسة والأربعين شخصاً ، فهؤلاء في نظره يؤلفون في كلامهم خلاصة اللغة العربية المعاصرة ، وهو افتراض لا يخلو من شطط وغلوّ . وقد راجع الأستاذ « كاتارينو » فيما راجع من كتب « شرح الألفية » لابن عقيل (٢) والعشماوي : « حاشية على متن

(١) طبعة بغداد ١٩٦١

(٢) طبعة فريدريك ديتريخ Fr. Dieterich لايبزغ ١٨٥١ [لم نشر فيما يتعلق بالمصادر إلا إلى الطبعات النادرة أو تلك التي قد يقع فيها التباس] .

الآجروميّة في قواعد العربية ، القاهرة ١٣٤١ هـ » و«المفصّل»: للزمخشري[١] وحفني ناصيف : « كتاب قواعد اللغة العربية » (الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٠٩) وابن يعيش « شرح المفصّل » (القاهرة ، بلا تأريخ) ، وأبا القاسم عبد الرحمن الزجّاج « الجُمل. » (باريس ١٩٥٧) وطائفة من كتب القواعد العربية المؤلفة بالانكليزية « لبرافمان » و « رايت » ، والفرنسية لبلاشير ، والألمانية لبروكلمان ومنيتز ونولدكه وريكندورف H. Reckendorf

وباعتقادنا أن الطريقة التي اتبعها المستشرق « كانتارينو » في تعليم قواعد اللغة العربية الحديثة للأجانب طريفة بيد أنها خطرة ، وهي نتاج دراسة في اللغة المعاصرة لسنوات طويلة مع تدريسها بشكل تطبيقي في المدارس الأجنبية ؛ ولكن الذي لا يمكننا أن نوافقه عليه هو أن يعتبر العربية المعاصرة لغة قائمة بذاتها . إنا لا نؤمن بوجود لغة عربية قديمة ووسيطة وحديثة ، فالعربية مذ وجدت وحتى يوم الناس هذا وحدة لا تتجزأ ، وإن من يعتمد في تأليف كتاب لقواعد العربية على عدد من معاصريه دون إلقاء نظرات فاحصة مدققة على نتاج العصور فهو في خطلٍ من أمره .

ويعتقد كانتارينو أن اللغة العربية قد تطورت في جملها المنفية واستعمال أدوات النفي تطوراً ملحوظاً[٢] ، غير أنه حين يتطرق إلى النفي المزدوج يستشهد بكتّابٍ لا يمكن أن يعتبروا حجة في النثر الحديث ، فهم إما مترجمون اختصوا بلغة أوربية من دون أن يتقنوا لغتهم العربية أو رسّامون متطفلون على الأدب ، يزعمون أن الكتابة ضرب من الرسم بالكلمات ،

---

(١) طبعة J. P. Broch Christianiae, 1879

(٢) كانتارينو ، المصدر نفسه ؛ ص ١٠١ (أعلاها)

فيخلطون الألفاظ كما لو كانوا يخلطون الأصباغ من غير أن يعرفوا أن هناك قواعد متمايزة لكل نوع من الخلط .

فأي حجة تقوم لمن يقول :

« ليس هناك لا خيل ولا خيالة »(١)

أوليس الأفضل القول : « ليس هناك خيل ولا خيالة » ؟

ومن الغريب أن هذا الضرب من النفي المزدوج لا يتعاطاه ويرغب فيه إلاّ عوام الانكليز ، فكيف بكاتب عربي تدعمه لغة القرآن وتراث ستة عشر قرناً أو يزيد !

ثم أيّ قيمة في زيادة (لا) في مثل العبارة المقتبسة التالية : « حاولت أن أوقظ الواحد ثم الآخر بيدي ، فما استيقظ [لا] هذا ولا ذاك »(٢) . أو قوله :

« فإنني لم أتزوج [لا] ابنة مدير بنك ولا ابنة وكيل وزراء » (كذا) وكان الأفضل أن يقول : « وكيل وزارة » ، فليس في العالم كله منصب « وكيل وزراء » بصيغة الجمع !

وقوله : « ما كان بجوار النهر [لا] خيل ولا بغال » وكذلك قوله : « إن الانكليز لا يعملون [لا] هذا ولا ذاك »(٣) . إن ما وضعناه بين عضادتين في أعلاه لا يستسيغه الذوق العربي الأصيل ، وهو في الوقت ذاته ليس ترجمة للتركيب الانكليزي « not ... put » أو الفرنسي « ne ... que »

(١) نفسه : ص ١٠٥ (وسطها) .

(٢) الصفحة نفسها .

(٣) الصفحة نفسها : ص ١٠٥ (أسفلها) .

وإنما هو خليط مشوّه لا ينتمي إلى العربية ولا الأعجمية الفصيحة بنسب، بل ينتمي إلى العجمة التي لا ضابط لها ولا قواعد .

وقد أورد عبارة : « إذاً » فهو يذهب » [١] وهي ترجمة من الانكليزية therefore he goes والأفصح أن يقول (إن شاء أن يجانب أساليب الأعاجم) « فهو إذاً يذهب » ، وجاء في الصفحة ذاتها : « عَشتُم للدنيا وحدّها » بفتح العين ، والصواب بكسرها ، وأكبر الظن أنها غلطة طباعية . وكذلك قوله « الشرخ » [٢] (بالخاء المعجمة) وصوابها « الشرح » (بالحاء المهملة) .

وقال في الصفحة ٩٢ : « كانت الشعراء تلبُسُ » (بضم عين الفعل) وهو خطأ ، والصواب بفتحها [٣] .

وقد لاحظنا — مع الأسف — الشيء الكثير من مثل هذه الأخطاء ، ويحملنا حسن الظن على القول في أكثرها إنها أخطاء مطبعيّة ، وكان الأجدر بالمؤلف الفاضل أن يشير إليها في مسرد خاص يلحقه بالكتاب ، فهي مما لا يليق بباحث مثله ، ولا سيما مثل قوله : « كم أحمدُ اللهُ على هذه المعجزة الحقةِ » [٤] وقوله « يَحُلاّنِ المرأةَ للرجلِ » [٥] والصواب : « يُحِلاّنِ » .

(١) المصدر نفسه ، ص ١٠٤ السطر ما قبل الأخير .

(٢) ص ٥ (منتصفها) .

(٣) راجع « اللسان » مادة « لبس » : « لبِسَ الثوبَ يلبَسُه » والمعجم الوسيط ، ص ٨١٩ (أعلى العمود الأوسط) .

(٤) نفسه ، ص ١٥٩ (منتصفها) .

(٥) ص ٧ (أسفلها) .

وإن تعجب فعجبٌ قول المؤلف في مقدمته : « لقد كانت ثمة حاجة يشعر بها الإنسان شعوراً عميقاً لعرضٍ يشمل اللغة بشكلها المعاصر من دون إشارة إلى اعتمادها على اللغة التي سبقتها » (١) .

يريد المؤلف بذلك أن يجعلنا نؤمن بأن اللغة العربية الحالية بالنسبة لماضيها هي كالفرنسية والإيطالية والاسبانية وسائر لغات الرومانس قد انحدرت من لغة قديمة هي اللاتينية ، ولا تربطها بها إلا وشائج الصلة البعيدة ، وهذه مع الأسف نزعة معظم المستشرقين ، وهم فيها مضلَّلون ، لأن العربية لا عُمر لها فهي شابة أبداً ، قديمُها حديث ، وحديثُها قديم . إنها لا تشبه اللغات الأخرى — وهذا وجه العجب فيها — فهي تنمو من دون أن تهرم (٢) .

وقد استبعد « كانتارينو » في دراسته اللغة الأدبية الحديثة المجلات والصحف ، لأن لغة الصحافة في عُرفه لا تمثل اللغة الأدبية في العالم أجمع ، ولكنه استعان بضروب مختلفة من الكتب في النثر الفني والقصة والمسرحيات وكتب الرحلات والمؤلفات السياسية والتاريخية والاجتماعية ، فاجتمعت لديه ثلاث عشرة ألف قطعةٍ مختارة ، ومن هذه استمد مختاراته للجزء الذي بين أيدينا ، وهو الأول بين ثلاثة أجزاء ، ومع أن هذه الأجزاء سيكون بعضها متمماً لبعض ، كما يقول المؤلف ، فإن كل جزء سيكون ، مع ذلك ، مستقلاً بحد ذاته .

---

(١) كانتارينو : الصفحة الأولى من المقدمة (وسطها) .

(٢) راجع وجهة نظر كانتارينو المعارضة في الصفحة الثانية من المقدمة (أسفلها) .

وقد خصص الأول – كما أسلفنا – لأبسط الوحدات في تركيب الجملة ، الاسمية منها والفعلية ، في صيغ الإثبات والنفي والاستفهام .

والمتوقع أن يكون الجزء الثاني مقسماً إلى قسمين : يعالج الأول منهما دراسة عناصر الجملة الموسعة وتحويرات الأسماء والأفعال ، ويتعرض ثانيهما إلى استعمال أجزاء معينة كالأعداد وصيغة التفضيل والمصادر واسم الفاعل والمفعول الخ ... فضلاً عن تراكيب خاصة وأساليب أدبية (كانعدام الترابط النحوي ، والتورية واتحاد الألفاظ ، والحذف الخ) .

أما الجزء الثالث والأخير فيتعلق بجمع الجمل في مجموعات معقدة ؛ وهنا تدرس الجمل الرئيسية والثانوية ، ويختم بفهرس الفبائي تفصيلي .

وقد رتبت الدراسة بحيث أن الملاحظات النحوية تقدم مع التعليقات والايضاحات مستندة على المقتبسات التي تعقبها (١) .

ومن محسنات الكتاب أن المؤلف قد وضع مع العبارات المقتبسة عنوان الكتاب واسم مؤلفه برموز يمكن الرجوع إليها في مفتاح خاص ، إذا اقتضى الأمر ؛ وأكثرها واضح لا إشكال فيه .

ويزعم كانتارينو أن استعمال اسم واحد يقوم مقام جملة اسمية كاملة هو تركيب بدائي في الآداب العربية القديمة ، ولتعزيز رأيه الكلاسيكي هذا يقدم بين أيدينا مثالاً من كاتب محدث (٢) ، وكان الأولى به أن يقدم مثالاً من تراثنا القديم ، وهذا موطن النقص في الكتاب ، فالمؤلف يزعم أن التعابير التي جاءت بها مُحْدَثَة ولا يبيّن مدى صلتها بالماضي العريق

(١) كانتارينو : راجع الصفحة العاشرة والحادية عشرة من المقدمة .

(٢) نفسه ، ص ١٥٩

وما إذا كانت ذات جذور في أدبنا الأموي أو العباسي ، وما إذا كانت قد جاءتنا عن طريق المترجين ؛ والسبب في ذلك على ما يُخيَّل للإنسان قلّة اطلاعه على المصادر القديمة ، وعكوفه على دراسة ما أخرجته المطابع العربية للمحدثين من الكتاب ، وأنا متأكد من أن كثيراً مما أورده له أصل قديم قد يكون جاهلياً أو قرآنياً ، فضلاً عن كونه أمويّاً أو عباسيّاً . ولكن محاولته للفصل بين ماضي العرب وحاضرهم ضلّلته ، فأوردته مورداً لا يُغبط عليه .

ثم إن دعواه أن الكلمة الواحدة التي تمدّ جملة اسمية ، من بقايا عهود اللغة البدائية وأن « كارل بروكلمان » يؤيده في ذلك ، تنطبق على جميع اللغات لا على العربية وحدها ، فلا تُتهم العربية بالبدائية لأن توفيق الحكيم قد قال في يوميات نائب في الأرياف : « حادثة ؟ » فترجمها « كانتارينو » بالجملة الانكليزية الفعلية ? Is there a case ، ليبرهن على أن الانكليزية أكثر تقدماً وأبعد عن البدائية ، إذ كانت الأمانة تقتضيه أن يترجمها بما يماثلها تماماً فيقول « a case ? » وهي مقبولة في الانكليزية وصحيحة ، وقريبة من البدائية المزعومة قُربَ العربية منها ؛ وهو يدعم كلامه هذا بكلمة « والعكسُ » مقتبسة من « ضحى الإسلام » لأحمد أمين فيترجمها بـ « and vice versa » ولا أعتقد أن الترجمة الانكليزية جملة كاملة لتكون لها الأرجحية على لفظة « والعكس » ثم يمضي في هذا السبيل مستشهداً بطه حسين في كتابه « على هامش السيرة » (١) إذ يورد جملته التالية :

---

(١) ج ١ ص ٢١ س ١٨ .

« كل ذلك ، وعبد المطلب ساكت ساكن »[1] وموضع الشاهد هنا عبارة « كل ذلك » وقد ترجمها بجملة فعلية إذ قال :

All this happened and Abdu'l - Muttalib was calm and silent .

وكان بوسعه أن يترجم المثل بالمثل فيقول :

Despite all this , Abdu'l - Muttalib was silent and calm

فيكون أكثر أمانة في ترجمته للإفصاح عن روح الأصل ويتحاشى التقديم والتأخير في ترجمة عبارة « ساكت ساكن » إذ لا مبرّر لذلك .

وشيء آخر أحب أن أشير إليه هو أن المؤلف قد يفرغ من مسألة في الصفحة ١١٥ مثلاً ليعود إليها في الصفحة ١٦٨ كآخر فقرة يختم بها الكتاب ، تلك هي مسألة « لا » النافية للجنس . أما كان حسن التأليف يقتضيه أن يرفع هذه الفقرة الأخيرة فيلحقها بالصفحة ١١٥ أو أن يحذفها من أساسها فليس فيها غير التكرار المعيب ؟

ومن المضحك المحزن أنَّ تحمّسَه للغة العربية العصرية ، كتحمس بعض المجدّدين المندفعين مع الأسف ، حمله على أن يعتبر بعض الأخطاء الطباعية في كتب المعاصرين قواعد جديدة ، فمن ذلك مثلاً أنه وجد العبارة المغلوطة التالية في كتاب « شهرزاد » لتوفيق الحكيم في طبعة ١٩٣٤[2] : « مَنْ أدراكَ أنّ ما تطلب موجوداً ؟ » فهلّل « كانتارينو » مصفقاً لأنه وجد قاعدة لغوية جديدة في الأدب العربي الحديث وهي نصب (أنّ)

(١) كانتارينو ، ص ٦ (أسفلها) .

(٢) كانتارينو ، ص ١٠ (وسطها) .

لخبرها ، من دون أن يفطن إلى أنها غلطـة طباعية ليس غير ، إذ أننـا عندما راجعنا إحدى الطبعـات التي تلتها وجدنا العبارة مصححة ولفظة (موجود) بالرفع (١) .

الحق أننا إذا فكرنا في أن هذا الكتاب وأمثاله مما يدرس في الجامعات الأوربية والأميركية أدركنا فداحة التجني على لغتنا ومدى تقصيرنا في عدم التصدي لمثل هذه الكتب بالنقد والمحاسبة العسيرة ؛ فقد كان من الواجب على الأستاذ المستشرق أن يعرض كتابه هذا على أحـد المطلعين على العربية وقواعدها – من أبنائها – قبل المجازفة بنشره بهذا الشكل .

ويزعم « كانتارينو » أن استعمال (قريب) في قوله تعالى : « إن رحمة الله قريبٌ » غير صحيح نحوياً فيضع العلامة اللاتينية (siç) بمعنى (كذا) إلى جنب اللفظة جاهلاً أن هذه آية قرآنية كريمة ، وهي الآية السادسة والخمسون في سورة الأعراف (٢) وأن توفيق الحكيم الذي أوردها في قصة « أهل الكهف » (٣) إنما كان مستشهداً بها وليست من صياغة أدبه الحديث ، ومعاذ الله أن يكون ذلك ، وهكذا يقع الذين يحاولون أن يقطعوا ماضي العربية عن حاضرها في ورطات رهيبة ومشكلات مرعبة ! .

ولم يراع المؤلف الدقة فيما ترجم من مقتبسات ، فقد ترجم مثلاً الجملة

---

(١) « شهرزاد » (طبعة غير مؤرخة ولكن الإشـارة إلى أنها ترجمت إلى الإنكليزية سـنة ١٩٤٥ يدل على أنهـا بعد طبعة ١٩٣٤ التي استعملها كانتارينو) ص ٦٨ س ٣

(٢) والآية بكاملها : « ولا تُفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين » (راجع البيضاوي ، مج ١ ص ٣٢٨) .

(٣) الطبعة الخامسة ، دون تأريخ ، ص ١٨ س ١

التالية من « أهل الكهف » (١) لتوفيق الحكيم :

لعلّك مشغولٌ حتّى عن الجوع !! » (٢)

بقوله : Are you so busy that you forget your hunger ?

فقد كانت الأمانة العلمية في الترجمة تقتضيه أن يقول :

perhaps you are so busy that you forget even your hunger !

ولا أريد أن أطيل فأخدّش وجه الحيـاء العلمي أكثر مما فعلت ، والكتـابُ معروضٌ في الأسواق ، متداولٌ في المكتبات ، والقراء خير حكم . لقد بذل المؤلف جهداً كبيراً ولكنهُ أخطأ محجـة الصواب باتباعه النظرية الضالة المضلّلة التي تقول : إن العربية المعاصرة لغة جديـدة يتيمة الأبوين ، وإن أخطاء الكاتبين بها ، بما في ذلك أخطاؤهم المطبعيـة ، هي قواعد جديدة يجب أن تؤلّف فيها كتب خاصة تدرس في الجامعات الغربية ... سامح الله كانتارينو ، ومن كان على شاكلته من هذه القالة الآثمة !..

اكسفورد ؛ مكتبة بودليان الجديدة :

صفاء خلوصي

الأستاذ المتفرغ للبحث والتأليف

---

(١) نفسه ، ص ٢٣ س ١٢ .

(٢) كانتارينو ، ص ٩ (أسفلها) .

حول أشعار أبي الشيص الخزاعي

الأستاذ محمد يحيى زين الدين

يشير ابن النديم في كتابه الموسوم بالفهرست إلى أن أبا بكر الصولي قد صنع ديوان أبي الشيص في خمسين ومائة ورقة ، لكن شأن هذا الديوان شأن الكثير من الدواوين التي لم يصل إلينا منها إلا اسمها واسم صانعها .

وقد بقيت من أشعار أبي الشيص الخزاعي بضع قصائد مطولة ، وبعض المقطعات والأبيات المفردة ، عمد الأستاذ عبد الله الجبوري إلى جمع ما تناثر منها في العديد من المصادر المطبوعة والمخطوطة .

وهذه بعض الملاحظات على عمل المحقق .

أ ـ حول مقدمة المحقق :

● ص : ٦ « فابنه عبد الله بن أبي الشيص ، شاعر صالح الشعر كما يقول أبو الفرج الأصفهاني ، وله ترجمة وشيء من شعره في تاريخ بغداد » .

انظر أيضاً بعض أشعاره في بهجة المجالس ١/٢٣٠ ، وعيون الأخبار ١/٢٣٢ ، وديوان دعبل الخزاعي : ٣٤٩ ، والمستطرف في كل فن مستظرف ٢/٢٠٦ ، ونهاية الأرب ٢/٤٣

● ص : ٧ « ومن رجـال هذا البيت داود بن رَزين الذي ينسب إلى واسط ، وهو شاعر معروف في عصره ، وكان يصحب أبا نواس ، وقد رُوي له شعر معه » .

لم يشر المحقق إلى مصدر معين أورد جانباً من شعر داود بن رزين ، أو بعض أخبـاره مع أبي نواس . وقد وردت بعض أشعاره في كتب مختلفة أذكر منها :

ديوان أبي نواس ٦٠/١ ، والمحاسن والأضداد : ١١٢ ، وقطب السرور في أوصاف الخمور : ١٧٨ ، وأخبار أبي نواس لأبي هفان : ٨٧ والبداية والنهاية ١٦١/١٠

● ص : ٧ « ورَزين بن علي ، شاعر مقلّ ، وله شعر في محاضرات الأدباء ، والحماسة البصرية » .

انظر كذلك بعض أخبـاره وأشعاره في ديوان دعبل الخزاعي : ١١٥ ، ٢١٧

● ص : ٨ « وقد وهم جماعة من أصحاب المراجع القديمة والحديثة في جعل أبي الشيص عماً لدعبل ومنهم ... »

أزيد على ماذكره المحقق : ما قاله محقق الحماسة البصرية ١٥١/١ ، والرقيق النديم في كتابه قطب السرور : ١٠٧

● ص : ٩ « ولم تذكر جمهرة المصادر التي ترجمت له شيئاً عن نشأته وولادته ، غير أنهـا اكتفت بذكر سنة وفاته التي اتفقت عليها في سنة (١٩٦ هـ) وقد وهم الصلاح الصفدي فذكر أنه توفي في سنة مائتين أو قبلها » .

ذكر الصلاح الصفدي ذلك في كتابه الوافي بالوفيات أيضاً ، أما ابن شاكر الكتبي فقد نقل عن ابن الجوزي أنه توفي في سنة (١٩٦ هـ) ، ولكنه أشار أيضاً إلى أن وفاته قد تكون في سنة مائتين .

● ص : ١٤ « لأبي الشيص ديوان صنعه أبو بكر الصولي المتوفى في سنة (٢٤٣ هـ) وقد ذكره ابن النديم في الفهرست وقال : إنه في خمسين ومائة ورقة ، ولم نجد له ذكراً عند من تأخر عن ابن النديم إلى يومنا هذا إلا إشارة في كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة » .

أشار البكري (١) في معرض حديثه عن بعض أشعار أبي الشيص إلى ديوانه بقوله : « وهذا هو الصحيح لأن الشعر المذكور لم يقع في ديوان شعر أبي الشيص ولا رواه أحد عنه » .

وأشار إليه أبو الفرج الأصفهاني (٢) بقوله : « وهكذا ذكر ابن المعتز وليس توجد هذه الصفات كما ذكر في ديوان شعره » .

● ص : ١٤ « وقد استأثر شعر أبي الشيص باهتمام عالمين جليلين من علماء العربية في أزهى عصورها ، أولهما ابن المعتز (٢٩٦ هـ) الشاعر الخليفة ، والثاني ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) فحفظا لنا جملة كبيرة منه ، بل وانفردا – كذا – برواية قصائد كاملة له ، لم نجدها في مصدر آخر » .

لم يرو ابن المعتز هذه القصائد بتمامها ، وإنما أورد ما اختاره منها ، وقد ذكر ابن شاكر الكتبي في كتابه عيون التواريخ ، والرقيق النديم

---

(١) سمط اللآلي : ١/٥٠٧ (٢) الأغاني : ١٥/١٠٥

في كتابه قطب السرور ، بعض الأبيات التي لانجدها في مختار ابن المعتز من قصائد أبي الشيص .

وكذلك ذكر ابن المعتز أن القصيدة البائية :

مَرَتْ عينَه للشوقِ فالدمعُ منسكبُ
طلولُ ديارِ الحيِّ والحيُّ مغتربُ

هي في مدح عقبة بن الأشعث ولكننا لا نجد هذا المديح فيما أورده منها .

● ص : ١٥ « وهاك آراء القدماء في شعره » .

أضيف إلى ما ذكره المحقق : « وهذا أبو الشيص نقي الكلام ، متخير الألفاظ ، مداح للخلفاء ، لاحق للفحول » .

« قطب السرور : ١٠٧ ، وانظر : ٢١٦ »

« وقال ابن دريد : سألت أبا حاتم عن أبي نواس فقال : ... قلت : فأبي الشيص قال : : جِدٌ كله فيه حلاوة وبشاعة كالسِّدرة التي نفضت ففيها المستعذب والمستبشع » . « ديوان أبي نواس ١/١٤ »

« وقال ابن أبي الشيص : أنا أشعر الناس ، وكان أشعر مني أبي

ومن جميع من مضى ومن بقي » « طبقات الشعراء : ٣٦٤ »

« وإنما أخمل ذكره وقوعه بين مسلم بن الوليد وأشجع وأبي نواس »
« سمط اللآلي ١/٥٠٧ »

ب ـ حول منهج الديوان وتحقيقه :

ضم الديوان بين دفتيه « ٦١ » قصيدة أو مقطوعة ، منها قصيدة مطولة ، وأربع مقطعات ظاهرات النحل ، ولايمكننا الوثوق أيضاً بما ورد

من أشعار أبي الشيص في محاضرات الأدباء ، لأن أوهام الراغب الأصفهاني في هذا الكتاب كثيرة جداً .

وقد أهمل المحقق بعض الكتب المخطوطة مثل : عيون التواريخ ، وتاريخ الإسلام ، وعقد الجمان ، والتشبيهات المشرقية ... كما غفل عن إثبات الكثير من أشعار أبي الشيص ، أذكر بعضها فيما يلي :

* وكُميتٍ أرَّقها وهَجُ الشـمس وصيفٌ يغلي بها وشتاءُ
طبختها الشِّعْرى العَبُورُ وحَشَّتْ نارَها بالكواكب الجوزاءُ
محضتها كواكبُ القيظ حتى أقلعت عن سمائها الأقذاءُ
هي كالشُّرج في الزجاج إذا ما صبَّها في الزُّجاجة الوُصَفاءُ
ودم الشادن الذَّبيحِ وما يحْتلبُ الساقيان منها سواءُ
قد سقتني والليل قد فتق الصُّبح بكأسين ظبيةٌ حوراءُ
عن بنانٍ كأنها قضبُ الفضة حنَّى أطرافها الحِنَّاءُ

« قطب السرور : ١٠٧ - ١٠٨ ، وانظر : ٢١٦ »

والبيتان السادس والسابع منها لأبي نواس في ديوانه : ١٩ ضمن مقطعة في أربعة أبيات وبعدهما :

ذاتُ حسنٍ تُسجي بأردافها الأز رُ وتطوى في قُمصها الأحشاءُ
قد طوى بطنها على سعة العيـ ش ضمورٌ في حقوها وانطواءُ

والبيت الأول لأبي نواس أيضاً في شرح المقامات ١٢٨/٢ ومعه بيت آخر هو :

لم يشنها الطاهي بطبخٍ ولا غيَّـرها عن طبيعة الكرْم ماءُ »

* ما كان أنضر عيشَهُ وأغضَّهُ أيام فضلُ ردائه مسحوبُ

« كتاب الزهرة : ٣٤٠ ، وانظر ق/٢ »

* يخيبُ الفـــتى من حيث يُرزقُ غـــيرهُ
وُيعطى الفتى من حيثُ يُحـــرمُ صاحبهْ

« محاضرات الأدباء ٢/٤٥١ ، وانظر ق/ ٤ »

* لو كنتُ أملكُ أن أفارق مهجتي لجعلتُ ناظـــرها عليك رقيبا
حـــذراً عليك وإنني بك واثقُ أن لا ينال ســـواي منك نصيبا

« مجموعة أشعار ، والبيت الثاني في أمالي الزجاجي : ١٠٢ للعباس ابن الأحنف . وانظر ديوانه : ٢١ ، ويروى معه بيت آخر هو :

لم ألق ذا شجَن يبوحُ بحبه إلا ظننتك ذلك المحبـــوبا

أما البيت الأول فليس في ديوانه » .

*وكنتُ إذا رأيتُ فتى يبكِّي على شَجن هزأتُ إذا خلوتُ
وأحسبني أدال الله منـــي فصرت إذا بصرتُ به بكيتُ

« التبيان في شرح الديوان ٢/٣٣٤ ، وانظر ق/١٠ »

* ومن يكن الغرابُ له دليلا فناووسُ المجوس لهُ مصيرُ

« التمثيل والمحاضرة : ٣٦٩ »

*فذاك ولا صماء من رام كسرها بمعوله ذلّتْ بكفيه للكسر

« الوحشيات : ١٧٥ - ١٧٦ ، وانظر ق/ ٢٤ ، وقد وردت فيه بتمامها »

* على صبـــاءَ كالمســـك وكالكافور في النَّشـــر

« عيون التواريخ ٧/٥٢ ، وانظر ق/ ٢٥ »

* غـجٌ من أقداحنا قهـــوة تضوعُ بالمســـك وبالعنبر

كأنما أقداحنـــا فضّــةٌ قد بُطنت بالذهب الأحمرِ

« البيتان في قطب السرور : ٦٠٧ غير منسوبين ، والثـــاني في الرسالة الموضحة : ٥٤ »

* ومُنازِلٍ للقِرن يسحب فاضةً علق النجيعُ بثوبها الفضفاض

« الرسالة الموضحة : ٧٤ ، وانظر ق/٣٢ »

* ولقد نزلت برأس صابي القلب في ميـدان كل غـــواية ركّاض

« الحماسة الشجرية ٨١٧/٢ ، وانظر ق / ٣٣ »

* تكاملت فيك أوصافٌ خُصِصت بها فكلّنا بك مسرورٌ ومُغتبـــطُ
السن ضاحكةٌ والكف مانحةٌ والنفسُ واسعةٌ والوجه مُنبسطُ

« وفيات الأعيان ٢٣٨/٢ ، وانظر ق / ٣٥ »

* ما كان مثلك في الورى فيمن مضى أحــــدٌ وظني أنه لا يُخلـقُ

« التبيان في شرح الديوان ٣٣٩/٢ »

* ما كان منكسر اللواء لطَيرةٍ تُخشى ولا أمر يكونُ مُزيّلا
لكنّ هذا الرمح أضعف ركنَه صِغَر الولاية واستقلّ الموصلا

« تاريخ الموصل : ٣١٠ ، والكامل في التـاريخ ١٢٣/٥ ، وهما من مشهور شعر أبي الشمقمق ، انظر طبقات الشعراء : ١٢٩ ، والمستطرف في كل فن مستظرف ٩٦/٢ ، والإبانة عن سرقات المتنـــبي : ٢٦١ ، وهبة الأيام : ٣٠٧ ، وعيون التواريخ ١٩٠/٦ ، وسأخص شـــعر أبي الشمقمق بمقال آخر إن شاء الله » .

* فأحســـبها وهي مكروعةٌ تَمجّ ســـلافتها في الأواني
عنـــاقيد أخلافها حُفّـلٌ تدرّ بمثل الدماء القـــواني

عيون التواريخ ٧/٥٣ ، وقطب السرور : ٧١٤ ، وانظر ق / ٥٥ ، والبيت الأول في قطب السرور ٢١٧ وروايته :

فيا حسنها عندَ شكِّ البزالِ ... يمجُّ سلافتها في الأواني
* عاطني كأس سلوة ... عن أذان المؤذن
ما ترى الصبح قد بدا ... في إزار متبّن
فاسقنيها سلافةً ... والطمني و ارمني

قطب السرور : ١٠٨ ، والصواب أنها لأبي نواس ، وهي في ديوانه : ٥٩٥ ضمن مقطعة في خمسة أبيات هي :

يا سليمان غنني ... ومن الراح فاسقني
ما ترى الصبح قد بدا ... في إزار متبّن
فإذا دارت الزجا ... جة خذها وأعطني
عاطني كأس سلوة ... عن أذان المؤذن
اسقني الخمر جهرة ... والطني وازنني
* إذا أخذت بحبل من حبائله ... دانت لك الأرض أقصاها وأدناها

« الحماسة الشجرية ١/٣٩٩ ، وانظر ق / ٥٩ »

● وضع المحقق الشعر المختلط بين قصائد الديوان ، وكان لزاماً عليه أن يضعه في قسم مفرد ، لأن أكثر هذه الأشعار ثابتة النسبة إلى شعراء آخرين ، ولاتجوز نسبتها إلى أبي الشيص .

كما اختلط على المحقق شعر أبي الشيص بشعر غيره من الشعراء ، ولم يميز هذا الاختلاط في الديوان ، فأورد هذه الأشعار وكأنها من صحيح شعر أبي الشيص ، وهذه بعض الأمثلة على ذلك :

١ – ق/ ٥ : ٢٣

شرابُكَ في السّراب إذا عطشنا   وخبزُكَ عند منقطع التّراب
وما روّحتَنا لتَــذُبَّ عنّــا   ولكن خفتَ مَرْزِئةَ الذُّباب

البيتان لأبي نواس في المحاسن والأضداد : ٥٨ ، والمحاسن والمساوىء ٢٠٣/١ ، وانظر ديوانه ٢٠/١ ، وهما لأبي الشمقمق في عيون التواريخ ١٩٠/٦ ، وطبقات الشعراء : ١٢٨ ، وانظر شعراء عباسيون : ١٣١ ، وديوان المعاني ١٨٧/١ ، ومحاضرات الأدباء ٦٦٢/٢ .

وفي المحاسن والأضداد : « وعن حذيفة بن محمد الطــائي قال : قال الرشيد : ما لأحد من المولدين ما لأبي نواس في الهجاء : وما روحتنا ... »

أما مصدر البيتين عند المحقق فهو محاضرات الأدباء ٦٦٦/٢ ، ومن الممتع أن نذكر أن الراغب الأصفهاني نسب البيتين التاليين إلى أبي الشيص ، في كتابه محاضرات الأدباء ٢٣/٣ :

نقّلْ فؤادكَ حيثُ شئتَ منَ الهوى   ما الحبُّ إلا للحبيب الأولِ
كم منزلٍ في الأرض يألفُه الفتى   وحنينــه أبداً لأول منزل

وهما من مشهور شعر أبي تمام .

٢ – ق / ٢٢ : ٥٦

تقول غداةَ البين إحدى نسائهم   ليَ الكَبِد الحري فسرْ ولكَ الصّبرُ
وقد خنقتها عَــبرةٌ فدموعها   على خدها بيضٌ وفي نحرها صُفر

البيتان لأبي نواس ، وهما ضمن مقطعة في ديوانه ١٠/١ ، وانظر نهاية الأرب ٢٧٢/٢ ، وديوان المعاني ٢٥٨/١ ، وكتاب الزهرة : ١٩٦ ، وحلبة الكميت : ١٩١ ، وشرح المقامات ٣٩/١

٣ – ق/٢٦ : ٦١

ملكٌ كأنّ الموتَ يتبعُ قولَهُ حتّى يُقــالَ تُطيعهُ الأقدارُ

البيت لمروان بن أبي حفصة ، وهو في ديوانه ص : ٥٠ ضمن مقطعة مطلعها :

أتظنُّ يا إدريسُ أنّكَ مُفلِتٌ كيدَ الخليفةِ أو يقيك فرارُ

٤ – ق/٢٩ : ٦٨

وناعسٍ لو يذُوقُ الحبَّ ماتَعِسا بلى عسى أن يرى طيفَ الحبيبِ عسى
وللهوى جَرَسٌ يَنفي الرُّقادَ به فكلما كدتُ أغفي حرّكَ الجَرَسا

البيتان للعباس بن الأحنف ، وهما في ديوانه : ١٩٥ ، ويزاد فيها :

ترى المحبّ لما يلقى يُصوّرُ مَنْ يهوى فيشكو إليه حيث ما جَلَسا

٥ – ق/٣٠ : ٦٩

لا تأمننّ على سرّي وسرّكمُ غيري وغيرك أو طيّ القراطيسِ
أو طــائرٍ سأحليهِ وأنعتُه ما زال صاحبَ تنقيرٍ وتدسيسِ
سودٍ براثنُهُ ميــلٍ ذوائبُــهُ صُفرٍ حمالقُهُ في الحسنِ مغموسُ
قد كان همَّ سليمانٌ ليذبَحَهُ لولا سعــايتهُ في ملكِ بلقيسِ

الأبيات ١ ، ٢ ، ٤ لأبي نواس في ديوانه ١/٣٥ ، وفي ١/٣٦ :
ولم يسبق أبو نواس ، إلى هذا المعنى في وصف القيـادة ، بل تلاه شاعر كوفي فقال :

إن القيــادة لذّةٌ مـع نفعها لولا القيـادةُ تمّ ذبـحُ الهُدهدِ

كما تُنسب هذه الأبيـات إلى علي بن الجهم ، انظر ديوانه : ١٥١ ، وهي في نثار الأزهار : ٨٥ - ٨٦ لأبي الشيص .

٦ — ق/٣٣ : ٧٥

ولقد أقولُ لشَيْبةٍ أبصرتُها في مفرقي فمنحتُها إعراضي

عنيّ إليكِ فلستُ منتهياً ولو عمّمتِ منكِ مفارقي ببياضِ

هل لي سوى عشرين عاماً قد مضت مع ستّة في أثرهنّ مواضَ

ولقلّما أرتاعُ منكِ وإنّني فيما هَوِيتُ وإن وزعتِ لماضِ

فعليك ما استطعتِ الظّهور بلمّتي وعليّ أن ألقاكِ بالمقراضِ

« سمط اللآلي ٣٣٨/١ ، وفيه : وقال رجل من الأزد في ذلك ، وفي الهامش الذي وشحه العلامة الجليل الأستاذ عبد العزيز الميمني ما نصه: والصواب أنها لأبي الشيص الخزاعي — ٣٣٧/١ — ولعله ظن أنها من ضاديته المشهورة » .

هذا ما ذكره المحقق ، والصواب أن المقطعة لأبي الشيص ، فهي له في الحماسة الشجرية ٨١٧/٢ ، وانظر كذلك شرح المقامات ١٥١/٢

٧ — ق/٣٤ : ٧٦

كأنَّ بلادَ اللهِ في ضيقِ خاتمٍ عليّ فما تزدادُ طولاً ولا عرضا

البيت لمجنون ليلى ، وهو في ديوانه : ١٧٨ ، والحماسة الصغرى : ١٩٧ ، وقبله :

كأنّ فؤادي في مخالبِ طائرٍ إذا ذكرتْها النّفسُ شدت به قبضا

وهما في التشبيهات : ٢١٠ لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت .

٨ — ق/٣٧ : ٧٩

فلو كنتم على ذاكَ تؤولونَ إلى قصفِ

تساوت حالُكم فيه ولم تعنُوا على الخسفِ

أثبتها المحق عن كتاب بغداد، ولكنها لم تنسب فيه إلى أبي الشيص، وإنما نسبت إلى رزين بن علي، انظر كتاب بغداد : ٣٠٣ ، وبدائع البدائه: ١١٨ ، وديوان دعبل الخزاعي : ٢١٧ ، والأغاني ١٠/٤٨ - ٤٩

٩ — ق/٤٠ : ٨٢

عشقَ المكارمَ فهو مشتغل بهـا ... والمكرماتُ قليلةُ العُشّـاقِ

وأقـامَ سُوقاً للثنـاء ولم تكن ... سُوقُ الثناءِ تُعَدُّ في الأسواقِ

بثّ الصنائعَ في البلاد فأصبحت ... تُجبى إليـه محامِدُ الآفـاقِ

ذكر ابن خلكان نسبة هذه المقطعة إلى أحمد بن أبي فنن، في كتابه وفيات الأعيان ٦/٣٤١ : « ومدحه أحمد بن أبي فنن صالح بن سعيد بقوله : ثم وجدت هذه الأبيات لأبي الشيص الخزاعي في كتاب البارع ». والبيت الثاني ومعه بيت آخر في وفيات الأعيان ٦/٣٤٣ ليزيد بن مفرغ، وانظر ٦/١٨٣ أيضاً .

١٠ — ق/٥٣ : ٩٦

هذا كتابُ فتىً له هممٌ ... عطفت عليك رجاءَهُ رحمُهْ

غلّ الزمّانُ يديْ عزيمتِه ... وهوت به من حالق قدمُهْ

وتواكلته ذوو قرابتـه ... وطواهُ عن أكفائه عدمُهْ

أفضى إليك بسره قـلمٌ ... لو كان يعرفُهُ بكى قلمه

الأبيات لأبي تمام، وهي في ديوانه ٤/٥٤٠ ، ويقالُ إنها للعتابي . أما الدرة اليتيمة، فقد تكلف المحقق الكثير ليعلل نسبتها إلى أبي الشيص، وأرجح أن هذه القصيدة مصنوعة بدليل الاضطراب الذي يعتور نسبتها .

● ولتخريج قصائد الديوان ومقطوعاته شأن عجيب ، إذ ذكر المحقق العديد من الكتب في سرد مراجعه ولكنه لم يستوف ما فيها من شعر أبي الشيص ، كما أنه لم يتناول بالتفصيل والبيان ما أوردته هذه الكتب من أشعار ، وإنما اكتفى بالتلميح إلى ورود بعض الأبيات في عدد من الكتب ، دون ذكرها أو تبيان عددها ، وأكتفي بذكر ما جاء في تخريج القصيدة الثامنة :

« طبقات ابن المعتز : ٨١ ، وقد وردت أبيات منها في البديع لابن المعتز : ٤٩ ، و ... » . ولعل تسرع المحقق وعدم الأناة في اطلاعه على ما أثبت من المصادر ، أوقعاه في أخطاء كثيرة يمكن تلافيها ببعض العناية والتريث .

● وثمة العديد من الكتب التي غفل عن إثبات ما فيها من أشعار أبي الشيص ، أذكر منها :

العقد الفريد ، والتبيان في شرح الديوان ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ، والتمثيل والمحاضرة ، وكتاب الأشربة ، وكتاب خاص الخاص ، وهي جميعها من المراجع التي اعتمدها في تحقيق الديوان ، كما أنها مفهرسة . ولذلك رأيت أن أذكر بعض ما فات المحقق :

ق/٢ : البيتان في طبقات الشعراء : ٧٧ .

ق/٤ : البيت الثالث ومعه بيت آخر في معجم الشعراء : ٤١٧ لمحمد بن عبيد الأزدي .

ق/٦ : الأبيات ١ ، ٣ ، ٤ ، ٧ في مصارع العشاق ٢/٢٠٠ - ٢٠١ غير منسوبة .

ق/٨ : البيت ١٧ في التشبيهات : ١٨٣

ق/١١ : البيتان في الخلاة : ٧٣

ق/١٢ : الأبيات في بهجة المجالس ٧١٢/١ ، وهي غير منسوبة في عيون الأخبار ٨١/٣ ، والصداقة والصديق : ٥٣ ، والمحاسن والأضداد : ٣٨ ، والمحاسن والمساوىء ٢٠٦/٢ - ٢٠٧ ، والأبيات ١ - ٤ في العقد الفريد لابن أبي حازم .

ق/١٤ : البيتان ٣ ، ٤ في شروح سقط الزند ١٢٣٤/٣

ق/١٥ : البيتان لأشجع السلمي في طبقات الشعراء : ٢٥٢ ، وانظر محاضرات الأدباء ٥٢٦/٤

ق/١٨ : البيت الرابع في التبيان في شرح الديوان ٣٣٩/٢

ق/١٩ : البيتان ١ ، ٣ في المستطرف في كل فن مستظرف ٢٠٥/٢

ق/٢٤ : الأبيات في بهجة المجالس ٤٦٣/١

ق/٢٥ : الأبيات ١ ، ٢ ، ٥ ، ٨ ، ١١ ، ١٢ في عيون التواريخ ٥٢/٧ ، والأبيات ١ ، ٢ ، ٥ - ٨ ، ١١ ، ١٢ في قطب السرور : ٦١٢ - ٦١٣

ق/٢٨ : البيتان ٢١ ، ٢٣ في التشبيهات : ١٨٤

ق/٣٠ : البيت الأول في بهجة المجالس ٤٦٤/١

ق/٣١ : الأبيات في خاص الخاص : ٨٩ ، وطبقات الشعراء : ٧٥ والعقد الفريد ٢٢١/٣ ، والبيتان ٢ ، ٣ في التشبيهات : ٣٧٣ لأبي العتاهية.

ق/٣٢ : الأبيات ٣ - ٥ ، ٧ في عيون التواريخ ٥٣/٧ ، والبيت الأول في الصبح المنبي عن حيثية المتنبي : ٤٦ ، والبيت السابع في المنتحل : ١٧٦ ، وخاص الخاص : ٨٩ ، والبيت الخامس عشر في

التبيان في شرح الديوان ٣/ ٣٦٠ . وانظر محاضرات الأدباء ٢/٩٠٥ ، ٤/٦١٧

ق/٣٣ : الأبيات في الحماسة الشجرية ٢/٨١٧ ، وعيون الأخبار ٤/٥٢

ق/٣٤ : البيت في غرر الخصائص : ٢٥٠ غير منسوب .

ق/٣٦ : البيتان في تاريخ الموصل : ٣١٧ ، والبداية والنهاية ١٠/٢٢٢

ق/٣٩ : البيتان في التشبيهات : ٨٢ غير منسوبين .

ق/٤٠ : الأبيات في غرر الخصائص : ١٠ غير منسوبة ، والبيت الأول في محاضرات الأدباء ١/٢٩٦

ق/٤١ : البيتان في الصبح المنبي عن حيثية المتنبي : ٢٦٠

ق/٤٤ : البيتان في العقد الفريد ١/١٢٤ ، ونسبا في ٤/١١ إلى أعرابية ، ويروى معهما بيت آخر هو :

كنت أخباك لاعتداء يـد الدهر ولم تخطر المنون ببالي

ق/٤٥ : الأبيات في التبيان في شرح الديوان ٢/٢٩٤ ، وشرح ديوان المتنبي للواحدي : ٤٢٤ ، وبهجة المجالس ١/٢٥١ ، والأبيات ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ في شروح سقط الزند ٣ / ١٣٧١ ، والبيت الخامس في محاضرات الأدباء ٣/٦٣ ، والتبيان في شرح الديوان ٢/١٦٢

ق/٥٠ : الأبيات في كتاب الأشربة : ٤٣ ، وطبقات الشعراء : ٧٤ ، ومن غاب عنه المطرب : ٢٦٩ — ٢٧٠ ، وروضة المحبين : ٨١ ، ٨٢ ، ٢٩٧ ، وسمط اللآلي ١/٥٠٧ ، وشرح المضنون : ٢٥٧ — ٢٥٨ وعيون التواريخ ٧/٤١ ، وانظر ٧/٥٢ ، والبيت الرابع في الصبح المنبي : ١٨٩ ، والبيت الأول في قطب السرور : ١٥٩ ، وانظر الخلاة : ١٣٥

ق/٥١ : البيتان لبكر بن النطاح في المستطرف في كل فن مستظرف ١٤/٢ ، وأمالي المرتضى ٩٧/٢ ، ومحاضرات الأدباء ٣٠١/٣ ، ومن غاب عنه المطرب : ٢٧١ ، والظرف والظرفاء : ١٣٩ ، والإعجاز والإيجاز : ٥٥ ، وعيون التواريخ ٦٩/٧ ، وللحسين بن مطير في معجم الأدباء ٩٨/٤ ، وانظر ديوانه : ٧٢ ، كما نسب البيتان إلى أبي حية النميري في أمالي الزجاجي : ١٠١ ، وللمستهل بن الكميت في الأغاني ١١٧/١٥

ق/٥٣ : الأبيات في المنتحل : ١٤٧ — ١٤٨ غير منسوبة ، والأبيات ١ ، ٢ ، ٤ في الموشى : ٢٠٣ غير منسوبة أيضاً .

ق/٥٤ : الأبيات في البصائر والذخائر ٥٤٦/٢ — ٥٤٧

ق/٥٥ : الأبيات ١ - ٣ في مصارع العشاق ١٤٣/١ غير منسوبة ، والأبيات ١٤ — ١٧ ، ٢٢ في عيون التواريخ ٥٣/٧ وقطب السرور : ٢١٦ - ٢١٧ ، ٧١٤

ق/٥٧ : البيتان في خاص الخاص : ٨٩ ، والإعجاز والإيجاز : ٥ أ ، والبيت الثاني في التبيان في شرح الديوان ٢٠١/٣ ، وشرح ديوان المتنبي للواحدي : ١٩١ ، وهما بلا نسبة في بهجة المجالس ٥٩١/١ ، ٥١٢ ، والبيت الأول في غرر الخصائص ١٤ غير منسوب أيضاً ، وانظر التشبيهات : ٢٦٣

ق/٥٨ : البيتان في شرح المقامات ٨/٢

ق/٥٩ : البيتان في الحماسة الشجرية ٣٩٩/١

حلب محمد يحيى زين الدين

آراء وأنبـاء

توضيـح وتعقيب
على مقال الأستاذ محمد جميل بيهم

الأستاذ عبد اللطيف الطيباوي

لمقالة الأستـاذ محمد جميل بيهم المنشورة في العدد الرابـع من المجلد التاسع والأربعين أهمية خاصة ، لأن كاتبها عاصر بعض الحوادث التي وصفها وشارك في بعضها الآخر . لهذا أستأذنه ، لزيادة الفائدة من مقالته ، توضيح بعض ما كتب وتصحيح بعض الهفوات :

١ – صفحة ٧٦٤ : اتخذ الأستاذ تقرير اللجنة الملكيـة البريطانية التي بحثت قضية فلسطين في سنة ١٩٣٧ مرجعاً في تاريخ القوميـة العربية فنقل ما جاء فيه أن الكلية السورية الإنجيلية في بيروت (الجامعة الأمريكية الآن) بعثت روح القومية العربية في شباب سورية . وهذا وهم لا تؤيده الحقائق . لا شك في فضل الجامعـة في السنوات التي تلت الحرب العالمية الأولى حتى الآن ، أمّا الكلية فكان التبشير بالمذهب البروتستانتي هدفها الأول منذ تأسيسها ، ولم تعلّم من المباحث ما غذّى الروح القوميـة ، ولم يكن بين معلميها من اهتم بذلك . (بحثنا هذا الموضوع في مقالات نشرت في هذه المجلة آخرها في الجزء الرابع من المجلد السابع والأربعين ، وفي مقالة « أوهـام حول النهضة » نشرت في العددين الثالث والرابع لسنة ١٩٧١ من مجلة Middle East Forum) .

٢ — صفحه ٧٦٥ : يذكر الأستاذ أن تركيا دخلت الحرب في ٢ تشرين الثاني ١٩١٤ ، وعلى صفحة ٧٦٧ ينقل أنها دخلتها في ٣١ تشرين الأول . والحقيقة لا هذا ولا ذاك . بدأت بريطانيا بإعلان « حالة حرب » مع تركيا في ٥ تشرين الثاني . أما تركيا فلم تعلن الحرب حتى ١٤ منه ، وكان ذلك بصورة مزدوجة : إعلان من الحكومة التركية موجه إلى حكومات بريطانيا وفرنسا وروسيا ، وإعلان من السلطان بصفته خليفة المسلمين موجه إلى المسلمين الخاضعين لحكم تلك الدول والمجندين في جيوشها يأمرهم بالثورة والعصيان تحت راية الجهاد الإسلامي . (راجع جريدة طنين التركية في ٢٦ ذي الحجة ١٣٣٢/١٥ تشرين الثاني ١٩١٤)

٣ — صفحة ٧٦٧ : عند إعلان الحرب كان اللورد كتشنر يشغل وظيفة المعتمد البريطاني في مصر ، فرُقي وزيراً للحربية وخلفه السير هنري مكماهون ، لا رونالد ستورس كما يقول الأستاذ . كان ستورس هذا السكرتير الشرقي في دار الاعتماد البريطانية ورتبته تأتي بعد المستشار والسكرتير الأول والثاني والثالث (راجع قائمة موظفي وزارة الخارجية البريطانية لسنة ١٩١٤ : Foreign Office List) .

٤ — صفحة ٧٧٠ : سلسلة الحوادث والتواريخ الخاصة بدخول دمشق في تشرين الأول ١٩١٨ كما ذكرها الأستاذ غير صحيحة . وهذه هي الحقائق : انسحبت مؤخرة الجيش التركي من المدينة قبل ظهر يوم ٣٠ أيلول ، وفي الحال رفعت الأعلام العربية على دار البلدية وأعلن قيام حكومة عربية . وفي مساء ذلك اليوم وصلت القوات العربية والبريطانية إلى ضواحي المدينة ، وفي فجر اليوم التالي أول تشرين الأول دخلتها قوة الهجانة العربية بصورة رسمية ، وعبرت ضواحيها الشمالية قوة الخيالة الاسترالية اضطراراً وبصورة

غير رسمية ، فقد أمر الاستراليون بقطـع الطريق بين دمشق وحمص أمام فلول الأتراك ، فوجد قائدهم أن التضاريس الطبيعية في وادي بردى لاتمكن الخيالة من اجتيازه فأمرهم باجتيـاز ضواحي المدينة من الشمال للوصول إلى غرضهم . وإلى ذلك يشير الزهاوي بقوله :

فقد ذرّ قرن الشمس أو كاد وانجلت من الليل عن صبح النجاة سدول
وجاءت خيول العرب تعدو وراءها بقربـــة للإنـكليز خيـــــول

وكان أول من دخل المدينة من القواد العرب الشريف ناصر ،ومعه نوري الشعلان ونوري السعيد . أما الأمير فيصل فقد دخلها في يوم ٣ تشرين الأول (لا يوم ١٠ كما يقول الأستاذ) ، وبعده بساعات دخلها القـائد البريطاني العام الجنرال اللنبي ، فوجدها ، كما قال في تقريره لوزارة الحربية ، تحت حكم عربي . (هذه الحقائق مستمدة من تقريره الرسمي الموجود في دار الوثائق البريطانية في لندن . وقد فصلنا ذلك في كتابنا : تاريخ سورية الحديث (A modern History of Syria , London 1969 , p . 268-9 .

٥ — صفحة ٧٧٢ : يذكر الأستاذ أنه بعد أن أفشى البولشفيك سر معاهدة سايكس ـ بيكو استفسر الملك حسين من مكماهون وأن هذا أكد له « أن الإنـكليز لا يزالون على عهدهم له ، وأنهم مصممون على إعلان الحرية للعرب والوحدة العربية » . الحقيقة أن الملك حسين استفسر من خلف مكماهون وهو السير ريغنالد وينغيت ، فحوّل هذا السؤال إلى لندن وجاء الجواب بامضـاء وزير الخارجية بلفور . وهو كالعادة غامض جداً ولا ذكر فيه للوحدة العربية لا تصريحاً ولا تلميحاً . (تفصيل الخبر في كتابنا المذكور أعلاه ص ٢٦١ ـ ٦٢)

معهد التربية ـ جامعة لندن عبد اللطيف الطيباوي

سـؤالان لغويان

الأستاذ محمد العدناني

أرجو إجابتي عن السّؤالين الآتيين(١) :

(١) لقد استشرتُ أربعة عشر مصدراً لغوياً ، بينها الصّحاح ، ومقامات الحريري ، والأساس ، والمختار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمتن ، وأقرب الموارد ، بحثاً عن قولنا « كُتُبٌ عديدةٌ » ، فوجدتها تقول : إن **العديدَ** هو **العَدَدُ** .

بينما قال الراغب الأصفهاني إنّ الجيش **العديدَ** هو **الكثيرُ** . وقال اللسان : **العديدُ** : **الكثرةُ** (لم يَقُل : **الكثير**) . وقال المعجم الوسيط : **العديدُ** : **العددُ الكثيرُ** (**يُقالُ** : **ما أكثرَ عديدَهم** !) . فلو صح قول الوسيط هذا ، ودل (**العديدُ**) على الكثرة ، لما احتجنا إلى استعمال (**أكثر**) ، إذ يصبح معنى الجملة : ما أكثر كثرة عددهم ! وهذا غير معقول .

وقال إن (**العديدةَ**) تعني الحِصَّةَ ، كلٌّ من اللسان ، **والقاموس** ، والتاج ، ومَدّ القاموس ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وذكرَ أن (**العِدّة**) هو الكثرة ، كلٌّ من اللسان ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

---

(١) السؤالان موجهان إلى السادة أعضاء مجمع اللغة العربية وإلى العاملين في الحقل اللغوي بعامة .

بينما ذكر التاجُ والمتن أن العِدَّةَ هي الجماعة قلَّتْ أو كثرت .

ويقول دوزي في « مستدرك المعجمات » : مدائن عِدَّةٌ : كثيرةٌ .

فهل يعني قولنا : « كُتُبٌ عديدةٌ » أنها كثيرة ، أم يعني أنها معدودة ، أم يعني كلتيهما ؟ وهل يحق لنا أن نقول : عِدَّةَ كُتُبٍ ، وكُتُبٌ عِدَةٌ ؟ وإذا كان لا يحق لنا ذلك فما هو المانع ؟

(٢) هل يحق لنا أن نقول : **هذه هي دعوته الحقَّةُ إلى الجِهاد** ، أم يجب أن نقول : **دعوتُه الحقُّ إلى الجهاد** ؟

ذكر العلامة الأستاذ عباس حسن في النحو الوافي ٣/١٨٠ ، و ٣/١٨٣ و ٣/٢٠١ أن المصدر لا دلالة له على تذكير أو تأنيث ، وأنه « يدل في الغالب على مجرد الحدث . أي : يدل على أمر معنويٍ محض ، لاصلةَ له بزمان ، ولا بمكان ، ولا بذات ، ولا بعَلَميَّةٍ ، ولا بتذكيرٍ ، أو تأنيث ، ولا بإفرادٍ ، أو تثنية ، أو جمع أو غيره » .

ويقول العلامة مصطفى الغلاييني في « جامع الدروس العربية » ٣/٢٢٥ : « المصدر الموصوف به يبقى بصورةٍ واحدةٍ للمفرد ، والمثنى ، والجمع ، والمذكر ، والمؤنث فنقول : رجلٌ عَدْلٌ ، وامرأةٌ عدلٌ ، ورجُلانِ عدْلٌ ، وامرأتانِ عدْلٌ ، ورجالٌ عَدْلٌ ، ونساءٌ عدلٌ » .

وكلمة (الحقّ) هي مصدرٌ . ولكنّ القاموس ، والتاج ، والمدَّ ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، والوسيط تقول : إن مصادر الفعل حَقَّ يحِقُّ أو يَحُقُّ ، هي : حقَّةٌ ، وحَقٌّ وحُقوقٌ . ومعنى الفعل حقَّ : صار حقاً .

وأنا أرى أن المصدر (حقَّة) يجيز لنا أن نقول : **الدعوة الحقة** ؛ لأننا لسنا في حاجة إلى الإتيان بالصِّفة مذكَّرةً لموصوف مؤنث ، ما دام لدينا مصدر مؤنث أيضاً ، يفرض علينا أن نقول : **الدَّعوةُ الحقَّةُ والقولُ الحقُّ** .

وقد خطَّأوا قبلَ ذلك من يؤنِّث المصدر (بَحْث) ، ومن يثنيه ويجمعه ، ولكن الصحاح ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، ومدَّ القاموس ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، والوسيط ، أجازوا تأنيث المصدر (بَحْث) ، وتثنيته ، وجمعه ، وقولَ : قضية سياسية بَحْتَة ، مع أن مصدري الفعل بَحُتَ ، هما (بحْتٌ) و (بُحُوتةٌ) ، وليس معها (بَحْتَة) ، كما هو الحالُ في مصادر الفعلِ حَقَّ : حَقٌّ ، وحَقَّةٌ وحقوقٌ .

والمصدران (بَحْتٌ) و (حَقٌّ) هما أيضاً اسمان (كما تقول المعاجم كلها) يجب علينا أن نؤنثها مع موصوفها المؤنث ، ونذكرهما مع موصوفها المذكر .

فهل نقول : **الدعوةُ الحقُّ** ، أم **الدعوةُ الحقَّةُ** ، أم نقول كلتيهما ؟

أرجو أن تزودوني برأيكم الموفق خلال الأشهر الثلاثة المقبلة ، لكي أنشره في معجمي الجديد « معجم عثرات الأدباء » مع الاستفتاء الإملائي عن كتابة همزتي الوصل والقطع ورسم تنوين النصب .

وتفضلوا في الختام بقبول شكري وشكر الضاد والناطقين بها .

بيروت **محمد العدناني**

مخطوطات قيمة

في مكتبة مجمع اللغة العربية

كانت مكتبة علامة الشام المحدث الأكبر الشيخ محمد بدر الدين الحسني (١٢٦٧ - ١٣٥٤ هـ - ١٨٥١ - ١٩٣٥ م) رحمه الله ، قد ضمت ، سواء في مقره في دار الحديث الأشرفية أم في منزله ، مجموعة طيبة من المطبوعات والمخطوطات النادرة ، مما كان يحرص أشد الحرص على حفظه وحمايته وتأمين حسن الإفادة منه .

وكان من وصيته رحمه الله ، في شأن الكتب (الموقوفة) التي تناهت إلى مكتبته ، أن ترد إلى جهة علمية موثوقة تتولى متابعة حمايتها وحفظها وتمكّن طلاب العلم من الإفادة منها .

وقد تولى الأستاذ محمد فخر الدين الحسني حفيد المحدث الأكبر إنفاذ وصية جده ، على خير وجوه الإنفاذ ، حين ارتأى أن تودع تلك المخطوطات مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق لتكون في متناول الباحثين والدارسين . وتفضل فبعث بها إلى المجمع .

إن مجمع اللغة العربية الذي يعرف فضل المحدث الأكبر العلامة الشيخ محمد بدر الدين الحسني[1] على الثقافة الإسلامية ويدرك عمله في إشاعتها من

---

(١) انظر في ترجمة الشيخ : مجلة مجمع دمشق : مج ١٣ : ٢٩٦ — ٣٥٠ وكتاب الأعلام للزركلي ٨ : ٣٣

خلال تدريسه الذي لم ينقطع مدة قاربت ثلاثة أرباع القرن، ويقدّر ما كان من أثره في تكوين نخبة من العلماء وجمهرة كبيرة من المتعلمين والمتفقهين، ليفيد من هذه المناسبة فيسأل الله أن يجزيه أفضل الجزاء، ويشكر لحفيده الأستاذ محمد فخر الدين الحسني حسن قيامه على ما خلفه جده من كتب التراث المجيد وصيانته لها ثم قيامه بتنفيذ الوصية على خير وجه.

وفيما يلي قائمة بأسماء المخطوطات التي دخلت خزانة كتب المجمع مع تعريف موجز بها:

١ ـ المجلد الأول من شرح المحصول. لأبي عبد الله محمد بن محمود ابن محمد الأصفهاني. أوله الحمد لله على نعمه، ومن نعمه حمده.

٢ ـ المجلد الثاني من شرح المحصول للأصفهاني. تاريخ نسخه ٦٩٨ هـ الناسخ مأمون بن محمد بن مأمون بن محمد بن كمال الإيجي.

٣ ـ الجزء الأول من نفـائس الأصول في شرح المحصول للرازي. تأليف الشيخ أحمد شهاب الدين بن إدريس المالكي المعروف بالقرافي. أوله: الحمد لله الذي تفرد في عظم ألوهيته بكمال المجد والملاء.

٤ ـ الجزء الثاني من النسخة نفسها.

٥ ـ الجزء الثالث من النسخة نفسها. تاريخ نسخه ٧٠٩ هـ

٦ ـ حاشية ميرزا جان على شرح حكمة العين، لمبارك شاه. أوله: بسم الله الرحمن الرحيم قال الشارح الحكمة.. وعليها حواش مفيدة.

٧ ـ كتاب في الاستعارات. مجلد ناقص من آخره. أوله: الحمـــد لله الواجب وجوده. أقول افتتح كتابه بالحمد.

٨ ـ شرح مختصر المنتهى للعضد الإيجي في أصول الفقه . أوله : الحمد لله الذي برأ الأنام . تاريخ نسخه ١٠٥٢ هـ

٩ ـ النيث الهامع في شرح جمع الجوامع لأبي زرعة العراقي . أوله : أما بعد حمد الله والصلاة على رسوله . نسخة قيمة وقديمة

١٠ ـ الترغيب والترهيب للمنذري المجلد الثاني قديم . أوله كتاب اللباس والزينة .

١١ ـ شرح القسم الثالث من المفتاح للسيد الشريف الجرجاني مجلد . أوله : نحمدك اللهم على ما هديتنا إليه من دقائق المعاني . تاريخ نسخه ٨٦٣ هـ

١٢ ـ الجزء الثاني من تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد لبدر الدين محمد بن أبي بكر بن عمر المخزومي الدماميني . أوله بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين . باب إعمال المصدر ، تاريخ نسخه ٨٤٥ هـ

١٣ ـ النكت على ابن الصلاح للبدر الزركشي . أوله الحمد لله الذي أعلى منار الإسلام . تاريخ نسخه ٨٨٩ هـ

١٤ ـ نهاية السول في شرح منهاج الأصول لجمال الدين أبي الحسن الأسنوي . أوله : الحمد لله الذي مهد أصول شريعته . تاريخ نسخه ٨٤٣ هـ

١٥ ـ حاشية على شرح المختصر للعضد الايجي ، للأبهري . أوله : الحمد لله الذي شرح الأحكام وربطها بدلائل كلية . تاريخ نسخه ٨٢٠ هـ

١٦ ـ المجلد الثالث من تفسير القرطبي ، من سورة التوبة . مخروم أوله وآخره .

١٧ ـ الفوائد شرح الزوائد . وهو شرح على منهاج البيضاوي للشيخ برهان الدين الأبناسي . مخروم الآخر . أوله : الحمد لله الذي أسس شريعته بنبيه أحسن أساس . عليه تمليك في ٩٢٨

١٨ ـ الأول من تفسير علي بن الحسين بن عروة الحنبلي المسمى بالكواكب الدراري . وهو المجلد العشرون . أوله : الحمد لله نحمده ونستعينه . تاريخ نسخه ٨٢٥ هـ . كتبه تلميذ المؤلف .

١٩ ـ المجلد الأول من نهاية الوصول في دراية الأصول ، لصفي الدين الهندي . مخروم الأخير . أوله : الحمد لله محيي الأمم بعد فنائها .

٢٠ ـ شرح التسهيل لابن مالك . للشيخ أبي بكر الدماميني . أوله : اللهم إياك نحمد على نعم توجهت الآمال إلى نحوها . تاريخ نسخه ١٠٣٠ هـ .

٢١ ـ شرح الاخسيكتي في أصول الفقه ، للشيخ حسام الدين السغناقي . أو كتاب الوافي في شرح المختصر في أصول الفقه . أوله : الحمد لله الذي جعل قوانين الشرع أصوله . تاريخ نسخه ٧٢٦ هـ

وقف ابن طولون على مدرسة أبي عمر بالصالحية

٢٢ ـ شرح مختصر ابن الحاجب للسعد التفتزاني . أوله : الحمد لله الذي وفقنا للوصول إلى منتهى أصول الشريعة الغراء . تاريخ نسخه ٩٩٢ هـ

٢٣ ـ النكت العرفية بما في شرح الألفية . لبرهان الدين البقاعي . كتب عن نسخة قرئت على المؤلف . أوله : الحمد لله الذي من أسند إليه ضعيف عزمه قوّاه : تاريخ نسخه ١١١٦ هـ

٢٤ ـ رسالة إثبات الواجب للجلال الدواني . أوله : سبحانك ما أعظم شانك . بهامشها تعليقات بخط دقيق .

٢٥ ـ حاشية قره باغي على إثبـات الواجب للجـلال الدواني . أوله : قوله شكراً لله ،

٢٦ ـ المنتقى من مكارم الأخلاق للخرائطي . مخروم الأول ينقص ورقة واحدة تقريباً أوله : « أبي سليمان الفلسطيني » وهو في خمسة أجزاء في مجلد واحد . نسخة قديمة عليها سماعات منها سماع سنة ٥١١ هـ بجامع دمشق بقراءة أبي محمد عبد الرحمن السلمي وغيره .

٢٧ ـ شرح السخوية في علم الحساب للشيخ حسين المحلي . أوله : الحمد لله الذي خص العلماء . ومعه حاشية كاشفة الهموم والبلية عن المتوقف في الفوائد الشنشورية للشيخ علي البقاعي . أوله : الحمد لله الحليم المنان . تاريخ نسخه ١١٤٨ هـ وهو بخط المؤلف

٢٨ ـ شرح الشافية لكمال الدين محمد الفسوي . أوله : الحمد لله الذي أمال قلوبنا إلى صرف الهمم نحو ... تاريخ نسخه ١٢١٣ هـ

٢٩ ـ شرح المحصل للرازي ، للشيخ نجم الدين الكاتبي . نسخة قديمة أولها : الذي أفاض بجوده العام .

٣٠ ـ التلخيص في الفرائض للشيخ عبد الله بن إبراهيم الخبري . أوله : الحمد لله أهل الحمد ومستحقه . تاريخ نسخه ٧١٨ هـ

٣١ ـ العقود الجوهرية في حل الأزهرية لناصر الدين الطيلاوي . أوله : أحمد من جمع الكمال في خلاصة خلقه أحمد . تاريخ نسخه ١٠٢٣ هـ

٣٢ ـ شرح الرساله العضدية . مجهولة المؤلف . أولهـــا : الحمد لله على إفهام الخطاب .

٣٣ ـ حاشية العلامة العكاري على السنوسية الكبرى في علم التوحيد أوله : قوله الحمد لله ... الخ

٣٤ ـ المجلد الأول من الإبهاج في شرح المنهاج للعلامة ناصر الدين

لشيخ الإسلام تاج الدين السبكي . أوله : بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه . قال الشيخ الإمام . نسخة قيمة قديمة محررة ومضبوطة على المؤلف السبكي بخط أحمد بن عبد الرحمن ابن عبد الله سنة ٧٦٥ ﻫ

٣٥ ـ المجلد الثاني منه . أوله : قال : الكتاب الثاني في السنة وهي قول الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، أو فعله . الورقة الأخيرة بها تآكل .

٣٦ ـ غاية الأصول إلى علم الفصول للقاضي زكريا الأنصاري . أوله : بعد البسملة والصلاة على نبيه وبعد فقد علقت فيما مضى الفصول المهمة في علم الميراث لابن الهائم .

٣٧ ـ كتاب في الفرائض على مذهب الإمام الشافعي. مخروم الأول والآخر.

٣٨ ـ شرح قصيدة الإمام الساوي لعبيد الله بن عبد الكافي بن عبد المجيد العبيدي في علم العروض . أولها : الحمد لله رب العالمين . بحمد المليك الحق ذي الطول والعلا .

٣٩ ـ حاشية الشيرانشي على عصام ، في علم الوضع. أوله : يا معين ،قوله .على تقدير تقدم الديباجة . وعليه حواشٍ ، مخروم الآخر .

٤٠ ـ مجموع يحتوي أولاً : على رسالة في بيان المقصور والممدود . أولها: بدأت بحمد الله فهو ثناؤه . ثانياً : منظومة في مدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أولها : أصلي صلاة تملأ الأرض والسما ، على حروف الهجاء . ثالثا : شرح شهاب الأخبار للقضاعي أوله : الحمد لله : هو الوصف الجميل . رابعاً : حاشية الجلال المسماه بالمحاكات لأحمد به حيدر . أوله: كيف لا أحمد لمن تتالت من فضله الآلاء . تاريخ نسخه ١٢١٩ ﻫ

٤١ ـ كتاب الأمالي على نظم اللآلي للبدر الزركشي أوله : الحمد لله المادلةقسمته . في علم الفرائض . نسخة منقولة عن نسخة المؤلف بخط أحد تلامذته أحمد بن أبي بكر السيوطي . تاريخ نسخه ٨١٧ هـ

٤٢ ـ كتاب منع الموانع عن جمع الجوامع للعلامة تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب الأنصاري الخزرجي السبكي الشافعي تاريخ نسخه ٧٦٢ هـ وقد قوبل على نسخة مقابلة على نسخة المؤلف

٤٣ ـ حاشية مولانا حسين على شرح المطالع ، أوله بعد البسملة : قوله الفياض الوهاب . كتب على غلافه : غرة ذي الحجة ٨٨٨ هـ

٤٤ ـ حاشية حسن بن عبد الصمد السامسوني على شرح العضدية . أولها: أحمدك اللهم يا أهل الحمد والثناء . تاريخ نسخها ٨٨٩ هـ

٤٥ ـ مجموع فيه ١ ـ حاشية على آداب البحث للسمرقندي . أوله الحمد لله رب العالمين . وهي الرسالة المسماة المسعودية . تاريخ نسخها ٩٥٥ هـ

٢ ـ حاشية عماد لمسعود رومي أولها : قوله المنة علينا .

٣ ـ وشرح القطب الكيلاني على آداب البحث للسمرقندي . أوله : الحمد لله الذي هدانا إلى سواء السبيل .

٤٦ ـ الجزء الأول من الفتوحات الربانية بشرح الاذكار النووية لمحمد ابن علي بن علان . أوله : الحمد لله الذاكر من ذكره . تاريخ نسخه ١١٣٥ هـ

٤٧ ـ الصارم المسلول على شاتم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم للإمام ابن تيمية . أوله : الحمد لله الهادي النصير . مخروم الآخر عدد أوراقه ٢٤٥ ورقة نسخة جيدة وقديمة

٤٨ ـ القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع للإمام السخاوي . أوله : الحمد لله الذي شرف قدر سيدنا محمد . نسخة قديمة . كتبه أبو بكر أحمد بن إبراهيم الحلبي سنة ٨٨٢ هـ

٤٩ - حاشية على جوهرة التوحيد للعدوي . أوله : الحمد لله الذي حلّى أفهام العارفين بفرائد أدلة التوحيد . مخروم الآخر .

٥٠ - شرح هداية المريد لجوهرة التوحيد للشيخ إبراهيم اللقاني . أوله : الحمد لله الذي تفرد بوجوب وجوده . مخروم الآخر .

٥١ - شرح التجريد في العقائد للأصفهاني . أوله : الحمد لله المتوحد بوجوب الوجود . تاريخ نسخه ٨٦٨ هـ

٥٢ - تقريرات الإمام ابن حجر الهيتمي على الأربعين النووية . أوله : الحمد لله الذي وفق ، من المعلوم أن الموصول الاسمي . مخرومة الآخر .

٥٣ - شرح الجزرية لابن المصنف. أوله :الحمد لله المتعالي في جلال قدسه .

٥٤ - الجزء الأول من منح الغفار شرح تنوير الأبصار للتمرتاشي أوله : إن أجدر ما افتتحت به الكتب والدفاتر .

٥٥ - المجلد الثاني من منح الغفـار تملكه العلامة حامد العمادي سنة ١١٤٠

٥٦ - حاشية العلامة ابن قاسم العبادي على حاشية شيخـه اللقاني في شرح التصريف . أوله : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

٥٧ - حاشية العدوي على شرح الهدهدي على متن السنوسية . أوله : الحمد لله الواجب الدوام . مخروم الآخر .

٥٨ - أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل للإمام ابن حجر الهيتمي . أوله : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد . تاريخ نسخه ١١٣٩ هـ

٥٩ - كتاب في التوحيد للعلامة إبراهيم اللقاني . مخروم الأول .

٦٠ - كتـاب المحاكمات وهو حاشية للعلامة عبـد الله بن حيدر

الكردي الحسين أبادي . أوله : حمداً لمن تمثل في مرائي أجناس العالم . ومعه تعليقة لطيفة على حواشي الأحمدية على الفوائد الفنارية .

٦١ - تفسير الكشاف للإمام الزمخشري . أوله : الحمد لله الذي أنزل القرآن . نسخة خزائنية مذهبة خط جميل . كتب ١١٤٩

٦٢ - الجزء الأول من طبقات الشافعية الكبرى للإمام تاج الدين السبكي . أوله : الحمد لله نحمده ونستعينه .

٦٣ - الجزء الثاني من الطبقات الكبرى الإمام الشعراني وبه تكتمل النسخة أوله : عبد القاهر بن عبد الرحمن الشيخ أبو بكر الجرجاني . نسخة خزائنية مذهبة بخط نسخي جميل . تاريخ نسخه ١١٢٨ هـ

٦٤ - حاشية قاآني على المغني في علم أصول الفقه . أوله : الحمد لله رب العالمين والصلاة على رسوله . بخط محمد بن حسام بن سعد الملك البدخشاني . تاريخ نسخه ٧٨٣ هـ

٦٥ - المجلد الأول من حاشية قطب الدين الشيرازي على الكشاف للزمخشري . أوله : الحمد لله الذي علم القرآن . مجلد ضخم .

٦٦ - حاشية السعد التفتازاني على الكشاف للزمخشري . أوله : الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب . تاريخ نسخه ١٠١٩ هـ

٦٧ - العهود الصغرى للإمام الشعراني . أوله : الحمد لله رب العالمين وبعد فهذه عهود ومواثيق أخذت علينا من مشايخنا .

٦٨ - آكام المرجان في أحكام الجان للعلامة الشيخ بدر الدين الشبلي . أوله : الحمد لله خالق الإنس والجنة .

٦٩ - كتاب هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك للعلامة الشيخ

عز الدين بن جماعة . أوله : الحمد لله الذي شرع لقاصديه أقصد الطريق . تاريخ نسخه ٧٦٠ هـ . وعليه سماع على العلامة الشيخ عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحيم بن الحسن بن الفرات سنة ٧٦٥ هـ بخطه .

٧٠ ـ الجزء الأول من البحر المحيط للإمام أبي حيان الأندلسي . أوله: الحمد لله مبدىء صور المعارف . نسخة قديمة . وهو مما أوقفه محمد بن طولون على مدرسة أبي عمر بالصالحية .

٧١ ـ الجـزء الثاني من شرح المحرر ، لعله للرافعي . أوله : باب الغصب تاريخ نسخه ٨٨٠ هـ

٧٢ ـ شرح هياكل النور للإمام السهروردي . أوله : يامن نصب رايات آيات قدرته . كتب ٩٧٣ وبآخره رسائل أخرى

٧٣ ـ مجموع رسائل فيه :

أولاً ـ النسمات السحرية في مدح خير البرية . أوله : يامن جمل نور نبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم . لأحمد المنيني .

ثانياً ـ قصيدة للشيخ محمد الفاسي الشهير بابن الطيب ، أولها : قباب قباء تلكم أم قبا سلع .

ثالثاً ـ رسالة العقد نظم عبد اللطيف بن فتح الله . أولها : الحمد لله القريب مجيب دعوة الداعي .

رابعاً ـ حلية الاصطفا في حلية المصطفى صلى الله عليه وسلم لمحمد سعيد اللقيمي المتوفى ١١٦٨ . أولها : أحمد الله كم له آلاء .

خامساً ـ تخميس لامية ابن الوردي : إلى متى أنت باللذات مشغول .

سادساً ـ أشعار مختلفة للشيخ علي العدوي ومحمد أفندي جمال الدين الغزي .

سابعاً ـ منهاج العارف المتقي ومعراج السالك المرتقي . نسب للشيخ الأكبر .

ثامناً ـ شرح موال الشيخ الأكبر للشيخ عمر اليافي .

٧٤ ـ حاشية الخضري على الشنشوري في علم الفرائض . أوله : الحمد لله الوارث بعد فناء خلقه .

٧٥ ـ شرح نخبة الفكر في مصطلح الأثر للإمام ابن حجر العسقلاني . أوله : الحمد لله الذي لم يزل عالماً قديراً . تاريخ نسخه ١١٥٦ هـ

٧٦ ـ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة . أوله : الحمد لله مميز الخبيث من الطيب . مخروم الآخر .

٧٧ ـ كتاب جنة الصابرين الأبرار وجنة المتوكلين الأخيار للشيخ عبد العزيز ابن العز البغدادي قاضي القدس الشريف . أورد فيه ماورد في القرآن الكريم من آيات الصبر والتوكل والآيات المشوقة إلى الجنة . أوله : الحمد لله شامل الصابرين برحمته . نسخة قديمة جيدة . جلدها جميل .

٧٨ ـ شرح الكافية للعلامة العصام . أوله بعد البسملة : الحمد لله والصلاة على نبيه أما بعد فهذه نبذة من الأفكار . مخروم الآخر .

٧٩ ـ شرح المراح لحسن باشا . أوله : الحمد لله الذي صرف أفكار قلوبنا إلى الصراط المستقيم تاريخ نسخه ٩٩٠ هـ

٨٠ ـ مجموع كتابين : أولاً : كتاب في عوامل النحو مخروم الأول .
ثانياً : تركيب العوامل في النحو .أوله بعد البسملة : الباء عامل لفظه سماعي .

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الثاني من عام ١٩٧٥

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
اختلاف الفقهاء (الجزء الأول)	أبو جعفر الطحاوي. تحقيق محمد صغير حسن المعصومي	إسلام آباد ١٩٧١
دلائل النظام	عبد الحميد الفراهي	أعظم كره ١٣٨٨هـ
ابن الحاجب النحوي (آثاره ومذهبه)	طارق عبد عون الجنابي	بغداد ١٩٧٤
فقهاء الفيحاء وتطور الحركة الفكرية في الحلة (الجزء الأول)	هادي كمال الدين	بغداد ١٩٦٢
ابن سينا ومذهبه في النفس	الدكتور فتح الله خليف	بيروت ١٩٧٤
الاتجاهات المتوقعة لعبء معاش الشيخوخة الشامل لكافة أفراد المجتمع في مصر	الدكتور محمد صلاح الدين صُدقي	» ١٩٧٤
الاستغلال كسب لإبطال العقد	الدكتور عبد المنعم فرج الصدة	» ١٩٧٤
حقوق الإنسان بين الأمس واليوم	وجدي ملاط	» ١٩٧٤

اســـم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
الصحاح في اللغة والعلوم	نديم مرعشلي ـ أسامة مرعشلي	بيروت ١٩٧٤
فروض علمية في تفسير علاقات الحرب والسلام	الدكتور محمد طه بدوي	« ١٩٧٤
مساهمة الفكر الكلاسيكي في التحليـــل الحديث للتنمية الاقتصادية	الدكتور عبـــد الرحمن يُسري أحمد	« ١٩٧٤
مستقبل النظام المصرفي في الدول العربية	الدكتور علي الجرتلي	« ١٩٧٤
مناهج البحث الفلسفي	الدكتور محمود زيدان	« ١٩٧٤
النظرية العامة للقاعدة الاجرائية الجنائية	الدكتور عبد الفتـاح الصيفي	« ١٩٧٤
وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث	الدكتور عبد العزيز نوار	« ١٩٧٤
الوثائق العربية لعام ١٩٧٣	الجامعة الأمريكية	« ١٩٧٣
الوضع السكاني في لبنان	يوسف كرباج ـ فيليب فارغ	« ١٩٧٤
الرياضيات للصف الثاني بجامعة حلب	الدكتور خالد ماغوط	حلب ١٩٦٥
مقاومة المواد	الدكتور عبد الرزاق عرعور	« ١٩٧٤
الهندسة التحليلية في الفراغ	الدكتور خالد ماغوط	« ١٩٧٢

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
أبحاث في الاقتصاد السوري والعربي	الدكتور هشام متولي	دمشق ١٩٧٤
أغان بريشة البرق	سليمان العيسى	« ١٩٧٥
أقاصيص سيباستوبول وغيرها	تولستوي. ترجمة الدكتور سامي الدروبي	« ١٩٧٤
أمواج	عبد الرحيم الحصني	« ١٩٧٤
الإنسان والحضارة والتحليل النفسي	ويلهلم رايش وآخرون. ترجمة أنطون شاهين	« ١٩٧٥
حدث في اركوتسك	ألكسي اربوزوف. ترجمة كمال عطية	« ١٩٧٤
الحكايات الشعبية في اللاذقية	أحمد بسام ساعي	« ١٩٧٤
درّ الحبب في تاريخ أعيان حلب (الجزء الثاني القسم الثاني)	ابن الحنبلي. تحقيق محمود فاخوري ويحيى عبارة	« ١٩٧٤
رضا قيصر (مسرحية)	علي عقلة عرسان	« ١٩٧٥
الزيني بركات (رواية)	جمال الغيطاني	« ١٩٧٤
العرب واليهود في التاريخ	الدكتور أحمد سوسة	« ١٩٧٣
عصر العقل (فلاسفة القرن السابع عشر)	ستيوارت هامبشر. ترجمة ناظم الطحان	« ١٩٧٥
العصفور المسافر (قصص للأطفال)	عبد الله عبد	« ١٩٧٥

اســم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في المكتبة الشعبية بصوفية في بلغاريا (الجزء الثاني)	الدكتور عدنان درويش	دمشق ١٩٧٤
قانون تنظيم الجامعات	وزارة التعليم العالي	« ١٩٧٥
لمحة عن السرج القديمة ونماذجها في المتحف الوطني بدمشق	بشير زهدي	« ١٩٧٤
مقالة في الأساطير في شعر عبد الوهاب البياتي	طراد الكبيسي	« ١٩٧٤
منسوجات المتحف الوطني بدمشق	كازوكو يوكو هاري تعريب بشير زهدي	« ١٩٧٤
نجاح بيكاسو وإخفاقه	جون بيرجير. ترجمة فايز صياغ	« ١٩٧٥
نصوص مختارة	بابوف . ترجمة عيسى عصفور	« ١٩٧٤
الوشـــاح الأزرق (قصص للأطفال)	أحمد يوسف داود	« ١٩٧٥
شعر الدعـــوة الإسلامية في العصر الأموي	عبد العزيز الزير ومحمد الأطرم	الرياض ١٩٧٢
شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الأول	عبد الله الجميثن	« ١٩٧٤

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الثاني	عائض بنية الردادي	الرياض ١٩٧٢
غمائم الخريف	رياض معلوف	زحلة ١٩٧٤
تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي (الجزء الأول)	سيف مرزوق الشملان	الكويت ١٩٧٥
تاريخ أحمد شاهي (١ ـ ٢)	محمود الحسيني المنشيء	موسكو ١٩٧٤
تحفة الحضر والأعراب في علم النحو والإعراب	هادي كمال الدين	النجف ١٩٧٤
التخميس والتشطير في أصحاب آية التطهير (١ - ٢)	» » »	النجف ٩٥٩-٩٦٧
التشيع وأثره في شعر العصر العباسي الأول	الدكتور محسن غياض	النجف ١٩٧٣
طبقات النحاة واللغويين	ابن قاضي شهبة	النجف ١٩٧٤
لحساب من هذي الخيانة	هادي كمال الدين	النجف ١٩٦٣
المكاسب (١ - ٣)	مرتضى الأنصاري	النجف ٩٧٣-٩٧٤

تصويبات

في العددين الثاني والثالث من المجلد الخمسين

ص	س	الصواب	ص	س	الصواب
٢٣١	٥	يجول	٥٠٠	١٧	أخذْتَ
٢٥٨	٥	المدوّر	٥٠٢	٦	ورواغلها
٢٦٠	٨	١٩٢٨	٥٠٣	١٧	للخيسُّرين
٢٦١	٣	كلف القيام بمهمتين	٥٠٤	٢	١٩٣٧ م
٢٦٧	٣	عن عدم قبول	٥٠٤	١١	تغتدِ
٢٦٨	٤	لسياستها واسم	٥٠٥	٢	في حَبير
٣٢٧	٢	عبد الرحمن المرتضى	٥٠٥	٣	لألاؤه
٤٨٧	١٤	Kosk	٥٠٥	١٣	تنورُ
٤٨٧	١٩	Kofte	٥٠٥	١٦	ساحرُ
٤٨٨	٤	كيچه	٥٠٧	١٥	بمنونِ
٤٩٤	١٤	بِلا	٥٠٨	٤	فيرِنْدُ
٤٩٥	١٢	كَندَرْ	٥٠٨	١٤	لَطيمة
٤٩٦	١٦	غمزوا	٥٠٩	٣	بَنيك
٤٩٦	١٦	إباءا	٥١٠	١٢	بالماضين

● سقطت الجملة التالية من الصفحة ٤٨٤ : « نشر القسم الأول من هذا البحث في هذه المجلة : مج ٤٨ ج ٣ س ٥١٩ » . ومكانها في الهامش .

● وقع خطأ في ترقيم الصفحتين ٤٥٥ و ٤٥٦ وترتيبها ، وصوابه أن تحل احداها محل الأخرى في الترقيم والترتيب .

صدر حديثاً

عن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

السعر		الصفحة
١٢،٠٠	كتاب الاختيارين للأخفش الأصغر، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة	٨١٠
١٠،٠٠	مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي الجزء الأول تحقيق : الأستاذ ياسين السواس	٤٨٨
١٠،٠٠	مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي الجزء الثاني تحقيق : الأستاذ ياسين السواس	٥٦٠
١٢،٠٠	ديوان الأبيوردي أبي المظفر محمد بن أحمد بن إسحاق الجزء الأول تحقيق : الدكتور عمر الأسعد	٦٨٠
١٥،٠٠	المحمدون من الشعراء وأشعارهم لجمال الدين علي بن يوسف القفطي تحقيق : الأستاذ رياض مراد	٧٩٢
١٠،٠٠	رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي تحقيق أحمد محمد الخراط	٥٠٩

وسيصدر قريباً

- الجزء الثاني من ديوان الأبيوردي
- ديوان طرفة بن العبد بشرح الأعلم الشنتمري
- أدب القضاء لابن أبي الدم الحموي
- شرح أبيات كتاب سيبويه لابن السيرافي
- نضرة الاغريض في نصرة القريض للمظفر العلوي
- تحقيق المراد في أن النهي يقتضي الفساد للحافظ العلائي

فهرس الجزء الثالث من المجلد الخمسين

الصفحة

المقـــالات

التعريف والنقد

آراء وأنبـــاء

الجزء الرابع المجلد الخمسون

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



شوال ١٣٩٥ هـ

تشرين الأول ، أكتوبر ، ١٩٧٥ م

بقايا الفصاح

الأستاذ شفيق جبري

أعود إلى موضوع : بقايا الفصاح ، وكلما عدتُ إلى هـذا الموضوع تبين لي فيه وجه جديد ، فإذا كنت أرى في بعض هذه الألفاظ التي تشيع على ألسن العامة أصلاً فصيحاً فإني أرى فيها وجهاً آخر ، ولست أدري أكنت مصيباً في هذا الرأي أم كنت مخطئاً ، إني أرى أن لغة العامة قبل العصور التي انحدر فيها الأدب كانت أقرب من اللغة الفصحى وقد يكون السبب في هذا القرب بُعد الأعاجم عن ديارنا ، فلمّا وقع الاختلاط بالأعاجم انحدرت لغة العامة بعض الشيء وبقيت في هذا الانحدار بقايا من الفصاح لا نزال نسمعها إلى يومنا هذا ، وكيف كان الأمر فإن هذا رأي من الآراء يجوز فيه الأخذ والردّ .

من هذه البقايا مادة : وَرِش ، فكثيراً ما نسمع في لغة العامّة ، ولا سيّما لغة السّيدات : هذا الصبي ورش ، وهم يريدون بذلك أنه كثير الحركة ، كثير الضجة ، كثير اللعب ، إذا وقعت يده على شيء أخذه وربما كسره أو عطله أو ما يشبه ذلك . وما سمعت أن هذه المادة تطلق على الكبار ، ولكنهم يطلقونها على الصغار ، ولا سيما الصبيان . وإني لفي

يوم من أيام مطالعاتي خطر ببالي هذا المثل « بعلّة الوَرَشان يأكل رُطَبَ المُشان » ، ويضرب على نحو ما هو مدوّن في المعجمات لمن يظهر شيئاً والمراد منه شيء آخر ، فأحببت أن أعرف ما هو هذا الوَرَشان وإذا هو على نحو ما جاء في القاموس المحيط طائر لحمه أخف من الحمام ، وفي أثناء تفتيشي عن معنى الورشان مررت بمشتقات هذه المادة ، وفي جملتها : الورِش ككتف ، النشيط ، الخفيف من الإبل وغيرها ، وهي بهاء ، فالصبي ورش والبنت ورشة . فنحن نرى أن الورش التي عاشت على ألسن العامة أصلها فصيح ، وأن بين المعنى العامي والمعنى الفصيح تقارباً ، فالصبي الورش الذي تكثر حركاته وتكثر ضجاته ويكثر لعبه بكل ما تمتد إليه يده إنما هو خفيف بطبعه ، نشيط . وإذا كانت المفردات التي تعرب عن هذا المعنى كثيرة في اللغة فإني أعتقد أن مادة الورش التي استفاضت في لغة العامة لا تعدلها مادة ثانية في قوتها .

وما دمنا نعرض لطائفة من صفات الصبيان فلا بأس أن نذكر مادة ثانية يستعملونها في مخاطبة الصبيان ، فإن المرأة إذا أرادت أن تزجر طفلها عند تناول شيء مضرّ أو أن تزجره عند إفساد شيء أو كسر شيء قالت له : كخ ! ماذا نجد في القاموس المحيط ، إنا نجد : كخ كخ ، وتشدّد الخاء فيها وتنوّن وتفتح الكاف وتكسر ، واختارت العامة كسر الكاف وتشديد الخاء ، يقال هذا عند زجر الصبي عند تناول شيء وعند التقذر من شيء ، ولم يذكر الفيروزابادي أصل هذه المادة ، أهي عربية أم هي أعجمية ، وقد قيل فيها إنها عربية ، وقيل إنها فارسية ، وصرح ابن الأثير وغيره من أهل الغريب بأنها غير عربية . هذا ما جاء في شرح ديباجة القاموس ، وقد قرأت في موضع من المواضع أن هذه المادّة تقولها العجم ، وأن العرب يقولون مادّة ثانية على وزن : قد ، ولكني نسيت هذه المادة .

وإذا كانوا يستعملون : كخ كخ عند زجر الصبي عند تناول شيء وعند التقذر من شيء فإنهم عند تعليل الصبي بنقش يلوحون له به يقولون : دَحْ . ففي اللغة : داح ، نقش يلوّح للصبيان يعلّلون به ، إلا أن العامة حذفت الألف من داح وقالت : دحّ ، بتشديد الحــاء جرياً على عادتها في التسهيل .

ولننتقل الآن من لغة الصبيان إلى عمل آخر لا يبعد عنه الصبيان . أذكر أني لما كنت في وزارة المعارف من أربعين سنة زارتني سيدة أميركية وأخذت تثني على إمام المحدثين في الشام المرحوم الشيخ بدر الدين الحسني ، وكانت معجبة بوقاره ونور وجهه . قلت لها : ما الذي جاء بك إلى سورية ؟ قالت : إني مختصة بالخطوط الشرقية ، فحسبت أن الأمر جدّ فقلت لها : هل تكتبين لي خطاً بيدك ؟ فأمسكت بالقلم وكتبت على ورقة وأعطتني الورقة ، فدققت في الورقة فلم أفهم شيئاً ، فأطلعت عليها المرحوم الأمير جعفر الحسني ، مدير دار الآثار وقلت له : ما هذا الخط ؟ فحسب مثلي أن الأمر جد ، فنظر قليلاً ثم قال : هذا ما نسميه خربشة الجاج ، أي الدجاج ، والعامة تحذف الدال على سبيل التخفيف ، فبقيت في ذهني لفظة الخربشة فرجعت إلى القاموس المحيط فوجدت في اللغة : خربش الكتاب أفسده ، فالخربشة فصيحة ، وهي أدلّ مادة على هذا النوع من الخط الذي لا هو عربي ولا هو أعجمي ، فالخربشة عبارة عن خطوط تلقى على ورقة ولا تدل على شيء ، فإذا كانت : دَحّ وإذا كانت : كخ كخ من لغة مخاطبة الصبيان فإن الخربشة من عمل هؤلاء الصبيان .

وما علينا بعد هذا إذا عرضنا لبعض الملابس . من الألفاظ الشائعة في لغة العامة : الشاشية . إنهم يريدون بها خرقة يغطون بها إبريقاً أو كأساً أو شيئاً آخر ، أو يريدون بها ما يُلف على الرأس ، فالمادة شائعة

كثيراً في لغة العامة وهي من بقايا الفصاح وحسبنا أن نجدها في شعر البحتري ، في هجائه الحارثي :

مرّ بنا الدامر يختال في شاشية شوهـــاء مغبرّه

فلا شك في أن الشاشية في هذا المقام ضرب من الملابس ، وقد تكون من النوع الذي يلفثونه عن الرأس ، وكيف كان الأمر فالمادّة فصيحة .

وأخيراً فلنبحث عن تصرّف العامة في معاني بعض الألفاظ الفصيحة . نجد في اللغة أن معنى : سنح لي رأي : عرض ، إلاّ أن العامة تخطت هذا المعنى في مخاطباتها وخلقت لهذه اللفظة معنى آخر ، فإذا أسرف أحد في المطالبة بشيء أو إذا أفحش في بعض كلامه أو إذا جاوز الحدّ في أمر من الأمور قالوا : اسنحوه أي لا تبالوا به ، أهملوه ، فالمعنى العامي اختلف كثيراً عن المعنى الفصيح ؛ وهكذا تجد أن العامة تستعمل حريتها في التصرف في معاني الألفاظ الفصيحة .

أفلا نرى أن لغة العامّة تقرب كل يوم من اللغة الفصحى باستعمالها بقايا الفصاح التي لصقت بأذهانها من سنين طويلة أو باطلاعها على ما تمرّ به من الألفاظ الفصيحة في الصحف ودور الإذاعة ، وأن من الواجب أن نعمل على الزيادة في إصلاح لغة العامة بالأساليب المختلفة حتى يأتي اليوم الذي تكون فيه المسافة بين اللغتين ، الفصحى والعامة ، قريبة جداً . وعلى هذا الشكل لانفسد هذه اللغة الشريفة التي أورثتنا إياها أحقـــاب بعيدة وصقلت هذا الميراث الكريم عصور مديدة .

شفيق جبري

نظرة في
معجم المصطلحات الطبية
الكثير اللغات

للدكتور أ . كليرفيل
نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر
وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

- ٢٨ -

الدكتور حسني سبح

١٠١١٥ خالد ، مُؤبّد ، دائم — 10115 Perpètuel, elle
وأفضل مُستديم وأبدي

١٠١١٦ تحيُّر ، تردُّد — 10116 Perplexité
وأفضل إرتباك ، تحير

10117 Persévération, intoxication par une idée (psch.)
١٠١١٧ استمرار ، تسمُّم بفكرة ما (علم النفس)
وأرجح مُثابَرة ، إستمرار فكرة متسلطة

١٠١١٨ إستمرار إرتجاجي — 10118 persévération clonique
وأفضل الارتجاج المستمر أو المُثابِر

١٠١١٩ استمرار مُخْطرِب — 10119 persévération clonique
وأفضل التوتُّر العضلي المستمر

١٠١٢٢ لَفيف الممرّضين — 10122 personnel soignant
وأرجح هَيْئة التَطبيب أو مِلاك التّطبيب أو المعالجة

10123 Perspiration cutanée (insensible)

١٠١٢٣ تبادُلٌ جلديٌّ (غير مشعور به)

وأرجح نَدْي جِلْدي أو تَعرُّقٌ خفيف (طفيف جداً)

10126 Perte , déperdition , déchet

١٠١٢٦ فَقْد ، خَسارة ، نَقْص ، ضَياع

وأفضل نَقْص ، خَسارة ، ضَياع وفُضالة

10127 perte de poids ١٠١٢٧ خِفّة الوَزْن

وأفضل نَقْص الوزن

10131 Pervenche ١٠١٣١ عِناقيّة (نبات)

في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي : عِناقيّة ورِنكة . وجاء في الشرح : زهرة العناق . وتسمى وِنكا في دمشق وهو تعريب اسمها العلمي ، والاسم العلمي هذا من السوق المتسلقة في بعض أنواعها . جنس زهر من الفصيلة الدفلية

10132 Perversion ١٠١٣٢ تَضْلال

10135 perversion sexuelle ١٠١٣٣ تضلال جِنْسي ، عَهارة جِنْسية

سبقت الملاحظة على هاتين اللفظتين (١) . وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة المصطلح الثاني بالانحراف الجنسي وهو الأفضل .

10134 perversité ١٠١٣٤ إفساد ، إضرار

وأفضل فِسْقٌ ، دَعارة ، إنحراف

10135 Pesanteur, poids ١٠١٣٥ ثَقالة ، جاذِبيّة الأرض ، ثُقْل

(١) الصفحة ٢٨٩ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

10135 Pesanteur (dans le bassin)

وأفضل ثُقْـل ، ووَزْن في اللفظة الأولى وثِقَل (في الحوض) أو الشعور بالثِقَل في الحوض كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[1]

10136 pesanteur, d'estomac ١٠١٣٦ ثقالة المعِدَة

وأفضل التُخَمَة أو البَشَم[2] والشعور بالثِقَل أو الإمتلاء في المعدة ، كما جاء في الترجمة الإنكليزية من المعجم الأصلي[3]

10137 Pèse - bébé ١٠١٣٧ ميزان الطفل

وأرجح :ميزان الرُضَّع

10139 Pessaire ١٠١٣٩ فِرزَجَة

10140 pessaire obturateur anti conceptionnel

١٠١٤٠ فِرْزَجة سادَّة ، مانِعة للحمل

لقد وردت فَرْزَجة بفتح الفاء في تاج العروس (طبعـة الكويت) وكذلك في معجم دوزي . ففي اللفظـة الأولى يراد بها العقّار المستعمل بطريق المهبـل ، ويرادفها التحميلة

(١) (bearning down) في اللفظة الأولى و (fee'ing of weight in the pulvis) في اللفظة الثانية .

(٢) في لسان العرب : والتُخَمَة بالتحريك الذي يصيبك من الطعام إذا استوخَمْتَه.البَشَم تُخَمة من الدَّسَم وقيل هو أن يكثر من الطعام حتى يَكْرُبَه .

(٣) (sensation of pressure or pain in the stomach, fulness of the stomach) .

المَهْبِلية أو الحمول المَهْبِلي كما تقدم في لفظة (ovule)(١) كما أنها تدل على أداة على هيئة الكعكة مصنوعة من مادة لدِنة توضع قرب عنق الرحم في المَهْبِل ، ويستفاد منها لتقويم الرحم في حال ميلها(٢) . أما اللفظة الثانية فهي أداة على هيئة الكعكة أيضاً إلا أنها ذات غشاء يغشي الفراغ فيها ليحول دون وصول النطْفة الى عُنُق الرَّحم .

لذا أرجح في ترجمة اللفظة الأولى فَرْزَجة وتحميلة مَهْبِلية أو حُمول مَهْبِلي ، وكَعْكَة مهباية (وهو الاسم الدارج بين النساء) وفي الثانية كَعْكَة مَهْبِلية سادَّة .

10143 peste bovine, typhus contagieux

١٠١٤٣ طاعُونُ البَقَر ، حُمَّى نَمَشية مُعْدية

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تعريب لفظة تيفوس (٣)

10144 peste bubonique

١٠١٤٤ طاعُونٌ دُبَيْلي أو عُقَدي

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة طاعون دَبْلي . ويدعى الطاعون الشرقي أيضاً كما جاء في الترجمة الإنكليزية من المعجم الأصلي (٤)

(١) الصفحة ٧٠٢ من المجلد التاسع والأربعين من هذه المجلة .

(٢) لفظة (pessary) في معجم ستدمان الطبي (Stedman's Medical Dictionavy) .

(٣) الصفحة ٢٢٢ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة

(٤) (oriental plague) .

11046 peste indienne , peste pneumonique

١٠١٤٦ طاعُونٌ هِنْدي ، طاعونٌ رئوي
وذات الرئة الطاعونية كما جاء في الترجمة الإنكليزية من المعجم الأصلي (١)

10148 Pestiféré , ée

١٠١٤٨ مطعُون ، مُصاب بالطاعون
وطَعين أيضاً

10149 Pestilence

١٠١٤٩ وَباء ، جائِحة
وطاعون أيضاً ، كما جاء في معجم ستدمان الطبي (٢)

10150 Pestilentiel, elle

١٠١٥٠ وَبائي
وأفضل ناقل للطاعون ومُحْدث للطاعون أو الوباء كما جاء في معجم ستدمان الطبي (٤)

10156 Petite taille (au - dessous de la moyenne)

١٠١٥٦ قَدٌّ قَصير (ماتحت المتوسط)
قامة قصيرة (مادون الرَّبْعه أو المربوع)(٣)

10158 Petits pois; pois vert

١٠١٥٨ بِسلّة (بَزَلياء) حِمّص أخضَر
وبَسليّ (بَزَليا) كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية للمرحوم مصطفى الشهابي

---

(١) (plague pneumonia) .

(٢) لفظتا (pestilence) و (pestilential) في معجم (Stedman's Medical dictionary) .

(٣) في لسان العرب : ورَجل مَرْبوع ومَرتبع ومُرْتَبَع ورَبْع ورَبَعة ورَبْعة ، أي مربوع الخلْق لابالطويل ولا بالقصير .

١٠١٥٩ صَخْري 10159 Pétreux, euse

حَجَري صَخْري كما جاء في الترجمـــة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

١٠١٦١ عَجْنٌ ولَمْكٌ 10161 Pétrissage, malaxage

وأرجح جَبْلٌ ، ولعلَّ هذه اللفظه هي الأقرب لما يقصد منها في معجم طبي ، مع اهمال معظم المعاجم لهذه اللفظة . واستدركها دوزى (٢) وليس للفظة لَمْك أن تفي بالمعنى المطلوب (٣) .

١٠١٦٢ زيت حَجَري ، بَترول 10162 Pétrole

وأرجح نِفْط (دُهْن صخري)

١٠١٦٥ الحَوْر (بَراعيم) 10165 Peuplier (bourgeons de)

والصحيح الحَوَر بفتح الواو ، والحَوْر لفظة عامية

١٠١٦٧ أكّال ، قارِض 10167 Phagédénique , rongeant , eante

وأفضل آكِل ، قارِض

١٠١٧٣ بَلْعَمَة 10173 Phagocyte

١٠١٧٤ بَلْعَمَة 10174 Phagocytose

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة اللفظة الأولى ببَلْعَم والثانية بالبَلْعَمَة وهو الأفضل

---

(١) (petrous , petrosal , petro - stony) .

(٢) معجم دوزي في لفظة جَبْل .

(٣) في تاج العروس : واللَمْك مَلْك العجين وهو مقلوب عنه ، ومَلَكَ العجين عِلكه وأملكه نقلها الجوهري إذا انعم عجنه، وفي الصحاح شدَّ عجنه وقال مرة أجاد عجنه .

١٠١٨٣ أقراباذيني 10183 Pharmaceutique
وكذلك علم الأدوية والعقاقير ودوائي وعقّاري . وأقر مجمع
اللغـــة العربيـة في القاهرة ترجـة (pharmaceutics)
بالصيدلانيّات (المواد الصيدلية)

١٠١٨٤ صَيْدَلَة (عِلْم) 10184 Pharmacie (science)

١٠١٨٥ صَيْدَلِيّة (دكان) 10185 Pharmacie (officine)
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة اطلاق الصيدلة على :
١ ـ فن تحضير الأدوية وتقديمها .
٢ ـ (اجزاخانة) وهي دكان الصيدلي
أرى أن ماوضعته اللجنة هو الصحيح والمتعارف عليه في جميع البلاد العربية.

١٠١٨٧ مَبْحَثُ تأثير الأدوية 10187 Pharmacodynamie
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة فِعْل العقاقير ، وجاء في
الشرح : علم يعنى بدراسة العقاقير في الأحياء

١٠١٨٨ مَبْحَثُ تشخيص العقاقير 10187 Pharmacognosie
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة وَصْف العقاقير ، وهو
الأفضـل ، وجاء في الشرح : فرع من علم العقاقير يعنى
بدراسة الخواص الطبية للعقاقير الخام

١٠١٨٩ عِلْم خَواص الأدوية ، أقراباذين 10189 Pharmacologie
وأفضل علم الأدوية أو العقاقير ، كما أقره مجمع اللغة العربية
في القاهرة

10190 Pharmacophilie , pharmacomanie
١٠١٩٠ وَلَعٌ بالأدوية ، جِنَّة الأدْوِية
وأفضل ألفةُ الأدوية وهَوَس الأدوية

10191 Pharmacopée , Codex

١٠١٩١ دُسْتور الصَّيْدلة ، دُستور الأدوية

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة دُسْتور الأدوية ودستور المقاقير ، وجاء في التعريف :وصف رسمي للمقاقير المعترف بها ومستحضراتها وطرق تحضيرها .

10192 Pharmacothérapie

١٠١٩٢ إسْتِدْواء (مُعالجة بالأدوية)

وأرجح المعالجة بالأدوية أو بالعقاقير

10195 pharyngite

١٠١٩٥ دُغام ، ذَاتُ البلعوم

10196 pharyngite granuleuse

١٠١٩٦ دُغام حُبَيْبي

10197 Pharyngite latérale ou faux piliers

١٠١٩٧ دُغامُ جانبي

وأفضل أن يقال إلتهاب البلعوم في اللفظة الأولى والتهاب البلعوم الحُبَيْبي في الثانية والتهاب البلعوم الجانبي (الضخامي) كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١) ولا أرى أن لفظة دُغام تعني بالمعنى المطلوب(٢)

10200 Phase dispersante ou de dispersion

10201 phase dispersée

١٠٢٠١ صَفحة مُبَعْثَرَة

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (phase) بطَوْر وهو الصحيح ، فتصبح ترجمة اللفظة الأولى بالطَوْر المُبَعثر أو طور التبعثر

(١) (pharyngitis lateralis hypertrophica)

(٢) في لسان العرب : الدُّغام وجع يأخذ في الحلق . هذا وسبق للجنة أن ترجمت لفظة (gorge) بالحلق (اللفظة ٦١٢٤) .

10202 phase initiale (Q R S) du complexe ventriculaire

١٠٢٠٢ صَفْحة إبتدائية للمُشْتَرَك البُطَيْني

وأرجح الطور البدئي للمجموعة البُطينية أو المركب البطيني اشارات (Q R S) في (م ق ك) المخطط القلبي الكهربائي (١)

10203 phase terminale (T) du complexe ventriculaire

١٠٢٠٣ صَفْحة إنتهائية للمُشْتَرك البطيني

الطور النهائي إشارة (T) من المجموعة البطينية أو المركب البطيني (م ق ك) مخطط القلب الكهربائي (٢)

10204 Phénacétine, phénedine para - acétophénétidine , éthoxypara - acétanilide

١٠٢٠٤ فِناسَتين ، فَنَدين ، فَنيدرين خليّ - رفيف ، أتوكسي آنيليدا خلّي - رفيف

وأفضل فناستين ، فنَدين ، بارا آسيتُو فينيدين ، أتوكسي بارا آسيتانيليد

10206 phènomène affetif

١٠٢٠٦ حادِثة إنفعالية

وأرجح ظاهرة عاطفية (٣)

10207 phénomène d'atavisme

١٠٢٠٧ حادِثة تأسّل ، حادِثة وِراثة الأجداد

ودرجت على ترجمة (atavisme) بالوراثة الراجعة أو المرتدة

---

(١) الصفحة ٩٠ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٣١١ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) الصفحة ٢٩٠ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

لذا أرجح ظاهرة الوراثة الراجعة أو وراثة الأجداد [1]
وليس للتأسل[2] ان يدل على المعنى المطلوب إذ المقصود من مدلول
اللفظة ظهور حالة من الحالات الخلقية أو النفسية سبق ظهورها
في أحد الأجداد ولا سيا الأبعدين[3]

10210 phémomène de contrainte حادثة جبْر أو إعتصاب ١٠٢١٠
وأفضل ظاهرة إكراه أو اغتصاب

١٠٢١١ - ١٠٢١٨ أفضل استبدال ظاهرة بحادثة

10222 p H , point isoélectrique

١٠٢٢٢ نقطة التماثل الكهربائي
ت. أ كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة وقد أهملتها
اللجنة ، نقطة التساوي الكهربائي

10223 Phimosis ضيقُ القُلْفَة الأمامي ١٠٢٢٣
وأرجح تضيّق القُلفة

10228 Phlébo - anesthésie, anesthésie intraveineuse

١٠٢٢٨ تخدير وريدي ، تخدير في الوريد
وأرجح تخدير وريدي ، بالوريد (أي عن طريق الوريد)

10230 Phlébotomie, saignée veineuse
وأفضل شَق الوَريد أو بَطّه ، فَصْدٌ وَريدي

---

(١) في لسان العرب : وتأسل أباه نزع اليه في الشَبَه كتأسّنه .

(٢) لفظة (atavism) في معجم ستدمان الطبي (Stedman's Medical Dictionory) .

10231 Phlébotomus pappatasii ١٠٢٣١ فاصِدة باباتاسية

وأرجح ثاقِب الوريد أو ماص الدم باباتاسي وذُباب الرَمْل، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١) وقد أقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تعريب اللفظة (فيلوتومس) ذبابة الرمل، وجاء في الشرح: نوع من الذباب ينقل حمى باباتاسي، وهي حمى ذبابة الرمل. أقول وتعرف هذه الحمى في سورية بحمى ثلاثة الأيام (fièvre de trois jours)

10232 Phlegmatia alba dolens, œdème blanc douloureux

١٠٢٣٢ إلتهاب الوَريد الأبيض المؤلم، خَزَب أبيض مؤلم

وأرجح التَوَرم (أو الالتهاب) الأبيض المؤلم، الوَذَمة (١) البيضاء المؤلمة، والتورم الخثري، والتورم الأبيض، والساق البيضاء، كما جاء الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٢)

10233 Phlegmon ١٠٢٣٣ خُراجة مُنْتشِرة (فِلغَمُون)

وأرجح فَلْغَمون كما أقره مجمع اللغة العربية في القاهرة وجاء في الشرح : التهاب حاد منتشر مُتَقيّح في النسج الضامة تحت الجلد أو المخاطية . ولا أرى لزوماً لخراجة منتشرة، هذا وقد سبق للجنة أن ترجمت (abcès) بخراج بصفة التذكير (اللفظة ١٣) وكذلك قـــرار مجمع اللغة العربية في القاهرة أيضاً

---

(١) (sand fly).

(٢) الصفحة ١١٤ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) (thrombotic phlegmasia , leukophlegmasia , milk leg, white leg).

10236 phlycténulaire — ١٠٢٣٦ نَفاطي

وأفضل نَفْطي ووَدَقي . وأقر مجمع اللغة في القاهرة وَدَقي. واللفظة الأخيرة صحيحة فيما تكوّن من العلة في ملتحمة العين(١). لأن ماتعنيه لفظة (phlyctène) في الأصل الحويصل المتكون في الجلد إثر الحرق من الدرجة الثانية ويمتلىء بسائل مصلي بين البَشَرة والأدَمة (٢) هـذا مايبدو في حرق الجلد وبعد إرهاق اليد بالعمل(٣)

10237 Phobie , peur morbide

١٠٢٣٧ رُعْبٌ ، خَوْفٌ شديد ، وَجْف

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : رَهْبة ج رَهَبات ، وجاء في الشرح : وهي أحوال مرضية تصيب النَفْس بنـوع من الخـوف

10239 Phosphatase — ١٠٢٣٩ فُصفـاتاز

10240 Phosphate — ١٠٢٤٠ فُصفـات

10241 Phosphaturie — ١٠٢٤١ بيلَة فُصْفاتية

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة رسم phosphourus بالسين (فسفور) وهو الشائع فتصبح المصطلحات السابقة فسفاتاز ، فسفات بيلة فسفاية وكذلك الألفاظ التالية (الارقـام

---

(٣) لفظة (phlyctena) في معجم ستدمان (Stedman's Medical Dictionary).

(٤) في لسان العرب : والنَفْطة بثرة تخرج في اليد ملأى ماء، إذا كان بين الجلد واللحم ماء قيل نَفِطت تنفـط نفطاً ونفيطاً .

١٠٢٤٣ ، ١٠٢٤٤ ، ١٠٢٤٥ ، ١٠١٤٦ ، ١٠٢٤٧ ،
١٠٢٤٨ ،)

١٠٢٤٢ تَوْماص ، شَرارَة العَيْن — 10242 Phosphatène

وأرجح بَصيص[1] بالضغط. لأن ماتعنية اللفظة الشعور باللَمعان الضوئي عند ضغط المقلة [2]

١٠٢٤٧ فصفورية (انسِام فصفوري) — 10247 Phosphorisme

وأرجح انسام فسفوري وحده ، فقد أقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الفسفورية ترجمة لـ (phosphorescence) وجاء في الشرح : وهي ظاهرة من نوع الفلورية وإنما تختلف عنها باستمرار إشراق الضوء من الجسم مدة بعد انقطاع الضوء الواقع عليه ، فيُرى الجسم مضيئاً في الظلام باللون الخاص به .

50249 Photisme, pseudophotisthésie, sensation visuelle secondaire

١٠٢٤٩ خيال بَصَري ، حِس بصري ثانوي

وأرجح إبصار مُحْدَث ، شُعور بصري كاذِب ، حِس بَصَري ثانوي ، لأن ماتعنيه اللفظة شعور البصر باللون وبالضوء عند تحريض احدى الحاسات الأخرى كالسمع والذوق والشم واللمس أو الحرارة وحتى بالتفكير بأحد الأشياء [3]

١٠٢٥١ خَوْف الضوء أو النور — 10250 Photophobie

---

(١) في لسان العرب :البَصيص البَريق. وبَص الشيء يبص بصاً وبصيصاً بَرَق وتلألأ ولَمَع .

(٢) لفظة (photism) في معجم بلاكستون (Blakiston's New Gould Medical Dictionary) .

(٣) معجم بلاكستون أيضاً .

سبقت الملاحظة على هذه اللفظة[1]. وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : رُهاب الضوء وجاء في الشرح : حاسية العين الشديدة للضوء ويحدث في الأرماد الشديدة والالتهابات داخل العين

10251 Photopsie
١٠٢٥١ تخيل ضيائي

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : الإبصار الوَمَضي ، وجاء في التعريف : رؤية مايشبه الشرَر أو الوَميض بسبب مرض بالشبَكية

10252 Photothérapie
١٠٢٥٢ استضواء

وأفضل المعالجة الضوئية

10253 Phototropisme, phototaxie, phototactisme
١٠٢٥٣ إنسياق إلى الضوء ، انحياز للضوء ، اتجاه نحو الضوء

وأرجح انتحاء ضوئي ، اتجاه نحو الضوء والسعي إلى الضوء

10257 Phtiriase , pédiculose
١٠٢٥٧ داءُ القمْل ، تقْميل ، تقمُّل

وأرجح القمَل وحده ، كما اقره مجمع اللغة العربية في القاهرة

10258 Phtisie galoppante
١٠٢٥٨ سُحاف ذَريع

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة اللفظة الأولى بالسّل وهو الشائع

10263 Phylogénèse , phylogénie
١٠٢٦٣ نُشُوء الجِنْس ، نُشُوء جِنْسي

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة نُشُوء التنوّع وجاء

(١) الصفحة ٢٩١ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

في التعريف : تاريخ تطور نوع من الكائنات الحية ، بعد أن قرر المجمع المذكور تخصيص جِنْس ترجمة لـ (sexe)

١٠٢٦٤ علم الغَرائِز ، علم وظائف الأعضاء — 10264 Physiologie

١٠٢٦٥ غريزي — 10265 Physiologique

سبقت الملاحظة على هذين اللفظين[1] وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة علم الوظائف ، ووظائف الأعضاء وفسيولوجيات في اللفظة الأولى ، ووظائفي وفسيولوجي في اللفظة الثانية . وأفضل فزيولوجيا وفزيولوجي قياساً على استعمالها لفظتي فزيائي (فيزيقي كما هو شائع في مصر وحدها)

١٠٢٦٦ مُعالجة بالعوامل الطبيعية — 10266 Physiothérapie

وأفضل المعالجة الفزيائية

١٠٢٦٨ حاثّات نباتية ، أُكسين — 10268 Phythormone , auxine

وأرجح هُرْمُون نباتي ، أكسين

١٠٢٧٣ وَخْز ، نخز ، جَرْس — 10273 Picotement

وأفضل وخز ونخز ، ألم خفيف[2]

١٠٢٧٤ مُوسْمِّين (بيكروتُوكسين) — 10274 Picrotoxine

وأرجح بكروتكسين (السُّم المر)

10276 Pièce de concentration (cylindre de molybdène dans l'ampoule de Coolidge)

---

(١) الصفحة ٢٩٢ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في تاج العروس: نغز بينهم أغرى وحمل بعضهم على بعض كنزغ ونغزهم النشّاز كرمان أي نزعهم النزاع، ونغز الصبي دغدغه كنزغه. الجرس : الصوت

١٠٢٧٦ قِطْعَة التكاثف (اسطوانة المولدن في حُبَابة كوليج)
وأرجح قطعة التركيز (اسطوانة من ملبدان كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة) في مصباح كولج ، والهدف في مصباح كولج كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١) .

١٠٢٧٩ قَدَمٌ عَرْجاء 10259 Pied bot
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الحَنَف . وجاء في الشرح : تشوه في القدم فتلتوي إما في الشكل أو الوضع

١٠٢٨١ قَدَمٌ رَوْحاء 10231 pied bot varus
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الحَنَف القَفَدي ، وجاء في الشرح : تشوه في القدم فيه ينقلب الأخمص للانسية بالنسبة للخط الوسطي للساق ، وفيه يمشي المصاب على الطرف الوحشي للقدم

١٠٢٨٢ قَدَمٌ رَوْحاء قَفْداء 10282 pied bot varus équin
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الحَنَف الأنخسي القفدي وعرفه : تشوه في القدم فيه ينقلب الأخمص إلى الجانب الأنسي من الخط الوسطي للساق وقد انثنيت القدم على الأخمص

١٠٢٨٣ كَفّ الهِرّ ، كَفّهر 10283 pied - de - chat
رِجْل الهر أو برسِّية ثنائية المسكن كما جاء في معجم الالفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي (٢) للبحث صلة

---

(١) (target of Coolidge tube) .

(٢) وهو نبات اسمه العلمي (gnaphale dioïque) قلّ أن يستعمل .

الكلمات الدخيلة على العربية الأصيلة

٣

المرحوم الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

القسم الثاني : الإضافات

(أ)

آخُنْد : من الفارسية (آخوند ahund) بمعنى معلم (كبير القوم ، عظيمهم). باللهجة العراقية تستعمل صفة للعالم الديني .

آدْريس : « بإمالة كسرة الراء » من التركية (adres) عن الفرنسية (adresse = عنوان ، علوان ، بالنون أو اللام بعد العين ، بمعنى) مايكتب على غلاف (الظرف) : اسم المرسل إليه ومكان إقامته الخ . وإن كان لها في الفرنسية معان أخرى .

آرسلان : تركية ، تكتب آرسلان وتلفظ آسلان aslan كما تكتب بالحروف التركية الجديدة . في الأصل بمعنى (الأسـد) . ومجازاً : (الشجاع ، الجسور) . باللهجة السورية لقب أسرة مشهورة (في اللاذقية) .

أركيلة : انظر ماذكرته عنها في كلمة (شيشة) ص٥٤٤ من المجلد٤٨ من ملاحظات.

نشر بعض القسم الأول من هـذا البحث في العـدد الثاني من المجلد الثامن والأربعين « ص ٥١٩ – ٥٥٠ » في حياة صاحبه . ثم نشر بعضه الآخر في العدد السابق « ج ٣ ص٤٨٤-٤٩٣ » دون الإشارة إلى ما كان، وتتابع في هذا العدد وفي العدد الذي يليه نشر القسم الثاني، وبه يكتمل المقال. رحم الله الفقيد وجزاه عن العربية خير الجزاء «لجنة المجلة».

آرمغان : بالتركية(armağan) . في الأصل بمعني هدية . وباللهجة الحلبية تطلق على مايحمله القادم من سفر إلى بلده ، من الهدايا لأهله وللأصحاب . بالفصحى هي (الشُّلهْنَتة) وهي ما يهديه المسافر (لَهْتَنُهم ، ولَهْتَنَهم) .

إسْطَمْبَه : بالتركية (istampa) من التليانية (stanpa) للبُوهة المبللة بحبر الأختام الموضوعة في علبة من المعدن والمستعملة لتحبير الختم أو سواه من الرواسم الحرفية المصنوعة من المطاط .

آغَة : من التركية (ağa) عن الفارسية (آقا) بالقاف . في الأصل بمعنى (أفندي / آمر) ثم خصصت لمقدّم الخدم والأتباع . فباللهجة السورية لزعيم طائفة من القوم (ج أغوات) ، ومن الأسر الحلبية أسرة (آغة القلعة / قاطو آغة) .

أكي دُنْيا :من التركية محرفة عن (يكي دنيا Yeni dunya) من يكى، (بالكاف المنونة = جديد) و (دنيا = الدنيا) ومعنى الكلمتين (الدنيا الجديدة أي أمريكة وأسترالية) . باللهجة السورية تطلق على الثمر المعروف بالمشمش الهندي . أما بالتركية فيسمى هذا الثمر (مالطة أريكى Malta erigi = جَنَريك مالطة) . باللهجة الحلبية هو (أنكى دنيا) بزيادة النون بعد الألف .

آلَشْ : من التركية (آليشمق alişmak = اعتاد) . باللهجة السورية لمن يتعوَّد (يتمرن ، يتمرس) على الشيء .

آمانْ : بالتركية يلفظونها amân بمدّ الألف الثانية وتفخيمها ، من العربية (أمان) وعند الترك هي نداء استغاثة ورجاء . وانتقلت بهذا المعنى إلى اللهجات السورية .

أُوتيل : من الفرنسية hôtel = فندق ، نُزُل . وهو (اللُوكَنْدة) باللهجة اللبنانية .

أوُكازْيُون : من الفرنسية (occasion = زمنٌ موافق ، ملائم / فرصة) . شائعة الاستعمال باللهجات السورية .

(ب)

بابُوج : من التركية (پاپوج papuç) محرفة عن الفارسية (پاپوش papus . پا = قَدَم ، رِجْل / پوش = ساتر من مصدر (پُوشيدَنْ pusiden = سَتَرَ ، غطّى) ، لنوع من الحذاء .

بازِرْباشي : من الفارسية (بازار bazar = السوق) والتركية (باش = رأس / رئيس) بمعنى رئيس سوق البيع والشراء . يقال إن كلمة (بازار) مركبة من (باز = بَعْدُ) و (آوَر = استجلاب) مشتقةً من المصدر (آوَرْدَنْ averden = جَلَبَ ، استَجْلَبَ) . وفي حلب لقب أسرة مشهورة .

باص : من الفرنسية (autobus ، مختصرةً من الجزء الثاني من الكلمة الفرنسية bus = باص) باللهجة السورية تطلق على السيارة الكبيرة من وسائط نقل الركاب .

بَتِنْجان : من التركية محرفة عن (باذَنْجان) المعربة من الفارسية (پاتنگان patingan) بالباء المثلثة التحتية والكاف الفارسية ، للخضرة المعروفة . هذا باللهجة الشامية . أما باللهجة الحلبية فهو (بَانجان بحذف الذال . وهو (الكَهْكَم) بالفصحى .

بَرادي : مفردها (بَرْدايَة) من الفارسية (پرده perde) بالباء المثلثة التحتية . في الأصل بمعنى : غطاء ، ستار ، ولا سيما للنافذة أو الشباك .

بِراظان : من التركية (borazan) ، محرفة عن الفارسية (بُوري زَنْ burizen) من (بورى = بوق ، صور) و (زَنْ = ضارب ، من المصدر : زَدَن zeden = ضَرَبَ) أي نافخ بالبوق . وهي من المصطلحات العسكرية وغلب استعمالها على آلة النفخ نفسها .

بَرْبيش : من التركية (ماربوج marpuç) بالجيم المثلثة النقط محرَّفة عن الفارسية (ماربوش marpuş) من (مار = أفعى ، حيّة) و (پوش puş = غطاء ، ثوب. من المصدر (پوشيدن puşiden = ستَرَ ، غطّى ، أي غطاء الحية ، جلد الحية ، ثوبها المنسلخ عنها) تشبيهاً لمطلق الأنبوب المطاط وعلى التخصيص لانبوبة (النارگيلة) ومعرّبها (نارجيلة وهي جوزة الهند) لأن القارورة التي يدخن بها التنباك كروية تشبه جوزة الهند .وباللهجة الحلبية (نَرْبيج ، بالنون) [انظر ماجاء من الشرح عن النارجيلة في كلمة (شيشة) ص ٥٤٤ من المجلد ٤٨].

بِرَك : من التركية (بورَك börek) لنوع من المعجنات تصنع من رقاق العجين الدسم ، تُلوى وتحشى لحماً مفروماً أو جبنـــة ثم ، تقلى بالسمن .

بِرْغي : محرفة عن التركية (بورغو burgu) لما يثقب به / مثقب ، آلة ثقب على الإطلاق . باللهجة السورية تطلق على المسمار المحوّى .

بَرْلمَان : من الفرنسية (parlement) للبناء الذي يجتمع فيه نواب الأمة ، وهو مجلس النواب .

بَسْ : فارسية بمعنى حسبُ / فقط . وفي القاموس المحيط ، بمعنى حسْبُ أو هو مسترذل (قوله مسترذل دليل على أنها غير عربية) قلت : إنها ليست من (بَسْ بَسْ بفتح الباء ، لزجر الإبل) ولا من (بُس بُس بضم الباء ، لدعاء الغنم) .

بَشْكير : من التركية (بَشكير peskir) عن الفارسية (پيشگير — pisgir) من (پيش = أمام) و (گير = قابض) من المصدر (گرفتن giriften = قَبَضَ ، مَسَكَ) وهي مقرمة يضعها الطاعم على صدره اتقاء ماقد يتناثر من الطعام .

بَشْقَه : من التركية (باشقه baska) بمعنى (غير / شيء آخر / شيء مخالف) وتلفظ باللهجة السورية (بَشْآ) بالألف ، وبالألف المفخمة في حلب .

بَمبايَة : من التركية (بومبا bomba) محرفة بإضافة (يه) ، محرفة عن اليونانية bombos بمعنى الفرقعة . تطلق على كرة معدنية محشوة بالمواد المتفجرة . وفي (لاروس الصغير) أنها من التليانية .

بَنْچَر : بالباء والجيم المثلثي النقط[1] . محرفة عن الفرنجية puncture (ثقب ، وخز) . تستعمل لانثقاب دولاب السيارة ، خاصة .

بُوسْطة : من التركية (پوسته posta) عن التليانية (posta) . في الأصل بمعنى واسطة نقل بين بلدتين . وفي اليوم الحاضر تطلق على المصلحة التي تتولى نقل الرسائل والمطبوعات والأمانات والرزم .. الخ من بلد إلى بلد . وهي (البريد) بالفصحى .

بُوسْطَهجي : من التركية (پوسته ، الآنفة الذكر) و (جي = أداة وصف) لمن يقوم بتوزيع البريد (رسائل ومطبوعات وغيرها) إلى أربابها المرسل بها إليهم . هو بالفصحى (موزّع البريد) .

بُولِيس : من التركية (polis) عن الفرنسية police وهذه عن اليونانية (politeia) بمعنى : منظمة بلدية [كلمة polis اليونانية معناها بلدة / مدينة] . تطلق تخصيصاً على الموظف من قِبَل الدولة لحفظ الأمن في البلد . وهو بالفصحى (شرطي) .

---

(١) في عامية دمشق وما حولها بالباء والشين : بَنْشَر .

بُـوي : من الانكليزية (boy ، تقابل الفرنسية garçon بمعنى مواطن خادم في المستعمرات) وإطلاقاً كل من يقوم بخدمة في المقاهي أو المطاعـم .

بَيْرَقْدار: من التركية (بيراق bayrak = عَلَم / و (دار ، الفارسية = صاحب ، مالك ، محافظ) مثل (سنجقدار) تماماً . مصطلح عسكري لمن يحمل علم الجيش . وفي سورية ، لقب أسرة شهيرة . [في المعاجم التركية أن أصل (بايراق) هو (بَيْـراق ؟) من العربية . لكنني لم أجد في معاجمنا العربية ما يؤيد هـذا الزعم] (*) .

بينْسه : محرفة عن (الفرنسية pince من اللاتينية punctum) لمطلق أداة ذات شعبتين للالتقاط . وتخصيصاً للمنقاش ، ولها أنواع شتى فيجب وصفها بحسب موضع الاستعمال (لقط الأهداب ، لقط اللسان ، للتضميد ، للتشريح .. الخ) .

بَنطَلون : من الفرنسية pantalon ، للقطعة من الملابس ذات الفرعين التي تضم وسط البدن ، كل فرع يغطي إحدى الفخذين . وفي بعض اللهجات تلفظ (بنطرون) بالراء .

(*) هذه الألقاب العسكرية جميعها ، أتت مع (الأنكشارية) في الفتح العثماني للبلاد العربية (عهد السلطان ياوزسليم) . وكلمة (أنكشارية) تركية محرفة عن (يكيجري ، بالكاف المنونة والجيم المثلثة، yeniçeri) أي(العسكر الجديد) وهو جيش أسس في القرن الرابع عشر أسسه السلطان أورخان . وقد حل محله (الجيش التركي النظامي) في عهد السلطان محمود الثاني الشهير بـ(صاحب التنظيمات) يوم بلغ استبداد الأنكشارية الزبى وقامـوا بعصيانهم سنة ١٨٢٦ . فقضى عليهم السلطان نهائياً .

بُيُونْبَاغ : من التركية (بيون باغى qoyun bagi) بحذف الياء وبدمج الكلمتين من (بيون = رقبة ، عنق) و (باغ = رباط ، ربطة) و (ي للاضافة) وهي بمعنى (ربطة الرقبة ، كرافات) والكلمة شائعة الاستعمال باللهجة العراقية والسورية .

(ت)

تَايْرات : من الانكليزية (tire تلفظ تايْر جمعوها تايرات) للإطار من المطاط ، المستعمل لدواليب السيارات ، باللهجة العراقية ، كما جُمع كَوْشُوك ، المحرّف عن caoutchouc الفرنسية على (كواشيك) باللهجة السورية .

تَرْبَه دار : محرفة عن التركية (تُرْبه دار türbedar) من (تربة ، العربية = المقبرة) و (دار الفارسية = ناظر ، محافظ) من المصدر (دَاشْتَن dasten = حافَظ) لقب خاص للموظف الذي يتولى حراسة مدافن رجال الدولة العظام في العهد العثماني [انظر الحاشية الواردة حول كلمة : بيرقدار] .

تَكْسي : من الفرنسية (taxi ، المختصرة هي نفسها من (taxi - auto) لسيارة الركوب ذات المعدّ (taximètre وهو جهاز يَعُدّ الثمن المحدّد بحسب المسافة التي يتقاضى عنها سائق السيارة الأجرة من الراكب .

تِفَنْكة : محرفة عن الفارسية (تفنك tüfenk أو تُفَك tûfek لما يطلق عليه الآن (البارودة) .

تَلْغراف : من التركية عن الفرنسية télégraphe وهذه من اليونانية (tèle = بعيد) و (graphein = كتابة) . في الأصل ، للجهاز

الذي يستعمل لنقل المراسلات إلى مكان بعيد بوساطة الاهتزازات الكهرباوية المتنقلة بأسلاك معدنية . باللهجات العربية اشتقت من الكلمة : (تيّل ، يُتَيّل) بمعنى أرسل برسالة بوساطة التلغراف . الفصحى الآن هي (البرقية) لما يقابل télégramme . والفعل (أبرق ، يُبرق) بدلاً من (تيّل ، يتيّل) المذكورتين .

تَلفُون : من التركية عن الفرنسية téléphone وهذه من اليونانية (tèle = بعيد) و (phônê = صوت) للجهاز الذي ينقل صوت المتكلم إلى المخاطب المستمع عن بُعد أو أيّ صوت . باللهجات السورية اشتقت كلمة (تلفن / يتلفن / تَلْفِنْ) بمعنى تكلم ويتكلم وأمر أن يتكلم بهذا الجهاز مع المخاطب . في الفصحى الآن اصطلح على الجهاز (هاتف [١]) وبدلاً من الكلمتين اصطلح على (هتف يهتف ، اهتفْ) .

تَمَلّي[٢] : من التركية (temelli) عن اليونانيـة (تمل temel = أساس البناء ، أصل) و (لي li = أداة بمعنى ذو) . فباللهجة المصرية تطلق على مايعني (دائماً ، في كل آن ، على الدوام والاستمرار).

تَنّورة : تركية ، عن الفارسية (تنوره tennure = اللباس الطويل العريض - كالجبة - الذي يلبسه الدرويش للقيام بفتلته المعروفة) . باللهجتين

---

(١) قلت : الهاتف اسم فاعل ، لمن يهتف ، فكان الأصح أن يقال (مهتاف) وزان مفعال على اسم الآلة ، للجهاز المعلوم .

(٢) ذكرني بها - مشكوراً - رئيس مجمعنا الفاضل الدكتور حسني سبح وقد سمعها في زياراته القطر الشقيق مصر لحضور جلسات مجمع اللغة العربية (مؤتمر المجامع العربية) .

السورية واللبنانية تطلق على ضرب من الثياب تلبسه النساء (وهو بالفرنسية jupon) .

تـيْمُور : تركية (تلفظ timur) وحالياً تلفظ (دمير demir) أي(الحديد) المعدن المعروف . على أن كلمة (دمير) تدل زيادةً ، على الأنجر (الهَوْجَل ancre) المستعمل في البواخـر للإرساء . ومجازاً تدل على معنى (متصلب الرأي / عنيد / مُصرّ) .

(ج)

جـاطْ : من الفرنسية (jatte عن اللاتينية jabata) لصفحة (قصعة) مستطيلة مصنوعة من الصيني (بورسلان) . أكثر استعمالها باللهجة الشاميـــة .

جاكِيت : وبإمالة كسرة الكاف ،من الفرنسية(jaquette)قطعة من اللباس التي تلبس فوق (الصدرية gilet) وفي معاجمهم أنها مشتقة من jaques = لقب استهزائي للقرويين . فتأمل كيف تتطور معاني الكلمات !

جـانِم : بالتركية من الكلمة الفارسية (جان Can = روح / قلب / عزيز) و (م = ضمير متكلم ، بالتركية) . كلمة تحبّب بمعنى (عزيزي / روحي .. الخ) . باللهجة الحلبية تستعمل كما في التركية .

جرْنال : من الفرنسية (journal) لتلك الصحيفة التي تنشر الأخبار وسواها . باللهجة السورية تستعمل خاصةً للجريدة التي تحتوي على صـــور الأزياء (الموديل) .

جنْبلاط : محرفة عن التركية (جان پولاد can pulat) عن الفارسية (جان = روح / حياة / قوة / قدرة) و (پولاد = فولاذ) .

ومعنى الكلمتين : ذو القوة الفولاذية / قوي / شجاع) . لقب أسرة مشهورة الآن في لبنان (بيروت) .

جِنْدَرْمَة : محرفة عن الفرنسية (gendarme من gens d'armes أي رجال السلاح = فئة من الضباط تقوم بحفظ الأمن الداخلي . لايزال هذا الصنف قائماً في لبنان . أما في سورية فكان يطلق عليه (الدَّرَك) وقد ألغي واكتفي بصنف الشرطة .

جَنَرِيك : «بإمالة كسرة الراء»من التركية،محرفة عن (جان أريكى Can erigi) (جان = الروح ، القلب / المحبوب ، العزيز) و (أريك erik) التركية ، للثمرة المعروفة وهو النوع الأخضر اللذيذ من الثمر المعروف .

جُوخ : من التركية (چوخة çuha وتلفظ : چوها ، بالهاء) عن الفارسية (چوقه çuka) للنسيج المعروف المصنوع من الصوف .

جُوخدار : من التركية (چوخه çuha وتلفظ چوها ، بالهاء ، محرفة عن الفارسية (چوقه çuka ، بالقاف) ومن (دار ، الفارسية = مالك ، حافظ) . والكلمة تلفظ عندهم (چوها دار çuhadar) وهي لقب لِ(حافظ الثياب) في العهد الانكشاري . وفي سورية لقب أسرة شهيرة . [انظر الحاشية الواردة حول كلمة : بيرقـدار] .

(ج) « مثلثة النقاط »

چارَه : من التركية عن الفارسية (çare بمعنى : وسيلة ، تدبير ، علاج ، طريقة تسوية) باللهجتين العراقية والحلبية خاصةً تستعمل بالمعنى التركي والفارسي . باللهجة الشامية يستعمل للمعنى ذاته كلمة :

خواص (كقولهم : مالها خواص) .

چَطَل : من التركية (Çatal) في الأصل لما هو ذو شعبتين ومقبض واحد . وباللهجة الحلبية خاصة (للشوكة) التي يتناول بها الطعام (بالفرنسية fourchette) وهي (الفِرْتيكة) باللهجة الحلبية أيضاً .

چَلَبي : من التركية (çelebi) وهذه من (چلب çeleb) أي (أفندي ، والأخ الكبير) ومثلها [چالاب çalab أي (معبود ، مولى] ، والكلمة غلب استعمالها على أسرة حلبية مشهورة .

چَنـق : من التركية (Çanak) في الأصل للإناء المصنوع من الفخار (أي القصعة) . وباللهجة الحلبية تلفظ (چَنَا بنون مفخمة) تخصيصاً للوعاء المصنوع من الصيني ، ولما هو مسمى باللهجة الشامية (زُبْدية) .

چَيْرَك : من التركية (çeyrek) عن الفارسية (چارْيك = چهارْيَك) بمعنى : واحد من أربعة = رُبُع . باللهجة العراقية بمعنى (رُبُع) ومن الساعة (١٥ دقيقة) . وفي تركية كانت الكلمة تطلق على نقد فضي يساوي رُبُع المجيدي الفضي (*) .

(خ)

خازوق : محرفة عن التركية (قازيق kazik = الوتد / ومجازاً = الخدعة ، الحيلة والدسيسة) . باللهجة السورية اشتق منها (خَوْزَقَة) لذلك الوتد الخشبي أو المعدني الذي كان يعاقب به المجرمون .

(*) المجيدي العثماني الفضي يساوي ٢٠ غرشاً . وربع المجيدي = ٥ غروش والليرة العثمانية الذهبية تساوي ٥ مجيديات = ١٠٠ غرش .

وسمعت من بعض العامة من يقول (خوزاق) بدلاً من (خازوق)! كما يقول بعضهم (دالوب) بدلاً من (دولاب)!

خاشُوقة: محرفة عن التركية (قاشيق Kasik = ملعقة) باللهجة العراقية كثيرة الاستعمال وتلفظ بالقاف اليمنية (ج خواشيق).

خيتيار: محرفة من التركية (اختيار ihtiyar، العربية وكانت تستعمل عندهم فيما مضى مع أداة النفي الفارسية (بى bi) بي اختيار أي (لايملك خيرة. وتطلق على الشيخ الهرم عديم الإدارة، أو الكبير السن). وقد حذفت بالتركية بعد ذلك، أداة النفي هذه فيقولون (اختيار، للشيخ الهرم أو الكبير السن). وباللهجة السورية حذفت الألف أيضاً، في بعض الأحيان، واستبقي المعنى.

خَرْطُوشة: محرفة من التركية (قارتوج Kartuç المحرفة عن التليانية cartuccia، وبالفرنسية cartouche لما يطلق عليه بالعامية (فشك). انظر كلمة (فشك).

خشاف: محرفة عن التركية (خوشاب hosab) عن الفارسية (خوش آب. من: خوش = لطيف، لذيذ / وآب = ماء) لمنقوعات الزبيب خاصة أو الأثمار الجافة عامة (المشمش، الخوخ وغيرهما).

خُوبْ: من الفارسية (kub) في الأصل بمعنى: جميل، لطيف، حسن وباللهجة العراقية تستعمل للمعنى نفسه (تقابل: طيّب) باللهجة السوريه. أما باللهجة الكويتية فتستعمل للعمل الصحيح [من نشرة الأستاذ عبد الرزاق البصير عضو مجمع اللغة العربية بمصر ص ٣٨ (١٩٦٩)]. وتقرب من معاني هذه الكلمة الفارسية كلمة فارسية أخرى هي (خوش hos) وتستعمل باللهجة العراقية

مثلما تستعمل كلمة (زين) المعنى نفسه . وباللهجة الحلبية كذلك كما في التركية .

(د)

دادَه : من التركية (دده dede) للجد ، كما يطلق عندهم على الدرويش (dervis) . في اللهجة السورية تستعمل كلمة تحبب يخاطب بها الأطفال أو الأولاد الصغار .

دادُو : من التركية (دادى dadi) . في الأصل للخادم أو الجارية المخصصة للعناية بالأطفال . في اللهجة الحلبية تطلق على الجارية السوداء مربية أطفال الأسرة .

داكيش : محرفة عن التركية (دگيش بالكاف الفارسية degis = تبدُّل تحوُّل) من المصدر (دكيشمك degismek = تبادَلَ ، تحوَّل). باللهجة الشاميه كثيرة الاستعمال بين موظفي إدارة النقل العام وعمالها (قديماً الحافلات ، واليوم الباصات) بمعنى تبادُل أحد الموظفين أو العمال محل الآخر ، الوظيفة أو نوبة العمل .

دايَـة : من التركية عن الفارسية (dâye) . في الأصل بمعنى (مربية الأطفال التي تقوم بشؤونهم من خدمة وعناية ، كما تطلق على المرضع) . باللهجة السورية خصصت للتي تتولى توليد الحوامل وهي القابلة بالفصحى) .

دَبْـو : من التركية عن الفرنسية (dépôt للمكان أو المخزن الكبير توضع فيه الأشياء أو الأمتعة . فباللهجة السورية هو (المستودَع) .

دَرْد : من التركية عن الفارسية (derd) بمعنى الألم ، الوجع ، الكآبة والهمّ . ومنها (دردشة) محرفة عن (َدردْلَشْمه

derdlesme) = تباثّ الهموم والشكوى ، من (درد) بادخال اللام والشين لفعل المشاركة والميم للمصدر التخفيفي بالتركية ، بمعنى (اللغو) أي الكلام لاعن روية وفكر .

دَرْوِيش : بالتركية عن الفارسية (deruris) من (دَرْ = باب) و (ويش = مُسْتَلْقٍ) ومعنى الكلمة في الأصل (المستلقي أمام الباب) . خصصت لأفراد طائفة من أهل الله تمتاز بطريقتهم الخاصة بالفتل بلباسهم المسمى (تنّورة tennure) [في مكان العبادة المسمى : دركاه dergâh = تكية ، العربية بمعنى المستند ثم اكتسبت معنى المصطلح (الزاوية) التي يسكن فيها المشايخ للتعويذ وكتابة الحُجُب] وبقلنسوة طويلة من اللباد . وجمعوا الكلمة على (دراويش) . وباللهجة السورية تطلق على (الفقير ، والمسكين العديم الشأن ، العاجز) .

دريشة(١) : محرفة عن الفارسية (دريچة deriçe) بالشين بدلاً من الجيم الفارسية المثلثة النقط . تطلق في الأصل على باب صغير يجعل في باب كبير ليسهل الدخول منه إلى الدار ، وهي توافق بالعربية الفصحى (الخوخة) وهي كوّة تؤدي إلى ضوء البيت ؛ وتخترق دارين ما عليه باب . ومن معاني الكلمة الفارسية (نافذة ، شباك) عند الأتراك وبهذا المعنى الأخير تستعمل باللهجة الكويتية .

دُوزانْ : محرفة من التركية (دوزن düzen = نظام ، ترتيب / تنظيم أوتار الآلة الموسيقية الوترية بحيث تصلح للعزف ، ومعان أخرى)

(١) الكلمة من نشرة الأستاذ عبد الرزاق البصير ، عضو مجمع اللغة العربية بمصر . ص ١٣٨ سنة ١٩٦٩ . (الشرح للكواكبي) .

مشتقة من المصدر (دوزمك dûzmek = رتّبَ ، نَظمَ) . باللهجة السورية تستعمل الكلمة تخصيصاً بمعنى تنظيم أوتار الآلة الموسيقية.

(ر)

رَصْد : من التركية محرفة عن الفارسية (راست rast = سويّ ، مستقيم) مقام من الأنغام الموسيقية .

(ز)

زَرْدَهْ : من التركية عن الفارسية (zerde) لنوع من الطعام يقدم في الأعراس يتألف من الرز المطبوخ المحلّى والمزعفر (أي المصبوغ بالصفرة بالزعفران) ليتلون بلون الذهب . الكلمة كانت شائعة في اللهجة الحلبية في العهد العثماني السابق ، لهذا الطعام[1] .

زِرْ كْلي : « بامالة كسرة اللام » محرفة من (زِره zirh الفارسية ، للدرع من حديد أو فولاذ)و (لي = صاحب ،ذو ، التركية) . فباللهجة الشامية لقب أسرة شهيرة .أما الأتراك فيقولون (زرهلي zirihli بالماء) لسفينة أوبارجة حربية مصفحة بالفولاذ ، خاصة .

زَرْگَن : محرفة عن الفارسية (زرگر zerger ، بالكاف الفارسية = صائغ) . في اللهجة السورية بمعنى (غَشّ) . والكلمة الفارسية نفسها تستعمل مجازاً بهذا المعنى كذلك : زَرْگري zergeri = مغشوش ، مموّه) . يرادفها كلمة ساخته sahta الفارسية ، بمعنى مغشوش، مقلّد. من المصدر (ساختن sahten = عمِلَ قلّدَ، تظاهرَ).

(١) ولا تزال . ومنها المثل الشعبي : « بعد العرس لابوجد زرده » . ثم هي شائعة ومستعملة في أغلب أقطار الشمال الإفريقي للدلالة على الدعوة العامة وبخاصة دعوات الطرقية التي يتبعها شيء من الذكر « لجنة الجلة » .

(٢) في عامية دمشق يستعملون احياناً كثيرة كلمة « سخطة » للدلالة على بعض الأورق أوالتواقيع المزورة .

زِكيرْتي : من التركية محرفةً عن (زُگورت Zügürt) بالكاف الفارسية ، وبإضافة الياء ، بمعنى مفلس ، لايملك نقيراً) . فباللهجة السورية تستعمل بمعنى خاص جداً لاصلة له بالمعنى الأصلي (أي مفلس) إنما يريدون بها أنه (مسكين شهم !) .

زِنْزانة : محرفة من التركية والفارسية (زندان zindan السِّجْن) ثم خصصت للحجرة المظلمة جداً في السجن التي يوضع فيها المجرم الخطر . ومن هنا استعمالها باللهجة السورية محرفةً لمثل هذه الحجرة (بالفرنسية هي cachot وهي المُطْبِق) الفصحى = حَبْسٌ تحت الأرض (متن اللغة مادة طبق) .

زَنْكيل : من التركية (زنكين zengin = غني ، ذومال ، ذو يسار) باللهجة الشامية محرفة باللام بدلاً من النون في آخر الكلمة بمعنى (غني ، صاحب ثروة) . أما باللهجة الحلبية فتستعمل الكلمة كما في التركية دون تحريف (بالنون - لاباللام - في آخر الكلمة أي زنكين) .

سنْجَقْدار : بالتركية من (سنجاق ، التركية sancak = عَلَم) و (دار ، الفارسية = صاحب ، مالك ، محافظ) . مصطلح عسكري للضابط الذي يحمل علم (الآلاي) أو (الطابور) . وفي سورية اسم لشارع مشهور في قلب العاصمة شام [انظر الحاشية الواردة حول الكلمة : بيرقدار] .

(ش)

شَتْري(١) : محرفة عن الفارسية (چتر çetr = شمسية ، مظلّة) بالجيم الفارسية المثلثة النقط ، وبدون ياء في آخر الكلمة) . وباللهجة

(١) الكلمة من نشرة الأستاذ عبد الرزاق البصير ، عضو مجمع اللغة العربية بمصر ص ٣٨ سنة ١٩٦٩ (الشرح للكواكبي) .

للمظلّة الكبيرة أو للسُّرادق . قلت : والسرادق معربة عن الفارسية (سَراپَرْده sera perde = الخيمة التي تظلل الرأس) وهي بالتركية القديمة (أوطاغ utag = خيمة فخمة تنصب للملوك) . [من معاني الكلمة الفارسية : الخيمة الفخمة للملوك / الستار الكبير الذي يجعل على باب « الحريم »] .

شَدْ عُرْبان : محرفة عن التركية (شت عربان süt urban المحرفة نفسها عن الفارسية (شتربان sütürban = جمّال) من (شُتُر = إبل ، جمال) و (بان = ناظر ، حافظ) ومعنى الكلمتين : (جمّال) وفي الأنغام الموسيقية خصص لمقام معروف (حداء الإبل) لعل ذلك لمحاكاة النغم لما يبدو من (حادي العيس) من الصوت حين سوقه إياها .

شَرْبات : محرفة عن التركية (شَرْبت serbet المحرفة عن العربية (شَرْبة) كثيرة الاستعمال باللهجة المصرية لما يقال له باللهجة السورية (شراب) لأشربة الفواكه المطبوخة مع السكر على طراز معلوم وتقدم للضيوف صيفاً مثلجةً . أما كلمة (شراب sarap) في اللهجة التركية فهي تطلق خاصة على الخمر ، النبيذ . وأما الذي يقدم للضيوف من أشربة الفواكه فهي عندهم (شروب surup) وبالفرنسية (sirop = لمطلق محاول السكر بنسبة معلومة لتحلية بعض الأدوية السائلة المستعملة في الطب) .

شُرَك : محرفة من التركية [جُورَك çorek = نوع من الكعك ، (سميد simit) مدوّر] . باللهجة الشامية تطلق الكلمة على نوع

من (الكعك المبسَّط) المستطيل شكلاً . وباللهجة الحلبية تلفظ الكلمة كالتركية تماماً بالجيم الفارسية المثلثة النقط .

شَشْمِه : محرفة عن التركية (چشمه çeşme الفارسية بمعنى ينبوع ، عين ماء ، وتخصيصاً لجمع ماء ذي حنفية أي سُبلان ماء) . باللهجة السورية استعملت بمعنى ميضأة ومرحاض . باللهجة الحلبية (تشمه بالتاء ، بدلاً من الشين الأولى) للمرحاض .

شُلَق : محرفة عن التركية (چولاق çolak = اكتع) . باللهجة الشامية بالشين بدلاً من الجيم الفارسية المثلثة النقط ، لقب أسرة بدمشق .

شَلْغَم : من التركية عن الفارسية şalgam . هو اللِّفت باللهجة السورية . و (السَّلْجَم) بالسين ، معرَّب . وكلمة (شلغم) شائعة الاستعمال باللهجة الموصلية كالتركية لفظاً ومعنى .

شَمْبَر : من التركية (چنبر çenber الفارسية بالجيم المثلثة) بمعنى (محيط دائرة / إطار دائري الشكل / إطار يطوّق الدنان كالزنار) يقابلها (القَتريس) الفصحى ، وهي الحلقة من خشب . فباللهجة الشامية ، بالشين بدلاً من الجيم الفارسية . يطلقها الحدادون على إطار مدور من النحاس كالحلقة ، الذي يوضـــع على رأس (البريمـــوس) .

شُورَبا : محرفة عن التركية (چوربا çorba = حساء) وهو طبيخ مائع القوام يتناول في بدء الطعام . قلت : أليست الكلمة التركية محرفة عن العربية (شُرْبة) لما يتناول شرباً إطلاقاً (موائع ، حساء ، شرابات الخ) ..

شُوْيكار : محرفة من التركية عن الفارسية (شيوه كار = şivekâr = ذات

الغنج والدلال) . وهو من التحريفات التي قلبت المعنى الأصلي المليح إلى معنى قبيح . لأن (شُوي كار) من (شُوي suy = وَسخ ، قَذَر) و (كار = عمل) والمعنى (قبيح العمل) . فأين (القذر العمل) من (ذات الدلال) . ولو أن فارسياً أو من له إلمام بالفارسية شاهد الكلمة على يَفْتَج أو في صحيفة ما أو سمعها من المتحدثين بها لأخذه العجب العجاب ، ولقال في نفسه : [سبحان الله ! خطأ في الكتابة أو اللفظ ، كيف يحوّل (ذات الدلال) إلى (قبيحة الأعمال !)] .

(ص)

صاجْ : محرفة من التركية (ساج وتلفظ صاج saç بالصاد والجيم الفارسية المثلثة النقط) لصفائح من الحديد الرقيق . باللهجة السورية تلفظ بالصاد وبالمعنى التركي تماماً . فيقولون مثلاً (صوبية من الصاج أو من الحديد الصاج) . قلت : أما كلمة (الساج) العربية الفصحى فهي : شجر قاس ، وطيلسان أخضر .

صالُون : من الفرنسية (salon) لأكبر وأوسع غرفة في البيت لقبول الزوار . وتعميماً : مكان واسع للحلاقة ، أو لعرض بعض التحف ، لمكان انتظار الركاب والمودّعين والمستقبلين في السكك الحديدية والمطارات . تستعمل الكلمة باللهجتين السورية واللبنانية .

صالّيَة : محرفة عن الفرنسية (salle) . هي الصُفّة الفصحى ، وبالتركية (صوفا sofa) تحريفاً عن العربية . والكلمة الفرنسية تستعمل في اللهجتين السورية واللبنانية . أما (الصوفا) الفرنسية فهي عندهم مأخوذة من العربية (صُفّة) تقابل (الأريكة ، بالعربية)

لنوع من الأثاث كالفراش للاستراحة ذي ثلاثة متكآت وعدد من الوسادات .

صِرامي : بالتركية (صِراسيله sirasile) وهذه من (صِيره sira = صف ترتيب ، دور) . باللهجة السورية ، بمعنى : بالدور ، بالترتيب [حذفت له le المخففة عن إيله ile = بِ ، مع] .

صَهْريج : من التركية (صَارْنيجْ sarniç بالجيم الفارسية المثلثة) في الأصل (صِهريج) كقنديل بالكسر ، لحوض يجتمع فيه الماء . والمُصَهْرَج المعمول بالصاروج ، (هو بالفرنسية citerne) . وباللهجة الحلبية لبئر تحفر في الدار وتصرَّج خاصةً لخزن مياه الأمطار شتاءً لتشرب صيفاً .

صُوْبية : محرفة من التركية (صوبه soba) لما توقد فيه النار شتاءً للتدفئة ولها (بواري) يجري فيها الدخان وحصول الاحتراق خارج الغرفة أو المكان الموضوعة فيه . استعيض عنها بكلمة (مدفأة) .

صُوج : من التركية (صوج suç بالجيم الفارسية المثلثة = ذنب ، قباحة ، خطأ ، جنحة) . باللهجة الحلبية تستعمل بمعنى ذنب ، قباحة .

صُوفاية : من التركية (صوفه sofa المحرفة عن العربية صُفّة) . باللهجة الحلبية تطلق على رواق يصل بين غرفتين أو أكثر كما في التركية تماماً .

(ط)

طارْمة : محرفة عن الفارسية (طارم tarem = قبة ، سقف ، سطح). باللهجة العراقية تطلق على سطح الدار .

َطرْبُوش : محرفة عن الفارسية (سَرْپوش) من (سَرْ = رأس / پوش = غطاء / سِتْر) من (پوشيدن pusiden = ستَرَ ، غَطّى) لما يجعله الرجل على رأسه غطاءً له . [انظر كلمة (كَتْبوش) لما يقابل غطاء رأس المرأة] .

َطوان : من التركية (طاوان tavan = السقف على الإطلاق) . باللهجة الشامية بمعنى السقف الخشبي الذي يجعل لستر الروافد الخشبية التي تحمل السقف الأول الحقيقي للغرف (أو القاعات) .

طواشي : هو الخَصِيّ بالفصحى . ولم أهتد إلى مصدر الكلمة ولعلها من اللهجات السامية [1] . وباللهجة السورية اشتق منها فعل (تطوَّش ، تطوُّشاً) . هو بالفرنسية énuque [والفعل (énuhisme)] قلت : الفصحى طوَّش ، تطويشاً هي مطَل غريه ، ولا صلة لها ألبتة بالكلمة الأعجمية . هو بالتركية (حرم آغاسي harem agasi لمن يخدم حريم السلاطين ، قديماً) .

ُطوخ : محرفةٌ عن التركية (طوق tok = من معانيها : كثيف ، غامق اللون) . هي باللهجة العراقية كثيرة الاستعمال بالمعنى التركي .

ُطوز : من التركية (توز toz = مطلق الغبار) ، باللهجة العراقية ولهجة البلاد السورية المتاخمة للعراق خُصصت للعجاج الذي يثور في الصيف ، بالمعنى التركي .

(١) [طواشي : كلمة كلدانية الأصل . ومن معانيها مايقابل الكلمة الفرنسية bâtard = َقذِرٌ - ملطّخ . . . إلخ] . من جواب الأب المحترم عمانوئيل الرئيس ، عن سؤالي بوساطة صديق لي من الطائفة الكلدانية . فللأب المحترم جزيل الشكر .

(ظ)

ظيـرْبا : محرفة عن التركية (زوربا zorba) المحرفة عن الفارسية (زور بازو zor baza) من (زور zor الفارسية = قسر ، جبر) و (بازو = عضد) ومعنى الكلمتين (قوة ، تغلّب) . أما الكلمة التركية فبمعنى القوي ، والذي يجبر الناس على عمل شيء قسراً . تستعمل باللهجة السورية كالتركية تماماً .

(ع)

عربايه : محرفة بإضافة (يه) من التركية (آرابه araba) لواسطة النقل التي تجرها الخيل والتي كانت مشهورة إلى عهد قريب . وقد حلت محلها السيارة (automobile). حتى غلب استعمال كلمة (آرابا) على السيارة في يومنا الحاضر .

هذا ولا علاقة لكلمة (آرابه) التركية النجار بكلمة (عربية) وليست بمشتقة منها ، كما يتوهم بعضهم .

عَلَمْدار : بالتركية من (علم ، العربية) و (دار ، الفارسية = صاحب ، محافظ) أي (صاحب العلم ، صاحب السَّنْجَق) وهو (السنجقدار) .

(غ)

غَرْسُون : من الفرنسية (garçon) ومن معانيها من يخدم في المقاهي أو المطاعم ؛ (انظر كلمة : بوي boy) .

للبحث صلة

من ألفاظ البيروني في كتاب الصيدنة (١)

الدكتور ميشيل الخوري

١

وردت لفظتا الصيدنة والصيدناني وأختاهما لفظتا الصيدلة والصيدلاني في السطر الأول من الصفحة الأولى من كتاب الصيدنة في الطب لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني (٣٦٢ - ٤٤٢ هـ/ ٩٧٣ - ١٠٥٠ م) . وقبل الخوض في بحث الناحية اللغوية لهذه الألفاظ يحسن بي أن أعرض فيما يلي صورة موجزة لكتاب الصيدنة في الطب .

ينقسم كتاب الصيدنة في الطب ، على ما جاء في مخطوطاته : قسمين أولهما المقدمة وثانيها الكتاب خاصة ، وهو أطول القسمين . أما المقدمة فتتألف من تمهيد وخمسة فصول . وقد عرّف البيروني في التمهيد الصيدنة والصيدناني وتناول في الفصل الأول أصل هاتين اللفظتين وما جرى مجراهما من الألفاظ المعربة . ثم ذكر في الفصل الثاني الأسماء التي تطلق على أصناف الأدوية ، وأوضح في الفصل الثالث قوى الأدوية . وأخيراً فإنه أعرب في الفصلين الرابع والخامس عن تفضيله اللغة العربية على الفارسية في تصنيف الكتب العلمية

---

(١) محاضرة ألقيت في المهرجان الخطابي الذي دعا اليه المجلس الأعلى للعلوم في الجمهورية العربية السورية احتفاء بالذكرى الألفية لمولد العالم ابي الريحان البيروني وذلك في نطاق اسبوع العلم الرابع عشر المقام في دمشق في المدة ٢ - ٧ تشرين الثاني ١٩٧٤ .

وذكر بعض المعاجم الكثيرة اللغات التي كان يلجأ إليها لمعرفة أسماء الأدوية بمختلف اللغات الشائعة في عصره .

ويشتمل القسم الثاني على وصف مطوّل للأدوية المفردة التي تنتمي إلى الأعيان الثلاثة ، ولكن أكثرها من النبات وأقلها من الحيوان والجماد . وقد أورد البيروني أسماء الأدوية التي يتألف منها كتابه مرتبة على حروف المعجم ، لأن هذا الترتيب كما قال البيروني أشهر عند الجمهور من الترتيب على حروف الجُمَّل . وهو يذكر أولاً اسم الدواء وما يرادفه بالعربية ثم يتبعه بالأسماء التي تقابله باللغات الأخرى كاليونانية والفارسية والسريانية والهندية وغيرها من اللغات التي كانت محكية في البلدان المتاخمة لوطنه خوارزم . ثم أنه يذكر خواص كل دواء وأوصافه وأنواعه وموطنه ، وإذا كان نباتاً أشار إلى استنباته ونموه وحفظه ، وما إلى ذلك من الأمور المتعلقة به . ولكن البيروني يتعمد عمداً في وصفه لمعظم الأدوية الواردة في كتابه عن الإشارة إلى كيفية استعمال الدواء في العلاج ، فلا يذكر شيئاً ألبتة عن مقاديره وتأثيره في مختلف الأعضاء ، كما يغفل ذكر أسماء الأمراض التي يُستطبُّ به فيها . وهو أمين في نقله ، فيذكر أسماء المؤلفين الذين يأخذ عنهم ما قيل في الدواء الذي يتناوله البحث . وأخيراً فإنه بين آن وآخر يلجأ إلى الشعر العربي فيقبس منه شواهد يذكر فيها اسم ذلك الدواء ولا سيما إذا كان نباتاً .

وقد حظي كتاب الصيدنة باهتمام العلماء من شرقيين وغربيين ، فترجمه إلى الفارسية أبو بكر بن علي بن عثمان الكاساني في أوائل القرن السابع الهجري . وفي سنة ١٩٣٢ ترجمه ماكس مايرهوف المستشرق الألماني إلى الألمانية ولكن لم ينشر منه غير المقدمة مع ما يقابلها من الأصل العربي .

وبمناسبة الذكرى الألفية لمولد أبي الريحان البيروني ، والاحتفاء بها

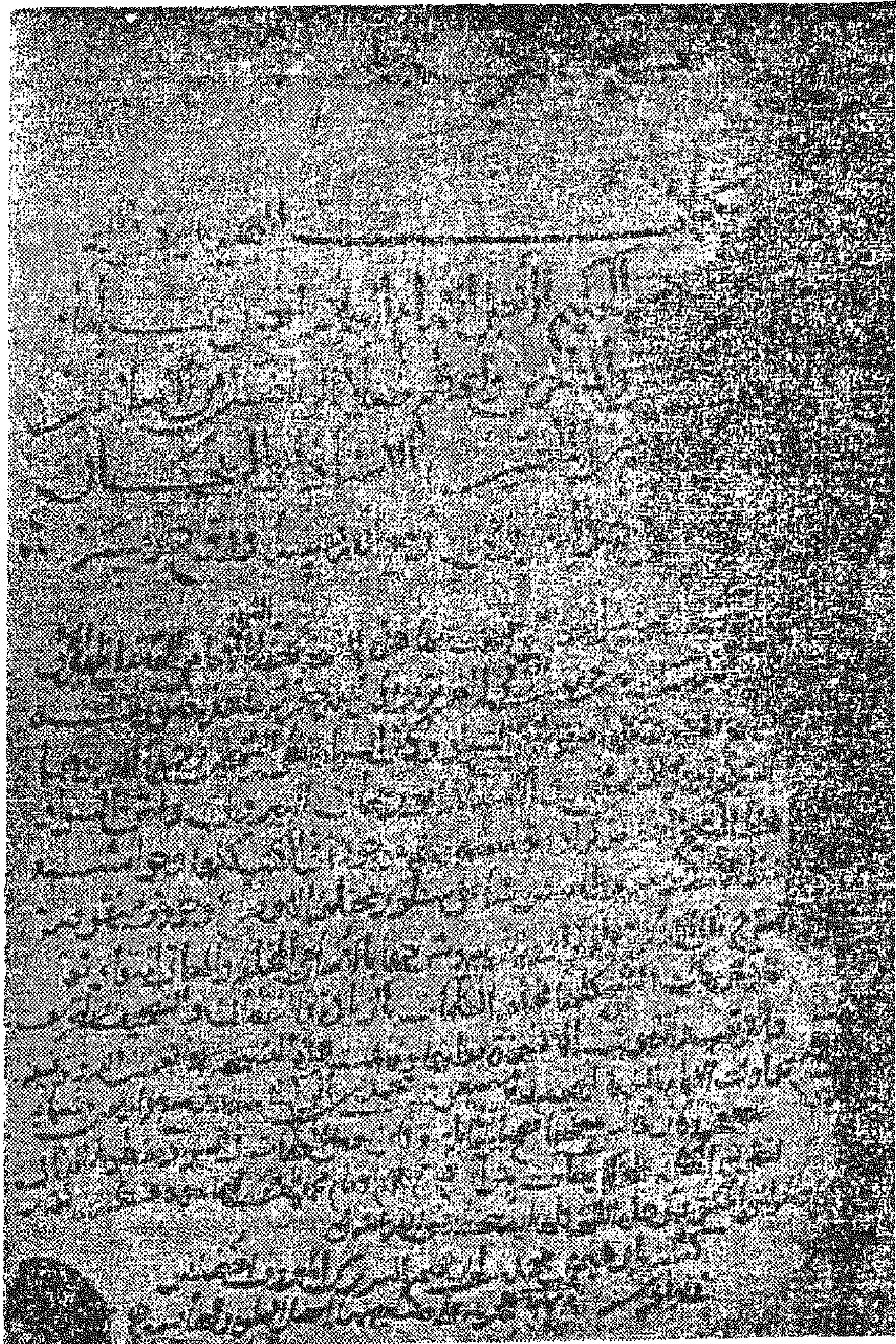
على نطاق عالمي فقد نشرت مؤسسة همدرد الوطنية في كراتشي بالباكستان سنة ١٩٧٣ تحقيقاً عربياً لكتاب الصيدنة وضعه الدكتور رانا احسان إلهي الأستاذ في في جامعة البنجاب وترجمة إنكليزية لهذا الكتاب وضعها الحكيم محمد سعيد رئيس مؤسسة همدرد . وقد صدر التحقيق والترجمة في كتاب واحد ومعه كتاب آخر يشتمل على تحقيق وتقييم باللغة الانكليزية لكتاب الصيدنة من وضع الدكتور سامي خلف حمارنة الأستاذ المؤرخ في سميثسونيان انستيتوشن في واشنطن . وفضلاً عن ذلك فإن أكاديمية العلوم في طشقند أصدرت في سنة ١٩٧٣ لكتاب الصيدنة ترجمة روسية وضعها عبيد الله كريموف عضو الأكاديمية ، وترجمة أخرى باللغة الاوزبكستانية .

ربما أن ايران كانت احدى الدول التي اشتركت في احياء الذكرى الألفية لمولد البيروني فإن المجلس الأعلى للثقافة والفنون في العاصمة الايرانية نشر قسماً من الترجمة الفارسية لكتاب الصيدنة في الطب ، كما نشر خمسة كتب تذكارية أخرى تضمنت دراسات وشروحاً وفهارس لمؤلفات البيروني .

وتبيَّن مما اجتمع لدينا من المصورات لمخطوطات كتاب الصيدنة أن أقدمها على الأرجح هي المخطوطة ذات الرقم ١٤٩ المحفوظة في جامع كورشونلو في بورسه بتركيا . وهي مخطوطة نقلها إبراهيم بن محمد بن إبراهيم التبريزي المعروف بغضنفر سنة ٦٧٨ هـ ، عن نسخة كتبها الإمام محمد بن مسعود بن محمد الزكي الغزنوي سنة ٥٤٩ هـ نقلاً عن نسخ أخرى أخصها نسخة كتبت سنة ٤٦٨ هـ أي بعد وفاة البيروني بنحو خمس وعشرين سنة . وقد فقدت جميع هذه النسخ ما عدا النسخة التي كتبها غضنفر والتي رجحنا أنها مخطوطة بورسه كما تقدم[1] .

ويبدو أن كل ما في دور الكتب من نسخ كتاب الصيدنة إنما هو

(١) تيسّر الحصول على مصور مخطوطة بورسه لكتاب الصيدنة في الطب بمعاونة المكتبة المركزية بجامعة طهران .



وجه الورقة الأولى من مخطوطة بورسه لكتاب الصيدنة في الطب

نقل عن مخطوطة بورسه ، وأخص هذه النقول التي استعان بها الباحثون المعنيون بدراسة كتاب الصيدنة ، النسخة ذات الرقم ل/ ٣٠١٤ التي تملكها دار الكتب المصرية بالقاهرة ، والنسخة ذات الرقم ١٩١١ المحفوظة في مكتبة المتحف العراقي في بغداد .

٢

سأقتصر في هذا المقال على بحث الألفاظ صيدنة وصيدلة وصيدناني وصيدلاني ، فأنقل ما جاء عن تعريفها وأصلها في الأمهات وسواها من المراجع ، مشيراً بوجه خاص إلى ما ذهب إليه البيروني من أن الصيدنة والصيدناني لفظتان معربتان ، وأن تعريبها وتعريب ما جرى مجراهما من الألفاظ ، إنما تم بتحويل بعض حروف الكلمة الأعجمية ، وخاصة بتحويل حرف الجيم في الكلمة الأعجمية إلى صاد في الكلمة المعربة .

وقد رأيت أن أبدأ بحثي بإيراد نص اقتطعته من مقدمة كتاب الصيدنة كما جاءت في مخطوطة بورسه . وإنما وقع اختياري على هذا النص لتضمنه المنهج الذي جريت عليه في بحثي من حيث التعريف الذي وضعه البيروني لكل من الصيدنة والصيدناني ومن حيث الأصل اللغوي الذي تولدت منه هاتان اللفظتان . وهذا هو النص :

« الصيدنة هي معرفة العقاقير المفردة بأجناسها وأنواعها وصورها المختارة لها ، وخلط المركبات من الأدوية بكنه نسخها المدونة . والصيدنة أعرف من الصيدلة والصيدلاني أعرف من الصيدناني ، وهو المحترف بجمع الأدوية على أحمد صورها واختيار الأجود من أنواعها مفردة ومركبة على أفضل التراكيب التي خلدها له مبرزو أهل الطب » .

ويتابع البيروني فيقول :

« في الصاد الذي في أول اسم الصيدنة والصيدناني سمة من

ظهر الورقة الأولى من مخطوطة بورسه لكتاب الصيدنة في الطب

الدلالة على أنه مُعرَّب الجيم . ولهذا لا أستنكر من حمزة الأصبهاني قوله في الصيدناني إنه معرب جندناني[1] ، وذلك أن ولوع الهند بالصندل يفوق ولوعهم بسائر أهضام العطر وأفواه الطيب ويسمونه جَندَنْ وجندل . فأما نسبة الصيدناني إلى الصندل فهي أيضاً سبب يصيره صندلانياً فهو أصوب . وقد يجوز أن يقارب الفرس الهند في الرغبة في الصندل حتى يسموا جلاّبه جندنانياً ، ثم عُرِّب إذ لم تكن العرب تفرد له اسماً أو لقباً . وكأنهم كانوا يزهدون في الصندل فنقلوا هذا الاسم المُعرَّب من مزاولي العطر إلى مزاولي الأدوية لما لم يكن في جملة عطورهم ، ولم يكادوا يميزون بين العطار والنطاسي وعمموها لقلة الهداية . والعرافة نسبة إلى العلم والمعرفة . قال:

تروحُ الى العطارِ تبغي شبابَها ولا يُصلحُ العرّافُ ما أفسدَ الدهرُ

ومنه عرّافُ اليمامة لجمع أدهانهم الأرجة الى التداوي والمنفعة » .

« فأما قول بعض اللغويين في الصيدناني إنه دويبة طويلة لا تكاد أرجلها تعد لكثرتها وتفاوتها في الطول والقصر قد شبه به الصيدلاني لكثرة أدويته واختلاف جربه وأوعيته فهو لغو بحت . وكأنه أشار إلى دخّال الآذان المعروف مرة بالأربع والأربعين وأخرى بالسبع والسبعين . وكنت عددت أرجل واحد منها فكانت مائتين وأربعين رجلاً » .

٣

تقدم في النص الذي سبق ذكره أن البيروني عرف الصيدنة بقوله : « الصيدنة هي معرفة العقاقير المفردة بأجناسها وانواعها وصورها المختارة لها وخلط المركبات من الأدوية بكُنهِ نُسَخِها المدونة » . وتعريف البيروني للصيدنة مطابق لتعريف الصيدلة في المعجمات الطبية الحديثة ، فقد جاء في معجم دورلند الطبي أن الصيدلة هي فن تحضير الأدوية وتركيبها وتوزيعها .

---

(١) الجيم في الألفاظ جندناني وجندن وجندل حيثما ترد في هذا المقال هي الجيم الفارسية المثلثة .

وتوسع المعجم الوسيط في تعريف الصيدلة فقال : « الصيدلة مهنة الصيدلاني، وعلم الصيدلة علم يبحث فيه عن العقاقير وخصائصها وتركيب الأدوية وما إلى ذلك » .

ولفظة الصيدنة في عرف البيروني أعرف وأشهر من الصيدلة فهو إذن يقول في التمهيد لمقدمة كتاب الصيدنة : « الصيدنة أعرف من الصيدلة والصيدلاني أعرف من الصيدناني » ، ولهذا السبب جعل البيروني كلمة الصيدنة عنواناً لآخر الكتب التي ألفها وهو كتاب الصيدنة في الطب . وهو قد يكون على صواب في ذلك ، ولا سيما إذا كانت لفظة الصيدنة أشهر من الصيدلة في المنطقة التي قضى فيها بقية حياته وهي المنطقة التي تعرف اليوم بأفغانستان ، وحاضرتها كانت في زمنه غزنة مقر السلاطين من آل سبكتكين .

ولكن جمال الدين القفطي ذكر في كتابه إخبار العلماء بأخبار الحكماء (ص ٢٨٠) مايؤخذ منه أن الصيدلة والصيدلاني هما اللفظتان اللتان كانتا شائعتي الاستعمال في القرن الثاني الهجري أي قبل زمن البيروني بأكثر من مائتي سنة ، فروى أن الخليفة المهدي كان من أطبائه أبو قريش المعروف بعيسى الصيدلاني ، فاستدعاه المهدي وخاطبه فلم يجد عنده علماً بالصناعة إلا شيئاً يسيراً من علم الصيدلة ، إلا أنه اتخذه طبيباً لما جرى منه واستخصه وأكرمه الإكرام التام .

وقد استعملت كلمة الصيدلة بعد ذلك في القرن الثالث : فإن أبا بكر محمد بن زكريا الرازي ذكر في كتابه الجامع كلمة الصيدلة دون الصيدنة . قال ابن أبي أصيبعة في كتابه عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ج ١ ص ٣٩٧ و ٣١٨) : « وللرازي كتاب الجامع ويسمى حاصر صناعة الطب ... وهو ينقسم اثني عشر قسماً ، القسم الخامس في صيدلة الطب فيه صفة الأدوية وألوانها وطعومها وروائحها ومعادنها وجيدها ورديئها ونحو ذلك من علل الصيدلة ... وله كتاب صيدلة الطب » . ويلاحظ على ذلك

أن البيروني أشار في نهاية الفصل الخامس من مقدمة كتاب الصيدنة إلى كتاب الرازي فسماه كتاب الصيدنة بالنون لا كتاب الصيدلة باللام كما فعل الرازي . قال البيروني : « كنت طالعت لأبي بكر الرازي كتابيه في الصيدنة والإبدال فلم افز منهما بالكفاية » . فيدل ذلك على شدة تعلق البيروني بكلمة الصيدنة وتغليبه لها على كلمة الصيدلة .

وعلى العكس مما قاله البيروني من أن الصيدنة أعرف من الصيدلة فإن أحد معاصريه وهو الطبيب أبو الحسن المختار بن بطلان البغدادي ذكر في كتابه دعوة الأطباء لفظة الصيدلة ولم يذكر الصيدنة ، فقال في موضع من هذا الكتاب : « تعز عليَّ هذه الصناعة قلَّ الواصف لها وعدم العارف بها فتحامى التجار جلب العقّار وبقينا من صناعة الصيدلة على البراني المصفَّفة والصواني المزوَّقة والدكاكين المزخرفة والألواح المرندجة » . ولو أن ابن بطلان عاش في هذا الزمان لأضاف إلى ذلك هذه الأدوية المعبأة والمعلبة التي أغنت عن الكيمياء وأعادت الصيدليات متاجر للبيع والشراء .

ومع أن لفظة الصيدلة وردت في كلامهم وفي مؤلفاتهم منذ القرن الثاني الهجري ، فإنها لم ترد في المعجمات التي ألفت قبل القرن التاسع . وقد كان القاموس المحيط للفيروزابادي أول المعجمات العربية التي ذكرتها فأشار إليها بإيجاز في سياق تعريفه للصيدلاني . وقد جاء عن لفظة الصيدلة في هذا المعجم مايلي : « ومحمد بن داود الفقيه الصيدلاني وجدُّه منسوبان إلى بيع العطر وهو الصيدلة » . وزاد عليه الزبيدي في تاج العروس فقال : « منسوبان إلى بيع العطر والأدوية والعقاقير وهو الصيدلة أي بيع العطارة » .

وإذا انتقلنا إلى المعجمات الحديثة لوجدنا أيضاً أن الصيدلة تعرَّف فيها بإيجاز وأن الصيدنة غير واردة فيها مما يدل على أن هذه المعجمات كمعجمي

الفيروزأبادي والزبيدي عدت الصيدنة لفظة مماتة فضربت صفحاً عنها ، واعتبرت الصيدلة لفظة حية فذكرتها ، وذلك كما هو بيّن مخالف لما أراده البيروني من تغليب لفظة الصيدنة على الصيدلة . إلا أن لفظتي الصيدلة والصيدنة وردتا في معجم دوزي بمعنى العقاقير ، وهو معنى آخر يختلف كل الاختلاف عن المعنى الذي أراده البيروني في تعريفه الصيدنة . ويستشهد هذا المعجم على لفظة الصيدلة بمعنى العقاقير بعبارة جاءت في مخطوطة ليدن ذات الرقم ٣٣١ (٧) وهي : «وكان أميناً في المارستان على الخزانة التي فيها الصيدلة» . ويستطرد معجم دوزي فيقول إن الصيدنة هي الصيدلة أي العقاقير ، ثم يستشهد على اللفظة بهذا المعنى بعبارة وردت في المعجم العبري العربي لأبي الوليد مروان بن جَناح القُرطبي وهي : «أفاوية وعطرٌ وصيدنة» . وهو يستشهد أيضاً على لفظة الصيدنة بمعنى الأدوية بعبارة أخرى وردت في مخطوطة باريس ذات الرقم ٣٣٤٧ لكتاب مركز الاحاطة بأدباء غرناطة لمؤلفه لسان الدين بن الخطيب ، والعبارة هي : «لها معرفة بالطب والصيدنة» . أي الأدوية المستعملة في الطب .

٤

وقد استعمل البيروني في مقدمة كتاب الصيدنة لفظتي الصيدلاني وجمعها صيادلة والصيدناني وجمعها صيادنة بدون أن يرجح الواحدة على الأخرى ، مع أنه ذهب في مقدمته إلى أن الصيدلاني أعرف من الصيدناني ، وعرّفه بقوله : «هو المحترف بجمع الأدوية على أحمد صورها واختيار الأجود من أنواعها مفردة ومركبة على أفضل التراكيب التي خلدها له مبرزو أهل الطب» . وليس بغريب أن ينطبق هذا التعريف الذي وضعه البيروني للصيدلاني منذ ألف سنة ، على الصيدلاني في هذا العصر ، إذ إن شأن هذا الأخير اليوم أن يقتني الأدوية الجاهزة على أحمد صورها وان يعنى بتوزيع الأجود من

أنواعها تنفيذاً لما يأمر به أهل الطب ، وهؤلاء انما يعمدون إلى أدوية معيّنة اقتناعاً منهم بمنافعها التي يبينها لهم ويذيعها بين ظهرانيهم مانسميه اليوم بالمكاتب العلمية ، وما هذه إلا مراكز للاعلام وللوساطة التجارية تتولى إرشاد الأطباء الى الأدوية الجاهزة التي أثبتت الاختبارات العلمية فوائدها في مختلف وجوه المعالجة .

وقد أصاب البيروني فيما قاله من أن الصيدلاني أشهر من الصيدناني ، فإن المصنفات العربية القديمة التي تيسرت لي مراجعتها استعملت فيها لفظة الصيدلاني دون الصيدناني وذلك منذ القرن الثاني الهجري أو قبله . ومن ذلك ماجاء في كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء (ص ١٢٠) لجمال الدين القفطي عن اسحق والد الطبيب المترجم حنين بن اسحق وهو قوله : « وكان اسحق والد حنين صيدلانياً من أهل الحيرة ومن ولد العباد » .

ولم يستعمل ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء غير لفظة الصيدلاني ، وذلك في رواياته التي يعود تاريخها إلى القرن الثاني الهجري ، قال ابن أبي اصيبعة (ج ١ ص١٥٣) : « لما وجه المنصور المهدي إلى الريّ لمحاربة سنقار كان عيسى المعروف بأبي قريش صيدلانياً في العسكر فأمره المهدي بلزوم الخدمة وترك خيمته وماكان فيها من متاع الصيادلة » .

وأهمل ابن بطلان في كتابه دعوة الأطباء لفظة الصيدناني واقتصر على لفظة الصيدلاني فقال في موضع من كتابه : « ثم شرب وقال لغلامه امض إلى تلميذي أبي جابر القاصد وادعه ومعه عوده وجز بصديقنا أبي أيوب الكحال وابي سالم الجرائحي وقل لأبي موسى الصيدلاني بحياتي عليك إلاّ جعلتنا في هذا اليوم أحدَ زبونيكَ . فما كانت هنيهة حتى حضر القوم فسلموا فرددنا عليهم السلام » . وقال ايضاً : « أما تعلمون أن الحكماء يقولون إذا كان الطبيب حاذقاً والمريض موافقاً والصيدلاني صادقاً فما أقلّ لبثَ العلة » .

وقد تقدم أن لفظة الصيدلة لم يرد ذكرها في المعجمات قبل القرن

التاسع ، وأن لفظة الصيدنه لم ترد فيها البتة ، وإنما جاءت في بعض النصوص التي أشير اليها في معجم دوزي والتي يعود تاريخها إلى القرنين السادس والثامن ، وعلى عكس ذلك فإن لفظتي الصيدلاني والصيدناني ورد ذكرهما بإسهاب في بعض المعجمات القديمة ، وسبب ذلك على مايبدو يعود الى أن تسمية بائع العطور والعقاقير بالصيدلاني أو الصيدناني سبقت تسمية حرفته بالصيدلة أو الصيدنة فجاء الكلام على المحترف أكثر إسهاباً منه على الحرفة ، أو أن المعجميين رأوا أن المحترف هو الأصل فأطالوا في تعريفه وايضاح مصدر الاسم الذي أطلق عليه ، كما رأوا أن تعريف الحرفة مما يستطاع استنتاجه من التعريف الذي وضع للمحترف ، فأهمله بعضهم اهمالاً تاماً وجعله البعض الآخر موجزاً إلى أقصى درجات الايجاز . هذا فضلاً عن أن المعجمات ذكرت للصيدناني والصيدلاني معاني أخرى لاتمت إلى الصيدلة بأية صلة كما سيجيء .

٥

وقد جاء في الصحاح أن الصندلاني لغة في الصيدناني . وجاء فيه أيضاً :« الصيدناني الصيدلاني ». وجاء في لسان العرب : «والصيدلاني معروف فارسي معرّب والجمع صيادلة . والصيدلاني لغة في الصيدناني » . فيؤخذ مما ذكره الصحاح واللسان أن لفظة الصيدناني اعرف الألفاظ الثلاثة ، وأن الصندلاني والصيدلاني لغتان فيه . ويؤخذ أيضاً مما قاله اللسان ان الصيدناني فارسي معرب أيضاً ، لأن الصيدلاني وهو لغة في الصيدناني فارسي معرب ، وهذا بالضبط ماعناه البيروني حين ذهب إلى أن الصيدناني معرب جندناني وذلك بأن الكلمة جندناني الفارسية قلبت جيمها المثلثة صاداً ونونها ياءً في الكلمة المعربة صيدناني . ويؤخذ ايضاً مما قاله البيروني ان لفظتي الجندن

والجندل تطلقان في الهند على شجر عطر الخشب ، وقد سماه العرب صندلاً تعريباً للفظتين جندن وجندل الفارسيتين ، وهاتان مأخوذتان من اللفظة السنسكريتية candana على ماجاء في معجم وبستر الأميركي وفي شرح معجم برهان قاطع للغة الفارسية . وقد تم هذا التعريب ايضاً بقلب الجيم المثلثة صاداً في كلمة صندل المعربة . واقتبس الفرس ايضاً عن الهند هاتين اللفظتين لتسمية الشجر أو لتسمية خشبه ، ونسبوا إلى الجندن فقالوا جندناني لبائع الصندل والعطور والأدوية . وكذلك فان العرب نسبوا إلى صندل فقالوا صندلاني لبائع الصندل والعطور والأدوية ، لان الأمم القديمة كالهنود والفرس والعرب لم تكن تفرق بين بائع العطور وبائع الأدوية فكان يتولى الاتجار بها شخص واحد ، ولذلك سمى العرب بائع الأدوية والعطور وما إليها من أدوات الزينة بالعطار وحرفته العطارة .

ويتبين مما تقدم أن ثمة تعريباً يفترض أن يكون تعريباً مزدوجاً ، أولهما تعريب الجندن والجندل إلى صندل ، والنسبة إلى هذا الأخير بالصندلاني ، والثاني تعريب الجندناني إلى صيدناني . وقد كانت نتيجة هذا التعريب المزدوج أن استحدثت لتسمية العطار لفظتان عربيتان أو معربتان هما الصندلاني والصيدناني ، وهاتان حولتا فيما بعد إلى صيدلاني . ويتراءى للباحث في هذا التطور اللفظي أن لفظة الصندلاني تحولت إلى صيدلاني بقلب نونه الأولى ياء ، وذلك بدون المرور في طور الصيدناني على ما ذكره صاحب الصحاح ، وأن الصيدناني تحولت إلى صيدلاني بقلب نونه الأولى لاماً . وهذا الافتراض كما هو ظاهر يتفق مع ما ذهب إليه اللسان من أن الصيدلاني لغة في الصيدناني .

ويؤخذ أيضاً من هذا التطور اللفظي أن العرب أو الناطقين بالعربية ومنهم أبو الريحان البيروني ، حين قالوا صيدناني لمحترف بيع العطور والأدوية أطلقوا لفظة الصيدنة على حرفته ، كما أنهم حين قالوا صيدلاني للمحترف

أطلقوا لفظة الصيدلة على الحرفة . أما الصيدنة فقد كانت اللفظة المفضلة عند البيروني ، ولذلك جعلها عنواناً لكتابه الصيدنة في الطب ، ولكنها عادت اليوم لفظة مماتة ، وبقيت لفظة الصيدلة . وأما اللفظة صيدلاني التي أطلقت على محترف الصيدلة منذ القرن الثاني الهجري أو قبله فتقوم مقامها اليوم في الشام اللفظة صيدلي. غير أننا لا نزال نحتفظ باللفظة صيدلاني ومؤنثها صيدلانية ، لاستعمالها صفة أو نعتاً فنقول مركب صيدلاني ومركبات صيدلانية وما إلى ذلك ، كما أننا نطلق اللفظة صيدلانية على محترفة الصيدلة فلا نصفها بالصيدليّة لإطلاقنا هذه اللفظة على المكان الذي تزاول فيه الصيدلة .

ومما تجدر الإشارة إليه أن من الذين تحدثوا عن كتاب الصيدنة في الطب للبيروني من أتى بلفظة جديدة هي الجندنة ، مفترضاً أنها أخذت من جندن أو جندناني ، وقال إنهـا أصبحت صيدنة . على أن البيروني حين نسب في مقدمة كتاب الصيدنة إلى حمزة الأصبهاني القول بأن اللفظة جندناني عربت إلى صيدناني ، لم يذكر الكلمة جندنة وإنما ذكر الألفـاظ جندن وجندل وجندناني ، هذا فضـلاً عن أن الكلمة جندنة لم ترد في معجم برهان قاطع للغة الفارسية القديمة . فلا حاجة إذن إلى اختراع لفظة جديدة هي اللفظة جندنة لنعدها أصلاً للفظة صيدنة ، لأن هذه كما سبقت الاشارة إليه مشتقة من الصيدناني كما اشتقت لفظة الصيدلة من الصيدلاني .

٦

جاء في ما سلف من هذا البحث أن من أهل اللغة من قال بأن لفظة الصندل دخيلة ومنها اشتقت لفظة الصيدناني وأخواتها . إلا أن لغويين آخرين ذهبوا إلى أن لفظتي الصيدناني والصيدلاني عربيتان ، وأنها منسوبتان إلى صيدن وصيدل العربيتين . ولم يرد هذا القول في الصّحـاح لأن هذا المعجم كما قيل لا يحتوي على أكثر من نصف اللغة ، إلا أنه جـاء في

اللسان ونقله التاج في مستدركه على القاموس ، وهذا ما قاله اللسان : «والصيدلاني لغة في الصيدناني ، قال ابن بري : الصيدلاني والصيدناني العطار ، منسوب إلى الصيدل والصيدن ، والأصل فيها حجارة الفضة فشبه بها حجارة العقاقير . وعليه قول الأعشى يصف ناقة شَبَّه زَوْرَها بصَلاءة العطار :

وزَوْراً ترى في مِرْفَقَيه تَجانفاً نبيلاً كدَوْك الصَيدناني دامِكا

ويُروى الصيدلاني دَامِكا والدَوْك الصلاءة ، ويقال للحجر الذي يطحن به الطيب ، والدّامِك المرتفع» . ويقول صاحب اللسان أيضاً في مادة صدن : «وحكى ابن بري عن ابن درستويه قال : الصيدن والصيدل حجارة الفضة شبه بها حجارة العقاقير فنسب إليها الصيدناني والصيدلاني وهو العطّار» .

وعلى خلاف ذلك فإن أبا محمد الحريري قال في درّة الغواص (ص ٥١): «ويقولون في المنسوب إلى الصيدل والصيدن ، وهما في الأصل حجارة الفضة ثم جعلا اسمين للعقاقير ، صيدلاني وصيدناني» . غير أن شهاب الدين الخفاجي قال في شرحه لدرة الغواص (ص ١٢٨) : «في شرح الفصيح الصيدناني والصيدلاني بائع العقاقير كالعشاب والعطار . وعن ابن درستويه : الصيدن والصيدل الفضة شبه بها حجارة العقاقير فنسب إليها وزيدت الألف والنون للمبالغة» . وعليه فإن الحريري ذهب إلى أن لفظي الصيدل والصيدن وهي حجارة الفضة ، استعيرتا لتسمية العقاقير ، في حين أن الخفاجي يخالفه في ذلك فيردد ما نقله صاحب اللسان عن ابن درستويه وهو أن الصيدل والصيدن ، وهما في الأصل حجارة الفضة ، استعيرتا لتسمية حجارة العقاقير فنسب إليها بالصيدلاني والصيدناني ، على اعتبار أنها تعنيان حجارة العقاقير لا العقاقير نفسها التي تطحن بها .

وقد جاء في الصحاح ما يفهم منه أن للصيدناني معاني أخرى لا صلة لها بالصندل المعرب عن الجندن والجندل ، كما أنها ليست ذات صلة بصورة النسبة إليه وهي الصندلاني ، أو بلفظ النسبة التي يظن أن لفظة الصيدناني تعريب لها وهي اللفظة الفارسية جندناني . وينتج من ذلك أن المعاني الأخرى للصيدناني قد تدل على أن اللفظة عربية ، وأن العرب استعملوها للدلالة على عدد من المسمَّيات التي شاء البيروني الاشارة إلى بعضها ، ولم يشأ الاشارة إلى بعضها الآخر ، وهو ما نصت عليه المعجمات التي كانت متداولة في زمانه . وهذا ما قاله الصحاح : « الصيدناني الصيدلاني ، والصيدناني أيضاً دُوَيبَّة . قال أبو عبيد : تعمل لنفسها بيتاً في الأرض وتعمّيه ، ويقال له الصَّيْدن أيضاً » .

وجاء في لسان العرب : « ابن الأعرابي : يقال لدابة كثيرة الأرجل لاتعد أرجلها من كثرتها وهي قصار وطوال صيدناني وبه شبه الصيدناني لكثرة ما عنده من الأدوية . وقال ابن خالويه : الصيدن دويبة تجمع عيداناً من النبات فشبه به الصيدناني لجمعه العقاقير » . وفي تاج العروس : « الصيدناني العطار مثل الصيدلاني ، شبه بتلك الدويبة التي تجمع العيدان على ما قاله ابن خالويه أو التي كثرت أرجلها على ما قاله ابن الأعرابي » .

وقد تقدم في النص المقتطع من مقدمة كتاب الصيدنة ما يؤخذ منه أن البيروني كان ينكر ما قاله بعض اللغويين — ولعله كان يقصد ابن الأعرابي — من أن الصيدناني دويبة كثيرة الأرجل ، وكان يعد هذا القول من قبيل اللَّغْو البَحت . وقد رجح البيروني أن من قال هذا القول كان يعني الدويبَّة المعروفة بدخَّال الآذان ، وهي الدويبة التي سماها سواه بالحريش أو بأم الأربع والأربعين .

وقد وردت في الأمهات معانٍ أخرى للصيدن والصيدناني ضربت صفحاً عن ذكرها لأنها ليست ذات صلة بالموضوع الذي عالجته في هذا المقال . وهو أن لفظتي الصيدنة والصيدناني وأختيها لفظتي الصيدلة والصيدلاني يعود أصلها جميعاً إلى الصندل وهو الشجر الهندي ذو الخشب الطيب الرائحة ، وأن لفظة الصندل معربة عن الجندن والجندل الفارسيتين ، وقد تمَّ هذا التعريب بقلب الجيم الفارسية صاداً في اللفظتين الأولى والثانية وبقلب النون الثانية لاماً في اللفظة الأولى ، وهما لفظتان مأخوذتان من لفظة سنسكريتية سُمِّي بها الشجر ذو الخشب الطيب الرائحة ، وقد سماه العرب صندلاً على ما سبق بيانه بالتفصيل .

مصادر البحث

مخطوطة جامع كورشونلو في بورسه بتركيا ذات الرقم ١٤٩ لكتاب الصيدنة في الطب لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني ، تملك مصورها دار الكتب المركزية في جامعة طهران برقم ٣٦٣ .

مخطوطة دار الكتب المصرية بالقاهرة ذات الرقم ل/ ٣٠١٤ لكتاب الصيدنة البيروني .

مخطوطة المتحف العراقي في بغداد ذات الرقم ١٩١١ لكتاب الصيدنة للبيروني .

مخطوطة مكتبة الامبروزيانا في ميلانو لكتاب دعوة الأطباء للمختار بن الحسن ابن بطلان .

ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء (القاهرة ١٢٩٩ هـ / ١٨٨٢ م).

جمال الدين القفطي : إخبار العلماء بأخبار الحكماء (القاهرة ١٣٢٦ هـ) .

أبو محمد القاسم بن علي الحريري : كتاب درة الغواص في أوهام الخواص وشرحه لأحمد شهاب الدين الخفاجي (القسطنطينية ١٢٩٩) .

أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي : المعرب من الكلام الأعجمي (القاهرة ١٣٨٩ هـ) .

الصحاح للجوهري (القاهرة ١٣٥٦ هـ / ١٩٥١) .

لسان العرب لابن منظور (القاهره ١٣٠٠ هـ) .

القاموس المحيط للفيروزابادي (القاهرة ١٣١٩ هـ).

تاج العروس للزبيدي (القاهرة ١٣٠٦ هـ).

المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة (القاهرة ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م).

معجم برهان قاطع للتبريزي وشرحه للدكتور محمد معين (طهران ١٣٤٢ هـ ش / ١٩٦٣) .

R. Dozy : Supplément aux Dictionnaires Arabes (Leyden, 1881).

Dorland's Illustrated Medical Dictionary, 24th edition (Philadelphia, 1965).

Webster's International Dictionary (Springfield, Mass. 1971).

الدكتور ميشيل الخوري

الصلات اللسانية بين الهند والعرب

الدكتور جميل أحمد

أولاً : منذ أقدم العصور إلى ظهور الإسلام

ا ـ تأثر الجانب الهندي :

لقد وصلت اللغة العربية إلى شبه القارة الهندية الباكستانية قبل الإسلام بزمن بعيد على يد التجار والملاحين من العرب ، فإن الهند والبلاد العربية كانتا على صلة تجارية مستمرة . والملاحة العربية في المياه الهندية كانت معهودة قبل الإسلام بقرون عديدة (١) . إذن من الطبيعي أن تنتج عنها آثارها في الحقل اللغوي لضرورة التفاهم بشأن تبادل البضائع والسلع . يصدّق ذلك ماأورده السيد سليمان الندوي في كتابه « عرب وهند كى تعلقات(٢)». نقلاً عن كتاب البانديت الكبير سوامي. ديانندجي المسمى « ستيارته بركاش » :

لما أراد (كورو) أن ينزلوا أعداءهم (باندو) في البيت المصنوع من الشمع أثناء حرب مهابهارت التي وقعت بين الطائفتين ، حينئذ كشف

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية مادة « Saba » ؛ حوراني Arab Seaforing ٤ ـ ٥ ، ٣٢ ـ ٣٣ ؛ تاراتشند ٢٩ Influence of Islam on Indian Culture

(٢) ص ١١

(دور جي) عن تلك المؤامرة باللغة العربية ، وأجابه (بدهشتر) أيضاً باللغـة نفسها » .

فاللغة العربية كانت لغة التخاطب السري أثناء حرب كورو وباندو . ينم هذا عن كون اللغة العربية معهودة كأصحابها التجار العرب في الهنـد منذ فجر التاريخ .

ولغات المقاطعات الساحلية في جنوب الهند وغربها تحمل أيضاً طابـع التأثر من العربية ، وإن أعوزتنا الوسائل لتقدير مدى ذلك التأثر بالضبط ، ثم الخط البراهمي الذي طوره الهنود ليلائم مقتضيات لغاتهم إنما دخل في الهند سنة ٨٠٠ قبـل الميلاد على ماقاله بوهلر بواسطة التجار الفـينيقيين (١) الذين هم من أصل سامي . لاأدل على ذلك مما وجد من نقوش دولة موريان (Mauryan) ودولة اندهرا (Andhra) التي هي مكتوبـة بالحروف العربية ، وكذلك كتابات اشوك التي هي مرسومة من الجهة اليمنى على على نمط الخط العربي (٢) . ولا يخفى أن الكتابة من الجهة اليمنى مميزة تخص اللغات السامية لاغير . فهذا دليل قاطع على أن الصلات اللسانية بين الهنـد والعرب ترجع إلى ماقبل الميلاد بمئات السنين .

ب ـ تأثر الجانب العربي ـ الكلمات الهندية المعربة :

كذلك كان الجانب العربي قد تأثر قديماً من الاحتكاك بالهنود ولغاتهم ، فقد تسرب إلى اللغة العربية عدد كبير من مفردات اللغات الهندية من أسماء العقاقير والأطياب الزكية والأحجار الثمينة والأخشاب النفيسة

---

(١) دائرة المعارف البريطانية (Sanskrit)

(٢) المصدر نفسه .

والتوابل الحارة والأبزار والسيوف ومصطلحات التجارة والملاحـــة وما إلى ذلـك .

وهاك مثلاً بعض تلك الكلمات الهندية[١] الأصل التى جرت على لسان الملاحين العرب حتى عربت وشقت طريقها إلى الشعر الجاهلي :

الصندل (السنسكرية) chandan ، الفلفل[٢] (التاملية) Pipalli ، المسك[٢] (الهندية) Muska ، القرنفل[٢] (الهندية) kanakphal karanphul[٣] الكافور (الهندية) Kapur ، البارجـة (الهنديـة) Bera[٤] . وفوق ذلك كله وردت بعض الكلمات الهندية الأصل ـ على الأقل

---

(١) راجع الموضوع بالتفصيل في العلاقات التجارية للدكتور السيد محمد يوسف في مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، مايو ١٩٥٣ م ،وانظر أيضاً : سواء السبيل ؛ عربون كي جهاز رانى ص ١٤ — الندوي : عرب وهند كى تعلقات ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٧١ ، جفرى = Foveign vocabulary of Quran

(٢) فهناك أشعر الشعراء امرؤ القيس يقول في معلقته :

ترى بعـر الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل
إذا قامتـا تضـوع المسك منهـما نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

وكذلك ذكر الشاعر علقمة الفحل ميناء هندياً هاماً « Kalkai » ربما سار اسمه مع اللآلىء التي كانت تصدر منه :

محـال كأجواز الجراد ولـؤلـؤ من القلقـي والكبيـس الملوب

انظر العلاقات التجارية ص ١٥

(٣) انظر سواء السبيل ؛ آنندراج مادة قرنفل .

(٤) البيروني ١٦٧ ؛ دهخدا ٢٩٢/٥ عن البيروني ، سواء السبيل ١٥ ؛ عربون كي جهاز رانى ١٤ .

ثلاثة منها - في القرآن المجيد ، وهي كافور ، زنجبيل ، ومسك[١]. وفي تاج العروس : « طوبى اسم (الجنة بالهندية) معرب عن توبى »[٢].

فخلاصة القول إذن أن الصلات بين العرب والهند ليست وليدة الإسلام ، بل كانت قائمة قبله بقرون ، إلا أنها كانت تجارية بحتة ، ومنها نشأت بينها حركة التبادل اللغوي ، إلى أن أخذت اللغة العربية عن اللغات الساحلية الهندية عدداً من أسماء المستوردات من نواحي الهند ، كما ألف التجار الهنود وسكان المدن الساحلية العربَ ولغتَهم .

ج - الجاليات الإسلامية بالهند :

وكان من الطبيعي أن استقرت جاليات التجار من العرب والفرس بسواحل الهند الغربية والجنوبية بعد ظهور الإسلام ، إلا أنها سرعان ماتحولت إلى جاليات إسلامية مع الاحتفاظ بالعلاقات التجارية والصلات الودية مع الأهالي ، مما أدى على مرّ الزمن إلى كثرة الاختلاط والزواج بالنساء الوطنيات كما يقول تاراتشند : « واتخذ المسلمون ثلاثة مقرات على ساحل الهند الجنوبي وفي سيلان . يقول رولندسن (Rowlandson) · إن المسلمين العرب بادىء بدء استقروا بساحل مليبار في أواخر القرن السابع »[٣] . يؤيد هذا القول فرانسس دي (Francis Day) بالروايات المتوارثة[٤]

(١) الندوي ٧٢ . فقد قال الله تعالى :
« إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً » (٧٦ : ٥) (و « يسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً » (٧٦ : ١٧) ، « وختامه مسك » (٨٣ : ٢٦) . إلا أن جفرى دل على أكثر من ثلاث كلمات .

(٢) ٣٥٨/١ (فصل الطاء من باب الباء) تحت « طوبى » .

(٣) تاراتشند ٣٢ نقلاً عن مقدمته « تحفة المجاهدين » (ليدن ١٨٣٢ م) ؛

(٤) المرجع نفسه نقلاً عن كتابه « The Land of the Perumals ص ٣٦٥

وكذلك يدعمه ستورك (Sturrock) فيا كتبه عن موبلا (Moplahs) قائلاً: « مما هو معلوم أن التجار الفرس والعرب استقروا في القرن السابع وبعده ، بعدد كبير ، على السواحل الغربية من الهند متفرقين بأماكن مختلفة وتزوجوا النساء الوطنيات ، وكانت جالياتهم في ملبار خاصة ، كبيرة هامة »[1].

ومن التجار العرب الذين استوطنوا ملبار أولاً مالك بن دينار ، وشرف بن مالك ، ومالك بن حبيب . إنهم استقروا في مدينة كدنكلور ، وبنوا هناك مسجداً ، ثم أشرقت ربوع كوالم ومنجلور وكدنكلور وكانجركوت وغيرها بنور الإسلام ، وشيدت المساجد [2]، ومن المعلوم ما للمساجد من الفضل في نشر التعاليم الإسلامية واللغة العربية ، فإنها كانت حينذاك معاهد لتعليم اللغة العربية وآدابها ومراكز لتدريس الفنون الإسلامية . ومن أهم مايدل على وجود المسلمين في بلاد الهند الجنوبية في بدء بزوغ الإسلام النقود الإسلامية المدفونة التي أخرجت في ملبار منقوشة عليها سنة ٧١ هـ[3] ، والقبر الموجود بكوالم المكتوب عليه اسم صاحبه « علي » وتاريخ وفاته ١٦٦ هـ[4] ، وذكرى الملك الذي اعتنق الإسلام أولاً وسمي بعبد الرحمن السامري ، التي يحتفل بها أهل ملبار من

---

(١) تاراتشند نقلا عن كتابه « south kanara, Madras District Manuals » ص ١٨٠

(٢) للتفصيل راجع تحفة المجاهدين ١٣ — ١٥ ؛ تاريخ فرشته ٢/٧٠٠ — ٧٠٥ ؛ آرنلد Preaching of Islam ٢٦٤ — ٢٦٥ ؛ تاراجند ٣٤

(٣) تاراجند ٤٠

(٤) آرنلد ٢٦٣ (على الهامش) ؛ تاراتشند ٣٤

الكفرة والمسلمين إلى الآن[١] . وإن زمورن (Zamorin) راجه كالكيت حين يتوج يلبس لباس المسلم بأيدي المسلمين ويعتقد أنه خليفة السامري ، ويحكم من قبله إلى حين رجوعه من جزيرة العرب[٢] ،وإن راجه تراونكور حين يتوج ويأخذ السيف بيده يقول « إن هذا (كله) عنده إلى أن يرجع عمه الذي غادر إلى مكة »[٣] .

ثانياً ـ بعد الفتح الإسلامي

ا ـ فتح العرب السند وآثاره

أما موجة الفتح الإسلامي فقد وصلت إلى السند سنة ٩٢ هـ حتى خضعت السند كلها من ديبل إلى تخوم كشمير لحكم العرب . وكان لهذا الفتح آثار بعيدة المدى في حقول العلم والثقافة واللغات الدارجة المحلية .

فأولاً : ازدادت معرفة العرب بالقبائل السندية مثل الأساورة والسيابجة والزط والاندغار[٤] وهم قوم من السند انتقلوا من موطنهم إلى

---

(١) تحفة المجاهدين ١٦ ، تاريخ فرشته ٢/٧٠٢ ؛ تاراتشند ٣٤

(٢) قادر ٢٤١ ؛ تاراتشند ٣٤

(٣) تاراتشند ٣٥ .

(٤) البلاذري (النهضة) القسم الثاني ص ٤٦٣ : والاندغار من ناحية كرمان مما يلي سجستان . وفي اللسان : الزط جيل أسود من السند ، إليهم تنسب الثياب الزطية ، وقيل : الزط أعراب جت (Jat) بالهندية وهم جيل من الهند ... (مادة « زطط »)

وقال الخوارزمي في الكلام على طبقات الهند : الزط هم حفاظ الطرق ، وهم جنس من السند يقال لهم جتان . انظر المفاتيح ص ٧٤

البصرة وما جاورها من البلاد العربية وانخرطوا في خدمـة الجيش والإدارة الحكومية ، كما أنهم اندمجوا في الحياة الاجتماعية بحيث اشتهرت مزاياهم القومية وخصائصهم اللسانية بين العرب[١].

ثانياً : اشتد إقبال الموالي من سبي السـند على العلوم الدينية والأدبية بما فيها اللغة العربية حتى نبغ منهم كثيرون في العراق وفي الشام والحجاز أمثال الأوزاعي (ف ١٥٧ / ٧٧٤)[٢] وربما أبي حنيفة أيضاً (ف ١٥٠ / ٧٦٧)[٣] ، وأبي معشر نجيح بن عبد الرحمـن

= وذكر الإمام البخاري في الأدب المفرد ص ٥٣ - حيث يروي عن مرض السيدة أم المؤمنين عائشة (رض) - أن طبيباً من الزط قام بعلاجها .

وفي البلاذري أيضاً ص ٤٦١ و ٤٦٢ : أما السيابجة والزط والاندغار فإنهم كانوا في جند الفرس ممن سبوه وفرضوا له من أهل السند ... فلما سمعوا بما كان من أمر الأسـاورة أسـلموا وأتوا أبا موسى فأنزلهم البصرة كما أنزل الأساورة ... أتي الحجاج بخلق من زط السند وأصناف ممن بها من الأمم ، معهم أهلوهم وأولادهم وجواميسهم ، فأسكنهم بأسافل كسكر .

(١) راجع البيان والتبيين ٢/٢١٣ — ٢١٥

(٢) اسمه عبد الرحمن . هو أحد أئمة الفقهاء في الإسلام . كان جريئاً احتج بقوة على الجرائم التي اقترفها العباسيون في لبنان ، ترجمته وردت في البلدان (القاهرة) ١/٣٧٤ ؛ البلدان (بيروت) ٣/٢٨٠ ؛ الذهبي ١/١٦٨ ؛ التهذيب ٦/٢٣٦ ؛ معارف (مجلة تصدر من اعظم كره) ٧٦ العدد ٢ (اغسطس سنة ١٩٥٥).

(٣) هو النعمان بن ثابت بن زوطي صاحب المذهب الحنفي ، جده زوطي من أهل كابل ، وقيل من أهل بابل وقيل من أهل نسا بخراسان . وقيل من أبناء فارس من الأحرار . فاسم جده وكونه من أهل كابل (حسب الرواية المشهورة) تترجحان أنه من الزط .

السندي (١٧٠/٧٨٦)[1] ، والشاعر المشهور أبي عطـاء السندي (ف٢٢٢/٨٣٦)[2] .

ثالثاً : تقدم عدد من علماء السند للمساهمة في الحركة العلمية ببغداد بنقل علومهم الرياضية والطبيعية وآرائهم الفلسفية إلى العربية حتى ذاع صيت العلوم الهندية القديمة بين المثقفين من العرب . ومن أولئك العلماء ابن دهن[3] ، وصالح بن بهلة[4] ومنكة[5] وبازيكر ، وقلبرقل ، وسندباذ

= راجع الفهرست (الاستقامة) ٢٩٨ ؛ طبقات الفقهاء ٦٧ (على الهامش) ابن خلكان ١٦٣/٢ ؛ النجوم الزاهرة ٢/ ١٢ ؛ مفتاح السعادة ٦٩/٢ ؛ ذيل الجواهر ٤٥١/٢ — ٤٥٢

(١) هو صاحب المغازي . درس في مدينة الرسول وبغداد . نقل عن كتابه « المغازي » الواقدي وابن سعد . الفهرست (الاستقامة) ١٤٢ ؛ السمعاني ٣١٣ ؛ الذهبي ٢١٦/١ ؛ التهذيب ٢٠/١٠ — ٤١٩ و ٤٢٢ ؛ الأعلام ٣٢٨/٨ — ٣٢٩ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ١٠٠/١

(٢) هو مولى بني أسد ، شاعر مشهور . جمع بين لثغة ولكنة ، فلم يقدر على النطق بالجيم والحاء والشين والضاد والطاء والعين . له في الحماسة مقاطيع جيدة تدل على علو كعبه في الشعر . وقد طبع ديوانه مصدّراً بترجمته في مطبعة السند بحيدرآباد دكن ، ١٣٨١/١٩٦١ . انظر أيضاً ابن خلكان ٥٨٥/٢ — ٥٨٦ ، ٢٩٠/٣ — ٢٩١ ، النزهة ١٩/١

(٣) ترجم عدة كتب عن اللغة الهندية إلى العربية ، كما في الفهرست (الرحمانية) ٣٤٢ و (الاستقامة) ٣٥٦

(٤) ورد ذكره في ابن أبي أصيبعة ٣٤/٢ ؛ القفطي (مصر) ١٤٥ — ١٤٧ و (ليبسك) ٢١٥ — ٢١٧

(٥) كان طبيباً حسن المعالجة ، فيلسوفاً من جملة المشار إليهم في علوم الهند ، سافر من السند إلى العراق في أيام الرشيد هارون . وكان ينقل من اللغة =

الهندي(١) ، وكنكة الهندي صاحب كتاب النمودار في الأعمار ، وكتاب أسرار المواليد ، وكتاب القرانات الكبير ، وكتاب القرانات الصغير(٢) .

إلا أن هذه ظواهر التقرب بين العرب وأهالي السند لاغير ، ولم يكن لالتقائها خارج حدود السند أثر غير نقل بعض المصطلحات العلمية وتعريبها أثناء نقل العلوم الهندية إلى العربية مثل « اوج »(٣) و « ارين »(٤) وغيرهما .

الهندية إلى الفارسية والعربية ، ومن جملة مانقله منكة إلى العربية كتاب سيسرد ، وعشر مقالات ، ويجري مجرى الكناش ، وكتاب أسماء عقاقير الهند . انظر ابن أبي أصيبعة ٣٣/٢ ، والفهرست (الرحمانية) ص ٣٤٢ و ص ٤٢١ و (الاستقامة) ص ٣٥٦ و ص ٤٣٥ ، وكان منكة صحيح الإسلام . راجع الحيوان ٢١٣/٧

(١) وردت هذه الأسماء في البيان والتبيين ١٠٦/١ . فذكر الجاحظ عن أبي الأشعث : أن يحيى بن خالد اجتلب أطباء الهند مثل منكة وبازيكر وقلبرقل وسندباذ الهند وفلان وفلان ..

(٢) القفطي (ليبسك) ٢٦٥ – ٢٦٧ و (مصر) ١٧٤ – ١٧٥

(٣) أصله بالهندية اج « بالجيم المثلثة » من مصطلحات المنجمين . أنند راج ٤٩١/١ ، سواء السبيل ١٣ ، ولكن في الكشاف للتهانوي ٥٥/١ (فصل الجيم) : معرب أوك بمعنى العلو والظاهر أنه يعني ١١/ ج لاغير .

(٤) أرين : أصله (ujjiyaini) اسم لبلدة هندية كان فيها مرصد فلكي ، انظر (Legacy of Islam) ص ٩٣ . والمراد في العربية محل الاعتدال في الأشياء وهو نقطة في الأرض يستوي معها ارتفاع القطبين فلا يأخذ هناك الليل من النهار ولا النهار من الليل . وقد نقل عرفاً إلى محل الاعتدال مطلقاً « التعريفات ص ٧ راجع أيضا دهخدا ج ٣ تحت « ارين » .

أما مكانة اللغة العربية في السند وآثارها في الثقافة العامة واللغات المحلية بوجه خاص ـ أعني الموضوع الذي يهمنا في مقالنا هذا ـ فمن الواضح أن الحكم الإسلامي العربي بقي في هذه الأرض قرنين ونصف قرن إلى أن هاجم المحمود الغزنوي محارباً سنة ٣٩١/ ١٠٠١ ، وقد كان العرب في قمة سلطانهم الديني والثقافي على الشعوب المغلوبة المتخبطة في ظلمات الضلال والجهل ، ولاسيما في السند حيث كان الأهالي من الهندوس منقسمين إلى طبقات ، علياها البراهمة وسفلاها وديش . وقد زعم الهنود أن البراهمة خلقوا من رأس « براهما » ، وديش خلقوا من رجليه ، أما البوذيون فهم كانوا يقاسون الظلم والذلة على أيدي البراهمة ، فكانوا مستعدين لاستقبال المسلمين والترحيب بهم[١] . فلما أنار الإسلام سبل المعرفة والعلم أمام أهالي هذه البلاد ، ووجدوا باب السعادة مفتوحاً على مصراعيه بين أيديهم اعتنقوا دين الإسلام أفواجاً حتى أمراؤهم وملوكهم[٢] مثل جي سنگهه بن داهر ، وتسموا بالأسماء العربية الإسلامية ، وأخذوا من الثقافة الإسلامية العربية بحظ وافر . وهكذا أصبحت اللغة العربية لغة الدين والعلم والثقافة بطبيعة الحال ، بل ولغة التخاطب في بعض مناطق الأرض المفتوحة ، فضلاً عن كونها لغة الكتابة والإدارة الحكومية في معظم مناطقها جنباً لجنب اللغة المحلية ، ففي أحسن التقاسيم للمقدسي الذي زار السند في عام ٣٧٥/٩٨٥ : « ديبل بحريّة قد أحاط بها نحو من مائة قرية . أكثرهم كفار .. كلهم تجّار كلامهم سندي وعربي[٣] وهكذا يشهد الاصطخري : « ولسان أهل المنصورة والملتان ونواحيها

(١) راجع الموضوع بالتفصيل في ججنامه (كلا الجيمين مثلث) ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٨ - ١٢٣

(٢) البلاذري ٤٢٩ (السعادة)، ججنامه ٢٠٨ و ٢٠٩

(٣) ص ٤٧٩

العربية والسندية » . ومما يدل على انتشار علم الحديث والفقه بوجه خاص قول المقدسي : « أكثرهم (أهل السند وما صاقبها من الهند) أصحاب حديث ، ورأيت القاضي أبا محمد المنصوري داود بها إماماً في مذهبه وله تدريس وتصانيف ، وقد صنف كتباً عديدة حسنة . ولا تخلو القصبات من فقهاء على مذهب أبي حنيفة[١] وله كتب جليلة حسنة كبار منها كتاب المصباح كبير وكتاب الهادي وكتاب النير »[٢] .

ب ـ العلماء الواردون أرض السند

وقد احتفظ التاريخ ببعض أسماء العلماء الأتقياء الذين وردوا أرض السند في عهد الحكم العربي ، ونبغوا في الإفادة والإفاضة متكفين في بيوتهم أو في المساجد التي كانت تقوم حينذاك مقام المعاهد العلمية والجامعات ، ومنهم[٣] :

١ ـ الفقيه موسى بن يعقوب الثقفي ، ولاه محمد بن القاسم القضاء والخطابة بالرور[٤] ، وبقي أولاده على القضاء إلى زمن طويل متلقبين بالصدر الإمام الأجل ، بدر الملة والدين ، سيف السنة ، ونجم الشريعة . ومن أعقابه المتأخرين الفقيه إسماعيل بن علي الثقفي السندي القاضي بمدينة الرور . وكان خطيباً مصقعاً وعالماً باهراً بالفنون الأدبية وتقياً نقياً . اجتمع به علي بن الحامد الكوفي السندي صاحب « جچ نامه » سنة ٦١٣/١٢١٦ ورأى

(١) أحسن التقاسيم ٤٨١
(٢) الفهرست (الرحمانية) ٣٠٦ و (الاستقامة) ٣٢٠
(٣) انظر التفصيل في إسحاق ٢١ — ٢٨
(٤) جچ نامه ٢٥٣

عنده أجزاء من تاريخ وغزوات المسلمين في السند وفتوحاتهم بها بالعربية ، كتبها آباء القاضي ، فنقلها علي بن الحامد الكوفي إلى الفارسية (١) .

٢ - والربيع بن صبيح السعدي من تلامذة الحسن البصري وشيوخ الثوري ووكيع(٢) . قيل إنه أول من صنف وبوّب بالبصرة (٣) . توفي سنة ١٦٠/٧٧٦ بأرض السند .

٣ - وعمرو بن مسلم الباهلي المتوفى حوالي ١٢٣ هـ / ٧٤٠ م من أبرز الأعلام الذين نحن بصددهم في هذا الباب ، ولاّه عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد على بلاد السند وما صاقبها من الفنجاب سنة ١٠٠ هـ ، وهو الذي دعا الملوك وعامة الناس إلى الإسلام بأمر الخليفة المذكور ، فقبله بعض الملوك وجمع من الناس(٤) ، كما أنه بذل أقصى جهوده في سبيل نشر القرآن والسنّة ، إذ كانت اللغة العربية لغة القرآن والسنة . والأحاديث نالت طبعاً مكانة مرموقة في قلوب المسلمين الجدد . وكان عمرو بن مسلم راوياً يروي عن يعلى بن عبيد ، ويروي عنه أبو الطاهر (٥) .

٤ - وإسرائيل بن موسى ، أبو موسى البصري نزيل السند . هو من أتباع التابعين ، يروي عن الحسن البصري (ف ١١٠ هـ / ٧٢٨ م) ومحمد بن

(١) جج نامه ٩ — ١١ ؛ ومقدمة ججج نامه ص « يز » ؛ النزهة ١/١٢٥

(٢) ابن سعد ٧/٢٧٧ ؛ الطبري ٣/٤٦٠ و ٤٧٦ — ٤٧٧ ؛ التهذيب ٣/٢٤٧ — ٢٤٨ ؛ الشذرات ١/٢٤٧ ؛ الأبجد ٨٨٩ . وانظر أقواله والأحاديث المروية عنه في حلية الأولياء ٦/٣٠٤ — ٣١٠

(٣) التقريب ١٥٥ ، كشف الظنون ١/٣٤ و ٦٣٧

(٤) البلاذري (السعادة) ٤٢٩ ؛ ايليت ١/٢٦

(٥) التهذيب ٨/١٠٥

سيرين (ف ١١٠/ ٧٢٨) وغيرهما من الرواة الثقات . ويروي عنه سفيان الثوري (ف ١٦١ /٧٧٨) وابن عيينة (ف ١٩٨ ﻫ) وغيرهما من الحفاظ الكبار . توفي حوالي سنة (١٥٥/٧٧١)[١] .

٥ - ويزيد بن أبي كبشة السكسكي الدمشقي . روى عن أبيه أبي كبشة ومروان بن الحكم ، وعنه أبو بشر وغيره . ذكره ابن حبان في الثقات،[٢] ولاّه سليمان بن عبد الملك السند ، لكنه مات بعد قدومه أرض السند بثمانية عشر يوماً في عام ٩٧/٧١٥ [٣].

ج - العلماء من أهل السند

ونسمع في هذا العصر أيضاً عن مراكز الثقافة وحلقات الدرس في السند كديبل والمنصورة ، تخرج منها علماء أنجبتهم أرض السند ، وقد كان لهم شأن عظيم في العالم الإسلامي[٤] كأمثال أبي جعفر محمد بن إبراهيم ابن عبـــد الله (ف ٣٢٢/ ٩٣٤) الذي سافر من ديبل إلى مكة ليتلقى الحديث[٥] ، وأبي العباس أحمد بن عبد الله الديبلي المتوفى في نيسابور سنة ٣٤٣/٩٥٤ ، وهو من الرحالة المتقدمين في طلب العلم[٦] ، وإبراهيم بن أبي

---

(١) الميزان ٩٧/١ ؛ التهذيب ٢٦١/١ ؛ التقريب ٣٩

(٢) التهذيب ٣٥٤/١١ - ٣٥٥ ؛ راجع أيضاً التقريب ٥٦١

(٣) البـــلاذري (النهضة) ٥٤٠/٣ ؛ (السعادة) ٤٢٨ ؛ الطبري ١٢٦٨ ؛ ابن الأثير ١٣٤/٤ ؛ الشذرات ٢٩٥/٢

(٤) انظر التفصيل في إسحاق ٢٨ - ٤٢

(٥) في البلدان ٤٩٥/٨ « جاور مكة روى عن أبي عبد الله سعيد بن عبدالرحمن المخزومي وحسين بن حسن المروزي » .

(٦) السمعاني الورقة ٢٣٦

جعفر محمد (ف ٣٤٥/٩٥٦) المتقدم ذكره[١] ، وأبي العباس أحمد بن محمد الداودي المنصوري قاضي المنصورة ، روى عنه الحاكم أبو عبد الله الحافظ في عام ٣٦٠/٩٧٠ عندما ارتحل إلى بخارا [٢] ثم رجع إلى المنصورة وأقام بها حلقة الدرس . وآخرين ذكرهم السمعاني ، منهم من حدث بمصر[٣] وما وراء النهر[٤] وبغداد[٥] وقام خطيباً وإماماً في جامع مدينة المنصور والحربية[٦] .

وأخيراً لا أدل على مكانة اللغة العربية كلغة رسمية إبان الحكم العربي

---

(١) البلدان ٨/٤٩٥ ؛ إسحاق ٣٢

(٢) السمعاني الورقة ٥٤٣ ؛ إسحاق ٣٨

(٣) مثل شعيب بن محمد بن أحمد الديبلي المتوفى حوالي عام ٤٠٠/١٠٠٩ « قدم مصر وحدث بها وقال أبو سعيد بن يونس كتبت عنه » . راجع السمعاني ٢٣٦

(٤) مثل أبي العباس محمد بن محمد بن الحسن المنصوري الهاشمي ، حدث بما وراء النهر ، حدث عن أبي بكر بن أبي داود السجستاني وأبي القاسم البغوي وأبي جعفر الطبري وجماعة سواهم ، روى عنه أبو سعد الإدريسي الحافظ . توفي سنة ٣٤٧ بفرغانة . السمعاني ٥٤٣

(٥) مثل خلف بن محمد الديبلي ، نزل بغداد وحدث بها عن علي بن موسى الديبلي . الخطيب ٨/٣٣٣

(٦) كأبي جعفر عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن عيسى المنصوري (ف ٣٥٠ هـ) ، « كان إمام جامع مدينة المنصور وكان ثقة ، وكأبي الفضل محمد ابن عبد العزيز بن العباس الهاشمي المنصوري (ف ٤٤٤ هـ) كان خطيب جامع الحربية (وهي محلة كبيرة ببغداد كما في معجم البلدان ٦/٢٣٧) وكان من أهل الخير والفضل والعلم .... روى عنه أبو بكر الخطيب الحافظ فقال : كتبت عنه وكان صدوقا » . انظر السمعاني ٥٤٣

من الكتابات التي اكتشفت منذ أعوام في بهمبور ، وهي بالخط الكوفي وترجع إلى القرن الثالث الهجري[١] .

ثالثاً ــ في مكانة اللغة العربية في العصر الغزنوي ومايليه من العصور

انتقل زمام الحكم إلى الغزنويين في آخر القرن الرابع الهجري ، وفي أيامهم أصبحت الفارسية (الملقحة بالعربية) لغة البلاط والإدارة . وإذ كان أهل غزنة ينطقون بالفارسية جعلت لغتهم تبرز في الآداب بالترجمة عن العربية خاصة في الشعر والتاريخ ، ولكن العربية ظلت لغة المثقفين ثقافة عليا ، وكان لابد منها للبحث العلمي ولطلب الرفعة في المجتمع والعلو في البلاط . وفي أيامهم غدت لاهور ـ عاصمة الدولة الغزنوية في الهند ـ مركزاً عظيماً للآداب العربية والعلوم الدينية . فليس من الغريب ألا نجد أحداً من أعيان البلاط الغزنوي يجهل العربية ، حتى الشعراء الذين نظموا القصائد بالفارسية والذين ألفوا الكتب بها ، كانوا مثالاً ونموذجاً للجمع بين اللغتين كأبي العلاء عطاء بن يعقوب الغزنوي (ف ٤٩١)[٢] الكاتب الذي قضى من عمره ثماني سنين في الأسر بلاهور ، وله ديوان شعر بالعربية وديوان آخر بالفارسية ومن شعره بالعربية :

---

(١) الكتابات في متحف كراتشي ، راجع الموضوع بالتفصيل في Pak. Archaeology) العدد ٣ ، ١٩٦٢ (الألواح بأرقام ٢٥ ، ٢٦ الف و ٢٦ ب و ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ الف و ٣٢ ب ، و٣٥ و ٣٦)

(٢) ترجمته في معجم الأدباء لياقوت ١٢/١٧٠ – ١٧٢ ، ونموذج من نثره ١٧٢ – ١٧٧ ، و نموذج من شعره ١٧٧ – ١٨١ ، راجع أيضاً النزهة ١/٨٤ – ٨٦

اللهُ جـــار عصابة ودّعتهم والدّمع يهمي والفؤاد يهـــيم
قد كان دهري جنـــة في ظلهم ساروا فأضحى الدهر وهو جحيم
كانوا غيوث سماحةٍ وتكرمٍ فاليوم بعدهُمُ الجفونُ غيـــوم
رحلوا على رغمي ولكنْ حبّهم بين الفـــؤاد المستهام مقيم
قد خانَهم صرفُ الزمان لأنّهم كانوا كِراماً والزمانُ لئيمُ
اللهُ ــ حيثُ تحملوا ــ جار لهم والأمنُ دارٌ والسرورُ نديمُ
والعيشُ غضٌّ والمناهِلُ عَذْبَةٌ والجوُّ طلقٌ والرياحُ نسيمُ(١)

كذلك مسعود بن سعد بن سلمان اللاهوري(٢) ولاّه محمود بن إبراهيم الغزنوي الأعمال الجلية بعدما برز في كثير من العلوم والفنون . وله ثلاثة دواوين في اللغات الثلاث : العربية والفارسية والهندية ، ومن سوء الحظ أن ديوانه العربي قد طارت به العنقاء للأبد(٣) ، ويكفي دلالة على فضله في جودة كلامه وانسجام بيانه ما أورده من أبياته رشيد الدين الوطواط في حدائق السحر يستشهد بها في براعة المطلع والتورية وغيرهما .

---

(١) الأدباء ١٢/١٨٠ – ١٨١

(٢) توفي إما في ٥١٥/١١٢١ أو ٥٢٥/١١٣١ ، انظر براون ٢/٣٢٦ دائرة المعارف الإسلامية (Mas'ud)

(٣) المصادر : السبحة (سبحة المرجـان) ٢٦ ــ ٢٨ ؛ الأبجد = أبجد العلوم لصدّيق حسن خان ٨٩٠ ؛ تذكرة ٢٢٦ ؛ النزهة ١١٤ - ١١٦ ؛ ترجمته وردت أيضاً في لباب الألباب ٢٤٦ ؛ دولت شاه ٣٩ ؛ براون ٢/٣٢٤ — ٣٢٦ ؛ دائرة المعارف (Mas'ud)

ومن أبيـاته :

وليلٍ كأنَّ الشّمسَ ضلّتْ مَمَرَّها — وليس لها نحوَ المشارقِ مرجِعُ
نظرتُ إليه والظَّـــلامُ كأنَّهُ — على العَيْنِ غِربانٌ من الجوِّ وُقَّع
فقلتُ لِقلبي طال ليلي وليس لي — من الهمّ مَنْجاةٌ وفي الصّبرِ مَفْزَعُ
أرَى ذَنَبَ السِّرحانِ في الجوّ طالعاً — فهل ممكنٌ أنَ الغزالةَ تطلع

ومنهم أبو النصر محمد العتبي صاحب « التاريخ اليميني »(١) ، وهو مؤرخ موثوق به في معرفة أخبار الدولة الغزنوية . توفي سنة ١٠٣٦/٤٢٧ .

ومن الفقهاء الزهاد الذين كانوا ذوي لغتين ، بارعين فيهما معاً : علي ابن عثمان الهجويري صاحب كشف المحجوب المعروف « داتا گنج » توفي سنة ١٠٧٢/٤٦٥ — ٧٣ بلاهور ، وقبره يزار ويتبرك به إلى الآن (٢) .

أما غرة جبين الدولة الغزنوية فهو أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني ، لم يكن له نظير في عصره في الجمع بأشتات من العلوم الشائعة في الدول الإسلامية بالإضافة إلى حكمة الهنود وما إليها . صنّف كتباً كثيرة في فنون شتى ، كلها باللغة العربية . كما أنه أوضح مكانة اللغة العربية في العلم والثقافة في ذلك العصر بقوله :

---

(١) قد طبع في دهلي بعناية سبرنگر .

(٢) ترجمته : فوائد الفؤاد ٤٥ ، خزينة الأصفياء ٢٣٢/٢ — ٢٣٥ ، تذكرة ٥٩ ، النزهة ٨٢/١ — ٨٦ ، صوفية ١ – ٣٤ ، وفي فوائد الفؤاد : « انه كان يقول الشعر بالعربية » .

«إن كل أمة تستحلي لغتها التي ألفتها واعتادتها ، واستعملتها في مآربها ... وأنا نفسي قد طُبعتُ على لغة (يريد بها لغته الأصلية الخوارزمية) لو خلد بها علمٌ لاستغرب استغراب البعير على الميزاب ، والزرافة في الأكواب ، ثم انتقلتُ إلى العربية والفارسية ، وأنا في كل واحدة دخيل ولها متكلف ، والهجو بالعربية أحب إلي من المدح بالفارسية ، وسيعرف مصداق قولي من تأمل كتابَ علمٍ نقل إلى الفارسي كيف ذهب رونقه ، وكسف باله ، واسودّ وَجْهه ، وزال الانتفاع به ، إذ لاتصلح هذه اللغة إلا للأخبار الكسروية والأسمار الليلية»[1] .

وله قصائد غراء باللغة العربية ، ومن قصيدة له أوردها ياقوت الحموي في معجم الأدباء[2] :

ولما مضَوْا واعتضتُ منهم عصابةً دعَوْا بالتناسي فاغتنمت التناسيا
وخُلّفتُ في غزنين لحماً كمضغةٍ على وَضَمٍ للطير للعلم ناسيا
فابدلت أقواماً وليسوا كمثلهم معاذ إلهي أن يكونوا سَواسيا

وقد كان السلطان محمود الغزنوي (٣٨٩ - ٩٩٩/٤٢١ - ١٠٣٠) نفسه من أعيان الفقهاء في عصره . وله «التفريد في الفروع» في الفقه ، ذكره

(١) ظهر الإسلام ١/٩ - ٢٨٨ ، عن قطعة نقلها الأستاذ كرنكو عن كتاب الجماهر في معرفة الجواهر - في مجلة (Islamic Culture) ٦/٥٣٠

(٢) ١٨٦/١٧ - ١٨٨ ، راجع أيضاً ٩٣/٤ - ٩٤

الچلبي وقال نقلاً عن الإمام ابن شيبة :« وكتابه هذا مشهور في بلاد غزنة ، وهو في غاية الجودة وكثرة المسائل »(١) .

كفى بهذا دليلاً على أن اللغة العربية لم تزل كما كانت لغة العلم والثقافة مع استعمال اللغة الفارسية في التخاطب وبعض الأغراض الأدبية .

وخلفت الغزنويين دولةُ الأسرة الغورية في عام ٥٨٢/١١٨٦ وحكمت في الهند إلى عام ٦٠٢/١٢٠٥ ، وجعل الغوريون دلهي عاصمتهم ، فانتقلت العلوم العربية الأصيلة والآداب الفارسية التابعة لها من لاهور إلى العاصمة الجديدة . وفي أيامهم غدت الفارسية لغة رسمية للحكم والإدارة ، إلا أنهـا لم تزحزح العربية قط عن مكانة الرفعة والشرف التي تمتعت بهـا (ولا تزال تتمتع بها باستمرار في الدراسة الأكاديمية بين الشعوب الإسلامية) فإنها بقيت لغة العلوم الدينية مثل الحديث والتفسير والفقه والأصول ، والعلوم الأخرى مثل الطب والهندسة والهيئة والرياضي والفلسفة والمنطق وغير ذلك ، فلم يكن أحد لينال براعـــة في العلم أو حظوة عنـد الأمراء إلا إذا كان مثقفاً ثقـافة عربيـة .

وفي أيام المماليك (٦٠٢ - ٦٨٨/١٢٠٦ - ١٢٩٠) وعلى رأسهم قطب الدين (٦٠٢ - ٦٠٧/١٢٠٦ - ١٢١١) مملوك محمد الغوري الذي تولى الملك بعده ، نسمع لأول مرة عن مدارس منتظمة ومعاهد حكومية تحت رعاية السلطان ، بل يرجع تأسيس أول معهد من هـذا النوع إلى شهاب الدين محمد الغوري مؤسس الدولة الغورية في جمير وذلك بعدما احتل چتور ، ولكن امتازت بالشهرة المدرستان المعزية والناصرية بدار الملك دلهي(٢) ، وعين فيها

(١) كشف الظنون ٤٢٦/١ (مطبعة وكالة المعارف ١٩٤١)
(٢) طبقات ناصري ١٨٨ — ١٨٩

وفي المعاهد الأخرى أبرز المدرسين من الهند وخارجها من خراسان وما وراء النهر الذين لهم شهرة ونبوغ في الفقه والأصول والعربية ، لأن هذه العلوم حظيت باهتمام بالغ من قبل الملوك . أما التفسير والحديث فلم يكن يهتم حينذاك بها إلا قليلا[١] .

وكفى دليلا على مكانة اللغة العربية الفائقة بنبوغ جماعة من علماء الأصول والعربية في هذا العصر . منهم برهان الدين محمود البلخي (ت ٦٨٧ ﻫ) أحد كبار العلماء في عصر السلطان غياث الدين بلبن[٢] ،والشيخ رضيّ الدين الحسن بن محمد الصغاني المولود بلاهور سنة ٥٧٧ / ١١٨٠ — ١١٨١[٣] في أيام خسرو ملك الغزنوي . رحل إلى غزنة فدرس بها وأفاد

(١) الثقافة ١١ — ١٢

(٢) أخبار الأخيار ٤٥ — ٤٦ ؛ خزينة الأصفياء ١/٣١٤ — ٣١٥

(٣) وردت ترجمته وأسماء مؤلفاته في الأدباء ٩ / ١٨٩ — ١٩١ (دار المأمون) ، فوائد الفؤاد ١٠٣ - ١٠٥ ، فوات الوفيات ١/٢٦١ ، الجواهر المضيئة ١/٢٠١ — ٢٠٢ ، بغية الوعاة ٢٢٧ ، مفتاح السعادة ١/٩٨ — ٩٩ ، كشف الظنون ٢/١١٢٢ و ١٧٠٥ ، السبحة ٢٨ — ٢٩ ، الفوائد البهية ٢٩ — ٣٠ ، إتحاف النبلاء ٢٤٣ — ٢٤٤ ، الأبجد ٨٩ — ٨٩١ ، حدائق ٢٥٣ — ٢٥٥ ، تذكرة ٤٨ ، جرجي زيدان ٣/٤٩ ، النزهة ١/ ١٣٧ — ١٤١ ، معارف ج ٦٠ العدد ٥ و ٦ (نوفمبر وديسمبر ١٩٤٧) ، بزم مملوكية ٢٩ — ٣٤

ومما يجدر بالملاحظة هنا أن الشيخ نظام الدين أولياء قد قال : إن الصغاني من بدايون كما في فوائد الفؤاد ص ١٠٣ : « اواز بداون بود » فمن هنا ذهب السيد الهاشمي فريدآبادي إلى أنه لم يولد في لاهور بل ولد ونشأ في بدايون بالإقليم الشمالي . انظر تاريخ هند ٢/٢٦٢ ، تاريخ مسلمانان ١/٢٤٢ ؛ راجع أيضاً بزم مملوكية ٣٣ — ٣٤

ثم حج وزار ، ثم توجه إلى بغداد وأقام بها برهة من الزمان . وأرسل برسالة إلى الهند من الخلافة العباسية سنة ٦١٧ هـ ، ورجع إلى بغداد سنة ١٢٢٦/٦٢٤ ، ثم عاد إلى الهند في أيام رضية بنت الالتمش ملكة الهند رسولاً من قبل المستنصر بالله الخليفة العباسي ، ورجع إلى بغداد في ٦٣٧/ ١٢٣٨ - ٣٩ ، وقد أثنى على فضله ونبله غير واحد من الفضلاء الباحثين . قال السيوطي : « إنه كان حامل لواء اللغة »[1] ، وقال الذهبي : « إنه كان إليه المنتهى في اللغة » [2] ، وقال الدمياطي : « إنه كان إماماً في اللغة والفقه والحديث »[3] .

الصغاني فيما نعلم أول من ألف كتباً في اللغة[4] والسير[5] في القارة الهندية الباكستانية ، و« مشارق الأنوار » محاولة أولية في تدوين الحديث في هذه النواحي ، توفي هذا المحدث الوحيد واللغوي الفريد عام ٦٥٠ / ١٢٥٢ ببغداد [6] .

ومن كبار الأساتذة بدلهي الشيخ العلامة أبو بكر بن يوسف أفاد وأفاض مدة مديدة بدهلي ، وكان بلبن يكرمه نهاية الإكرام ويحظى

---

(١) بغية الوعاة ٢٢٧ (٢) المصدر السابق .

(٣) فوات الوفيات ٢٦١/١ ، مفتاح السعادة ٩٨/١

(٤) زبيد ٤٥٢

(٥) لم يورد زبيد اسمه في فصل التاريخ والسير ولكنه ذكر كتابه « در السحابة في بيان مواضع وفيات الصحابة » في فصل آداب الحديث ص ٢٩٢ ، وهو أول كتاب في الموضوع بالهند .

(٦) في المصادر السابقة ودول الإسلام ١٢٠/٢ (« القنعاني » بدل الصغاني مصحفاً) .

بصحبته[١] ، وشمس الدين الخوارزمي أحد العلماء المشهورين في العلوم العربية ، ولاّه السلطان بلبن الصدارة بدهلي ولقبه « شمس الملك » وكان يدرّس أيضاً . أخذ عنه الثقافة العربية خلق كثير من العلماء والمشايخ ، منهم الشيخ نظام الدين البدايوني المعروف بـ « أولياء » ، فإنه قـــرأ عليه مقامات الحريري وحفظ منها أربعين مقامة[٢] . وسنذكر الشيخ نظام الدين أولياء وغيره من الأعلام الذين أنجبتهم أرض « يوپى » في حديث آخر .

ومنهم الشيخ إسحاق بن علي البخاري (ف ٦٩٠/١٢٩٠) ، ولد ونشأ بدهلي ، وقرأ العلم على أبيه منهاج الدين علي البخاري اللاهوري ، ثم عين مدرساً في المدرسة المعزية بدهلي . كان فقيهاً ، زاهداً ، شاعراً ، متفنناً في العلوم ومقدماً في المعارف . من آثاره منظومة عربية في التصريف .

وسراج الدين محمد بن منهاج الدين عثمان الجوزجاني اللاهوري العالم البارع في العلوم العربية ، ولاّه السلطان شهاب الدين الغوري قضاء العسكر بلاهور سنة ٥٨٣ هـ . وبعثه السلطان بلبن سفيراً إلى بغداد في بلاط الناصر لدين الله العباسي[٣] ، وولده أبو عمر منهاج الدين عثمان بن سراج الدين محمد الجوزجاني صاحب « طبقات ناصري » أيضاً ، كان عالماً بالعربية ومبرزاً في الفقه والأصول والسير والتاريخ . عيّنه ناصرالدين قباچه (٦٠٧-٦٢٥/ ١٢١٠ - ١٢٢٨) مدرساً بالمدرسة الفيروزية ، وولاّه شمس الدين ايلتمش القضاء والخطابة والاحتساب ، وغير ذلك من الأمور الشرعية سنة ٦٣٠ هـ[٤]

---

(١) النزهة ١٢١/١

(٢) أخبار الأخيار ٥٤ و ٧٧ - ٧٨ ، النزهة ١٦٦/١

(٣) النزهة ١١٠/١ — ١١١ ، طبقات ناصري ٣٣

(٤) طبقات ناصري ٨٦

وتولى أوقاف المدرسة الناصرية بدهلي سنة ٦٤٣ هـ[١] .

وفي عام ٦٨٨ / ١٢٩٠ قبض جلال الدين فيروز على ناصية الحكم [٢] ، وحكمت أسرته الخلجية إلى ٧٢٠ / ١٣٢٠ ، وظلت العربية وآدابها زاهرة . وفي عهد علاء الدين الخلجي (٦٩٥[٣] - ٧١٦ / ١٢٩٦ - ١٣١٦) كانت العاصمة دهلي حافلة بصفوة من الأساتذة الكبار الذين يقول فيهم البرني في تاريخه « فيروز شاهي » : إن كل أحد منهم كان وحيد العصر في جميع الفنون من المنقولات والمعقولات ، ولم يكن لأحد منهم في ذلك العصر نظير في العالم كله ، وبعضهم يداني الغزالي والرازي في مبلغ العلم[٤] . فمن أولئك الأفاضل المشار إليهم : ظهير الدين البهكري أستاذ الشيخ شمس الدين يحيى الأودهي

---

(١) المرجع السابق ١٠٨

(٢) طبقات أكبري ١١٧ ونصه : « درأوائل سنة ثمان وثمانين وستمائة برتخت سلطنت جلوس نمود» ، دائرة المعارف الإسلامية « Firùz Shah khildji » .

(٣) في طبقات أكبري ١٣٨ . درسنة خمس وتسعين وستمائة برتخت دهلي جلوس نموده . . . ؛ دائرة المعارف الإسلامية (khaldjī) .

(٤) البرني ٣٥٢ - ٣٥٣ ، أما قوله بنصه فهو :

« ودرتمامي عصر علائي (أي عـلاء الدين الخلجي) در دار الملك دهلي علماي بود ندكه آنجنان استادان كه هريكي علامة وقت ودر سمرقند وبغداد ومصر وخوارزم ودمشق وتبريز وسفاهان وري وروم ودر ربع مسكون نه باشند، ودرهر علمي كه فرض كنند از منقولات ومعقولات وتفسير وفقه وأصول فقه (لعل البرني لم يعدّ الحديث من العلوم من أجل أن العلمـاء في ذلك العصر لم يهتموا به بل صرفوا النظر عنه بتة) ومعقولات وأصول دين ونحو ولفظ ولغة ومعاني وبديع وبيان وكلام ومنطق ، موئى مى شكافتند وهر سالى جندين=

(ف ١٣٤٦/٧٤٧)[١] . قال فيه صاحب النزهة : « لم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والفقه والأصول »[٢] ، وفخر الدين الناقلي الدهلوي ، كان يدرس بدهلي ثم ولاه السلطان جـــلال الدين فيروز الخلجي الصدارة ، ومـولانا فخرالدين الهانسوي من الأساتذة المشهورين في عصره [٣] . ومن مؤلفاته دستور الحقائق .

أما أشهرهم فهو خسرو بن سيف الدين الدهلوي (ف ١٣٢٤/٧٢٥-٢٥)[٤] يقول فيه صاحب النزهة المؤرخ الكبير في تاريخ ثقافة الهند :

= طالبان علم از آن استادان سر آمده بدرجة افادت مى رسيدند ومستحق جواب دادن فتوى مى شدند ، وبعضى ازآن استادان در فنون علم وكمـالات علوم بدرجة غزالي ورازي رسيده بودند . . » ، انظر أيضاً تاريخ فرشته ١ / ٢١٢ — ٢١٣

(١) في شأن الأودهي هذا قال الشيخ نصير الدين محمود الملقب بـ « سراج دهلي » :

سألت العلم من أحياك حقا فقال العلم : شمس‌الدين يحيى

انظر أخبار الأخيار ٩٧ ، السبحة ٢٩ ، مآثر الكرام ١٨٢ ، تذكرة ٨٦

(٢) النزهة ٦٦/٢

(٣) قد أورد البرني أسماء ٤٦ أستاذاً عالماً بالعربية في تاريخه فيروز شاهي ٢٥٣ — ٢٥٤ ، وعنه نقله فرشته إلى تاريخه ١ /٢١٣ ، انظر أيضاً طبقات أكبري ١٦٨

(٤) ترجمته وردت في البرني ٣٥٩ ، فرشته ١٣٧/١ و ٧٥٣/٢ - ٧٥٧ ، منتخب التواريخ ٩٤/١ و ٢٠٠ — ٢٠١ ، أخبار الأخيار ٩٩ — ١٠١ ، نفحات الأنس ٦٠٩ — ٦١٠ ، تذكرة ٥٧ ، النزهة ٢ / ٣٨ — ٤١ ، أمير خسرو ، دائرة المعارف الإسلامية (khusrū) .

« أشهر مشاهير الشعراء في الهند ، لم يكن له نظير في العلم والمعرفة والشعر والموسيقى وفنون أخرى قبله ولا بعده ... ونشأ بدار الملك وتنبل في أيام السلطان غياث الدين بلبن ، ولم يزل ملازماً للجد والاجتهاد في التحصيل والتضلع في العلوم حتى بلغ الغاية ، وتفرد بالشعر والبلاغة وغيرها من العلوم ... اخترع أنواعاً من البديع ، منها أبو قلمون ... ومنها ذو الوجهين وهـو أن يرتب المتكلم كلاماً يصح معناه بالعربية والفارسية بالتصحيف والتحريف ، ومنها قلب اللسانين وهو أن يرتب المتكلم كلاماً عربياً يكون إذا قلب كلاماً فارسياً ، أو كلاماً فارسياً إذا قلب يكون كلاما عربياً .. » .

إنما عرف خسرو كشاعر بالفارسية والهندية ، إلا أنه من الظلم حقاً أن ينسى أو يتناسى الناس ولاءه للعلوم العربية . فإنه كان مديناً في كل ما قاله بالفارسية أوجـله للثقافة العربية ، وكان ينظم بالعربية أيضاً . ومن شعره قوله :

ذاب الفؤادُ وسال من عيني الدمُ وحكى الدوامعُ كلَّ ما أنا أكتمُ
وإذا أبحتُ لدى الورى كرب النوى تبكي الأحبة والأعادي ترحمُ
يا عاذل العشاق دعني باكياً إنّ السكون على المحب محرّمُ
من بات مثلي فهو يدري حالتي طولَ الليالي كيف بات متيّمُ

ثم أفضت الدولة إلى غياث الدين تغلق سنة ١٣٢٠/٧٢٠ ، وتوالت ملوك أسرته إلى ١٤١٤/٨١٧ ، وأشهرهم محمد تغلق (٧٢٥ - ١٣٢٤/٧٥٢ - ١٣٥١) وهو الذي بسط الحكم الإسلامي على معظم الهند ، وكان له الفضل الكبير في نشاط الحركة العلمية العربية . وهو نفسه كما يقول القاضي الشوكاني

في البدر الطالع : « كان جواداً متواضعاً ، عالماً بفقه الحنفية ، مشاركاً في الحكمة »[١].

« كان يكتب بالفارسية والعربية على حد سواء . فهو أكبر شهادة على الاهتمام البالغ بالثقافة العربية في عصره . كذلك يشهد فرشته في تاريخه[٢] بحذقه في إنشاء الرسائل بالعربية والفارسية :

« در تقرير فصيح وشيرين كلام وبي نظير بود ؛ ومكاتبات ومراسلات فارسي وعربي بربديهه چنان نوشتي كه دبيران ومنشيان دران حيران ماندندي » .

وعاصمته دهلي كانت حافلة بالمدارس، ففي صبح الأعشى[٣]:

« قال الشيخ مبارك : وفيها ألف مدرسة ، منها مدرسة واحدة للشافعية وباقيها للحنفية » .

ونبغ في تلك الأيام كثير من رجال العلم، منهم :

عالم بن العلاء الأندربتي . كان بارعاً في اللغة العربية ، ومبرزاً في الفقه والأصول . هو الذي صنف الفتاوى التاتارخانية ، جمع فيه مسائل المحيط البرهاني والذخيرة ، والخانية ، والظهيرية[٤] . قد طبع واشتهر في العالم حتى غني عن البيان ، صنّفه سنة ٧٧٧ هـ بأمر الخان الأعظم تاتارخان فسماه باسمه[٥] .

(١) البدر الطالع ١٨٠/٢ (٢) فرشته ٢٣٦/١ — ٢٣٧

(٣) ٦٩/٥

(٤) كشف الظنون ٢٦٨/١

(٥) في كشف الظنون ٢٦٨/١ : « وذكر أنه أشار إلى جمعه الخان الأعظم تاتارخان ، ولم يسم ، ولذلك اشتهر به ، وقيل إنه سماه زاد المسافر . »

لخصه إبراهـــيم الحلبي (ف ٩٥٦/ ١٥٤٩)[١] . وكان فيروز شـاه تغلق (٧٥٢ - ٧٩٠/١٣٥١ - ١٣٨٨) يريد منه أن يسمي الكتاب باسمه ولكنه أبى ذلك من أجل أنه ألفه بإشارة الخان الأعظم واعتنائه ، والخان كان ركناً من أركان السلطنة في عهد السلطان غياث الدين تغلق والسلطان محمد تغلق . وصنف بالعربية كتاباً في التفسير سماه « التاتارخاني »[٢] » ولكن جرّ الزمان عليه ذيل النسيان .

والشيخ عبد الله بن محمد الدهلوي (ف ٧٧٩ ﻫ) ، المعروف بنقره كار . له « العباب شرح اللباب » في النحو ، صنفه سنة ٧٣٥ لمحمد تغلق . ومن مؤلفاته « شرح تنقيح الأصول » لصدر الشريعة عبد الله بن مسعود المحبوبي[٣] .

والقاضي ضياء الدين البرني (ف ٧٦٠/١٣٥٩)[٤] أحد مشاهير فضلاء شبه القارة ،وأعرفهم بالتاريخ وسياسة المدن . كان متقناً للعربية ومتضلعاً من الفقه ، مع أنه ألف « تاريخ فيروز شاهي » بالفارسية .

وأخيراً القاضي عبد المقتدر الكندي التهانيسري ثم الدهلوي (ف

---

(١) في المرجع نفسه : « ثم إن الإمـام إبراهيم بن محمـــد الحلبي المتوفى سنة ست وخمسين وتسعمائة لخصه في مجلد واحد ، وانتخب منه ما هو غريب أو كثير الوقوع وليس في الكتب المتداولة » .

(٢) عفيف ص ٣٩٢

(٣) النزهة ٢/٦٩ - ٧٠ ، كشف الظنون ٢/ ١٥٤٤ ، ولكن فيه أن المترجم له توفي سنة ٧٧٦

(٤) ترجمته وردت في أخبار الأخيار ١٠٣ - ١٠٥ ، تذكرة ٩٧ ، النزهة ٢ : ٦٤ ، Barani's History ص ١ - ٢٤

١٣٨٨/٧٩١) الذي هو بدون شك مقدم من حيث مكانته في العلم والأدب[١]، بل لم تنجب شبه القارة الهندية الباكستانية في عصورها بأسرها شاعراً أشعر منه ، فإن كل شاعر فيها يشوب كلامه شائبة العجمة ، أما القاضي عبد المقتدر فهو رائع النظم ، ينظم الشعر على منوال فحول الشعراء العرب . فكلامه حقيق بأن ينـال مكاناً رفيعاً بجوار كلام الشعراء العـرب كما هو رأي السيد سليمان الندوي[٢] .

ولد القاضي ببلدة تها نيسر ونشأ وترعرع بدهلي عاصمة الملك ، وأخذ شتى علوم الدين والعربية عن جهابذة من العلماء بدهلي ، منهم الشيخ نصير الدين محمود الأودهي (ف ٧٥٧ / ١٣٥٦) ولكنه برز في الأدب والإنشاء ، وقرض الشعر . وسرعان ما أصبح المرجع والمقصد للطلاب . تتلمذ عليه القاضي شهاب الدين الدولة آبادي الذي عرف بلقب « ملك العلماء » (ف ٨٤٩ / ١٤٤٥) ، وأبو الفتح الكندي (ف ٨٥٨/١٤٥٤) حفيد المترجم له ، اشتهر بلاميته التي يستهلها بقوله[٣] :

يا سائق الظعن في الأسحار والأُصل
سلم على دارِ سلمىٰ وابك[٤] ثم سـلِ

(١) أخبار الأخيار ١٦٠ — ١٦١ ، السبحة ٢٩ — ٣٦ ، مآثر الكرام ١٨٣ — ١٨٤ ، الأبجد ٨٩٢ ، قضاء الأرب ١٩٥ ، حدائق ٢٩٩ — ٣٠٠ ، تذكرة ١٣٣ – ١٣٤ ، النزهة ٢/٧٠ – ٧٦ ، زبيد ٢٠٦ – ٢٠٧

(٢) معارف ج ٣٩ ، العدد ٦ ص ٤٠٨

(٣) انظر القصيدة في السبحة ٣٠ – ٣١ ، النزهة ٢/٧١ — ٧٦ ، الثقافة ٤٤ ، ثقافة الهند سبتمبر ١٩٥٠ — ص ٣ – ٩

(٤) في ثقافة الهند « فابك » مكان « وابك » .

عن الظبــاء التي من دأبها أبـداً صيدُ الأسود بحسن الدلّ والنَّجَلِ
وعن ملوكٍ كرام قد مضَوا قِدَداً حتى يجيبَك عنهم شاهد الطللِ
أضحت، إذا بعدت عنها كواعبها أطلالُها مثلَ أجفان بلا مقلِ
فدى فؤاديَ أعرابيّة سكنت بيتاً من القلب معموراً بلا حِوَلِ

جميل أحمد
القسم العربي بجامعة كراتشي (باكستان)

* * *

بوادر شرح الشعر

الدكتور فخر الدين قباوة

كان للبيئة المحدودة التي نشأ فيها الشعر الجاهلي وترعرع ، ولتشابه الثقافة والتفكير والتعبير في أصقاع الجزيرة العربية آنذاك ، ولصفاء القريحة العربية ، وحِدَّة البديهة الفطرية ، أن تلقّى عرب الجاهلية شعرهم بالرواية صافياً سائغاً ، يفهمون مراميه وإيحاءاته وظلاله ، دون حاجة إلى صُوى مصطنعة ، تفسر غريباً ، أو توضح غامضاً ، أو تشرح ملتبساً . هذا إذا كانت المفردات دقيقة الدلالة ، والملابسات الاجتماعية والفنيـة للشعر أو لتجارب الشاعر معروفة لدى الجمهور ، لا تحدّهـا بيئة محليّة ، أو خبرة ذاتية . فإذا كان في تلك المفردات أو الملابسات ما هو وليد حدث محلي ، أو تجربة خاصة افتقرت بعض أجزاء الشعر إلى معالم ، توجّه معانيها ، وتفتح مغلقها ، وتوضح ما رمى إليه الشاعر .

فعبَيد راوية الأعشى مثلًا يستوقفه قول الأعشى :

ومُدامةٍ ممّا تُعتّقُ بابلٌ كدَمِ الذّبيحِ ، سَلَبْتُها جِرْيالها

ويستغلق عليه معنى « سلبتها جريالها » ، فيعود إلى الشاعر نفسه ،

يسأله التفسير ، قال ابن قتيبة (١) : « حدثني الرياشي عن مؤرج عن شعبة عن سماك عن عبيد راوية الأعشى قال : قلت للأعشى : ماذا أردتَ بقولك :

ومُدامةٍ مِمّا تُعتِّقُ بابلٌ كَدَمِ الذَّبيحِ ، سَلَبْتُها جِرْيالَها

قال : شربتُها حمراءَ ، وبُلْتُها بيضاءَ » .

إن بيت الأعشى لم يكن فيه كلمة غريبة على عبيد . إنما الغريب عليه حقاً هو التركيب الفنيّ ، الذي صوّر فيه الأعشى تجربة ذاتية ، أعني ذلك التعبير الخيالي الذي يستمد قوته ووضوحه من الخبرة والتجربة أكثر مما يستمدها من معاني المفردات .

وهاك مثالاً آخر من هذا القبيل : كان عديّ بن أبي الزغباء يقاتل المشركين في يوم بدرٍ وهو ينشد :

أنا عَدِيٌّ ، والسَّحْلْ أمشي بها مَشْيَ الفَحْلْ

فبلغ الرسولَ ﷺ بيته هذا ، فجمع المسلمين بعد النصر ، ونادى : مَنْ عديٌّ ؟ فقال عديّ بن أبي الزغباء : أنا ، يا رسول الله ، عديٌّ . فقال : وما السَّحلُ ؟ قال : الدّرع . فقال النبي عليه السلام : نِعْمَ العديُّ عديّ بن أبي الزّغباء (٢) .

وثمة روايات أخرى ، تعرض نماذج من تفسير الشعر القديم . ولعل أقدمها ما نُسب إلى سلمى بنت مهلهل . فقد روي (٣) أن بكراً وتغلب

(١) الشعر والشعراء ص ٢١٥ – ٢١٦ ، وانظر المعرب ص ١٥١ ، واللسان ١٣ : ١١٤

(٢) مغازي رسول الله ص ٦٠ ، وشرح نهج البلاغة ٣ : ٣٣٥

(٣) السمط ص ٢٦ – ٢٧ ، وكتاب البسوس ص ١١٦ ، والخزانة ١ : ٣٠٤ ، وانظر طبقات الشافعية ١ : ١٤٦

لما سئمت حرب البسوس اتخذ مهلهل عبدين يغير بهما على بني بكر . ثم سئم العبدان ذلك الصنيع ، وأجمعا على قتل سيدهما . فلما تيقّن مهلهل أنهما قاتلاه قال : إن كنتما ، لا بدّ ، فاعلَين فأبلغا الحيّ وصيّتي . ثم أنشأ يقول :

مَن مُبلِغٌ الأحياءَ أنّ مُهلهِلاً ... للهِ درّكُمُ ، ودرُّ أبيكُمُ

فقتلاه . ثم رجعا إلى الحيّ ، فقالا : إنّ مهلهلاً مات ، ودفنّاه بموضع كذا . قالوا : فهل وصّى بشيء ؟ قالا : نعم ، وأنشدا البيت . فلم يدر القوم ما معنى ذلك ، حتى أتت ابنته ، وكانت غائبة عند زوجها في بعض الأحياء ، فأنشدوها ما قال أبوها ، فقالت : إن أبي يخبركم أن العبدين قتلاه . ثم قالت : إنما أراد :

مَن مبلغٌ الأحياءِ أنّ مُهلهِلاً ... أمسى صَريعاً، في الضَّريحِ ، مُجدَّلا
للهِ درّكُمُ ، ودرُّ أبيكُمُ ... لا يَبرَحِ العَبدانِ ، حتى يُقتلا

وسأل عمرو الجنّبي امرأ القيس عن قول الأزدي :

عَجِبتُ لمولودٍ ، وليسَ لهُ أبٌ ... وذي ولَدٍ ، لم يَلْدَهُ أبوانِ

فقال : أراد بالأول عيسى بنَ مريم ، وبالثاني آدمَ أبا البشر[١] .

وسئل رؤبة عن قول امرىء القيس[٢] :

نَطْعَنُهمْ ، سُلْكَى ومَخلُوجةً ... كَرَّكَ لأمَيْنِ ، على نابلِ

فقال : حدثني أبي عن أبيه قال : حدثتني عمّتي — وكانت في بني

(١) الخزانة ١ : ٣٩٨ ، ونسب بعضهم البيت إلى عمرو الجنبي .
(٢) التنبيهات ص ٨٨ — ٨٩

دارم — قالت : سألتُ امرأ القيس وهو يشرب مع علقمة بن عبدة : ما معنى قولك « كَرّكَ لأمين على نابل » ؟ فقال : مررتُ بنابلٍ ، وصاحبُه يناوله الريش ، لُؤاماً وظُهاراً . فما رأيتُ أسرعَ منه ولا أحسنَ ، فشبّهتُ به .

وقال أبو عبيد البكري [1] : أذرُع : تُضاف ، فيقال : أذرع أكبادٍ . وهي ضِلَع سوداء من جبل يقال له : أكباد . كذلك فسَّرتْ أمُّ شَريكٍ بيتَ أبيها تميم بن أُبيّ بن مقبل :

أمسَتْ بأذرُعِ أكبادٍ ،فحَمَّ لها ركْبٌ بلِينةَ ،أو رَكبٌ بساوينا

ومن خلال هذه النماذج تتّضح لنا الخيوط الأولى لتفسير الشعر منذ القديم . فلا غرو أن يكون ذلك الشعر قد نقلته الرواة ،منذ نشأته الأولى ، مشفوعاً بتفسير لبعض مفرداته ، وعباراته .

يضاف إلى هذا أن لكل نص شعري بيئة تاريخية ، أحاطت به ، فكانت الباعث على ولادته ، وتكوين بنيانه ، وتوجيه معانيه . فإذا ذهب الزمان بذلك لموت الشاعر ومن عاصره فَقَدَ النص كاشفاً أصيلًا لمحتواه ، وعُطِّلت جوانب أساسية من مراميه . ولذا كان لا بد أن ينهض الرواة بمهمة المؤرخ الذي يجمع مع الشعر الظروفَ والأخبار التي أوحت به[2] . وليس بعيداً أن يكون رواة العصر الجاهلي قد حملوا ، مع الشعر ، بعض الأخبار التاريخية ، التي تهيىء الجو الكافي ، لتوضيح قسماته ، وصوره ومقاصده .

---

(١) معجم ما استعجم ص ١٣١ ، وانظر ديوان تميم ص ٣١٧

(٢) تاريخ الأدب العربي لبلاشير ١ : ١٠١

حتى إذا امتد الإسلام بهديه المبارك ، واتسعت رقعة البيئة العربية بالفتوح ودخول الناس في دين الله أفواجاً ، فكان فيها الأعاجم والمولدون ، اقتضى الأمر جهداً آخر ، لتقريب الشعر الجاهلي والإسلامي إلى الجمهور . ولهذا نلتقي في صدر الإسلام ، والعصر الأموي ، وصدر العصر العباسي بمن ينشد الأشعار القديمة في الجماعات والمجالس ، مُظهراً ما يثيره من إعجاب أو سخط (١) . فإذا عناصر جديدة تتخللُ إنشاد الشعر ، من نقد خاطف ، أو تفسير سريع لما يشتمل عليه ، من إشارات تاريخية ، أو كلمات غريبة ، أو معنى بعيد ، أو مسألة نحوية .

رُوِيَ (٢) أن ابن سيرين كان يبغض النحويين ، ويقول : لقد بغّض إلينا هؤلاء المسجدَ . وكانت حلقته إلى جانب حلقة عبد الله بن أبي إسحاق . وبلغ ابنَ أبي إسحاق أنه يعيب عليه تفسير الشعر ، ويقول : ما علمه بإرادة الشاعر ؟ فقال : إن الفتوى في الشعر لا تحل حراماً ، ولا تحرّم حلالاً . وإنما نُفتي فيما استتر من معاني الشعر ، وأشكل من غريبه وإعرابه بفتوى سمعناها من غيرنا ، أو اجتهدنا فيها آراءنا . فإن زللنا ، أو عثرنا فليس الزللُ في ذلك كالزلل في عبارة الرؤيا ، ولا العثرةُ فيها كالعثرة في الخروج عما أجمعت عليه الأئمة من سُنّة الوضوء ، وكرهته الجماعة من الاعتداء في الطّهور .

فبلغ ذلك ابن سيرين ، فأقصر عما كان عليه من الإفراط في الوضوء . وأصبح إذا جاءه الرجل يسأله عن الرؤيا يقول : هات

(١) شرح ديوان أبي تمام ص ٨ – ٩ من مقدمة الناشر .
(٢) إنباه الرواة ٢ : ١٠٦ – ١٠٧

حتى أظنَّ لك . وأصبح ابن أبي إسحاق بعد أن بلغه كلام ابن سيرين، يقول : أظن الشاعر أراد كذا ، واللغة توجب كذا .

وكانت المجالس الأدبية والعلمية ، وكتب التفسير والتاريخ والأنساب، تعرض الكثير من الشعر القديم ، مستخدمة إياه في بسط موضوع ، أو تأييد حدث ، أو تفسير معنى . وكانت في عرضها ذلك تضطر إلى شرح بعض المفردات أو العبارات التي ترد في الشعر . وهـذه أخبار متفرقة توضح ما رمينا إليه :

قال أبو علي القالي (١) : « أخبرني أبو بكر بن الأنباري عن أبيه قال : أتى أعرابي إلى ابن عباس ، فقال :

تَخَوَّفَني مالي أخٌ لي ، ظالمٌ فلا تَخْذُلَنّي اليومَ ، ياخيرَ من بَقِي

فقال : تخوَّفَك أي : تنقَّصك ؟ قال : نعم ، قال : الله أكبر ! ﴿ أو يأخذَهُم على تَخَوُّفٍ ﴾ أي : تنقّصٍ من خيارهم » .

وفي أخبار عُبيد بن شريَّة : « قال معاوية : للهِ أنتَ ، يا عُبيد ، فأين قول تُبّع الذي قال على الباء :

أرقتُ ، وما ذاكَ بي مِن طَرَبْ ولكنْ تذَكُّرُ ما قد ذَهَبْ

فأنشد عبيد عند ذلك :

أرقتُ ، وما ذاكَ بي مِن طَرَبْ ولكن تَذَكُّرُ ما قد ذَهَبْ
تَحوزُ الأمورَ ، بسُلطانِنا لتَبلُغَ مَلْكاً ، به ، مُغتَصِبْ

فقال معاوية : ويحكَ يا عبيد ، من يعني بهذا البيت الذي يغتصب المُلك ؟ قال : يعني رجلاً من ولد قحطان ، يسمَّى القحطاني ، اسمه على

(١) الأمالي ٢ : ١١٢

ثلاثة أحرف ، تجمع له الأرض ، يدعو إلى الله . وذلك عند انقضاء ملك قريش (١) .

وها هو ذا كثيّر عزّة ، يحضر سمر يزيد بن عبد الملك ليلة ، فيكون بينهما ما يلي (٢) : قال كثيّر ليزيد : يا أمير المؤمنين ، ما يعني الشماخ بقوله (٣) :

إذا عرِقتْ مغابنُها ، وجادتْ بدرّتِها ، قِرى حَجِنٍ ، قتينِ

فسكت عنه يزيد . فقال كثيّر : « بصبصْنَ إذ حُدِينَ » . وهو مثل يضرب في طاعة الجبان وخضوعه . ثم أعاد فسكت عنه يزيد ، فقال : « بصبصنَ إذ حُدِينَ » . فقال يزيد : « وما على أمير المؤمنين ألا يعرف هــذا ؟ هو القُرادُ ، أشبهُ الدوابِّ بكَ » . وكان كثير قصيراً متقارب الخَلق .

وقال ابن سلاّم الجمحي (٤) : « حدثني أبو يحيى الضَّبّيّ قال : لقي ذو الرمة رؤبة فقال له ذو الرمة : ما يعني الراعي بقوله :

أناخا ، بأشوالٍ ، طُروقاً ، بجُبّةٍ قليلاً ، وقد أعيا سُهيلٌ ، فعرّدا (٥)

(١) أخبار عبيد ص ٤٧٢ - ٤٧٨

(٢) طبقات فحول الشعراء ص ٤٦٠ — ٤٦١

(٣) يصف ناقته . والمغابن : الآباط وبواطن الأفخاذ . والدرة : رشح العرق والحجن : السيء الغذاء . والقتين : القليل الدم واللحم . جعل عرق ناقته قرى للقراد الجائع المهزيل .

(٤) طبقات فحول الشعراء ص ٤٧٧ ، وانظر الأغاني ١٦ : ١١٤ ، والمخصص ١٠ : ١٧٣ ، واللسان (خبب) .

(٥) الأشوال : النوق التي شالت ألبانها . والطروق : المجيء ليلاً , وعرّد : مال للغروب .

فجعل رؤبة يقع مرة هنا ، ومرّة هنا ، إلى أن قال : هي أرض بين المُكلئة والمجدبة . وكذاك هي » .

وقال وهب بن منبّه (١) : « وفي تبّع شمر يرعش يقول أبو ذؤيب الهذلي ، بعد زمانه :

وعليهما مسرودتان ، قضاهما داودُ ، أو صَنَعُ السّوابغِ تُبّعُ

وهـذا البيت له في شعره الذي رثى به بنيه ، إذ قُتِلوا بذات الهجال (٢) » .

وفي السيرة النبوية أن حسّان بن تُبّان ملك اليمن قتله أخوه عمرو بتحريض من قادة جيش اليمن ، ليرتدّوا عن غزو العرب « فقال رجل من حمير (٣) :

لاهِ عَيْنا الذي رأى مثلَ حسّا نَ ، قتيلاً ، في سالفِ الأحقابِ

قتلتْهُ مقاوِلُ ، خشيةَ الجيـ شِ غداةَ قالوا : لبابِ لبابِ

ميْتُكم خيرُنا ، وحيُّكُمُ ربٌّ علينا ، وكلُّكم أربابي

قـال ابن إسحاق : وقوله « لباب لباب » : لا بأس لا بأس ، بلغة حمير » .

تلك نماذج متفرقة تمثل لنا الصورة التي كانت عليها الشروح الأدبية حتى منتصف القرن الثاني . ومنها يتبين للدارس أن الشرح لم يتعدّ تفسير كلمة غريبة ، أو عبارة مجازية ، أو إيراد المناسبة التاريخية للشعر .

حلب الدكتور فخر الدين قباوة

(١) التيجان ص ٢٤١ .

(٢) يلي ذلك قصة مطولة فيها مقتل أبناء أبي ذؤيب وتأبين الملوك وأبي ذؤيب لهم .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ٢٦ - ٢٧ ، وتاريخ الطبري ٢ : ١١٥ - ١١٦

أشعار اللصوص وأخبارهم

القسم الرابع (*)

الأستاذ عبد المعين الملوحي

قدمنا في الأعداد السابقة من المجلة أشعار عشرة لصوص وأخبارهم .

ونقدم في هذا العدد أشعار ثلاثة آخرين هم :

١١ – أبو النشاش النهشلي

١٢ – وبرة بن الجحدر المعني

١٣ – سارية بن زنيم الدؤلي

[١١]

أَبو النَّشْنَاشِ النَّهْشَلِيُّ

أَخبــاره وأَشعاره

(*) لم يردني حتى الآن مستدرك على الأبحاث السابقة ، ومازلت أرجو أن أتلقى كل ملاحظة لأستطيع تدارك الأخطاء وسد النقائص ، وفاء لتراثنا العربي.

ترجمتــه :

هو أبو النشناش النهشلي التميمي ، من لصوص العرب كان يعترض القوافل في شذاذ من العرب بين الحجاز والشام . وكان في عصر مروان بن الحكم . لا يعرف اسمه ، أما كنيته ففيها قولان :

١ – ابن النشناش ، ونقله الزبيدي في شرح القاموس .

٢ – أبو النشناش ، وأثبته التبريزي في شرح الحماسة عن أبي العلاء .

قال محقق الأصمعيات ، وأثبت كنيته أبا النشناش : « وما أثبتنا هو الثابت في أصل الأصمعيات ، وهو الذي أثبته ابن جني في المبهج ص ٢٦ قال : أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد القطان عن أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري قال : كان الأصمعي يقول : هـذا أبو النشناش وأنشد البيت الذي لـه :

« سرت بأبي النشناش فيها ركائبه »

أخبـاره :

جاء في الأغاني ١٢ : ١٧١ (ط . دار الكتب) : أخبرني علي بن سليمان الأخفش ، قال : حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب قال :

كان أبو النشناش من مَلاصِّ بني تميم ، وكان يعترض القوافل في شذاذ من العرب بين طريق الحجاز والشام فيجتاحها . فظفر به بعض عمال مروان فحبسه وقيده مدة ، ثم أمكنه الهرب في وقت غرة فهرب ، فمر بغراب على بانة ينتف ريشه وينعب ، فجزع من ذلك ؛ ثم مر بحي من لهب فقال لهم : رجل كان في بلاء وشر وحبس وضيق فنجا من ذلك ، ثم نظر عن يمينه فلم ير شيئاً ، ونظر عن يساره فرأى غراباً على شجرة بان ينتف ريشه وينعب . فقال له اللهبي : إن صدقت الطير يعاد إلى حبسه

وقيده ، ويطول ذلك بـه ، ويقتل ويصلب . فقال له : بفيك الحجر .
قال : لا بل بفيك . وأنشأ يقول :

قال أبو النشناش * :

[١]

١ ـ إذ المَرْءُ لَمْ يَسْرَحْ سَواماً ولم يُرِح
سَواماً ، ولَمْ يَبْسُط لهَ الوجهَ صـاحبُهْ

* تخريج المقطوعة :

اعتمدنا فى تخريج المقطوعة على الكتب الآتية :

١ ـ مجموعة المعاني : ١٢٨ ٢ ـ عيون الأخبار ١ : ٢٣٧

٣ ـ الحماسة : رقم ١٠٣ ، ١ : ٣١٧ ـ ٣٢٠ ٤ ـ الأغاني : ١٢ : ١٧١ (دار الكتب) ٥ ـ الأصمعيات : رقم ٣٢ ص ١١٨ . تحقيق شاكر .

وآثرنا الرواية القريبـة إلى روح الصعلكة ، وتسلسل المعاني قدر الإمكان .

(١) في الحماسة وعيون الأخبار والأصمعيات : « ولم تعطف عليه أقاربه » وفضلت رواية الأغاني ومجموعة المعاني وأثبتها لأن وجدت فيها أنفة ليست في الرواية الأخرى : عطف الأقارب على اللص .

الألفاظ : سرحت الابل : رعت . وسرحها الراعي : أرعاها . السوام : الإبل الراعية .

٢ ـ فَلَلْمَوتُ خيرٌ للفتىٰ مِنْ حياتِه
فَقيراً ومن مولىً تَدِبُّ عقارِبُهْ

٣ ـ ولم أرَ مِثلَ الفَقْرِ ضاجَعَهُ الفتىٰ
ولا كَسوادِ اللَّيلِ أخفَقَ طالبُهْ

٤ ـ فَعِشْ مُعْذِراً أو مُتْ كَريماً فإنَّني
أرىٰ الَموتَ لا يَنجو مِنَ الَموْتِ هَارِبُهْ

---

(٢) في مجموعة المعاني ، والأغاني : ومن مولى تعاف مشاربه . وأثبتنا رواية الحماسة وعيون الأخبار ، والأصمعيات .

الألفاظ : تدب عقاربه : يلقاك بالأذى والسوء . والمولى : ابن العم ؛ والصديق . والبيتان متصلان .

المعنى : إذا لم تكن ذا مالٍ ينفعك ويسر صاحبك فموتك خير لك من الفقر ومن أذى الأقارب وطلب معروف الناس .

(٣) في مجموعة المعاني : صاحبه ، وفي الأصمعيات : مثل الهم .

(٤) في المجموعة ، والأغاني : أرى الموت لايبقي على من يطالبه .

الألفاظ : معذراً : من أعذر أي قدم عذره وأبداه .

المعنى : عش طالباً للرزق ، فإن لم تنجح فقد قدمت عذرك ، وإن مت وأنت كريم فما من المنايا بد .

٥ ـ ولو كانَ شيءٌ ناجياً من مَنِيَّةٍ
لكانَ أُثَيْرٌ يومَ جاءتْ كتائِبُهْ

٦ ـ وسائلةٍ : أينَ الرَّحيلُ ؟ وسائلٍ
ومَنْ يَسْأَلُ الصُّعلوكَ أينَ مذاهِبُهْ ؟ !

٧ ـ مذاهبُهُ أنَّ الفِجاجَ عَريضَةٌ
إذا ضَنَّ عنهُ بالنَّوالِ أقارِبُهْ

---

(٥) في الأصمعيات . وجاء في الشرح : أثير بضم الهمزة ، الظاهر أنه أثير بن عمرو السكوني ، الطبيب الذي دعي لعلاج علي بن أبي طالب طالب حين ضربه ابن ملجم ، بعد أن جمع الأطباء ، وكان أبصرهم بالطب وإليه تنسب صحراء أثير بالكوفة . وانظر خبره في معجم البلدان ١ : ١١١ وذلك ما قاله الأستاذ أحمد محمد شاكر ، ولكن الكلمة التي بعد ذلك : يوم جاءت كتائبه ، تشبه أن تكون وصفاً لملك أو لصاحب جيوش .

(٦) في الأغاني : أين ارتحالي . وفي عيون الأخبار والحماسة : وسائلة بالغيب عني وسائل .

(٧) تفرد به صاحب الأغاني .

والأبيات ظاهرة المعنى .

٨ ـ ودَاوِيَّةٍ يَهْاءَ يُخْشىٰ بهــا الرَّدىٰ
سَرَتْ بأَبِي النَّشْناسِ فيهـا رَكائِبُـهْ

٩ ـ لِيُدْرِكَ ثَأْراً أو لِيُـدْرِكَ مَغْنَماً
جَزيلاً ، وهذا الدَّهْرُ جَـمٌّ عَجائِبُهْ

[٢]

وقـــال * :

---

٨ ـ في الحماسة : ونائية الأرجاء ، طامسة الصوى .

وفي عيون الأخبار : وطامسة الأعلام ، مائلة الصوى .

في الأغاني : ودوية قفر يحار بها القطا .

الألفاظ : الداويّة والداوية : بتشديد الياء وتخفيفها : المفازة البعيدة الأطراف . الهيماء : الفلاة التي لاماء فيها ولا علم فيها ولا يهتدى لطرقها .

٩ ـ في الأغاني ليدرك ثأراً أو ليكسب مغنماً ألا إن هـذا الدهر

ومعنى البيتين : رب قفر ضائع المعالم يهلك سالكه قطعتـه لإدراك ثأري من عدو أو لكسب رزقي ، وما أعجب الدهر يقذفني من مكان إلى مكان .

(*) البيتان في الأغاني ١١ : ١٧٠ «دار الكتب» ، ويظهر أنـه قالهما وهو في الحبس ينتظر مصيره .

كَأَنْ لَمْ تَرَيْ قَبلي أَسِيراً مُكَبَّلاً
ولا رَجُلاً يُرمى بـه الرَّجوانِ
كَأَنِّي جـوادٌ ضَمَّهُ القَيْـدُ بعدَما
جَرى سـابقاً في حَلْبَةٍ ورِهانِ

[١٢]

وَبْرَةُ بنُ الجَحْدَرِ المَعْنِيُّ

أخبـاره وأشـعاره

[١]

قـال * :

١ ـ نَعَبَ الغُرابُ ولَيْتَـهُ لَمْ يَنْعَبِ
بالبَيْنِ مِنْ سَلْمىٰ وأُمِّ الحَوْشَبِ

(*) لم نعثر له على ترجمة ، والبيتان في الشعر والشعراء ٧٤ وقال : وله (لعمرو بن المُسَبِّح الطائي المشهور بالرماية) يقول الآخر . وفي حاشية الكتاب هو وبرة بن الجحدر المعني من بني دغش ـ كما في الطبري ـ ولم أجده فيه .

٢ ـ لَيْتَ الغُرابَ رمىٰ حَمــاطَةَ قَلْبِـهِ
عَمْــروٌ بأَسْــهُمِهِ الــتّي لَمْ تُلْغَبِ

[٢]

وقـــال * :

(٢) حماطة القلب : سواده . لم تُلْغَبْ : بالبناء للمجهول . يقال : « ألغب السهم » أي جعل ريشه لُغاباً ، والسهم اللغاب بضم اللام : الفاسد ، والبيت في اللسان ٢ : ٢٣٩ و ٩ : ١٤٦ غير منسوب .

الألفاظ : الرجوان : مثنى الرجا . ناحية كل شيء . ويقصـــد جدران السجن .

المعنى : يتحسر على أيام حريته ، يوم كان كالجواد يسبق الخيل في حلبات الرهان ، فأصبح مقيداً أسيراً تتقاذفه جدران السجن ولكنه ليس أول أسير تثقله الكبول .

(*) في المعاني الكبير : ٥٩٤ ، وقال الشاعر « وهو وبرة : لص معروف » واللسان « حمض » وقال : فأما ماأنشده ابن الأعرابي من قول وبرة وهو لص معروف ، يصف قوماً ، وأورد البيت ...

١ - على رُؤُوسِهِمْ حُمَّاضُ مَحْنِيَةٍ
وفي صُدورِهِمُ جَمْرُ الغَضا يَقِدُ

[١٣]

سارِيَةُ بنُ زُنَيْمٍ الدُّؤَلِيُّ (*)

أخبـاره وأشـعاره

حياته : سارية بن زنيم بن عبد الله بن جابر الدؤلي في كنانة ...

ذكر الواقدي وسيف بن عمر أنه كان خليعاً في الجاهلية أي لصاً

١ - قال ابن قتيبة : ذكر مشايخ يشهدون ، ورؤوسهم مخضوبة بالحناء . فشبهها بالحماض ، وهو أحمر ، وله ثمر أشكل إلى الحمرة .

وفي اللسان (بعد أن أورد البيت) : فمعنى ذلك أن رؤوسهم كالحماض في حمرة شعورهم ، وأن لحاهم مخضوبة كجمر الغضا ، وجعلها في صدورهم لعظمها ، حتى كأنها تضرب إلى صدورهم . وعندي أنه إنما عنى قول العرب في الأعداء : صهب السبال ، وإنما كنى عن الأعداء بذلك ، لأن الروم أعداء العرب ، وهم كذلك ، فوصف به الأعداء . وإن لم يكونوا روماً . الأزهري : الحُمّاض : بقلة برية تنبت أيام الربيع في مسايل الماء ، ولها ثمرة حمراء .

كثير الغارة ، وأنه كان يسبق الفرس عدواً على رجليه ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وقال العسكري روى عن النبي ﷺ ولم يلقه ، وذكره ابن حبان في التابعين ، وفي ترجمة أسيد بن أبي إياس بن زنيم مايشعر بأن له صحبة ، وقال ابن عساكر : له صحبة .

وذكره الطبري في تاريخه ثلاث مرات : أولاها أن عمر بن الخطاب دفع لواء فسا ودرابجَرْدَ إلى سارية بن زنيم عند فتح فارس ، وثانيتها أن سارية خرج مع أهل البصرة الذين وجهوا إلى فارس أمراء على فارس ، وذكره المرة الثالثة في إسهاب في فتح فسا ودرابجرْدَ . قال الطبري :

وقصد سارية بن زنيم فسا ودابجَرْدَ ، حتى انتهى إلى عسكرهم ، فنزل عليهم وحاصرهم ماشاء الله ، ثم إنهم استمدوا ، فتجمعوا وتجمعت إليهم أكراد فارس . فدهم المسلمين أمر عظيم ، وجمع كثير ، فرأى عمر في تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم وعدوهم في ساعة من النهار ، فنادى من الغد : الصلاة جامعة ! حتى إذا كان في الساعة التي رأى فيها مارأى خرج إليهم ، وكان أريتهُمْ ، والمسلمون بصحراء ، إن أقاموا فيها أحيط بهم ، وإن أرزوا (١) إلى جبل من خلفهم لم يؤتوا إلا من وجه واحد . ثم قام فقال :

(*) مصادر الترجمة والشعر : الطبري ٤ : ٩٤ و ١٧٤ و ١٧٨ — ١٧٩ الإصابة : الترجمة ٣٠٣٤ وذكر في ترجمة أسيد بن أبي إياس بن زنيم ، وفي ترجمة ذباب بن فاتك والحماسة الشجرية ٢٤٤ ، وفي المصادر التي أشارت إليها الإصابة في ترجمته .

(١) أرزوا : انحازوا ولجؤوا .

يأيها الناس ! إني رأيت هذين الجمعين - وأخبر بحالها - ثم قال : ياسارية الجبلَ ، الجبلَ ! ثم أقبل عليهم وقال : إن لله جنوداً ، ولعل بعضها أن يبلغهم . ولما كانت تلك الساعة من ذلك اليوم أجمع سارية والمسلمون على الإسناد إلى الجبل ، ففعلوا وقاتلوا القوم من وجه واحد ، فهزمهم الله لهم ، وكتبوا بذلك إلى عمر واستيلائهم على البلد ودعاء أهله وتسكينهم .

ثم ذكر الخبر في رواية أخرى قال :

كان عمر قد بعث سارية بن زنيم الدئلي إلى فسا ودرابجرد فحاصرهم ثم إنهم تداعوا فأصحروا له ، وكثروه فأتوه من كل جانب ، فقال عمر ، وهو يخطب في يوم جمعة : ياسارية بن زنيم ، الجبلَ الجبلَ ! ولما كان ذلك اليوم وإلى جنب المسلمين جبل ، إن لجؤوا إليه لم يؤتوا إلا من وجه واحد ، فلجؤوا إلى الجبل ، ثم قاتلوهم فهزموهم ، فأصاب مغانمهم ، وأصاب في المغانم سفطاً فيه جوهر ، فاستوهبه المسلمين لعمر ، فوهبوه له ، فبعث به مع رجل وبالفتح .

وكان الرسل والوفد يُجازون وتقضى لهم حوائجهم . فقال له سارية : استقرض ما تبلغُ به وما تُخَلّفه لأهلك على جائزتك . فقدم الرجل البصرة ، ففعل ، ثم خرج فقدم على عمر ... ويمضي الطبري في روايته عن غضب عمر حين أخبره بقصة السفط ويرد الرجل محروماً ثم يقول :

وقد كان سأله أهل المدينة عن سارية ، وعن الفتح ، وهل سمعوا شيئاً يوم الوقعة فقال : نعم سمعنا : « ياسارية ، الجبل » وقد كدنا نهلك ، فلجأنا إليه ففتح الله علينا ...

وفي الاصابة روايات كثيرة تتحدث عن الموضوع نفسه ، وجاء في

آخرها ، وقال خليفة : افتتح سارية أصبهان صلحاً وعنوة فيما يقال .

وتوفي سارية سنة ٣٠ هـ .

رحم الله سارية ورضي عنه ، لقد كان من الفئة التي صاغها الاسلام صياغة إنسانية مثالية جديدة ، فاستبدلت بالظلام النور ، وبالضلالة الهدى .

[١]

شعره :

قال سارية بن زنيم الدؤلي يعنف المشركين ويحرضهم على علي عليه السلام (*) .

١ ـ في كُلِّ مَجْمَعِ غَايَةٍ أَخْزَاكُمُ
جَـذَعٌ أَبَرَّ على المَذاكِي القُـرَّحِ

٢ ـ لِلّهِ دَرُّكُمُ ! أَلَمَّا تَسْتَحُوا ؟
قَـدْ يَأْنَفُ الضَّيْمَ الكَرِيمُ وَيَسْتَحي

(*) الأبيات في الحماسة الشجرية (تحقيقنا) ص ٢٤٤

١ ـ الجذع : الشاب . المذاكي : التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان ، والقارح هو الذي كملت أسنانه . والمعنى : لقد أخزى الشاب الفتي الكهول والشيوخ .

٣ ـ أَيْنَ الكُهُولُ ؟ وأَيْنَ كُلُّ دِعامةٍ
في المُضْلِعَاتِ ؟ وأَيْنَ زَيْنُ الأَبْطَحِ ؟

[٢]

وقال معتذراً إلى النبي ﷺ وكان بلغه أنه هجاه فتوعده * :

١ ـ تَعَلَّمْ رَسُولَ اللهِ أَنَّكَ قَادِرٌ
على كُلِّ حَيٍّ مِنْ تِهامٍ ومُنْجِدِ
٢ ـ تَعَلَّمْ رَسُولَ اللهِ أَنَّكَ مُدْرِكي
وأَنَّ وَعِيداً مِنْكَ كالأَخْذِ باليَدِ

٣ ـ ويروى المعضلات بدل المضلعات ، والمضلعات ج مضلعة أي الأمور الثقيلة أو القوية الشديدة . ودعامة القوم : سيدهم .

(*) وردت الأبيات في الاصابة في ترجمة سارية بن زنيم رقم ٣٠٣٤ وقال : وقد تقدم في ترجمة أسيد بن أبي إياس أن هذه الأبيات له ، والله أعلم . وتقدم أيضاً بعض هذه الأبيات في ترجمة أنس بن زنيم ... وجزم عمر بن شبة بأن البيت ١١ لأنس .

١ ـ تعلم : بمعنى اعلم .

٢ ـ في الاصابة : بالأخذ باليد .

٣ ـ تَعَلَّمْ بأَنْ الرَّكْبَ إلا عُوَيْمِراً
هُمُ الكاذبونَ المُخْلفو كُلِّ مَوْعِدِ

٤ ـ وَنُبِّي رَسُولُ اللهِ أَنِيّ هَجَوْتُهُ
فَلا رَفَعتْ سَوْطي إليَّ إذَنْ يَدي

٥ ـ سِوى أَنَّني قَدْ قُلْتُ وَيْلُ اَمِّ فِتْيَةٍ
أُصيبوا بِنَحْسٍ لا يُطاقُ وأَسْعُدِ

٦ ـ أَصابَهُمُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِمْ
كِفاءً فَعَزَّتْ عَوْلَتي وتَجَلُّدي

٧ ـ ذؤيبٌ وكُلْثُومٌ وسُلْمى تَتابعوا
أُولئكَ إنْ لا تَدْمَعِ العَيْنُ أَكْمَدِ

٨ ـ على أَنَّ سُلْمى ليسَ فيها كمِثْلِهِ
وأُخْوَتِهِ ، وهَلْ مُلوكٌ كَأَعْبُدِ ؟

---

٤ ـ الشطر الثاني مثل الشطر الثاني في بيت النابغة « الديوان ٢٠ » :

ما إن نديت بشيء أنت تكرهه إذاً فلا رفعت سوطي إلى يدي

والظاهر أن هذا المعنى مثل متداول .

٦ ـ في الإصابة : كفئا ، وهو تصحيف .

٩ ـ وإنِّيَ لا عِرْضاً خَرَقْتُ ولا دَماً
هَرَقْتُ فَذَكِّرْ عَـالِمَ الحَقِّ واْقصُدِ

١٠ ـ أأَنْتَ الذي تَهْدِي مَعَدّاً لدِينِها ؟
بل اللهُ يَهْدِيها وقالَ لك : اْشْـهَدِ

١١ ـ فما حَمَلَتْ مِنْ ناقةٍ فوقَ رَحْلِها
أَبَرَّ وأَوْفىٰ ذِمَّـةً مِنْ مُحَمَّـدِ

عبد المعين الملوحي

* * *

ـ للبحث صلة ـ

١١ـ ورد في الإصابة : قال المرزباني : أصدق بيت قالته العرب هذا البيت.

ملاحظة : نلاحظ خلو أشعار زنيم من ذكر اللصوصية ، ولعل هذه الأشعار قد أصابها النسيان أو التناسي .

التعريف والنقد

الاسـلام

أهـدافه وحقـائقه

تأليف الدكتور سيد حسين نصر

بيروت سنة ١٩٧٤ م - الدار المتحدة للنشر . ص ١٦٦ من القطع المتوسط

الدكتور عدنان الخطيب

تمهيـد

إن الإسلام الذي وحّد بين العرب والفرس ، ربطها بوشائج متينة لن تستطيع أي خلافات سياسية أو غير سياسية فصم عراها .

وغدت العلاقات الثقافية بين هاتين الأمتين مع تاريخهما الطويل المشترك متشابكة ، أريدَ دعمها في هذه الأيام بإنشاء مكاتب ثقافية ملحقة بالبعثات السياسية ، ومن أول ثمرات إنشائها تبادل المعلومات التي تفيد في خدمة التراث العربي والإسلامي والعمل على تحقيقه ونشره .

هـدية

أهدى إلينا الدكتور محمد جواد مشكور المستشار الثقافي الإيراني

بدمشق ، نسخة من كتـــاب « **الإسلام : أهدافه وحقائقه** » تأليف **الدكتور سيد حسين نصر** ، أستاذ تاريخ العلوم والفلسفة بجامعة طهران .

هممت بقراءة الكتاب أكثر من مرة دون أن أوفق إلى تجاوز بضع صفحات منه ، وظل الكتاب أمداً ، **أظنه بلغ عديداً من الشهور** ، على مكتبي يعوزني التصميم على قراءته ، وما كان افتقادي لهذا التصميم – على مايبدو لي – إلا لعجز عن تصور ما يمكن أن أفيد من كتاب عن حقائق الإسلام وأهدافه صنعه **أحد خريجي جامعة هارفرد** ، وهو الذي عاد إلى مسقط رأسه في طهران ليتولى في جامعتها تدريس **الفلسفة وتاريخ العلوم** ، وما كاد يلمع نجمه حتى استزارته الجامعة التي تخرج منها ليحاضر فيها ، فلما قام **زعيم الطائفة الاسماعيلية** الآغا خان بالتبرع لانشاء كرسي للدراسات الإسلامية **في جامعة بيروت الامريكية** ، اختير ليكون أول أستاذ يشغله ، ثم يكون الكتاب الهدية أول الثمرات .

وجاء رمضان فصممت على أن يكون كتاب سيد نصر ضمن الكتب التي فرضتها ، وحدثت مفاجأة أذهلتني ، إذ ما كدت أتخطى بضع عشرة صفحة حتى شدتني إلى الكتاب **آصرة من إعجاب وتقدير** حملتني على أن أركض وراء المؤلف لأدركه فأستريح ، ولما انتهى الكتاب وددت لو لم ينتـه .

المؤلف يقدم كتابه

يذكر المؤلف أن محاضراته في الجامعة الأمريكية في سنة ١٩٦٤ -

١٩٦٥ الدراسية بلغت خمس عشرة محاضرة عنوانها العام « **الإسلام في أبعاده** » ثم اختار للست الأولى منها عنوان « الإسلام - أهدافه وحقائقه » ودفعها للنشر باللغة العربية .

قدم المؤلف لكتابه محدداً الغاية التي يعتقد أن الآغا خان أقام من أجلها **دائرة للدراسات الإسلامية** في الجامعة الأمريكية ، ذاكراً أنها : « التعريف بالإسلام وبكنوزه الفكرية بلغة من لغات العصر ، بأمانة وإخلاص ، ملتزمة بالسلفية الصالحة » ثم أردف المؤلف قوله هذا بالاعتقاد بأنه : « ينبغي لهذه الدائرة ، إتماماً لرسالتها ، أن تبدأ **حواراً مع سائر الأديان** ، ولاسيما مع المسيحية في لبنان ، حيث يتوافر للديانتين مناخ فكري صالح للحوار ، كما أنه ينبغي للدائرة أن تشرع في دراسة الطوائف والمذاهب الإسلامية المختلفة الممثلة تمثيلاً حسناً في لبنان حيث تأسست هذه الدائرة » .

وإذا كانت الحاجة ملحة - على حد قول المؤلف - لإظهار فضائل الإسلام وإعلانها ، ولاسيما النواحي الروحية والفكرية منه ، بلغة يفهمها الجيل الذي تربى تربية غربية حديثة ، فإن القيام بالرد على **دراسات المستشرقين وأباطيلهم والشبهات التي يثيرونها في دراساتهم** أو يسربونها إلى مؤلفات تلامذتهم ، يعتبر من أهم الخدمات التي يجب أن تجند لها الكفايات العلمية الحديثة لإظهار حقائق الإسلام الخالدة كما تضمنها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .

قسم المؤلف كتابه إلى ستة فصول جاعلاً موضوعاتها تندرج تحت العناوين التالية :

١ - **الإسلام دين الفطرة وخاتم الأديان** .

٢ ـ القرآن الكريم كلمة الله ومصدر المعرفة ودليل العمل.
٣ ـ الحديث الشريف ـ محمد خاتم النبيين .
٤ ـ شرعة الله .
٥ ـ الطريقة وأصولها في القرآن الكريم .
٦ ـ السنة والشيعة ـ الشيعة الاثناعشرية والإسماعيلية .

حـــوار وردود

يمهد المؤلف للحوار بين الأديان المختلفة ببحث عـــن العلاقة بين الإنسان والله عز وجل ، أو بتعبير فلسفي بين النسـبي والمطلق ، وهو يوازن بين تعاليم الإسلام في هذا الموضوع وبين تعاليم غيره من الأديان ، مبيناً **رجاحة الأولى وإشراقها** ، ثم يرد على دعوات يقوم بها أحيـــاناً مغرضون أو مرضى ، يتسترون بفكرة **توحيد الأديان** ، وقد أدى الأمر ببعض هؤلاء إلى تلفيق عقائد لا تمت إلى أحد الأديان بصلة . وفي هذا يقول المؤلف : « ليس هناك أسخف ولا أخبث من محاولة إنسان خلق عقيدة توفق بين مختلف الأديان بداعي الكلية أو الشمولية ، لأنه في الواقع **لايعمل إلا على تقويض الأديان الموحى بها** والتي من شأنها وحدها أن تمكن المرء من ربط النسبي بالمطلق أي ربط الإنسان بالله .. » .

ومن خلال الموازنة بين الأديان السماوية الثلاثة ـ كما يمارسها المؤمنون ـ توصل المؤلف إلى نتيجة أكد بها أن المرء يستطيع : « أن يقول عن اليهودية : إنها في جوهرها ترتكز على **خوف الله** ، والمسيحية على **محبة الله** ، وأما الإسلام فيرتكز على **معرفة الله** ... » .

ويستمر المؤلف في موازنته ، فإذا تحدث عن الأنبياء وطبيعة رسالة كل منهم ، بحسب عقيدة أتباعهم ، وصل إلى النتيجة التالية : « .. في المسيحية

نجد التوكيد على شخص المسيح بصفته مركز الثقل ، فكان من الطبيعي أن يسمى الدين الذي جاء به المسيح : « **الدين المسيحي** » ولكن الأمر يختلف عن هذا في الإسلام ، **ومن الخطأ الفاضح أن يسمّى المسلمون محمديين** على الرغم من أن هذه التسمية « محمديين » شاعت زمناً طويلاً في اللغات الغربية ، بحيث أصبح من العسير محو هذا الخطأ محواً تاماً » .

يسهب المؤلف في تبيان كيف أن الإسلام ليس كمثله دين في مدى تنزيه الخالق جلّ وعلا **وتوكيده على رفض مختلف صور الشرك بالله عز وجلّ** ، ثم يوضح كيف أن التوحيد الذي أعلنه الإسلام في شهادة « **لا إله إلا الله** » لايقتصر على الإيمان بخالق واحد لاشريك له فحسب ، بل هو توحيد تنعكس آثاره على المجتمع البشري بأسره ، فالإسلام يدعو إلى مجتمع مرصوص الصفوف في إعلاء كلمة الحق ، كما تنعكس آثاره على السياسة ، لأن الإسلام يرفض أي حالة سياسية لاتحقق **وحدة الأمة الإسلامية الشاملة** ، وتنعكس آثاره أيضاً على جميع حقول المعرفة والعلم وحتى على مختلف الفنون .

ويقف المؤلف ليدفع عن الإسلام فرية أعدائه بوسمه بأنه « **دين السيف** » بالموازنة بينه وبين غيره من الأديان مستعرضاً الحروب التي اندلعت نيرانها باسم الدين والتي عرفتها كل الأمم تقريباً وذاقت مرارتها أكثر شعوب الأرض ، ثم ينتهي إلى القول : « .. لنأخذ مثلاً **بلاد الأندلس وبلاد الأناضول** التي تعاقب على حكم كل منها مسلمون ونصارى في الوقت نفسه تقريباً ، أما في الأندلس فقد طرد جميع المسلمين منها أو قتلوا ، **وليس فيها اليوم مسلمون** ، بينما لاتزال تركية حتى يومنا هذا ، **مقر الكنيسة الأرثوذكسية** ».

الحديث النبوي وسيرة الرسول : وفّى المؤلف البحث عن «الحديث النبوي»

المصدر الأول في الشريعة الإسلامية بعد القرآن الكريم لدى أهل السنة والشيعة على حد سواء ، **وإن اختلفت بينهما مراتب رجاله وقواعد صحته .**
وعرض المؤلف لادعاءات المستشرقين ومن والاهم راداً بالحجة الدامغة مفترياتهم مفنداً أباطيلهم ودسائسهم مبيناً أن القرآن الكريم لايتمه ويفسره إلا الحديث النبوي الشريف قائلاً إنه يُعتبر : « بعد القرآن الكريم ، أعزّ ما لدى المجتمع الإسلامي من مصادر الحكمة في هداية الناس وإرشادهم ، وهذه المصادر الثلاثة : القرآن والأحاديث والسنة هي **أسس الحياة الإسلامية وغذاء الفكر الإسلامي** » ويردف كلامه هذا بقوله « هذا الجانب الخطير من الإسلام كان هدفاً لنقد لاذع في الآونة الأخيرة من قبل **جماعة من المستشرقين الغربيين** الذين يتعمون بالشهرة والنفوذ الأدبي وليس من مهاجمة أشد كفراً وأقبح غدراً ، يتعرض لها الإسلام ، كالهجوم الذي يستهدف تقويض أركانه ، إن مثل هذه الحملات الكتابية **لأشد خطراً على الإسلام من الحملات العسكرية . . .** » .

ثم يتولى المؤلف الرد على من كتب عن الإسلام معرّضاً ببعض جوانب سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام مبيناً ما فات هؤلاء من سجاياه وشمائله قائلاً : « إننا لسنا هنا في معرض الدفاع عن سيرة النبي ، ولكن نرى لزاماً علينا أن نوضح هذه الأمور ، لأن الاتهامات الباطلة بل الخبيثة الحاقدة ، التي توجه إلى النبي مؤسس الدعوة الإسلامية ، والتي تتردد كثيراً في الدراسات المعاصرة عن الإسلام ، من شأنها أن تجعل فهم الإسلام على حقيقته أمراً محالاً لدى أولئك **الذين يعتمدون هذه الدراسات ويأخذون بها** » .

ومن لطائف الموازنات التي يوردها المؤلف ، أنه عندما أكد على أن النبي عليه الصلاة والسلام كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب قال عن سرّ

أميته : « .. والسبب الذي يجعل من النبي ﷺ أميّاً هو السبب ذاته الذي يجعل من مريم العذراء بتولاً » .

قدسية اللغة العربية : يرى المؤلف أن الإسلام أسبغ على العربية قدسية امتازت بها على سائر اللغات « **لكونها جزءاً لايتجزأ من القرآن** » ولأنها من مستلزمات عدد من الشعائر الدينية ، ثم يرد على الذين لايؤمنون بقدسيتها من غربيين مسيحيين أو عرب يوالونهم ويقول : « يصعب على الغربيين أن يفهموا مدى أهمية اللغة المقدسة والدور الروحي الذي تقوم به في بعض الديانات ، لأنه **ليس للمسيحية لغة مقدسة** » ويخص من يجحد قدسية العربية من أبنائها بقوله : « **هؤلاء العرب المحدثون يخلطون بين دور العربية كلغة مقدسة دينية في الإسلام وبين دورها المفترض كلغة عرقية وقومية !** » .

إعجاز القرآن وبركته : القرآن الكريم معجز لأنه كلام الله عز وجل ، ومن أدلة المؤلف على هذا الإعجاز : « أنه نزل بلغة تستطيع اليوم وبعد انقضاء نحو أربعة عشر قرناً على نزوله **تحريك نفوس الناس كما حركتها عند بدء نزوله** » .

وللقرآن الكريم ، كما يرى المؤلف ، ميزة خاصة « **يصعب الكلام عنها بلغة الناس** ، وللمرء أن يعتبرها سحراً سماوياً » وهو يطلق عليها تعبير **بركة القرآن** ، البركة التي يعتقد بها المسلمون ويتوارثونها جيلاً عن جيل ، أما المسيحي فيصعب عليه تفهم سرّ هذه البركة ، كما يصعب على المسلم أن يتفهم سرّ احترام المسيحي للصليب ، أو معنى تعليقه إياه في عنقه تبركاً ، أو رسم علامته إذا مادهمه خطب أو نزلت به مصيبة !

المرأة في الإسلام : لم يترك المؤلف موضوعاً يثيره الحاقدون على

الإســـلام أو بسلطون الأنوار عليه ، إلا وعرض له مبيناً حقيقة حكم الإسلام فيه وهدفه منه ، فبحث في الجهاد وغاياته ، وفي حكمة تعدد الزوجات وشروطه ، أما قضية مساواة المرأة بالرجل ، أشغولة الأمم المتحدة في عام ١٩٧٥ ، فكانت محل دراسة انتهى المؤلف فيها إلى القول بأن هذه المشكلة غير موجودة في الإسلام أصلاً : « وأن الجدل الدائر حولها لايختلف عن الجدل الذي يدور حـــول المفاضلة بين الورد والياسمين ، ولكل منهما جماله وعطره ولونه وشكله » ثم تابع بحثه وقال :

« **إن الإسلام لايرى أن دور كل منهما هو منافسة الآخر ، بل يرى أن دور الواحد منهما متمم للآخر** . فلكل منهما حقـــوق وواجبات تفرضها عليه أو عليها طبيعة بنيته الجسدية » .

التصوف والباطنية : ركز المؤلف اهتمامه كثيراً بما أسماه الجانب الروحي أو الباطني في الإسلام تحت اسم « **الطريقة** » ، وكان تركيزه هذا بسبب العناية الفائقة التي أولاها جميع الذين كتبوا عن الإسلام من المستشرقين بهذا الموضوع من جهة ، وباعتبار التصوف – كما يرى المؤلف – عاملاً يوحد بين الشيعة وأهل السنة من جهة ثانية .

ثم وقف المؤلف للمستشرقين الذين كتبوا عن التصوف في الإسلام تحدوهم الرغبة في تشويه صورته الحقيقية ، وأخذ يفند أقوالهم ويرد عليها مبيناً « أن وراء حججهم كلها تقريباً — يقوم — افتراض مسبق بأن الإســـلام دين غير سماوي ، وعليه فلا يمكن أن يكون له جانب روحي أصيل » .

وأفاض المؤلف في بيان عقيدة من يرى أن للقرآن الكريم معاني باطنية وأنه « يتضمن معاني على جميع المستويات ولمختلف طبقات المؤمنين »

ثم شرح كيف تجد نفس كل مؤمن في ثنايا القرآن الكريم سلاماً ورضى لا يمكن أن تجدهما في هذا العالم المادي ، غير أنه اشترط لقبول صحة هذه العقيدة ، أن يقوم توازن منضبط بين الظاهر والباطن ، مؤكداً على أنه : « لا سبيل إلى تحقيق التوازن الذي يشترط فيمن يسلك طريق الصوفية إلا باتباع أوامر الشرع ونواهيه » .

وجاهر المؤلف بجرأة بأنه « لا يجوز لأحد أن ينبذ الظاهر الذي بين يديه باسم الباطن » ولم تفته الإشارة الصريحة إلى أن هنالك من حاول « أن يحطم التوازن لإعلاء شأن الطريقة » فانتهت به المحاولة إلى : « الانحراف عن الدين والخروج عليه » .

وأردف يقول : « إن كثيراً من الفرق الدينية المزيفة المارقة عن الدين تبدأ من أصول باطنية وتنحرف عن طبيعتها الأصلية بتحطيم إطار الشريعة الواقي ، وينتهي الأمر بها إلى أن تصبح إما فرقاً صغيرة وضررها بسيط نسبياً ، وإما فرقاً كبيرة خطرها يتوقف على التربة التي تنشأ فيها » .

وإذا كان المؤلف فيما كتبه عن حقائق الإسلام يمثل العالم المتتبع لمختلف الأقوال والمذاهب وهو يعرضها على قارئه عرضاً اتسم بكثير من الحياد والإنصاف ، فإن ما كتبه عن التصوف والمتصوفة يبدو متألقاً بمسحة من المعاناة الشخصية ، وقارئه يشعر خلال أسطر الكتاب بومضات روحانية تنم عن نفس شفافة وعن حس مرهف وإيمان عميق الجذور .

أهل السنة والشيعة : يعرض المؤلف أهم المبادىء العامة في الإسلام واصفاً إياها بأنها « النواحي الأساسية التي ترتكز عليها العقيدة الإسلامية

القوية التي تأخذ بها الفرق الإسلامية الكبرى » ولقد ابتعد في عرضه عن أي تعليق أو شرح لوجهات النظر الحساسة بين مختلف الفرق ، لأنها ــ باعتقاده ــ قائمة « **بقضاء وقدر من الله سبحانه وتعالى** » .

غير أن المؤلف ركز بشيء من التفصيل على المذهب الشيعي ومعتقداته باعتبار « أن جمهور الناس خارج العـــالم الإسلامي **يعرفون عن السنة أكثر مما يعرفون عن الشيعة** ، ولاسـيما في الغرب الذي كانت علاقاته ولا تزال أوثق مع السنة » .

وعلى شيء كبير من الثقة أكد المؤلف أن « **السنة والشيعة يؤلفان جزءاً واحداً لايتجزأ عن الإسلام الصحيح** الذي نشأ منذ البدء إسلاماً واحداً . والشيعة ليست طائفة خارجة عن الإســـلام الصحيح ، كما أنها ليست طائفة مستقلة مع أن في العالم الشيعي فئات خرجت عن الإسلام الصحيح ، وهذه تعتبر طوائف مسـتقلة » . وبذل المؤلف جهداً واضحاً في نفيه أن يكون الاختلاف في تطبيق بعض أحكام الدين أو في ممارسة بعض شعائره بين أهل السنة والشيعة ، يناقض وحدة الإسلام ، وهو يجزم بأن « **السنة والشيعة بعدان من أبعاد الإسلام** ، لم يوجدا لتقويض وحدته ، بل ليمكنا قسـماً أكبر من البشرية من مختلف الملل والنحل من دخول الإسلام والتنعم بعطياته » . كما أنه يعتقد بأن شهادة « **أن لا إله إلا الله** » التي يرددها كل مسـلم ، سواء أكان سنياً أم شيعياً ، بإحســـاس روحاني متماثل ، تؤكد وحدة العقيدة ، وأن الاختلاف بين الطائفتين لايعدو أن يجعل كل واحدة منها وجهاً متكاملاً لعقيدة واحدة وكأنه يقول بأنها **وجهان مختلفان لحقيقة واحدة** كوجهي الدينار .

ملاحظات وآراء في بعض جوانب الكتاب

محاضرات المؤلف كانت ولاشك بلغة أجنبية ، ثم اختار العربية لينشر بها الست الأولى ، وكأنه شعر وهو يصوغ هذه المحاضرات بالعربية بأن دقة الموضوع والهدف منه لم يسعفا أسلوبه ليكون عربياً مبيناً ، فتقدم من قارئه باعتذار يبين فيه أن تصنيف الكتاب كان بغير العربية لأنه « موجه إلى تلك الطبقة من المثقفين الذين يألفون طريقة التفكير المنطقية الجديدة المعروفة بالديالكتيكية (الجدلية) . وفضلًا عن هذا فقد حاولت – يقول المؤلف – رد كثير من التهم الباطلة التي تتضمنها المصنفات الغربية والتي يلصقها مؤلفوها بالإسلام ، ولا سيما تلك التي تتناول عناصر الإسلام الجوهرية كالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، ولذا قد يظهر أسلوب البحث وكأنه مشوب بصبغة غربية ، أو كأنه أسلوب قد تأثر بما قد كتب عن الإسلام بلغات أوروبية ، بحيث تظهر بعض الأبحاث فيه ترداداً أو حشواً بالنسبة للقارىء الذي لاعهد له بتلك المؤلفات » . وهذا الاعتذار يدفع بأي نقد يوجه إلى أسلوب الكتاب أو لغته إلى تجاوز حدود الإنصاف .

وإذا كنا نختلف مع المؤلف الفاضل في بعض الآراء التي أوردها ، أو الوقائع التي اعتبرها من المسلمات ، لاسيما في البحث الذي اطلق عليه تعبير الجانب الباطني للإسلام ، فإن اختلاف الرأي لايحجب عن الكتاب التقدير الذي يستحقه ولاينتقص من إعجابنا بالمؤلف الواسع الثقافة وبروحه الإسلامية القوية .

وسنجتزىء من ملاحظاتنا على الكتاب بالنماذج التالية ، تحدونا إليها

الغيرة أو الأمانة اللتان أبدى المؤلف أشد حرصه على توافرهما في كتابه .

أولاً : تسربت إلى لغة الكتاب عن طريق اللغة الأجنبية التي كتب بها بدءاً ، ألفاظ كان يحسن استبعادها كوصف الرسـول الأعظم ﷺ أحياناً بأنه (مؤسس الدعوة الإسلامية) ولو استبدلت بلفظة مؤسس كلمة (صاحب) لكان خيراً .

ثانياً : في مجال التفريق بين التشريع الإلهي والقانون الوضعي ، أورد المؤلف لفظة « قانون » وبحث في أصلها ومعناها الاصطلاحي ، مشيراً إلى اختلاف النظرة الإسلامية عن النظرة المسيحية إلى مفهوم التشريع ذاكراً أن لفظة : « قانون اقتبستها الديانتان معاً » عن اليونانية ، مما يخيل معه إلى القارىء العربي أن هذه اللفظة غدت اليوم مصطلحاً إسلامياً ، والحقيقة هي أن العلمـــاء المحدثين هم الذين أطلقوا اللفظة المعربة على التشريعات الوضعية وابقوا لفظتي (شرع وشريعة) للدلالة على الأحكام الإلهية والدينية ، أما كلمة (قانون) فهي لا تعني فقهـــاء الشريعة بكثير أو قليل . وكان من حق القارىء العربي أن يقي المؤلف على هـــذا التفريق بين الكلمتين في نسخته العربية مشيراً إلى صعـوبة التفريق بينهما باللغة الأجنبية ، إلا إذا استخدمت لفظة « شريعة » ودونت بالحـــروف اللاتينية لتدل على القانون الإلهي الإسلامي كما يفعل بعض المستشرقين .

ثالثاً : وردت في الكتاب أحاديث نبوية كثيرة ، إلا أن المؤلف أهمل مع الأسف ، الإشارة إلى المصدر الذي نقل الحديث عنه ، ولو وثق كل حديث بمصدره ، لكانت الدقة العلمية أكثر توافراً ، ولاسيما وأنه ذكر أحاديث اختلفت صياغتها عن الشائع المعروف ، كما أنه أورد بعض الأحاديث بمعناها دون الحفاظ على النص المأثور .

رابعاً : حاول المؤلف جهده إنصاف بني أمية فاعترف لهم بالحنكة السياسية وبالعبقرية في الحكم والإدارة والحفاظ على تماسك دولتهم ، غير أن قلمه نبا عندما وصف حكمهم بأنه (**كان حكماً علمانياً لا يستند إلى الدين**) وفي هذا الوصف بعض التناقض مع فكرة المؤلف نفسه التي أكدها أكثر من مرة ومفادها أن العربية تخلو من لفظتي (زمني وعلماني) وشرح سبب ذلك ، إضافة إلى أن شيئاً من الغلو قد توحيه كلمة (علماني) للدلالة على (**المُلْك العضوض**) كما ورد في الأثر .

خامساً : عندما تعرض المؤلف لرأي جمهرة المستشرقين في أن الخلاف بين أهل السنة والشيعة **كان خلافاً سياسياً** ، أكد بأن هذا الرأي صحيح إلى حدٍّ ما ، غير أنه استدرك شارحاً بأن الخلاف في حقيقته كان سياسياً بالنسبة لخلافة الرسول عليه السلام ، كما أنه **كان خلافاً فقهياً بالنسبة لمدى السلطة الدينية** .

وأردف يقول : « يمكن القول بأن المذهبين نشآ كائنين مستقلين فور أن أتم النبي رسالته على الأرض ، وذلك لأن الخلاف بين الفريقين بدأ منذ اللحظة التي قبض الله تعالى إليه نبيه ، **حين ذهبت فئة قليلة إلى أن الخلافة ينبغي أن تبقى في آل البيت ...** » وفي رأيي أن عبارة المؤلف هذه تحمل بصياغتها أكثر مما تحمله الأخبار الصحيحة عن أسباب تخلف بعض الصحابة رضي الله عنهم عن المسارعة إلى بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

سادساً : والملاحظة الأخيرة تتعلق ببحث المؤلف الذي أبان فيه أهمية الصلاة التي شرعها الإسلام والحكمة المقصودة من فرض صلاة الجمعة

في رأي بعض المذاهب ، وكم وددت وأنا أقرأ هذا البحث الممتع لو أن المؤلف عرض إلى حكمة صلاة الجماعة التي حثت عليها عدة أحاديث نبوية وتحرص عليها جماعات عديدة من المؤمنين .

هذه ملاحظات قارىء معجب لا تخل بقيمة الكتاب الممتع ، ولا بفضل مؤلفه ونبيل غاياته وعظيم دفاعه عن الإسلام برد الشبهات عنه ودفع أباطيل أعدائه والحاقدين عليه . فله منا خالص التقدير ، ولمن أهدانا الكتاب جزيل الشكر على صنيعه .

عدنان الخطيب

نظام الحكم في الشريعة والتاريخ

تأليف الأستاذ ظافر القاسمي

الجزء الأول : بيروت (دار النفائس) الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

الدكتور شكري فيصل

هذا الكتاب يبدو حديث عهد بالصدور ، ولكن من المؤكد أن صاحبه عانى قضاياه ومسائله التي توزعت أبوابه وفصوله معاناة طويلة ، وقد تكون معاناة قاسية في بعض الأحيـــان .. وذلك منذ أخذ يدرس مادة الثقافة الإسلامية في الجامعة اللبنانية في بيروت . ومامن شك في أن صلته بهذه الموضوعات ترتدّ إلى وراء ، إلى بعيد منذ كان يستمع إلى والده العلامة الشيخ جمال الدين القاسمي ، ومنذ كان يغشى بعض الحلقات والمساجد يصحب أهله أو يصحبه أهله .. ثم فيما كان بعد ذلك من دراسته الحقوق ومرافعاته في القضاء وعمله في فروع الثقافة العربية من خلال « مكتب النشر العربي » الذي أقامه مع صديقيه الأستاذين داود التكريتي وعصام الانجليزي ، وكأنهم كانوا يريدون أن يكون - أو هكذا تمثلت أنا الأمور - شيئاً يشبه لجنة التأليف والترجمة والنشر والذي أخرج عديداً من كتب التراث منها البخلاء للجاحظ ومنها المنقذ من الضلال للغزالي ؛ ثم صُرِف أصحابه عن ذلك إلى مهنتهم التي شغلتهم عن متابعة النشر والتحقيق إلى شؤون أخرى من شؤون الحياة والسياسة .

كـــر المؤلف كتابه على مقدمة وعلى تسـعة أبواب ، وطالت بعض الأبواب فتوزعت إلى عديد من الفصول ، وقد عقد الباب الأول حـــول موضوع : العرب قبل الإسلام وذلك حين رأى أنه « لا بد لفهم نظـام الحكم في الشريعة الإسلامية والتاريخ الإسلامي من التمهيد ببحث قصير ، في حدود المختصر الوافي ، عن الفترة التي كانت قبيل الإسـلام والتي عرفت بالجاهلية » (ص ٧) .

وجعل الباب الثاني عن « سـياسة الإسلام » والثالث عن (هجرة الرسول) والرابع عن « حكومة الرسول » تحدث فيه عن ثلاثة أشـياء عن الشؤون الداخلية وعن الشؤون الخارجية وعن الشؤون العسكرية .

أما الباب الخامس فعنوانه قواعد الحكم ، وقسمه إلى سبعة فصول الأول عن الحرية في الإسلام ، والثاني عن الشورى ، والثالث عن المساواة ، والرابع عن العدل ، والخامس عن المعارضة ، والسادس عن النقد النهائي أو محاسبة النفس .

وأما الباب السادس فقد قصره على موضوع الخلافة . ولأن موضوع الخلافة يؤلف صلب نظام الحكم فقد اضطر المؤلف أن يجعله في تسعة عشر فصلاً تناولت البيعة والعهد ، وأهل الشورى وأهل الحل والعقد ، والنظريات المختلفة حول البيعـة وما إلى ذلك . وقد شمل هذا الباب وحده نحواً من ثلث الكتاب .

وفي الباب السابع تحدث عن الوزارة وجعل ذلك في عشرة أبواب بعضها يدور مع التاريخ (الأموي والعباسيّ والأندلسيّ) وبعضها يدور على الوزارة في كتب السياسة الشرعية ، وبعضها يتوقف عند ارتباط مابين الوزراء والخلفاء والملوك .

أما الباب الثامن فموضوعه الولاية ، وهو في سبعة فصول ، وأما الباب التاسع فموضوعه الإمارة ، وهو في ثمانية فصول .

وقد اقتصرت فيما قدمت على عناوين الأبواب دون العناوين الكثيرة للفصول لأن القارىء يستطيع أن يلمح سعة آفاق الكتاب وغزارة مباحثه ودقة موضوعاتها حيناً وتشعبها حيناً آخر .. الأمر الذي يجعل الإقدام على التأليف في مثل هذه الأشياء يقتضي كثيراً من الجهد وكثيراً من البحث الدائب عبر عدد كبير من المؤلفات التي تناولت هذه الموضوعات في القديم أولاً ثم في الحديث بعد ذلك .

وفي تقديري أن البحث في مثل هذه الموضوعات الخطيرة في تاريخ الحياة العربية وفي تاريخ الفكر العربي ، وفي سير الحضارة الإسلامية بالشعوب التي صنعت هذه الحضارة ، لابدّ فيه من زاد كبير ولا بد فيه من ثقافة متنوعة عميقة حتى يستطيع الذي يخوض فيها أن يقدّم عملاً مذكوراً ذا بال .

وأحسب أن هنالك حاجة إلى هذه الأنواع الأربعة من الثقافة في معالجة نظام الحكم في الشريعة الإسلامية وفي التاريخ :

ثقافة شرعية تصل صاحبها بالعدد الكبير من كتب الفقه والتراث ، وتقدم له المادة الأولية لهذا البحث ووجهات النظر المتباينة للفرق المختلفة فيه .

وثقافة قانونية معاصرة تستطيع أن تنظر في التراث نظرة أكثر نفاذاً وعمقاً ، وقدرة على جلاء مافي التراث وحسن اكتناهه ، وتساعد على بعض الموازنات والمقارنات .

وثقافة سياسية ، أو قل حس سياسي دقيق منطلق من ممارسة السياسة

أو من تتبّع مسارها يساعد على فهـم الأحداث التي كانت وراء الأنظار والمبادىء الفقهية والخلافات المذهبية .

وثقافة تاريخية تتعمق الأرضية التي نشأت منها والتي نشأت عنها الأحداث والمذاهب ونبتت منها الأنظمة والقواعد ..

هذا ونحن لانتطلب أن تجتمع أقدار متساوية من الثقافات جميعاً عند مؤلف واحد ، ولكن من المؤكد أنها اجتمعت على نحو متوازن وسليم عند الأستاذ القاسمي ، وكان اجتماعها هذا هو الذي أنبط هذا الكتاب عنده .

ولست أتحدث عن سلامة اللغة وصحة الأداء واستواء التركيب ووضوح التعبير فتلك أمـور أساسية لاغنى عنها. وقد توفرت للأستاذ المؤلف على هذا النحو الواضح .

ونستطيـع أن نتبين نهج الكتاب من خلال هذه المقاطع التي جاءت في مقدمة المؤلف :

(ويهمني أن أسجل في هذه الكلمة تقديري لكل من سبقني من المؤلفين العـرب والأجانب في هذا الموضوع الحضاري الهام ، فقد قرأت كتبهم ، وانتفعت ببعض ماجاء فيها ، وعرفت مبلغ ماعانوا من السهر والجهد في البحث والدرس والتنسيق والتعريب .

ثم حاولت أن أضيف إلى ماصنعوا بعض مافاتهم ، سواء من حيث الموضوع أو من حيث الشكل ، وربما خالفتهم في بعض ماذهبوا إليه ، فذلك من طبيعة حرية الفكر في البحث العلمي .

ولقد حرصت على إيراد أكثر النصوص بحروفها كما وقفت عليها ، متوخياً تمرين طلابنا في الجامعات على معالجتها وتدبرها ، واكتساب الملكة الأدبية وملكة التأليف من روحها ومتنها وألفاظها ومعانيها) .

ويتميز هذا المنهج ، من نحو خلقي ، بالوفاء ... الوفاء للذين كتبوا أو ألفوا في هذا الموضوع من قبل ، وهو خلق أضحى عند كثيرين خلقاً نادراً : فهم ينقلون الصفحات من مصادرهم ، ويتعرفون من خلال كتاب أو بحث إلى المشكلة ، ثم يتجاوزون الوقفة عند الكتاب الذي دلهم ، بله الإشارة إليه عندما يتحدثون عن المشكلة .. ولست أشير إلى ماوراء ذلك ممـا يجترحون ، فأنا لا أتحدث عن عمليات السطو ، ولكني أتحدث عن عمليات التأليف .

كما يتميز هذا المنهج من نحو علمي بالاستناد إلى النصوص والتعرّف إليها ، والوقوف الطويل عندها ، ثم الانطلاق منها .

وقد غبرت سنوات على عديد من أساتذة الجامعة في دمشق وهم يصرّون على هذا الأسلوب يأخذون به أنفسهم أولاً ، ثم يأخذون به طلابهم بعد ذلك .. ويأخذونهم بشيء من الشدة ، أوقل من الحرص حتى لايكون التعليم الجامعي تلقيناً من التلقين ، أملية تلقى ، أو كتاباً يضع الأفكار والنظرات في صفحات محدودة ، ويسكت عـن العمل الجامعي الصحيح الذي يقوم بالنصوص ولايقوم إلاّ بالنصوص : تمرساً بها ، ودراسة لها ، وابتداء منها ، وانتهاء اليها .

والميزة الثالثة هي محاولة المؤلف أن يضيف شيئاً على الذين تقدموه .. وقد تكون هذه الإضافة موافقة وقد تكون مخالفة ... قد تكون إنكاراً وقد تكون رضى .. ولكنها أياً كانت فإنها يجب أن تكون مدعومة بالدليل ومايسبق الدليل من حوار ونقاش .

والحق أننا نواجه في التأليف المعاصر أسلوبين أو نمطين يسودان حركة التأليف أحدهما : هذا النوع من التأليف الذي يقارب المعنى اللغوي

للفظة .. ككل عمل يؤلف بين الأشياء التي يقع عليها ، يتعرف لها ويناقشها وينسقها ويبوبها .. إنه يقرأ المصادر والمراجع المختلفة المتعددة ثم يؤلف بين ماانتهى إليه من هذه المصادر ويخرجه بعد تنسيق وتبويب .

وهذا النمط من التأليف لايخرج عن أن يكون في جملته عرضاً جديداً لمعلومات سابقة ، في شيء من اختصار أو تطويل ، وفي وقفـة هنا أو وقفة هناك ... فهو لا يقدّم عملاً جديداً مبدعاً ولكنه يقدم عمـلاً مجموعاً على نحو جديد .

وقد لايبدو مثل هذا النمط مقنعاً .. ولكن حين نعرف كيف تتشعب الأبحاث في تراثنا وكيف كانت تكتب .. فإننا مضطرون إلى تقدير مثل هذه المؤلفات على غياب الجديد المبدع منها .

والنمط الآخر هو الذي يحاول أن ينظر فيما تقدمه له المصادر نظراً خاصاً ، هو أعمق من الجمع .. إنه يمحّصه ويدققه ويفهمه فهماً جديداً ، ويقيم هذا التفاعل بينه وبين ثقافته المعاصرة ويزاوج بين المفاهيم القديمة والحديثة .

ونحن مع الأستاذ القاسمي في هذا المؤلَّف نواجه هذين النمطين من التأليف .. هو في أقل المرات يقتصر على العرض ، وهو في أكثرها يضيف إلى المادة المنسقة المبوبـة رأياً يراه أو موقفاً يقفـه أو مقارنة يعقدها أو مناقشة يديرها (انظر في ص ٢٢٩ رأيه في صنيع عمر (رض) حين جعل لأهل الشورى حق انتخاب الخليفة) .

وقد يكون في بعض مواقفه ، أو في بعض نقاشه ، مأخوذاً بشيء من الحمـاس ، إلى حين يحتاج الموقف إلى قدر أكبر من الأناة أو إلى قدر أكبر من امتحان النصوص (انظر ما وصف به معاوية (رض) في ص ٢٨٥ والنقل الذي نقله عن السيوطي في كتاب تاريخ الخلفاء) .

رأي في
كتاب القصّاص والمذكرين لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي
المتوفّى سنة ٥٩٧ هـ

عُني بنشره الدكتور مارلين سوارتز

نشره معهد الآداب الشرقية ببيروت سنة ١٩٧١

الدكتور قاسم السامرائي

في نهاية صيف سنة ١٩٧٢ وصلت نسخة أنيقة من كتاب القصّاص والمذكرين إلى القسم الشرقي التابع لمكتبة جامعة لايدن هدية من دار المشرق، وقد رجاني صديقي شورد فان كوننكزفلد - رئيس المخطوطات العربية - أن أقابلها بالمخطوطة المحفوظة في المكتبة تحت رقم ٩٩٨ (٣) شرقيات؛ وأن أكتب مقالة قصيرة عنها نيابة عن المكتبة، لأن تحقيق الكتاب اعتمد على هذه المخطوطة الوحيدة. ولكن ظروف العمل التدريسي في الجامعة ومن ثم انشغالي بتحقيق كتاب الإنباء في تاريخ الخلفاء لابن العمراني حالا دون الكتابة آنئذ، بيد أنني كنت أتتبع ما كان يكتب عن الكتاب في مختلف المجلات التي تُعنى بمثله فوجدت ما يأتي :

1) Bosworth, C. E., in Journal of Semetic Studies, vol. 18, no: 1, 1973, p. 178 - 181.

2) Sellheim, Rudolf, Der Islam, 50 (2), 1973, p. 336 - 338.

3) Boullata, Issa, J. , The Muslim World, vol. LXIII, no : 4, p. 318 - 320 .

4) Schimmel, Annemarie, Der Welt des Islam, vol . XIV, no : 1 - 4, p. 231 .

وفي كلّ هذه المقالات شيء كثير من المديح والإطراء يعطيك صورة لما يدور في حلقات المستشرقين من الشعور بـ « إذا كلت سيكال لك » . وقد قرأت الكتاب كلّه مع ترجمته إلى الانكليزية فأحسست أن هذا الأثر النفيس قد أسيء إليه في نشره بهذه الصورة أكثر مما أحسن إليه ، وأن هذا الأثر الرائع لابن الجوزي يجب أن يُعاد نشره بتحقيق أدقّ وفهم أشمل ، ولعلك تتفق معي في هذا الرأي لو ألقيت نظرة عجلى على الجدول الملحق . ومع هذا فلست أكيل اللوم لمن كتب عنه حين أبدوا إعجاباً أو كالوا مديحاً ، فإنهم لم يكونوا في وضع يستطيعون فيه مقارنة النص المطبوع مع المخطوطة ، كما استطعت ، أو لعلهم لم يفكروا بتحمل مثل هذا العبء الذي تحملته ، وإلاّ فالحصول على صورة للمخطوطة أمر يسير لو شاء أحدهم . ولا بأس أن أورد بعض أقوال من كتب عن الكتاب لنسبر مدى حديثهم عنه وعن محققه :

(١) قال الأستاذ رودلف زيلهايم ، الأستاذ بجامعـــة فرانكفورت بألمانيا الغربية :

« ... Wenn alle Dissertationen — und Swartzens Arbeit lag als solche 1967 der Harvard — Universität in einer wohl sehr viel ausführlicheren Fassung vor — über dieses Niveau verfügen, dann braucht unserer Wissenschaft für die Zukunft nicht bange zu sein » .

ومعنى قوله : ولو أن كل رسائل الدكتوراه تكون بالمستوى(الرفيع) نفسه فإن علمنا لايخشى عليه مما يأتي به المستقبل .

(٢) وقالت الأستاذة آنا ماري شمل ، الأستاذة بجامعة بون بألمانيا :

«... jetzt in einer mustergültigen Ausgabe ... Der Verfasser, ein Schüler George Makdisi , hat dessen kritische Methode Übernommen ... » .

ومعنى قولها : الآن خرج الكتاب في طبعة مثالية يجب أن تحتذى ، والمحقق تلميذ جورج مقدسي ، ومنه تعلم هـــذه الطريقة النقدية المثلى في التحقيق .

(٣) وقال عيسى بولاطة (من مؤسسة هـارفرد) الذي يبـــدو أنه لبناني الأصل :

« .... Dr . Swartz's edition of the Arabic text is generally careful and edcquately compared with parts of Arabic sources where possible, considering it is based on a unicum ... » .

ومعنى قوله : تحقيق الدكتور سوارتز للنص العربي يتسم عموماً بالعناية والمقابلة الدقيقة مع نصوص أخرى في المصادر العربية حسب الطاقة ، مع الأخذ بعين الاعتبار أن التحقيق اعتمد على نسخة فريدة . ثم استطرد بولاطة في حديثه : « وقد انسلّت أخطاء قليلة في النص سهواً من المحقق أو الطابــع » ، وأورد بعض هـــذه الأخطاء التي حدثت في ثلاثة عشر موضعاً ، أغلبها حدث نتيجة خطأ المحقق في شكل بعض الكلمات ، أو سوء قراءة المخطوطة ، وقد تركتها عمداً مثل : « كالناعمة » بدلاً من « كالنائحة » و « يُشغَل » بدلاً من « يَشغَل » وإنما اكتفيت بإثبات ما يفيد القارىء المتبع الذي يريد تصحيح النص الذي عنده إذا كان مهتماً بالكتاب ومقتنياً له .

(٤) وأخيراً الأستاذ بوزورث الأستاذ بجامعة مانجستر بانكلترا ، فإن عرضه للقسم المترجم من الكتاب كان شاملاً ودقيقاً ، غير أنه أغفل النص العربيّ إلا في موضعين ، وأدار حديثه على الترجمة وما فيها من عثرات وأخطاء ، مثل « الخلق » حيث كتبه « الحلق » وترجمه بمعنى الحلاقة وقص الشعر ، فقال :

« ... one suspects that a thoroughgoing perusal would reveal many such lapses. The number of printing errors in the English part of the book is higher than it should be, although the difficulties of controlling the printing of a book in Lebanon from America doubtless account for many of these .. ».

ومعنى قوله : ولاشك أن مطالعة فاحصة دقيقة سوف تظهر كثيراً من مثل هذه العثرات . إن عدد الأخطاء الطباعية في النص الإنكليزي للكتاب هو أعلى مما يجب أن يكون ، ومع هذا فإن صعوبة السيطرة من أمريكا على كتاب يطبع في لبنان كانت بلاشك سبباً لحدوث كثير من هذه الأخطاء .

هذه أقوال من كتب عن « كتاب القصاص والمذكرين » من المستشرقين ومن لف لفّهم ، وقد سبق أن أبديت رأياً في تحقيق النصوص العربية في مكان آخر حيث قلت :

« إن تحقيق نص عربي ليس أمراً سهلاً يقوم به من شاء كما يشاء ، إذ له أصوله وقواعده التي التزمها المحققون وأخذوا بها . وهناك رأيان في طريقة إخراج النص لكل منها أنصاره ، فأولها : يرى أن الاقتصار على إخراج النص مصححاً وخالياً لايفيد القارىء أو الباحث ، لذلك ينبغي توضيح النص بالهوامش والتعليقات وإثبات الاختلاف في النسخ ، والإشارة إلى

مصادر ورود العلم أو الخبر وتتبعها بشيء من التوضيح غير الممل ، وقد التزم هذه الطريقة قلة من المحققين لما تتطلبه من جهد وصبر وعناء .

وثانيها : يرى أن إخراج النصّ لا يحتاج إلى إثقاله بالهوامش والتعليقات ، والإشارة إلى مناجم ورود الخبر أو العلم ، وإصلاح ما طرأ على النصّ من غلط النسّاخ وتصحيفهم . وقد زخر عالم النشر بكثير من إنتاج أصحاب الرأي الأخير فكان كارثة على الباحثين الذين رأوا أن الرجوع إلى المخطوط الأصل خير من الاعتماد على ما أخرج بهذه الحلة السقيمة » .

وهناك رأي ثالث : يرى أن إخراج النصّ يجب أن يكون على الصورة نفسها التي وردت في المخطوط دون تصحيح أو تعديل ، ويحتج أصحاب هذا الرأي بقولهم : إنّ كثيراً من الألفاظ والتعابير في المخطوط قد تكون من صنع الناسخ أو من صنع المؤلف ، فهي لذلك تمثل لغة العصر الذي عاش فيه المؤلف أو الناسخ ، وهي لذلك تفيدنا في التعرف على التطوّر اللغوي والحضاري لذلك العصر ، وأكثر أصحاب هذا الرأي من اللغويين الغربيين أو ممّن تأثر بهم من العرب الذين حاولوا قياس التطور اللغوي في العربية على تطور اللغات الأوربية من اللاتينية » .

إنّ تحقيق النصّ ليس عملية نسخ يقوم به من شاء ؛ بل هو عملية خلق جديدة لإعادة النصّ للحياة على الصورة التي أرادها المؤلف نفسه ، فمن غير المقبول عقلاً أن نقبل خطأً نحوياً أو صرفياً في مخطوط صنّفه عالم باللغة ، لأن هذا الخطأ يمثل لغة عصر المصنف أو عصر الناسخ ، وتحقيق النصّ لا يستلزم معرفة المحقق بالعربية حسب ، بل يفترض فيه أن يكون على علم بضروب المعرفة التي يتناولها النصّ ، وهو إلى ذلك يتطلب صبراً وجلداً ونفساً طويلاً على معاناة النص وخاصة إذا كان النص فريداً لا ثاني

له ، وليس غريباً أن لا يسلم نصٌ في الوجود أثناء تحقيقه من هنة هنا أو هفوة هناك أو إغفال للفظ أو سهو عن حرف ، حتى لو أوتي المحقق صبر أيوب ، وحلم الأحنف ، وحدة عين الزرقاء ، وإنما العجب أن يقع المحقق في خطأ يبين فيه جهله ، ويظهر تسرعه فيفقد ثقة قارئه . ومحقق كتاب القصاص والمذكرين أساء كثيراً في قراءة النص ، فتخبط في الترجمة ، ولم يسعفه أستاذه جورج مقدسي الذي لم يكن أحسن حالا في تحقيقه كتاب تحريم النظر ، ولكي أعطيك فكرة عن هذا التخبط إليك بعض هذه العثرات التي لا تقال :

(١) جاء في الورقة ٧٥ ا من المخطوطـة ، صفحة ١٠١ من النص المطبوع : « ... أخبرنا ... عن محمد بن الحسن النقاش ، قال حديث عن أبي الوليد الطيالسي .. » فقد ترجمها المحقق : « .. Abû'l - Walîd at Tayâlisî said .. »

وسياق الكلام يستلزم أن تكون . . . قال : حُدِّثتُ عن أبي الوليد الطيالسي وليس « قال ... » .

(٢) جاء في الورقـة ٧٨ ا من المخطوطة ، صفحة ١٠٥ من النص المطبوع : « . . . لقد عجبت من مثل هذا المحال البارد والكذب الشنيع كيف يجري بمدينة السلام وسكت عنه ، ولو ذكر هذا في قرية لأنكروا العجب التعصب لإبليس . . . »

ففي هذا النص عثرتان :

١ — لأنكروا العجب ، وصوابها : لأُنكِرَ ، والعجب ـ على بنـاء الفعل للمجهول .

٢ — إنه حين ترجم « مدينة السـلام » لم يفطن المحقق إلى أنهـا بغداد فترجمها حرفياً : « City of Peace » .

٣ – ورقة ٨٢ ا من المخطوطة ، صفحة ١١١ من النص المطبوع :

« ... وقرأ (سيفويه) يوماً : « ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه » ، فقال : هذه خلقت لبغا ووصيف ، فأما أنتم فيكفيكم شريط بدانق ونصف » . فجاءت في المطبوع : « لبغّاء ووصيف » وترجمها

« This chain was created for the seducer and the young page ..».

ومعنى ترجمته : هذه السلسلة خلقت للمستغوي وللخادم الصغير . ولاندري ماذنب الخادم الصغير ؟ وأي خادم هذا ؟ وقد فاته أن سيفويه وإن وصف بالتغفيل قد أراد بقوله هذا القائدين التركيين وصيف وبغا المشهورين في التاريخ العباسي .

٤ – وأنكى للقلب من كل هذا ما جاء في ورقة ٨٨ ا – ب من المخطوطة :

« ... كان رجل يصلي بنا في مسجد المدينة فطرّب ليلة فقال القاسم بن محمد : كتاب عزيز لا يأتيه البـاطل من بين يديه ولا من خلفه ، قال وكره ذلك قراءات على محمد بن ناصر ... » فنقلها المحقق بهذه الصورة :

٣٦٧ – ... كان رجل يصلي ... ولا من خلفه ! قال : وكرّه ذلك قراءات عليّ .

٣٦٨ – محمد بن ناصر عن أبي القاسم ...

والصواب : ... وكره ذلك . قرأت على محمد بن ناصر ... ، وهذا الخطأ الفاضح حدث أيضاً في ترجمته :

« He thus caused me to loath that kind of Quranic recitation ... » .

ومثل هذه العثرات التي حدثت في النص العربي تبعها ســـوء في الترجمة وفوضى في المعنى ، وقد أشار كل من بوزورث وبولاطة إلى هذا الخلط العجيب في مقاليهما عن الكتاب ، فذكر بولاطة أن المحقق ترجم « مصراعي الجنة » بـ « مصراعي جهنم » وكلمة « وعيد » بـ « وعد » وذكر بوزورث وبولاطة أمثلة أخرى تضحك المحزون وتستثير الأسى وهذا شر الأمور .

يقع النص العربي في ١٧١ صفحة بما في ذلك الفهارس ، والنص الانكليزي في ٢٦٤ صفحة مع الفهارس والمقدمة التي شغلت ٩٢ صفحة ، وقد كان النص والترجمة أطروحة قدمها المحقق سنة ١٩٦٧ إلى جامعة هارفورد لنيل شهادة الدكتوراه حيث نالها ، وقد عالج المحقق في مقدمته حياة ابن الجوزي ، وأصالة الكتاب ونسبته لابن الجوزي ، ومكان تأليف الكتاب وطبيعة الكتاب ، والغرض من تأليفه ، والمصادر التي استقى منها ، فضمنها كتابه سواء كانت سماعاً أو من مصادر مدونة ، ثم عرج على وصف المخطوطة ، والصعوبات التي اعترضته في التحقيق . ولعلّ أهم جانبٍ عالجه المحقق في مقدمته هو حياة ابن الجوزي الوعظية والسياسية ، فخلص إلى أنّ ابن الجوزي بما توفر عنده من مقدرة فائقة في التأثير على الجمهـــور البغدادي أعان الخلافة العباسية على استرداد قوتها السياسية من سيطرة القواد الأتراك أمثال قايماز ، فأوحى إلى قارئه أنه لولا تأثير ابن الجوزي السحري على جمهور بغداد حيث دفعهم إلى مساندة الخليفة لما استطاعت الخلافة العباسية أن تلمس خطاها ويستمر نفوذها السياسي ووجودها الديني ، واستطاع المحقق بنجاح يستثير الإعجاب تحديد الزمن الذي تم فيه تصنيف الكتاب من دراسة بعض الإشارات التي وردت في ثنايا الكتاب ، وربطها

بالحوادث التاريخية التي ذكرها أصحاب التواريخ ، فقال : « إن تصنيف الكتاب لا يمكن أن يكون بعد سنة ٥٧٥ هـ ، ويحتمل أن يكون في الفترة الواقعة بين سنة ٥٧٠ هـ وسنة ٥٧٥ هـ » . ثم تطرق إلى أن غرض ابن الجوزي من تصنيف كتابه لم يكن مهاجمة القصّاص والوعاظ كما ظن بيدرسون ، وإنما دفاعاً عنهم . وأخيراً أفرد جانباً كبيراً من مقدمته للكلام على النص العربي فقال : ومع كل الجهود المضنية فلم أستطع العثور على نسخة ثانية ، وإن النسخة الوحيدة هي التي تمتلكها مكتبة جامعة لايدن ، والتي دخلت إلى حوزة فارنر أثناء مكوثه في الشرق من سنة ١٦٥٤ إلى سنة ١٦٦٥ ميلادية ، وقد استفاد منها بعض المستشرقين في كتاباتهم وذكرها بروكلمان في كتابه [Gal. 1 , 503] ، ثم وصف المخطوطة فقال : « وقد كتبت المخطوطة بخط نسخي واضح وبخط واحد بما في ذلك التعليقات على الحواشي ، وما أغفله الناسخ فأضافه حين المقابلة » . والأمر ليس كذلك ، فإن العنوان واسم المؤلف وما تبعه من دعاء ، وكثيراً مما أضيف إلى الحواشي ، كتبه محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن القصاص المقرىء الصديقي الشافعي الذي امتلك الكتاب سنة نسخه ، ولعل الناسخ كتبه له ليستعين به على صنعته . ثم حاول المحقق أن يقرأ اسم الناسخ فلم يحسن فأورده بهذه الصورة في مقدمته :

« الفقير مجدالدين المنصور ؟ بن علي النمري » .

وقال : « لقد بحثت في كل كتب التراجم للقرنين العاشر والحادي عشر ، فلم أستطع العثور على أي شيء عنه » . وأنّى له ذلك والناسخ ليس عالماً مشهوراً حتى يترجم له أصحاب التراجم ! ومع هذا فقد عثرت على ذكر له في مخطوطة « شرح لامية العجم للدميري » نسخة برلين رقم ٧٦٦٤ فجاء اسمه بالصورة

نفسها التي جاء بها في مخطوطة القصاص والمذكرين وزيادة . فقد جاء في مخطوطة القصاص والمذكرين : كتبه الفقير مجد الدين بن علي المنصوري الغمري ، وجاء في مخطوطة شرح لامية العجم : مجد الدين بن علي بن أحمد المنصوري الشافعي ، واسم الناسخ هنا يعيننا على تحديد مكان نسخ المخطوطة فإن الناسخ منصوري وغمري وشافعي وكلها في مصر .

لقد أراد ابن الجوزي من كتابه هذا التفريق بين الوعاظ والمُذكّرين الذين وعظوا حسبةً ، وبين من تشبّه بهم فأحدث وابتدع وأتى بالمنكرات في الأفعال والأقوال والمقاصد ، وبدعة التشبه لم تقتصر على فن القصص والتصوف أو التحديث أو التطبيب ، بل سرت إلى كل فن مرغوب فيه أو مرغوب عنه ، وحتى التطفيل والكدية لم يسلما من المتشبهين بأهلها ، وإن مصادرنا مليئة بمثل هؤلاء المتشبهة الأدعياء ، فالسراج الطوسي المتوفى سنة ٣٧٨ هـ كتب كتابه اللمع حتى يميز العـــاقلُ بين الصوفية « وبين المتشبهين والمتلبسين بلبسهم والمتسمين باسمهم ، فقد كثر الخائضون في علوم هذه الطائفة وكثر أيضاً المتشبهون بأهل التصوف »(١) . وإنا لواجدون مثل هذا كثيراً في كتب العلماء المصنفة دفاعاً عن أصـــالة علمهم وتحذيراً من المتشبهة بهم ، وقد أوضح ابن الجوزي غرضه من تصنيف كتابه . فقال : « إن أقواماً ممن كان يدخل في الدين ما ليس منه قصّوا فأدخلوا في قصصهم ما يفسد قلوب العوام ، لأن عموم القصاص لا يتحرّون الصواب ولا يتحرّزون من الخطأ لقلة علمهم وتقواهم » .

وأبو حاتم البستي ، المتوفى سنة ٣٥٤ هـ ، يصنف كتابه روضة

(١) تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور ، القاهرة ١٩٦٠ صفحة ١٨ - ١٩

العقلاء ونزهة الفضلاء ، لأن : « الزمان قد تبين للعاقل تغيره ، ولاح للبيب تبدله ، يبس ضرعه بعد الغزارة ، وذبل فرعه بعد النضارة ، ونحل عوده بعد الرطوبة ، وبشع مذاقه بعد العذوبة ، فنبغ فيه أقوام يدّعون التمكن من العقل باستعمال ضد مايوجب العقل من شهوات صدورهم .. »[1]

وأبو الحسن الديلمي تلميذ الصوفي المشهور ابن خفيف الشيرازي المتوفى سنة ٣٧١ هـ ، يؤلف كتابه : عطف الألف المألوف على اللام المعطوف ، في المحبة فيقول : « إنا وجدنا المحبة أشهر حال وأعلاها في ما بين الناس من الخاص والعام ، والجاهل والعالم ، والشريف والدنيء ، والفاضل والخسيس ، ولهذه الجهة كثرت شبهتها ، وعظم تزويرها ، وظهر فسادها عند أهلها من تمويه الموهمين بها ، ومخاريق الداخلين فيها وتزوير المدعين لها ... »[2]

إن غرض ابن الجوزي في تحديد معنى الواعظ والقاصّ والمذكّر والمحذر يبدو واضحاً في الفصول العشرة الأولى التي عقدها ، وهي عنده واحدة وإن تعددت ألفاظها ، وإن مدار الاختلاف في المعنى يقع على حسن نية الرجل وسلامة قصده أو خبثه ، فكل السلف الأول كانوا وعاظاً وقصاصاً ومذكرين ، أما في عصر ابن الجوزي فإن المعنى اتخذ مصطلحاً خاصاً فالمذكّر غير القاص ، وهو غير الواعظ ، بل لعلها أصبحت مناصب رسمية ، فإن أسعد بن صاعد الحنفي كانت إليه الخطابة والتذكير والتدريس ببلده نيسابور[3] ، وأبو الفتوح الأسفرائيني كان واعظ الخليفة

---

(١) الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٢٨ هـ

(٢) تحقيق فاديه ، القاهرة ١٩٦٢

(٣) المنتظم ١٠ / ٣١ - ٣٢

الراشد بالله ، وقد صحبه إلى الموصل وبقي معه حين خانه أمراؤه ، « ولم يبق معه صاحب عمامة سوى أبي الفتوح »[١] ، والمغربي الواعظ يركب فرس وزير السلطان ، ويجلس للوعظ في دار السلطان[٢] .

ويبدو أيضاً أن القاصّ والواعظ قد اتصف كل منهما بسمات معينة لا تتوفر في الآخر ، فإن محمد بن عبد الله العامري « كان يتدين ويعظ ويتكلم على طريقة التصوف والمعرفة من غير تكلف الوعاظ ، فكم من يوم صعد المنبر وفي يده مروحة يتروّح بها ، وليس عنده أحد يقرأ كما تفعل القصاص »[٣] . وقد سمي أبو العباس أحمد بن أحمد الطبري بابن القاصّ لأن أباه وعظ وذكّر بالديلم[٤]. والحديث طريف وطويل وجدير بالبحث والمتابعة .

إن كراهية علماء السلف للقصّاص وتحذيرهم منهم يرجع إلى خوفهم أن يتسلل النفاق وتستخدم المبالغة ويشيع الكذب والرياء ، أما إذا وعظ الناسَ وقص عليهم من يعرف الصحيح من الفاسد ، والناسخ من المنسوخ ، وكان حافظاً لحديث رسول الله ﷺ ، عارفاً بصحيحه وضعيفه ، ومسنده ومنقطعه ، عالماً بالتواريخ وسير السلف ، حافظاً لأخبار الزهاد ، فقيهاً في دين الله ، عالماً بالعربية واللغة ، فصيح اللسان ، ومدار ذلك كلّه على تقوى الله عز وجل[٥] ، فلا كراهة ، ولهذا قال الإمام علي وقد رأى قاصاً يقصّ : « أتقص ونحن قريبو عهد برسول الله ؟ لأسألنك فإن

(١) المنتظم ٦٧/١٠
(٢) المصدر نفسه ٧٩/١٠
(٣) المصدر نفسه ٦٤/١٠
(٤) طبقات السبكي ١٠٣/٢ ، طبقات الشيرازي ١١١
(٥) كتاب القصاص والمذكرين ٢٤

أجبتني وإلاّ خفقتك بهذه الدرّة . ماثبات الدين وزواله ؟ قال : أما ثباته فالورع ، وأما زواله فالطمع ، قال : أحسنت ، قُصّ فمثلك فليقص » .[١]

وقد تطور فن القصص خلال العصور الإسلامية فأدخل فيه ما ليس منه ، وبعد أن كان القصاص والوعاظ يُرغّبون في الآخرة وما في الجنة من نعيم مما لم تره عين أو تسمع به أذن ، ويرهّبون من النار وما فيها من عذاب تقشعر منه الجلود ، اتخذ قصّاص القرن الثاني ومابعده هذا الفن لاستهواء عقول العامة من الناس طمعاً في أموالهم ، فأدخلوا ما أدخلوا فيه من كذب ومبالغة وتلفيق ، « ولما كان خطابهم بالوعظ في الأغلب للعوام ، وجد الجهال من القصاص فيه طريقاً ليناً إلى بلوغ أغراضهم » [٢] ونيل مبتغاهم ، في أجر بلا جهد ومتعة بلا مشقة .

ومع هذا فالقاصّ الصادق عند ابن الجوزي أنفع للعوام من العالم الكبير ، لأنه أقدر على استهوائهم وبالتالي منفعتهم ، لأنه يكلمهم بما يفهمون ، وقد روى ابن الجوزي أن أم الإمام الأعظم أبي حنيفة أرادت أن تستفتي في شيء فأفتاها فلم تقبل ، وقالت : لا أقبل إلا ما يقول زرعة القاص ، فجاء بها أبو حنيفة إلى زرعة فقال : هذه أمي تستفتيك في كذا وكذا ، فقـال : أنت أعلم مني وأفقه فأفتها أنت . فقال أبو حنيفة : قد أفتيتها بكذا وكذا ، فقال زرعة : القول كما قال أبو حنيفة ، فرضيت وانصرفت »[٣] وأذكر في صباي وقبل أكثر من عشرين عاماً ، في بعقوبة ، عالماً جليلاً

(١) كتاب القصاص والمذكرين ٢٥

(٢) المصدر نفسه ٩٣ وكلمة « ليّناً » لم ترد في نص ابن الجوزي وهي من عندي

(٣) المصدر نفسه ١٠٨

كان يصعد المنبر فيأخذ في الحديث والتفسير وكلام السلف الصالح ، فلا يلتفت إليه جمهور النـاس ويعـــلو حديثهم ويشتد لغطهم ، فإذا صعد عبد الأمير البزاز وكان قاصّاً اشرأبت إليه الأعناق ، وخفتت الأصوات ، وأخذ في التطريب واستدرار الدموع ، فينقلب المجلس من علم وفائدة إلى مناحة وصراخ ، فرحم الله ذلك العالم إن اختاره الله لجواره فلقد تعامت منه كثيراً . والعامة من الناس تسمع ما تسمع ولا تنكر ما تسمع وتصدق كل ماتسمع ، فإذا خرجوا قالوا : قال العالم ، فالعالم عند العوام من صعد المنبر . وحيثما يكون علماء أتقيـــاء ووعاظ صلحاء ، يذكّرون الناس بالله حسبةً واحتسابا ، يكون هناك من يتخـــذ الوعظ وسيلة للاصطياد واجتداء الأموال السحت من سذج الناس ، فلا يتورعون من الكذب والدجل والاختلاق على رسول الله وأئمة الدين من السلف الصالح ، ولهذا وصمهم محمد بن كثير الصنماني بالكذب : « هـــم أكذب الخلق على الله وعلى أنبيائه » .

وحاضرنا يعج بمثل هؤلاء القصاص الذين يبكون نفاقاً ويلطمون رياءً ، استجلاباً للمال الحرام واستخفافاً بعقول الناس ، فكم من أحاديث لفقت ، وحكايات اختلقت ، والناس بين زاعق وذارف دمعاً ، لا تقىً لله ولا خوفاً من يوم تسودّ فيه الوجوه ، ولهؤلاء كان كتاب ابن الجوزي ، وتحذيراً منهم ومن أمثالهم كتبه فقال : « وبلغني أن فيهم من يمسك معه ما إذا شمّه سـال دمعه » ، « وفيهم من يرتعد ويتباكى تصنعاً » (١) . ومن مثل هذا التصنع ومن مثـــل هذا الرياء ، وإشفاقاً منهم وغيرة على المسلمين كره السلف القصص والقصّاص وتشددوا فيها ، خوفاً أن يُشاب

---

(١) كتاب القصاص والمذكرين ٩٣ – ٩٤

الحق بالباطل فيغوى القاص ويستغوي الناس ، وقد روى الجاحظ أن الأسود بن سريع ، المتوفى سنة ٤٢ هـ وهو أول من قص بمسجد البصرة ، « كان يقص في ناحية المسجد ، ورفع الناس أيديهم ، فأتاهم مجاهد بن مسعود (وكان صحابياً) ... فأوسعوا له فقال : والله ماجئت لأجالسكم وإن كنتم جلساء صدق ، ولكني رأيتكم صنعتم شيئاً فشفر الناس لكم ، فإياكم وما أنكر المسلمون » . (٢)

لقد أفرغ المحقق الدكتور سوارتز جهده في الحديث عن دفاع ابن الجوزي عن فن القصص والقصاص ، وميل الفقهاء إلى احتقارهم وتجنبهم حضور مجالسهم أو حلقاتهم ، وأن الفقهاء لم يكونوا وحدهم يشعرون بمثل هذه الكراهية للقصاص والوعاظ ، وإنما شاركهم أصحاب الحديث في مقاومتهم والتحذير منهم ، وخلص إلى أن « هاتين المجموعتين من الفقهاء وأصحاب الحديث كانوا يمثلون الوجهة الشرعية الفقهية [Legal] للإسلام ، بينما مال القصاص إلى التركيز على التفسير العفوي الحر لدينهم » :

« ... tended to emphasize the free, spontaneous, informal interpretation of their religion , ... » p. 56 .

وإني ليأخذني العجب العجاب إن كان الدكتور سوارتز يفهم مايقول ، فإن العلماء والفقهاء لم يتشددوا في تحريم القصص ، لأن القصاص كانوا

(٢) كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان ، تح : محمد مرسي الخولي ، القاهرة - بيروت ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م ، صفحة ١٣١ - ١٣٢ ، وقد أحال الأخ الخولي على الإصابة ، الترجمة ٧٧١٨

« يميلون إلى تفسير دينهم بمثل هذه العفوية والحرية » ، وهذا ابن الجوزي نفسه يورد في كتابه كثيراً من أقوال الفقهاء في الحث على سماع القاص إذا كان ذا دين وورع وصدق ، ونهوا عن سماع كلام أولئك المخرقين الضالين . قال الإمام أحمـــد بن حنبل وقد سئل عن مجالسة القصاص : « إذا كان القاص صدوقاً فلا رأى بمجالسته بأساً »[1] ، ولم يغفل ابن الجوزي عن إيراد بعض حكايات المتشبهة ، فأورد أمثلة من مخاريقهم ودعاواهم وكذبهم حتى على الأحياء ، وقصة الشعبي مع التدمريين ، وحكاية أحمد بن حنبل ويحيى بن معين مع أحد القصاص في مسجد الرصافة ببغداد خير دليل على كذب القصاص المتشبهة ، الذين رأى فيهم سوارتز المفسرين الصادقين والممثلين الحقيقيين للإسلام . وكنا نود لو حدثنا المحقق عن أسباب ظهور فن القصص وتطوره خلال العصور الإسلامية ، فإنه بعد أن كان حسبةً أصبح مهنة ، لأن مثل هذا البحث أكثر لصوقاً وأصالة بأطروحته من الحديث عن جوانب معروفة من حياة ابن الجوزي أو نسبة الكتاب إليه .

إن هذا ليس كل ما في التحقيق ، فإن الفوضى التي عمّت النص والترجمة وجدت طريقها إلى الفهارس بنوعيها ، وإليك مثالين من كثير :

١ – أبو بكر الخطيب البغدادي : وجدناه :

أبو بكر الخطيب

أحمد بن علي بن ثابت

٢ – أبو بكر القطيعي

---

(١) كتاب القصاص والمذكرين ١٩ – ٢٠

أبو بكر أحمد بن جعفر
أحمد بن جعفر بن حمدان
أحمد بن حمدان

وكان في إمكانه أن يضعها كلها تحت اسم واحد : أحمد بن علي ابن ثابت ، الخطيب البغدادي ، أو يحيل على اسم واحد ، وهذا ما يفعله الباحثون في كل مكان . أما الأخطاء التي حدثت في قراءة الأعلام فمأساة ، وقد كنت أظن أنها أخطاء طباعية ، ولما أدرجها في الفهرس صار الظن يقيناً إنها منه فمثلاً : أبو عمر بن حيُّوية صار ابن حويّه وقد ذكرهما في موضعين مختلفين ، ويمان النجراني صار البحراني [1] .

وبعد ... ألا ترى معي أن هذا النص يجب أن يعاد تحقيقه ؟ وإليك الدليل :

(١) الصفحات : ٣٤ ، ٤٤ ، ٦٦ ، ١٠٠

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصــــواب
٤	١٠	٨	أتفعلا	كذلك	أتفعلان
٦	١١	١٠	وإذا	=	وإذ
٩	١٣	١٦	اختلافاً	اخلافاً	ما في المخطوطة
١١	١٤	١٠	صحر	صخر ،وأشار في الحاشية : صحد	صخر
=	=	١٢	أقوى	كذلك	يقوى
١٢	=	١٥	بن أبي الفوارس	كذلك	ابن أبي الفوارس ، انظرطبقات الحفاظ ٣/٢٥٥ ، تاريخ بغداد ، محمد بن أحمد بن محمد
١٥	١٦	١٥	قال : بأبي أنت تقص	قال : يا أبي أنت تقص	قال : بأبي أنت ، أقص ؟
١٧	١٧	٩	وهو يوس	وهو يؤمر	وهو يُؤمّن ، أي : يقول آمين.
١٨	=	١٤	ما علمـــه	ما عليـــه	ما في المخطوطة
١٩	=	١٨	مسلم بن يسار	كذلك ،وأشارفي الحاشية: قال : مخ . يسان	والصواب ما في المخطوطة

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصواب
٢٣	١٩	١٠	كأن أبا عبد الله كره	كان أبو عبد الله كره	وأشار في الحاشية : خ : أبا
٢٩	٢٠	١٠	سمع أبا عبد الله سئل	كذلك	سمع أبا عبد الله [وقد] سئل
٣٠	=	١٥	الشهوات المردية	الشهوات المردئة	ما في المخطوطة
=	٢١	٣	يذكرون	يُذكترون	يُذَكِّرون
٣٢	٢٢	١١	وكان أول من قص تميم	وكانأول من قص تميا	مافي المخطوطة لان «تميم» اسم كان مؤخر .
٣٤	٢٣	١	البرواني	البرقاني	النص يشير إلى قراءة المخطوطة والحكاية في تحذير السيوطي ٥٨ ـ ٥٩ رواية عن الإمام أحمد والطبراني وابن ماجه
٤٠	٢٥	٩	ونحن قريب	كذلك	ونحن قريبو ، انظر : سطر ١٧ من الصفحة نفسها
٤٤	٢٦	٢٠	وقضانة	وقضافة	ونضافة ، كما في تحذير السيوطي ٧٩

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصواب
٤٤	٢٧	١	فأما من يجرح	كذلك	فأما من يخرج
=	=	٣	ولربما كانت الصور	=	ولربما كانت الصور
			والسموات تواتر	=	والسمات تؤثر
=	=	٤	من لم ينفعك رؤيته	كذلك	من لم تنفعك رؤيته ...
٤٥	٢٨	٧	لا يقص	لا يقص (بضم الياء وفتح القاف وتشديد الصاد مع فتحها)	ولو لم يحرك الكلمة لضاع الخطأ .
٤٨	٣٠	٤	الفربري	بفتح وفتح وسكون وكسر وسكون	بكسر وفتح وسكون الباء ، وانظر معجم البلدان ٣/٨٦٧ ، طبقات الحنابلة ١/٣٧ ، وفيات الأعيان ٦٣٢
٥٠	٣١	٢	فإن أثبت فمرتين	كذلك	فإن أبيت ... مسند أحمد ٦/٢١٧ حين أوصت أم المؤمنين عائشة ، رضي الله عنها ، قاص المدينة .

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصــواب
٥٦	٣٤	١	ابن حويه (وانظر: صفحة ٤٤، ٦٦)	كذلك	ابن حيويه ، قارن الأسناد في الصفحات ٢٢ ، ٥١ ، ٥٦، ٥٨ ، ١١١، ١٣٢، ١٣٩ ففيها كلها: روى أبو محمد الجوهري عن ابن حيّويه.
٥٩	٣٥	٢	نأتي هولا	نأتي هؤلاَ	نأتي هؤلاء
٦٠	=	١٣	ذكر بالله وذكر لله	ذَكِّر بالله وذِكْر لله	ولو لم يشكل الحروف لكان له أسلم، والصواب: وَذكِّر في كلا الموضعين، وأشار إلى حلية الأولياء: ج ٦ والصواب: ج ٣
٦٢	٣٦	٨		حاشية: ١، الطبقات ٦/١٩٩	والصواب: ٦/١٧٦ ، وانظر: ميزان الاعتدال ٤/١٤٣
٦٦	٣٧	٧	العبادلة	العباد لة	فقد ظنها كلمتين وهي العبادلة: جمع عبد الله.

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصـــواب
٦٩	٣٩	٧	فتزلق أقتابه	فتدلق أقتابه	فتندلق أقتابه ، انظر : غريب الحديث لابن حجر ١٩١ ، النهاية في غريب الحديث ١١/٤ ، كتاب تحريم النظر لابن قدامة ٥٧ والقتب (بكسر القاف وسكون التاء) : الأمعاء
٧٠	٣٩	١٤	ابن جريج	كذلك	لم يذكره في فهرس الأعلام .
٧٧	٤٢	٦		و/ذكر أعيان المذكر/	و [ذكر أعيان المذكرين]
٧٨	=	١٣	الوضاة	الوضاءة	مافي المخطوطة هو الصواب .
٨٣	٤٥	٣	ولت جدا	كذلك	ولت حذاء ، كما في صحيح مسلم الذي أشار إليه المحقق .
=	=	٨	وليأتين عليه يوماً	=	وليأتين عليه يوم .
٨٧	٤٧	٤	فضل به عليه غيره	كذلك	«عليه» وردت في الحاشية وهي زائدة لامعنى لها ، ولم ترد في صفوة الصفوة ٢٢١/١ ، ولا في حلية الأولياء ٢٠٧/١

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصواب
٩٨	٥٢	٧	ولاضطراب	كذلك	ولا يضطرب كما في الحلية ٣٢٤/١، وصفوة الصفوة ٣١٨/١ .
١٠٤	٥٥	١٦	وكان لي صديق	=	وكان لي صديقاً . لأنه جواب «كان» .
=	=	١٧	اسأله	أسأل	ما في المخطوطة . .
=	=	١٨	اقبلوا	كذلك	فاقبـــلوا .
=	٥٦	٢	تتخرمه	تتحزمـــه	تتخرمـــه
=	=	٥	احرم	أحُرِم	وقد ترجمها «انصرف» والصواب : مافي المخطوطة لأن معناها حلف على التوبة وأمسك عن المعاصي ودخل في حرمة لا تهتك، انظر: اللسان ١٣/١٥ — ١٥
١٠٥	٥٦	١٦	تالا	تتألى	مافي المخطوطة ، لأن تألى : حلف ومثله آلى يؤلي إيلاء . وفي القرآن الكريم : «ولا يأتل أولو الفضل منكم ..» والألية: اليمين
١١٢	٥٨	١٧	أحمد ومحمد ابنا	أحمد ومحمد أبناء	ما في المخطوطة .

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصـــواب
١١٥	٦٠	١٤	ثم تحلل	ثم تخلل	ما في المخطوطة لأن « تخلل » بالخاء لا معنى لها ، ومن ثم فإن الناسخ وضع حرف « ح » صغير تحت الحاء للدلالة عليه .
=	=	١٥	من ران الذنوب	كذلك	من أدران الذنوب .
=	=	١٨	فلا تألو	=	فلا تأل ...
١١٨	٦٢	٤	يا صريح	=	ياصريع ، كما في صفوة الصفوة ١١١/٢ .
١٢١	=	١٦	حلتان خضراوتان	=	حلتان خضراوان .
١٢٣	٦٤	٩	إنه لا أعظم رزية في عقل ممن ضيع اليقين	كذلك	والصواب كما في الحلية ٣١/٤ ، وصفوة الصفوة ١٦٥/٢ ، « إنه لا رزية أعظم من رزية في عقله ممن ضيع اليقين » .
١٢٤	٦٤	١٣	بما تظعنون	بما يظعنون	ما في المخطوطة .
..	٦٦	حاشية : ١	....	....	أضف : حلية ٢١٢/٤
...	..	حاشية : ٢	....	....	= = ٢٤٩/٤

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصــواب
١٣١	٦٧	٥	قال ذر لأبيه	قال ذر لابنه	ما في المخطوطة، وهو كذلك في الحلية ٥/١١٠ وتحذير السيوطي ٧٩ ، لأن جواب الأب في السطر ٧ : يابني . وعن موت ذر هذا وقول أبيه عمر، انظر: الحلية ٥/١٠٨-١٠٩
١٣٣	٦٨	٩	تموت حتى تقص	كذلك	تموت حين تقص
١٣٤	=	١٢	أحمد بن محمد الطوسي	=	أحمد بن محمد الكوفي كما في تاريخ بغداد ٥/٣٧٠
=	=	١٥			تجد الحكاية في تاريخ بغداد ٥/٣٧٠
١٣٥	٦٩	٢			تجد الحكاية في النجوم الزاهرة ٢/١١١، تاريخ بغداد ٥/٣٧٣
١٣٦	=	٩	يا اخوتاه	يا اخوان	وأشار إلى المخطوطة فقال : « م : أخونا وليس كذلك » .
١٤٠	٧١	١٤	ابن أبي عصمة	ابن أبي عصيمة	والصواب ما في المخطوطة .

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصــــواب
١٤٠	٧١	١٦	المامومين	كذلك	والصواب: المامونين، أي: الذي لا يكذب على رسول الله ﷺ .
١٤١	٧٢	٤			حاشية: (١) أشار إلى البخاري ١/٢٤٣، والحديث في صحيح البخاري ٤/٢٤٣، ومسند أحمد ٣/١٣٤
=	=	=	يصبهم سفع	كذلك	يصيبهم سفع ، كما في مسند أحمد ٣/١٣٣ وفي صحيح البخاري ٤/٢٤٣ « بعد ما مسهم منها سفع » .
١٤٣	=	١٤	ابن أبي عصمة	ابن أبي عصيبة	مافي المخطوطة .
١٥٠	٧٥	١١		حاشية : ٢	قال: صفوة ٣/٢١١ زيادة ، أويصلي لك، والصواب : أن كل الحكاية مختلفة تماماً عن الحكاية هنا .
١٥٨	٧٨	١٣			تجد هذه الحكاية في تحذير السيوطي ٧٩

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماودر في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصـــواب
١٥٩	٧٩	٦	محمد بن نصر	كذلك	وهو جعفر بن محمد بن نصير الخلدي ، الصوفي المعروف ، وقد أشار في الحاشية: ١ فقال : وتاريخ بغداد ٧/٢٢٦ ، نصير » وكان المفروض إثبات الصحيح والإشارة إلى الخطأ .
=	=	٩	إذا تكلم	إذ أتكلم	ما في المخطوطة وتاريخ بغداد ١٤/٢٠٩
١٦٢	٨٠	١١			الحكاية في تاريخ بغداد ٩/١٠١ ١٠٢ « طبيب يداوي والطبيب مريض » .
١٧٤	٨٦	١١	ولايتـــه	ولا نبـــه	وأشار في الحاشية : ١ ، خ : تيه ، والصواب ما في المخطوطة .
١٧٨	٨٨	٢			انظر تاريخ بغداد ٩/١٨٩ لأن الحكاية رويت عن الخطيب .

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصواب
١٨١	٨٩	٣	لطائف	كذلك	طرائف كما في تاريخ بغداد ١٢/٦٧ لأن الحكاية منقولة عن الخطيب، وانظر كذلك طبقات الحنابلة ٢/٦٣ ومختصرها ٣٢٤
١٨٨	٩٠	١٧	أبو الفتح بن القواس	=	أبوالفتح القواس، وهو يوسف بن عمر ابن مسرور القواس، تاريخ بغداد ١٤/٣٢٥ طبقات الحنابلة ٢/١٤٢ - ٣، ١٥٧، ومختصرها ٣٤٥، فهرس طبقات الصوفية للسلمي تح: شربية ٥٤٨ والحكاية في طبقات الحنابلة ٢/١٥٧
١٩٨	٩٤	١٦	النايل	النائل	النوال .
=	٩٥	٢	لا يقضى...الحديث	كذلك	لم يشر إلى مناجم ورود الحديث الشريف
=	=	٣	على ماندر منه	=	على مابدر منه .
=	=	٨	منكر يحب منعه	منكر يُجْنبُ منعه	منكر يَجِبُ منعه .

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصواب
٢٠١	٩٦	١١	والتهود	كذلك	والتهور .
=	=	١٨	يرقون	يزقون	وأشار في الحاشية : ٥ ، مخ : يعرق ، وهو ليس كذلك .
٢٠٣	٩٧	٣	يسملون	يسلموا	يسلمون ، إذ ليس هناك من ناصب أو جازم ، والحكاية في الباعث الحثيث لابن كثير ٩٣-٩٤ ، المدخل للحاكم (ترجمة) ٣٢٠ ، الجامع لأخلاق الراوي للخطيب ، مخطوطة دار الكتب ١٤٩ ا — ب ، الأسماء المرفوعة في الأحاديث الموضوعة لعلي بن سلطان القارىء ، مخطوطة مكتبة الأوقاف ببغداد ، ١٠ ا وغيرها .
٢١٠	١٠٠	٥			الحكاية في طبقات الحنابلة ٢٥٣/١ لأنها رويت عن أبي بكر الخلال الحنبلي .

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصواب
٢١٤	١٠١	٢٠	حديث عن أبي الوليد	كذلك	والصواب : حُدِّثتُ عن أبي الوليد الطيالسي ، الحلية ٧/١٥٣
٢١٥	١٠٢	٥			وتجد هذه الحكاية في الحلية ٣/١١ لأن الحافظ أبا نعيم هو الذي رواها فكان المفروض من المحقق الرجوع للحلية .
٢١٧	١٠٢	١٥	يوجب	بفتح الجيم	والصواب بكسرها ولو لم يعجمها لخفي الخطأ
٢١٨	١٠٣	٩	الغرانيق العلى	بالياء المشددة « العليّ »	والصواب بالألف المقصورة وإن صورة القلب المقلوبة في المخطوطة تعني أن الكلام انتهى .
٢٢٠	١٠٣	١٤	الحريمي	الخزيمي	والعجب أن المحقق أشار إلى أنساب السمعاني ، ورقة ١٩٩ ا ، والخزيمي في ورقة ١٩٨ ب ، والأعجب أن الحريمي هذا هو غير الخزيمي ، والحديث الذي

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصواب
					رواه موجود بكامله في الوافي بالوفيات ١٢٧/١ (تح : دتر) ، وانظر المنتظم ٢٢١/٩ وتحقيق المنتظم لا يعول عليه ولا المرآة ، لسبطه ، لسوء إخراجها .
٢٢١	١٠٤	١٠-١١	من الملائكة إلى الشيطانة	كذلك	من الملائكية إلى الشيطانية .
=	=	١١-١٢	كلما ازداد محبة لغيري	كلما ازداد محبته	الصواب ما في المخطوطة لأنه لو كانت « محبته » لكان الفعل « ازدادت » .
=	=	١٣	كافا ويا	ك ، فاء ، وياء	ما في المخطوطة كافاً وياءً وهذه إشارة إلى قوله تعالى « وإن عليك لعنتي ».
=	=	١٧	تشمت بي الأعداء	كذلك	وأشار المحقق في الحاشية (٥) إلى « بي » وقرر أنها خطأ ولم يكتف بل عزز رأيه هذا بما جاء عند ماسينيون والعجب من هذا وذاك: قال يزيد المهلبي حين خرج المتوكل

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصواب
					إلى دمشق من سر من رأى :
					أظن الشام تشمت بالعراق
					إذا عزم الإمام على انطلاق
					انظر مروج الذهب للمسعودي ٢٥٧/٧ (طبعة باريس) .
٢٢٣	١٠٥	٥	ما لا ينقص الواهب ماأزيده	كذلك	... ما أريده
٢٢٥	=	٩	وخرق مرقعته	وخرق موقعته	ما في المخطوطة
٢٢٧	١٠٦	١	رأيت إبليس ... سجد لي	رأيت ابليس .. سجدا لي	ما في المخطوطة لأنه فعل وليس اسماً ثانياً .
٢٢٨	=	٦	كلما أشكل عليه أمراً	كذلك	.. أمرٌ لأنه فاعل للفعل أشكل .
٢٢٩	=	١٠	وكان عندنا واعظ يقال مسعود	كذلك	وكان عندنا واعظ يقال [له] مسعود .

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد قي المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصـــواب
٢٣٢	١٠٧	١٠	الحسن والحسين		أشهر من أن يعرفا ومع هذا فلم يذكرهما في الأعـلام
٢٣٤	١٠٨	٦	وفيهم كذابون	وفيها كذابون	مافي المخطوطة ولا أدري من أين جاء بها
٢٣٥	=	١٤	كان في مسجد قاص	كذلك	كان في مسجدنا قاص ، لأن الحكاية منقولة من تاريخ بغداد ١٣/٣٦٦ كما جاء في إسنـادها .
٢٣٦	١٠٩	٥	فيها بقر أكنت تحتشم	فيها بقر كنت تحتشم	مافي المخطوطة لأن الألف هنا للاستفهام والعجب أن المحقق أشار في الحاشية : مخ : بقرا .
٢٣٨	١١٠	٤	فقام رجل .. فقال : يا أبا مرحوم !فقال له : طعنة ...	كذلك	فقام رجل .. فقال : يا أبا مرحوم : [أصلحك الله] فقال : طعنة .. لأن قول الرجل الآخر : رجل دعا لك . توجب وجود الساقط ، وانظر تحذير الخواص للسيوطي ٨١

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصواب
٢٤١	١١١	٥			انظر القسم الأول من الحكاية في كتاب الحيوان للجاحظ تح : عبد السلام محمد هارون ، ٣/٣٤ — ٣٥
٢٤٢	١١١	١١	خلقت لبغا ووصيف	خلقت لبتغّاءووصيف	وقد ترجمها المحقق بمعنى ز"ناءوخادموهذا دليل على جهله فإن وصيفاً وبغا التركيين مشهوران في التاريخ العباسي في ظلمها وسيطرتها على الخلفاء حتى قيل فيها : خليفة في قفص بين وصيف وبغا وفي هذه إشارة إلى كبر جرمها، مروج الذهب (باريس ٧/٣٢٤ — ٣٢٥).
٢٤٤	١١١	١٥	قال عمر بن بحر	قال عمر بن حجر	ولا ندري كيف قرأها مع أنها واضحة وعمر بن بحر هو عمرو بن بحر الجاحظ والحكاية بنصها وفصها في كتاب الحيوان رواها الجاحظ عن أبي أحمد التمار ٣/٢٩٧

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصواب
٢٤٧	١١٢	١٥-١٦	ولا يحثون على الفرائض	ولا يحدثون..	ما في المخطوطة هو الصواب .
=	=	١٩	في بداية الإسلام	في بداءة الإسلام	= = = =
٢٤٧	١١٣	٢	حتى نظن من يتمسك	كذلك	حتى يظن ...
٢٤٨	=	٧	فيرى العامة ترك عائلته	كذلك	فيرى العامي ...
٢٥٠	١١٤	٤	فقرأ قارىء	فقرأها قارىء	ما في المخطوطة
٢٥١	=	٩	لم يفهم أنه خطى	لم يفهم أنه خطيء	لم يفهم أنه خطأ
٢٥٤	١١٥	٨	وسمعته ينشد	وسمعت ينشد	مافي المخطوطة ،والأبيات لابن الرومي
٢٢٥	=	١٢	ولا يخلو المجالس	كذلك	ولا تخلو ..
=	=	١٢-١٣	ومثل هذا يحرك	ومثل هذا يحوك	ما في المخطوطة
٢٥٦	١١٦	٢	نشتاق	يستاق	يشتاق
٢٥٧	=	٣	أحد بعض	أجد بعض	أخذ بعض
=	=	١٥	وصف يميل إليه الطباع	كذلك	وصف تميل إليه الطباع
=	=	١٦	الحديثة	كذلك	للحديثية

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصــواب
٢٦١	١١٨	٤	ذكر محمد بن سيرين	ذكر (بضم وكسر)	ذكر (بفتح الذال وفتح الكاف)
=	=	٦	أن يقعدأحدهم..باسط	كذلك	أن يقعد أحدهم ... باسطاً
٢٦٢	=	٩	يرقع عليه وبه	يوقع عليه به	ما في المخطوطة
٢٦٢	=	=	ينكرون رفع	ينكرون وقع	= =
٢٦٣	=	١٥-١٦	الخرقة سوداء	الحرقة [وهي] سوداء	خرقة سوداء
٢٦٤	١١٩	٣	يتخذون القرآنأمير	كذلك	يتخذون القرآن مزامير
٢٦٥	=	٧	حتى كأنه حاد أو غنا	حتى كأنه حاد أو غناء (بتشديد النون)	حتى كأنه حداء أو غناء
٢٦٦	=	٩	عمر بن عبد الله البقال	كذلك	وورد في الحكاية ٢٧١ عمر بن عبيدالله، فأيهما أصوب ؟
=	=	١٢	قدم سلمة البيدق فقال يصلي	كذلك	قدم سلمة البيدق فقام يصلي
٢٦٨	١١٩	١٩	أبي القاسم بن السري	كذلك	هو أبو القاسم بن البسري (طبقات الحنابلة ١/١٤٣) .
٢٧٢	١٢٠	١٦	وسمعت سليمان بن .. يقول	كذلك	هو سليمان بن حرب وهو شيخ حنبل

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصواب
					ابن اسحق ، تاريخ بغداد ٢٨٦/٨
٢٧٣	١٢١	٣	عن التدبر للقرآن	كذلك	عن تدبر القرآن ، قال تعالى : ألم يتدبروا القرآن ...
٢٧٥	١٢٢	١	فهي لك على وصن	فهي لك على رصين	وقال في الحاشية : خ : رصين . وأحال على تاريخ بغداد ٧٢/١٣ : وصن ، فلا في المخطوط : رصين ولا في تاريخ بغداد وصن ، والصواب ماجاء في المخطوطة : علي، وصن كلامك هذا الحسن ولا تتبدل. وكذلك في كتاب الذخائر والتحف ٢٢٣
٢٧٦	١٢٢	٦	أبا الحسن السمداني	كذلك	وهو أبو الحسن الشعراني كما في مناقب الأبرار لابن خميس (لايدن) ورقة ١٧٢ أ ، الرسالة القشيرية ١٢٧/١ ففيها نص الحكاية والإسناد .

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصـــواب
٢٧٧	١٢٢	٦	أبو العباس .. فكلمه	أبو العباس يكلمه	ما في المخطوطة
=	=	١٤	من الأفعال المستاكلة	كذلك	من أفعال المستأكلة، كما في تحذير السيوطي ٨٢
٢٧٨	١٢٣	٩	فحشا العلوي فاه بالدر	كذلك	... بالدراهم كما في المنتظم ١٧/٥ وأنّى للعلوي مثل هذا الدر ؟
٢٧٩	١٢٣	١٤	جاء ... يحيى بن معاذ .. وله شيبة	... وله عيبه	وله شيبة حسنة ، لأن العيبة لاتتفق هنا مع قوله : « وكان أحسن شيء »، والعيبة من الرجال : الرذل .
٢٨٤	١٢٥	١٨	فرمت الآخرة	فرمت الأخرى	فرمت الآخر لأنه مذكر وهو جواب قول الغزالي : أين أخـوه ؟ والهاء في « الآخره » زيادة للدلالة على انتهاء الكلام
٢٨٦	١٢٦	٨	روذالهم	رذالتهم	ما في المخطوطة
٢٨٧	١٢٧	٦	أبو أحمد الزهيري	كذلك	أبو أحمد الزبيري
٢٩٢	١٢٨	١٦	وأخذ السوط يضربني حتى حجره	كذلك	وأخذ السوط فضربني حتى حجزه ، كما في تحذير السيوطي ٧١

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصواب
٢٩٥	=	١٨			انظر الحديث في ميزان الاعتدال ٣/٤٩٥
٢٩٩	١٣١	١٥	لأن أرى في طائفة المسجد نارا	كذلك	لأن أرى في ناحية المسجد . . . كما في تحذير السيوطي ٦٩، ٧٤ ،أو لعلها كانت « طاقة » فتصحفت .
٣٠٢	١٣٢	٣	قال أبو نعيم . .	كذلك	قال المحقق في الحاشية : « لم أستطع أن أجد هذه الحكاية في الحلية»،والحكاية في ٤/٢١٢ ٢١٣ وفي طبقات ابن سعد ٦/٢٠٠
٣٠٣	=	١٠	لما قص إبراهيم التيمي أمزه أبوه	أخزه	. . أخرجه ، كما في طبقات ابن سعد ٦/٢٠٠
٣١٩	١٣٨	١١	وقالت عائشة لقاص المدينة		هذا القول في مسند ابن حنبل٦/٢١٧
=	=	١٥	قال عليه السلام:أعوذ بالله من علم		انظر المعجم المفهرس ٤/ ٣٣٤ (علم) .
٣٢٥	١٤١	٧-٩	وعظ النبي ﷺ . .		وقال المحقق في الحاشية :«لم أستطع أن أجد

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصــواب
					هذا الحديث في مكان آخر» وقد رواه الذهبي في ميزان الاعتدال ١ / ١٤٣ ، ٤ / ٤٦٩
٣٢٦	١٤٢	٢-٤	وقد كان جواب ..		أوردها ابن سعد في طبقاته ٦/٢٢٢ باختلاف يسير في الألفاظ وأبو نعيم في الحلية ٤/٢٣١
٣٣٠	١٤٣	١١	خوفاً على النفس	خوافاً على النفس	ما في المخطوطة .
٣٣٤	١٤٤	١٧	الذين يلقون فقيهاً	كذلك	الذين لا يلقون فقيهاً .

آراء وأنبـــاء

حفل استقبال العضو الجديد الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

١ ـ كلمة الأستاذ الدكتور حسني سبح

رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

بسم الله ، أعلن افتتاح هذه الجلسة العلنية لمجمع اللغة العربية والمخصصة لاستقبال العضو الجديد الأستاذ الدكتور شاكر الفحام .

فبسرور بالـغ يجتمع مجلس مجمـع اللغة العربية بشهود هذه النخبة المختارة من خاصة القوم ، أساتيذ وعلماء ومثقفين ليستقبل عضواً عاملاً وزميلاً جديداً ينتظم في عقد أسرته . وإني باسم الزملاء الذين أجمعوا على اختيار الأستاذ شاكر الفحام أهنئه بما ناله وبما هو أهل له من ثقة وتقدير .

وكان انتخاب مجلس المجمع له قد تم في الجلسة التي عقدها مساء التاسع عشر من تشرين الثاني سنة ١٩٧٠ للمكان الذي خلا بوفاة العلامة المرحوم فقيد المجمعين الأمير مصطفى الشهابي تغمده الله برحمته وأجزل له الثواب بقدر ما أدى من خدمة جليلة للغة القرآن ، وصدر المرسوم ذو الرقم ٣٩٣ والمؤرخ في ١٦ من شباط ١٩٧١ لتسميته عضواً عاملاً في مجمعنا . وكان على المجمع أن يستقبله إثر ذلك ، لولا ظروف خاصة حالت دون

تحقيق هذه الأمنية المرتقبة ، فحرم المجمع من مشاركته في جلساته ومن نشاطه المجمعي هـــذه الأعوام الخمسة ، لأن نظام المجمع يحتّم أن لايشترك العضو الجديد في العمل إلا بعد استقباله رسمياً في مثل هذه الجلسة العلنية التي نعقدها هذه الأمسية المباركة إن شاء الله . فكأن الأمور ، كما يقال ، مرهونة بأوقاتها .

وبعد ، فاسمحوا لي أن أحيطكم علماً بأن انتخاب الرصيف الكريم قد تم حينما كان رئيساً لجامعة دمشق وأحد أعضاء هيئة التدريس في كلية الآداب فيها ، أي قبل أن يتسلم مقاليد الوزارة في التعليم العالي ثم في التربية .

ولا غرو فالجامعة والمجمع ذوا رحم وقرابة ، وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض ، وانفردت لغتنا الحبيبة دون غيرها من اللغات جاعلة اشتقاق الاسمين من أرومة واحدة ، وكذلك كانا وسيبقيان فرعي دوحة واحدة ، دوحة العلم والمعرفة والثقافة والكرامة القومية الممثلة في الحفاظ على اللغة العربية ورفع شأنها إلى مستوى لغات العصر . ومن هنا كان تضافر الجهود بين الجامعيين والمجمعيين منذ البداية فأثمرت تلك الدوحة الباسقة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ، أثمرت وأينعت وآتت أكلها وذللت قطوفها ، فكان من ذلك رسو جذور التعليم العالي باللغة العربية الصحيحة في قطرنا السوري منذ ست وخمسين سنة . بينما لاتزال الجامعات في الأقطار العربية الأخرى معرضة عن اللغة القومية ، متهيبة من الإقدام على التعليم بها ، ولو نصت النظم فيها صراحة على أن لغة التدريس فيها هي العربية ، لعلم المشرّع علم اليقين بجدوى التدريس بلغة البلاد الموحدة بين أجزائها المترامية ، والالتزام به ، شأن كل أمة تغار على كرامتها وتعتز بقوميتها مهما قلّ

عديدها ، فما بالك بأمتنا العربية المجيدة التي كرّمها الله بتنزيل القرآن عربياً ، وما حباها الله به من سعة في شتى المجالات ؟

هذا ، وكان مجمعكم قد شرع بعمله البنّاء قبل تكوين الجامعة أيان لم يكن في الشام سوى كلية واحدة للطب والثانية للحقوق . وهو جاد الآن كل الجد في لمّ الشعث وجمع الشمل ورأب الصدع بأن يولي وجهه شطر الجامعة كرة أخرى وقد أصبحت ثلاث جامعات تضم عدة كليات ، وقد أخذ الخلاف يدب لا بينها ولا بين كلياتها بل في القسم الواحد من الكلية الواحدة ، ويرمي من ذلك التآزر مع الجامعيين وهم نخبة ممتازة من العلماء الأجلاء ، لدعم العربية وتوحيد المصطلحات وإغناء اللغة بما استجد من المسميات وما أكثرها في هذا العصر الذي نعيشه عصر الذرة وغزو الفضاء .

وبعد ، فإن ما يرجوه المجمع بل ويلحف بالرجاء به أن يحظى من أولي الأمر بالدعم والتشجيع وأن لا يُقتَّر عليه ، حتى يقوم بالعبء الملقى على عاتقه على أكمل وجه .

وأستميحكم المعذرة لهذا الاستطراد الوارد عرضاً ونحن في صدد استقبال أستاذ جامعي جليل كلنا أمل بأن يكون خير خلف لخير سلف .

والكلمة الآن للأستاذ عبد الهادي هاشم لاستقبال العضو الجديد .

٢ - كلمة الأستاذ عبد الهادي هاشم
في تقديم الزميل الجديد الدكتور شاكر الفحام

السيد وزير التعليم العالي ، السيد وزير الثقافة في الجمهورية التونسية ، السادة وزراء الدفاع والثقافة والسياحة ، سيدي الأستاذ الرئيس ، سادتي الرصفاء أعضاء المجمع ، سيداتي ، سادتي :

ما أعظم ، غبطتي ، وما أشد فرحتي إذ أستقبل اليوم باسم المجمع صديقاً كريماً عرفته منذ لواذ سبعة وثلاثين عاماً ، فما زادني كرُّ الأيام ومرُّ الأعوام إلا إعظاماً لعلمه وخلقه ، وإكباراً لفضله ونبله ، وقدْراً لفطانته وزكانته ، ولستُ بدعاً في هذا الشعور ، فما لقيه أحد ممن يعرفون للرجال أقدارهم إلا أعْجِب بسعة ثقافته ، وعمق تفكيره ، ورحابة أفقه ، ونفاذ بصيرته ، ومتانة خلقه ، وتمكنه من العربية وآدابها وعلومها وتراثها وتاريخها ....

أرحب اليوم بالدكتور شاكر الفحام رصيفاً عزيزاً في مجمع اللغة العربية وركناً مكيناً للعربية فيه ، يعتمد عليه ويوثق به وتناط به آمال الغُيُر كلّ الغير على تراثنا وقوميتنا ولغتنا .

أيها السيدات والسادة :

عرفتُ الزميل الكريم وكان لا يزال في نضارة الشباب وغضارة العود

فراعني جدّه وعلمه ، ونباهته وخلقه ، وتوسمت يومئذ أنْ سيكون لهذا الفتى الواعد شأن في نصرة لغتنا والتمكين لها ، وفي الحفاظ على تراثنا وصونه ونشره وإشاعة ذخائره . وقد حققت الأيام ما توسّمتُه فيه وما توقّعتُه له ، وإني لأرجو مع ذلك أن يكون غده خيراً من يومه كما كان يومـه خيراً من أمسِه ، وأن يمضي قُدُماً في ما أخـذ به نفسه من إعزاز لعربيتنا وقوميتنا وتراثنا ، وأن يُشَدّ به عضدُ إخوانه المجمعيين في ذلك كله .

وَلَوَدِدْتُ لو لم تمضِ سُنّةُ المجامع بتقديم ترجمة للأعضاء الجدد بين يدي استقبالهم ، إذن لأعفيتكم من التحدث عن نشأة زميلنا الكريم وتقدمه في ميادين البحث الأدبي واللغوي والتاريخي ، فما بـكم من حاجة إلى شيء من ذلك ، وقد عرفتموه مجلّياً في هذه الحلبات كلها ، كما عرفتموه نصيراً للمجمع حافظاً لرسالته مضطلعاً بنشرها ، أميناً عليها ، قوياً على حملها ، فلأجتزىء بـكلمات موجزات ، كتحلّة القسم ، تلخص نشأة وصيفنـا الجديد وتومىء إلى بعض آثاره وأخباره :

ولد شاكر الفحام في مدينة حمص عام ١٩٢١ في بيئة وَرِعَة محافظة وفي أسرة عرفت بالتفقه والتَّدَيُّن والصـلاح ، فشبّ متمسكاً بآداب دينه ، وأخلاق قومه . وقد تلقى دروسه الابتدائية وبعض الثانوية في مدارس حمص الرسمية ، ثم تحوّل إلى دمشق ليستكمل الدراسة الثانوية فيها ، فلما فرغ منها عُيّن عام ١٩٤١ معلماً موقتاً في قرية من قرى الجولان الحبيب اسمها (تسيل) . ثم أوفد إلى القاهرة لدراسة الأدب في جامعتها ، فلما نال الإجازة بذلك عـاد إلى الشام وطفق يدرّس العربية في ثانويات دمشق وحمص والحسكة . ثم توجه كرّة أخرى إلى القاهرة عام ١٩٥٧

لاستكمال دراساته الجامعية العليا ، فاختار شاعرين من شعراء البصـــرة موضوعاً لرسالته في (الماجستر والدكتوراه) ، فجاءت أولاهمـا عن بشار في قرابة ٤٤٠ صفحة أحاطت — فيما أحسب — بكل ما يمكن أن يقال في هذا الشاعر المجدّد ، ووقعت الثانية عن الفرزدق في ٤٠٠ صفحـة لم تترك زيادة لمستزيد في الحديث عن هذا الشاعر الفحل ، وستمضي السنون تلو السنين قبل أن يضيف البحث العلمي الجادّ شيئاً ذا بال إلى ما جاء به زميلنا الكريم في هاتين الرسالتين ، ولعل اختياره في البدء هذين الشاعرين يجلو لنا إيمانه بوجوب العودة إلى الجذور الأصيلة في آدابنا ، وإيثاره المنابع الصافية الثرّة من تراثنا .

وبعد عودته من القاهرة سُمّي عام ١٩٦٣ مدرّساً للعربية في كلية الآداب بجامعة دمشق ، وكان عمله هـذا أحبَّ الأعمال إليه ، وأرضاها لنفسه وأقربها إلى هواه ، ولكن ما لبثت الرياح من بعدُ أنْ جرت بغير مـا يؤثر ويشتهي ، فقد بُعث سفيراً إلى الجزائر حيث أقام زهاء أربعة أعوام وطّد فيها دعائم المودة والمحبة بين القطرين العربيين : سورية والجزائر ، وعقد وشائج الصداقة بين رجالاتها ، فلما عاد سنة ١٩٦٨ إلى دمشق اختير رئيساً لجامعتها وأستاذاً فيها ، وانتخبه بُعَيْد ذلك أعضـاء المجمع زميلاً لهم فيه ، ثم تقلب بعد رئاسة الجامعة في مناصب وُسِّدت إليه ، فأصبح رئيساً للجنة الثقافية في مجلس الوزراء ووزيراً للتعليم العالي ثم للتربية ... ولا يزال على رأس هذه الوزارة إلى اليوم ، إلى جانب قيامه بتدريس العربية في الجامعة .

على أن هذه المناصب التي تسنّمهـا وما تستتبعه من مشاغل مضنية متعبة لم تصرفه عن هواه الأول : البحث والمطالعة وخدمة العربية ، فهو

سفيرٌ في الجزائر ولكنه يتابع العناية بالفرزدق مثلاً ويصنع مقدمة وافية ضافية لديوانه الذي نشره مجمعنا مصوراً عام ١٩٦٥ ، وهو وزيرٌ للتعليم العالي وينشر في مجلة المجمع كتاب (اللامات) ويترجم لمؤلفه أبي الحسين أحمد بن فارس ، ويتحدث عما أُلِّف في اللامات قبله وعن شيوخ المؤلف في نمط من البحث معجب محكم فريد . ويعمل ، وهو وزير التربية ،على تحقيق أمنية طالما رنا المجمع إلى إنجازها ، وأعني بذلك نشر كتاب (الدلائل في غريب الحديث) لأبي محمد قاسم بن ثابت العوفي السرقسطي ، الذي كان المرحوم الأستاذ التنوخي قد عقد العزم على نشره ، ولكن لم يقيض له الوفاء بما أزمعه ، فيأتي الدكتور شاكر وينشر ، في الجزء الأخير الذي صدر من مجلة المجمع، دراسة وافية في الموضوع ، يستهلها بالكلام على كتب الغريب قبل كتاب ثابت وكيف نشأ علم غريب الحديث ومن هم فرسانه المجلون .... وسيتلو هذه المقدمة إن شاء الله فصولٌ ودراسات ونصوص متصلة بهذا الموضوع لا أحب أن أستبق الحديث عنها قبل صدورها .

حدّثتكم أيها السادة عن زميلنا العالم المحقق ، وأود أن أضيف إلى ما تقدم كلمة عن شاكر والمجمع ، فقد أحب زميلنا الكريم مجمعنا هذا منذ أن شدا شيئاً من العربية ، وقد حدثني مرة أن من أسعد أيامه ذلك اليوم الذي هبط فيه دمشق لاستكمال دراسته الثانوية ، فقد أهْرع إلى الظاهرية التي طالما سمع بها ، وإلى المجمع الذي شدّ ما تاقّ إلى رؤيته ، فكانت العادلية والظاهرية من أحب معالم دمشق إليه ، ولقد ظل لهما وفياً ، وبهما حفيّاً ، ينهل من كنوزهما ويذاكر رجالاتهما ويدفع عنهما الأذى ويكشف عنهما الضرَّ إذا ما أراد بهما أحد شراً . أذكر أن مشروعاً رفع

إلى الدولة عام ١٩٦٩رأى فيه القيّمون على المجمع إساءة له وإضراراً بالظاهرية ، وأوجسوا خيفة من عقابيله ، فلجأ بعضهم إلى شاكر ، وكان يومئـذ على رأس جامعة دمشق ، كي يعين في دفع النازلة ، فاستجاب لهم ، وتصرف بما عرف عنه من كياسة وسياسة وحنكة ، حتى نجح في طيّ ذلك المشروع . وقد أصبح منذئذ المدافع عن حياض المجمع ، المحامي عن عرينه ، المنتصر له إذا ما تعرّض لعداء حاقد موتور ، أو كره حاسد مقهور .

وبعد فزميلنا الجديد مدرسة في إشراق أسلوبه ، وجمال ديباجتــــه وإحكام نسجه ، وعذوبة بيانه ، وسلامة طبعه . أقرأ لكم نموذجاً من كتابته العلمية قبسته من أول صفحة وقعت عيني عليها في أحد كتبه ، يقول في حديث له عن تمصير البصرة :

« ... ذلك بأن القبائل العربية التي أذن لها أن تسيح في الأرض تعلي كلمة الله وتبشر بالهدى ودين الحق ، لم تلبث ، وقد يُسّر لها الفتح ورُزقت النصر ، أن استوطنت الحواضر ونزلت المدن ورابطت في الثغور ، تثبت دعائم الإسلام وتنشر تعاليمه وتقيم في منازلها الجديدة حياة تلائم مادعت إليه ونادت به ، وكان الخلفاء أمراء المؤمنين ، وعمر بن الخطاب خاصة ، يحضون القبائل على استيطان الحاضرة ، ويؤثرون أهلها على البُداة ، فإذا العرب يملئون البلاد مابين أقصى خراسان إلى إفريقية ليكونوا القوّامين على الدعوة التي ائتمنوا عليها ، وكان عجباً عاجباً أن يستجيب العرب هذه الاستجابة الطائعة ، يتقبلون ما دُعوا إليه ، ويسرعون متحمسين في إنفاذه والعمل به ، وإذا القبيلة الواحـدة التي كانت تشدها أواصر العصبية في جاهليتها إلى مواطن متقاربة لتظل قوية بتماسكها ، قد توزعت في الأمصار

المختلفة المتنائية ، لتساكن قبائل أخرى كانت تنازعها ، فإذا هم في الدار الواحدة إخوة يجمعهم الإسلام ، وتظلهم رايته ، ويحميهم شرعه ، وإن المرء ليبهر لهذه المقدرة الفائقة التي قاد بها الخلفاء الأولون حركة الفتوح والاستيطان ، وللمعاني البعيدة التي رموا إليها حين حثوا الناس على إيثار الحاضرة ، وحين فرّقوا القبيلة أجزاءً وجهوا بكل منها إلى وجه من وجوه الفتح ، وحين جعلوا البلد الواحد قسمة بين قبائل شتى ... ثم حين أرسلوا حملة القرآن وصحابة النبي يُقرئون الناس القرآن ، ويعلمونهم أمور الدين ، ويأخذونهم بآدابه ، لتعصمهم العقيدة المتمكنة في النفس أن تنزع بهم نزعات الجاهلية ، وتنأى بهم عن تعاليم الإسلام .... » اه

هذا نموذج ، أيها السادة ، لم أتخيره ولم أتنخله ، قرأته لكم لتروا هذا الطراز المحكم من الأسلوب العربي المبين ما أحوجنا إلى تقيُّله وبثه في أقلام الناشئة من كتابنا وطلابنا .

ولو كان في الوقت متسع لقرأت لكم شيئاً من محاضراته البارعة في الأدب الأندلسي أو الأدب الجاهلي على طلاب الجامعة ، أو أسمعتكم شذرات من بحوثه وتحقيقاته التي بلغت الغاية في التثبت والتمكن والإحاطة ، وفي صحة الحكم ، وإيثار القصد ، والبعد عن الهوى . وإذا قال القدماء في كتب الجاحظ : إنها تعلم العقل أولاً والأدب ثانياً فإن لنا أن نقول : إن دراسات شاكر تعلم صحة التفكير ، ودقة النقد ، وجمال التعبير .

وبعد فأعضاء المجمع ، وإن قيل إنهم الخالدون ، كتب عليهم ما كُتب على الذين من قبلهم ، يتعاقبون على حمل الرسالة وأداء الأمانة ، فإذا سقطت الراية من يد أحدهم نهد لها من يمضي إلى إعلائها والسير بها إلى الغاية :

إذا مُقْرَمٌ منّا ذرا حدُّ نابه تَخَمَّطَ فينا نابُ آخر مُقْرَمِ

ولئن لقي الأمير الشهابي وجه ربه إن لنا في خلفه الدكتور الفحام عزاءً ورجاءً وأملاً .

بورك لأخي شاكر في هذا الحب الذي محضه إياه زملاؤه المجمعيون ، وفي دعوتهم إياه ليكون واحداً منهم في رحاب هذا المجمع ، وبورك لنـا ـ نحن المجمعيين ـ بالعضو الجديد يشد عضدنا ، ويشارك في حمـل رسالتنا ، ويساهم في الحفاظ على لغتنا وقوميتنا وعروبتنا باقيـة راسخة خالدة على وجــه الدهر . والسلام عليكم ورحمة الله .

٣- كلمة الدكتور شاكر الفحام

السيد رئيس المجمع ، السادة المجمعيون ،

السيد الأستاذ محمود المسعدي وزير الثقافة في الجمهورية التونسية الشقيقة ،

السادة الوزراء ، أيها الأخوات والأخوة الأعزة .

أقف في مقامي هذا يُظلّني التهيب ، أذكر بالتوقير والتجلة أولئك الأفذاذ الخالدين الذين وطّؤوا لنا الطريق ودمّثوا صعابه .

ظهروا والناس يخبطون في ظلماء ، تتقاذفهم السبل ، وقد أحيط بالعربية المبينة ، فإذا هي غريبة بين أهلها ، لا يكاد يفصح بها لسان ، فكانوا كإشراقة الفجر في يوم ربيع .

أتمثلهم أمام ناظريَّ ، وقد ركزت الراية العربية في دمشق ، يوم الثلاثين من ايلول ١٩١٨ معلنة ميلاد الدولة العربية الجديدة . فهبوا يتنادون ، والهمة ملء برودهم ، يجيبون داعي العربية ، دائبين في خدمتها ، لا يملّون العمل ولا يعرفون الكلل : أنشئت الشعبة الأولى للترجمة والتأليف في ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٨ فكانوا نواتها الحية ، نمت. فأنبتت النبات الحسن ، فلما قام ديوان المعارف في ١٢ شباط ١٩١٩ مقامها بذلوا وجهدوا ، حتى

أذن الله بظهور المجمع مستقلاً في الثامن من حزيران ١٩١٩ بفرسانه الثمانية ، فمضوا يشقون طريقهم صعداً ، لا تثنيهم عقبة مهما صعبت ، ولا يصدّهم حاجز مهما علا : أحيوا المدرسة العادلية الكبرى لتكون مقراً لمجمعهم إيذاناً بهمة الإحياء الكبرى التي ينهضون بهـا ، وأخلصوا لما انتدبوا له : مسحوا عن وجه العربية ما علق به ، ونزّهوا العربية عن كل ما يتخوّن جماله

إنّا إذا حُطْمَةٌ حَتَّتْ لنا وَرَقاً نمارسُ العُودَ حتى ينبت الورقُ

لقد صدقوا العهد وأوفوا بالوعـد وعملوا ليلهم ونهارهم لا يفترون ، لله أبوهم ! جروا في ميدان العربية فبرّزوا ، وتغلغلوا في شعاب الكلام فأبانوا عن جمـاله ، وبذلوا حتى أنجحوا ، وعبّدوا الطريق لاحباً ناهجاً لمن جاء بعدهم ، وانضم إليهم إخوان لهم ، لحقوا بهم في مسيرتهم ، يشدّون من أزرهم ، ويقتفون خطاهم ، فاستد الساعد ، وتراءت العربيـة بهيجة ، « كالشمس يوم طلوعها بالأسْعُد » تختال بأثوابهـــا القشيبة ، مزهوة من الحسن . نادوها فلبت من قريب ، لم يستعص عليها شيء ، فإذا الناس يقرؤون صنوف العلوم بلسان عربي مبين ، لا عجمة فيه ولا رطانة ، يبهر بحسنه « مثل وشي اليمنة الحبرة » ، وتداول الراية رجال بعد رجال ، حراص على الأمانة ، يكمل لاحق ما بدأه سابق ، وهـــا هو ذا المجمع يتمالى شامخ الذرا ، دعائمه أعزّ وأطول ، يستقبل عامه السادس والخمسين لم تهن قوته ، ولا لانت قناته ، ماضياً يجري على غلوائه ، يستمد من قدسية هذه اللغة المباركة عزماً لا يفلّلُ حدّه .

في صورته ملامح نهضتنا العربية الحديثـة ، فهـــو أول مؤسسة ثقافية أرست الدولة العربية قواعدها ، فنسـج لها من حلل العربية الخالدَ الباقيَ على الدهر ، زين به وجه الدولة وأعاد إليها لسانهـا ، وأزاح عنها

غربتها ، وما زال يمدّ العربية بكل حاجها من كلم ومصطلحات لمستحدثات العصر ، لتظل العربية اللغة الفتية الناضرة على تطاول الزمن ، تحمل إرث الأجداد : علومهم وآدابهم ، وتعبر عن أفكار العصر : علومه وآدابه .

وأقرأُ سيرة المجمع ، وأقلبُ صفحاته البيض النواصع ، فأشعر بالاعتزاز أن يقتدر المجمع — وكان يعاني من القلة والضنك ما يعاني — على صنع ما صنع ، ولست أقوى أن أعدد أياديه ولا من همي أن أعد منها ، ولكني أقف أمامها مكبراً لأولئك الرجال الأمجاد ، معجباً بسيرتهم ، رجال لو احتفلت الدنيـا ما تزينت إلا بهم ، أما من قضى منهم ولقي وجه ربه فسقى الله أجداثهم الطاهرة صوب رحمته ، ولقاهم نضرة وسروراً ، وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً .

يبلى الفتى في قبره وفَعاله غضٌّ جديد

وليبارك الله أعمال الباقين ، ويشد من عضدهم ، ويفسح لهم في أعمارهم ليؤدوا رسالة العربية أحسن ما يكون الأداء ، وليكونوا الحفظة لها ، وليسلموا الأمانة إلى الأمناء من بعدهم كما تسلموها ممن سبقهم ، ولتتألق العربية وضاءة مشرقة أبد الدهر .

وإن مما يثلج الصدر أن مجمعنا لم يبق وحيداً في الساحة ، فقد رفده في عمله مجمعا القاهرة وبغداد ، وجامعات الوطن العربي التي ارتضت العربية لساناً علمياً لها ، وفي طليعتها جامعات الجمهورية العربية السورية ، فقطعت بالحجة الفالجة مزاعم المكابرين ، وأخرست ببيانها الناصع ألسنة المرجفين .

السيد رئيس المجمع

تلح عليّ ذكرى قديمة حبيبة ، حبستها النفس ضناً بها ، تلك هي ذكرى زيارتي الأولى لمجمع اللغة العربية ، وألتمس العذر أن استجزت قص خبرها .

كنا ، ونحن في حمص ، أيام الدراسة الثانوية ، نتسقط أخبار المجمع ومجلته ، ونستمع إلى أحاديث رفاق لنا ، يدرسون بدمشق ، عن دار الكتب الظاهرية وما حوته خزائنها من أعلاق الكتب النفيسة المخطوطة والمطبوعة ، وكنا نتشوف إلى اليوم الذي يتاح لنا فيه أن نزور دمشق لنقف في رحاب الظاهرية ومجمع الخالدين .

كان الفضل كل الفضل في تعلقي بالمجمع والظاهرية ، وفي تحبيب الخزانة العربية إليّ ، يعود إلى أستاذيَّ الكبيرين : الأستاذ المرحوم عز الدين التنوخي ، طيب الله ثراه وبرّد مضجعه ، والأستاذ عبد الهادى هاشم ، درست عليهما فكانا لي خير معلمين ، أرشداني إلى تراث الأجداد ، وأخذا بيدي ، وبثا في قلبي حب العربية والتعصب لها . فرحم الله أبا قيس ، وأثابه ، وشكر الله للأستاذ عبد الهادي هاشم ومد في حياته ، وجزاهما على ما قدماه للعربية الجزاء الأوفى .

ثم تحقق الأمل يوم أبلغت أن قد قبلتُ بثانوية دمشق (جودت الهاشمي الآن) لدراسة البكالوريا الثانية - فرع الرياضيات - وتملكتني فرحة غامرة ، أحقاً أني سأعيش بدمشق حيث المكتبة الظاهرية والمجمع العلمي العربي ، وجئتُ دمشق طالباً داخلياً ، ونعمت بالتردد على الظاهرية أم المكتبات وملاذ التراث ، مرة بعد مرة ، كلما واتت الفرصة ، ثم بلغنا النبأ . أن الأستاذ الكبير محمد كرد علي رئيس المجمع يريد أن يحاضر في المجمع ، وجاهدتُ - علم الله - ليتاح لي أن أحضر واستمع .

كان ذلك في أمسية يوم من أيام أيار ١٩٤١ ، ما زلت أذكره وكأنه حدث أمس ، وكيف أنسى ، وأنا المتشوق لأرى تاج الخالدين وأنقع ظمأً تطاولت أيامه ، والذاكرة آنذاك حية متوقدة ، وعودُ الشباب رطيب ، والحكمة تقول : العلم في الصغر كالنقش في الحجر .

وفي هذه القاعة نفسها جلسنا نستمع للشيخ ـ سقته غوادي المزن ـ وهو جالس أمام منصة صغيرة في زاوية القاعة ، يتحدث عن (غوطة دمشق) بصوت هادىء ، يتوقف أحياناً وعينه أبداً على القرطاس . لم يكن المحاضر الذي تخيلته ، المنطيق المفوّه ، ذا الصوت الجهوري ، المتدفق كبحر ، ولكني نعمت بحديث الشيخ ، وألفت نغمته الرتيبة وسكونه في جلسته ، فعل عالم محاضر ، واحتفظت بحديثه رطباً غضاً في نفسي حتى اليوم ، ما ذكرته وذكرت فرحتي به إلا تمثلت بكلمة الأعرابي في حديث من أحبها :

وحديثهـا كالقطر يسمعه راعي سنين تتابعت جـدبا

فأصاخ يرجو أن يكون حيا ويصيح من فرح هيـا ربا

وبعد ، فإني أتقدم إليكم ، يا سادتي المجمعيين ، وأنا عاجز أن أفيكم حقكم من الشكر والحمد ، فسحتم لي مكاناً في ندوتكم الخالدة ، ونوهتم بي حين آثرتموني ، ولست بالسابق الموفي على الغاية ، وأرجو أن أعان على ماندبت إليه .

وأتلفت بوجهي إلى السادة الخالدين الذين شهدوا جلسة المجمع في العاشر من تشرين الثاني ١٩٧٠ فكرموني بانتخابهم وأجلّوني باختيارهم ، أرفع إليهم تحيتي الخالصة الطيبة اعترافاً بفضلهم عليَّ ، وأصفي الشكر أستاذي وأخي الأستاذ عبد الهادي هاشم الذي أسبغ عليَّ من أدبه وخلقه ما عظّم به صغيري ، وكثّر به قليلي .

ثم أعود فأستمطر شآبيب الرحمة على الراحلين من الخالدين بعد جلسة المجمع التي تم فيها انتخابي ، وكنت أرجو أن يسعدني الحظ بلقائهم في هذا الحفل وهم المرحومون الدكتور محمد سامي الدهان والدكتور صلاح

الدين الكواكبي والأستاذ عارف النكدي ، وعزاني أنهم ببلائهم وإخلاصهم وذيادهم عن الفصحى كانوا حديثاً حسناً لمن روى .

سادتي المجمعيين :

يؤسفني أن تواترت عليَّ أعمال لاتنتظر ، شغلتني عن التهيؤ لحفل الاستقبال في موعده وأكرهتني أن أرجئه مرة بعد مرة ، وقد أبى عليَّ السيد رئيس المجمع أن أمضي فيما أنا فيه وعزم عليَّ فلم يسعني إلا أن ألبي رغبته ، على تزاحم الأعمال ، ولم أعــدَّ للأمر عدته ، ولا اتخذت لــه أهبتــه .

وحفلُ الاستقبال من سنن المجمع العريقة ، أشار به الأمير شكيب أرسلان — وما أكثر مآثر الأمير ومحامده في خدمة العرب والعربية — فاستحسنه المجمع وجرى عليه منذ عام ١٩٢٢ .

وتقتضيني سنة المجمع — وأجْمِلْ بها من سنة — أن أتحدث عن الراحل الخالد سلفي في هذا المقعد : الأمير مصطفى الشهابي .

وأستميحكم العذر إن لم أقدم إليكم ترجمة ضافية نقدية ، وإنما هي شذرات اخترتها ، أجزأتني في الدلالة على الرجل وعصره وعلمه ، واكتفيت بها بعد أن سبقني سابقون كتبوا عن الأمير صفحات حلوة ناصعة : كتب الأستاذ عدنان الخطيب نائب رئيس المجمع كلمته الحافلة في ذكرى الفقيد بعيد وفاته فاستقصى وأوعب ، وقيلت كلمات تحدث بها عارفوه في حفل تأبينه الذي أقامه مجمع القاهرة في التاسع والعشرين من تشرين الأول ١٩٦٨ ، وللأمير ترجمة ذاتية في المجمع تجمع بين التدقيق والاستقصاء ، أرجو أن أوفق لنشرها على صفحات مجلة المجمع التي أحبها الأمير ، ففيها غنية للمستزيد .

* * *

ينتمي الأمير مصطفى الشهابي إلى أمراء بني شهاب القرشيين المخزوميين، الذين استوطنوا وادي التيم في المائة السادسة للهجرة.

ولد في أول تشرين الثاني سنة ١٨٩٣ بمدينة حاصبيا قصبة وادي التيم ومقر الشهابيين القديم، لسبع عشرة سنة خلت من حكم السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩) «وكان عهد السلطان عبد الحميد الثاني الذي ولدتُ وترعرعتُ في أيامه، من أفظع عهود الظلم والقسوة والرشوة والاستبداد، فقد كانت الأفواه مكمومة، والأقلام محطمة».

وكانت مدينة حاصبيا مسقطُ رأس الأمير مركز قضاء حاصبيا بقراه التسع عشرة، وترتبط إدارياً بلواء الشام (دمشق) أحد الألوية الأربعة التي تتألف منها ولاية سورية آنذاك(١).

عاش الشهابي في حاصبيا سنواته العشر الأولى، دخل مدرسة الحكومة الابتدائية في السادسة من عمره، فدرس فيها مبادىء القراءة والكتابة والقرآن والحساب والجغرافية، ثم انتقل في سن التاسعة إلى المدرسة الكاثوليكية ببلدته فتعلم مبادىء الفرنسية. ولما بلغ العاشرة من عمره (١٩٠٣) قدر له أن يغادر حاصبيا، فقد كان أبوه محمد سعيد بن جهجاه الشهابي موظفاً في مالية ولاية سورية، نقل عمله إلى مدينة بعلبك مركز قضاء بعلبك بقراه الست والسبعين، والمرتبطة إدارياً بلواء دمشق، فصحب معه ابنه إليها.

ولئن قدر للشهابي أن يفارق بلدته حاصبيا وهو غض العود لين الإهاب لم يجاوز العاشرة من عمره، إنَّ صورتها الجميلة لم تفارقه، ظلت منقوشة في صدره تملأ عليه نفسه، لم تزدها رحلاته وأسفاره، على تعددها

(١) الألوية الأربعة هي: لواء الشام (دمشق)، ولواء حماة، ولواء حوران ولواء الكرك (معان)، وكانت مدينة دمشق مركز ولاية سورية.

وتنوع ماشاهد فيها ، إلا جدة وتألقاً . كان يذكر دائماً ، بالحب والشوق ، تلك المدينة الغافية في حضن جبل الشيخ ، حرمون ، جبل الثلج[1] ، يحنو عليها بجناحه الغربي ، وهي تتيه مزهوة ، بمدرجها الجبلي الذي حبته الطبيعة بأجمل هباتها وهداياها ، وتغسل رجليها بمياه الحاصباني العذبة الرقراقـة ، تزهر بيوتها البيض ، تحفها من حولها جنان ذات بهجة ، فتذكر بقول الأوسية وقد سئلت : أي منظر أحسن ؟ فقالت : « قصور بيض في حدائق خضر » . وهل يقوى أن ينسى مسرح طفولته ومرابع صباه ؟ .. كان وهو يتحدث عنها يكاد يبسطها تامة بين يديك ، يجمع لك ماضيها وحاضرها ، يفتنّ في الوصف ، حريصاً ألا تفوتك صغيرة من دقائق جمالها . يثب الفـرح من كلماته وهو يروي قصة صباه ، تراه قافزاً في الماء ، أو منطلقاً وراء صيد ، وكأنه يردد :

أحبُّ بلاد الله مابين منعج إليّ وسلمى أن يصوب سحابها
بـلادٌ بها نيطت عليّ تمائمي وأول أرض مس جلدي ترابها

---

(١) جبل الشيخ : جبل شاهق عالي الذرا ، في جنوبي دمشق إلى الغرب ، ويسمى في النصوص القديمة : حرمون . يبلغ ارتفاع أعلى قممه ٢٨١٤ م . (شارة حرمون) ؛ وتقوم على مقربة منها بقايا قصرشبيب التبعي . اطلق عليه العرب اسم جبل الثلج ، لأن الثلوج تكلل هامته « والثلج على رأسه كالعمامة » . قال حسان بن ثابت الأنصاري يذكر خاليه من غسان :

ملكا من جبـل الثلج إلى جانبي أيلة من عبد وحـر
ثم كانا خير من نال الندى سبقا الناس بإقسـاط وبر

ولما حل جند دمشق كورة البيرة في الأندلس ، سموا غرناطة : دمشق ، لأنها أشبه شيء بها ، وسموا جبل شلير (بلفظ التصغير) القائم في جنوبي غرناطة المطل عليها : جبل الثلج ، وشبهوه بالشيخ إذ تردى بالثلج وتعمم ، ولبس البرنس الأبيض .

ولا ينسى أن يختم كلماته بأن حاصبيا قد أطلعت عالمين كبيرين هما الفارسان : فارس نمر (١٨٥٥ - ١٩٥١) في مصر ، وفارس الخوري (١٨٧٧ - ١٩٦٢) في الشام ، ولقد عززهما رحمه الله بثالث بلغ في فنه الغاية .

قضى الشهابي ببعلبك سنة واحدة ، دخل فيها مدرسة (المطران) ، وانتقل بعدها بانتقال والده إلى معلقة زحلة مركز قضاء البقاع بقراه التسع والخمسين ، وأحد الأقضية التسعة التي يتألف منها لواء الشام[1] ، فالتحق فيها بمدرسة الموارنة وهي مدرسة حسنة التعليم كان من معلميها موسى نمور الذي صار في سنة ١٩٢٦ رئيساً لمجلس النواب اللبناني .

مكث الشهابي في مدرسة الموارنة سنة ليهبط بعدها دمشق في الثانية عشرة من عمره (١٩٠٥) فدخل المدرسة البطريركية الكاثوليكية وقضى فيها سنتين درس فيها العربية والفرنسية ومبادىء العلوم العصرية .

أتاحت هذه النشأة للشهابي أن يبدأ تعلم اللغة الفرنسية صغيراً ، في أيام صباه ، وتابع تعلمها فكانت خير زاد له في شبابه حين سافر من بعد إلى فرنسا للتخصص ، وفي كهولته حين بدأ الكتابة والتأليف ووضع المصطلح العلمي .

ولكن مايعنينا هنا هو أن نشير إلى جانب هام خلفته هذه الدراسة في نفسه ، ذلك أن الشهابي الطالب قد رأى عياناً غلوّ القوم في العناية بلغتهم ، وحماستهم لتعليمها ، وما كانوا يصطنعون من أساليب لتعويد الطلبة على الحديث بها وإجادة نطقها . « كنا نجبر على التكلم بالفرنسية ، حتى في

(١) الأقضية التسعة التي يتألف منها لواء الشام (دمشق) هي : قضاء الشام ، قضاء بعلبك ، قضاء البقاع ، قضاء النبك ، قضاء دوما ، قضاء وادي العجم ، قضاء حاصبيا ، قضاء راشيا ، قضاء الزبداني .

زمن الدولة العثمانية ، وكل من كان يتكلم بغير الفرنسية كان يغرم غرامة نقدية ، وقضية الخشبة المسماة : علامة ، التي تعطى للتلميذ المتكلم بغير الفرنسية قصة مشهورة » وحفزه ذلك أشد الحفز من بعد للدفاع عن العربية الفصحى والاعتزاز بها ، والدعوة لنشرها بين طبقات الشعب ، كان يحلم باليوم الذي تسود فيه الفصحى المعربة المبينة ، وكان يرمضه أن يشهد غفلة الأمة عن لغتها ، وتغافلها عن النزعات الشعوبية التي تشجـع اللهجات العاميـة وتبيت الشر لهذه اللغة الخالدة التي حفظت على الأمة العربية وحدتها ، وظل حياته كلها مشرع القلم ذياداً عن الفصحى التي دفعت عن الأمـــة العربية غائلة التجزئة والشتات : « وبعد ، ان قوميتنا في خير مادامت لغتنا الفصحى في خير » .

غادر الشهابي دمشق وبلاد الشام وهو في الرابعـة عشرة من عمـره (١٩٠٧) ليسافر إلى الآستانة ، بصحبة شقيقه عارف الذي كان يكبره بأربـع سنين ، والذي كان يدرس في المدرسة الملكية العالية بالآستانة ، والتحق الأمير مصطفى بمدرسة إعدادية فرنسية في حي (قوم قبو) تشرف عليها جمعيـة دينية مسيحية تدعى بالفرنسية Augustins de l'Assomption

وكان أخوه عارف من دعاة القومية العربية المتفانين في سبيلها ، لم يكتف بمتابعة دراسته في المدرسة الملكية العالية ، بل جمع إليها القيام بعبء تـدريس حلقة من الشباب العرب في الآستانة علوم اللغة العربية وتاريـخ العرب وحضارتهم ، وكان الأمير مصطفى أحد رواد هـــذه الحلقة : تلقى على أخيه عارف ، واستمع إلى أحاديثه في القومية العربية ووسائل النهوض بالأمة العربيـة .

وامتدت إقامة الشهابي في الآستانة سنتين فتحتا عينيه على أشياء جديدة كثيرة ، ومدت من آفاق رؤيته ، دخل الآستانة والسلطان عبد الحميد يتابع

سياسة الاستبداد والقهر ، وشاهد بعد ذلك الاتحاديين (جمعية الاتحاد والترقي) وقد أطاحوا بالسلطان وأمسكوا بزمام الأمور فتظاهروا للعرب بالمودة ، ولاينوهم باديء ذي بدء ثم مالبثوا أن قلبوا لهم ظهر المجن ، وأنكروا عليهم كل حق ، ونهجوا سياسة طورانية مغرقة في تعصبها وعنصريتها ، حاولوا أن يطمسوا بها حضارة العرب ومجدهم ، وأن يمحوا لغتهم ، وحفظ فيما حفظ تغنيهم بمجد جنكز خان وبطولاته ، يريدون أن يقرنوه ويعدلوه بالرسول العربي الكريم .

وكانت تسري إليه همسات الشبان العرب من قومه ، وهم يتحدثون عن أمتهم وماضيهم المشرق وما يتطلعون إليه في غدهم : كانت أحلامهم عراضاً ، وآمالهم بعيدة ، يتشوفون باللهفة والشوق إلى قيام الدولة العربية الواحدة ، يرونها قريبة منهم رأي العين ، « وكنت في تلك الأيام ، أي بين سنة ١٩٠٧ وسنة ١٩٠٩ تلميذاً في اسطنبول ، ولم تكن سني تجيز لي الاشتراك في أحاديث هؤلاء الشبان ، ولكنني كنت أسترق السمع ، وأصغي إلى تلك الأحاديث ، وقد علق بذهني ما تأكدته بعد سنين وهو أن اليقظة القومية كانت قد سرت إليهم جميعاً » ، « كان يهمس أحدنا في أذن أخيه قائلاً : أترى يتاح للأمة العربية شاعر قومي يوقظ منها النيام المسبتين والكسالى الخادرين » .

أنهى الأمير عارف دراسته في الآستانة عام (١٩٠٩) وعاد إلى دمشق وبصحبته الأمير مصطفى ، وكان قد أنهى دراسته في المدرسة الاعدادية الفرنسية ، فدخل المدرسة السلطانية الثانوية (مكتب عنبر) بدمشق ، كان آنذاك في السادسة عشرة من عمره ، ولبث في المدرسة سنة واحدة ظل يذكرها بمرارة وأسى : « أتذكر أني درست سنة واحدة في المدرسة الثانوية الحكومية بدمشق ، وهي سنة ١٩٠٩ ، فكان مدرس العربية رجلاً تركياً

شدا شيئاً من لسانا ، وهو لايفرق بين المذكر والمؤنث ، ويتكلم العربية بلهجة تركية سقيمة ، وكان يدرسنا لسانا بكتاب تركي لتعليم اللغة العربية » .

وشاء الحظ أن يأخذ بيد الشهابي ، تألفت بدمشق عام ١٩١٠ جمعية من كبار رجال الفيحاء ومفكريها سميت « جمعية البعثات العلمية » فاختارت لدراسة العلوم الزراعية ثلاثة من نابهي الطلاب هم : الأمير مصطفى الشهابي والأستاذ عز الدين التنوخي وعبد الغني الشهبندر ، وذهب الطلاب الثلاثة إلى فرنسا والتحقوا بالمدرسة المهنية في مدينة (شالون - سور - سون) ، وحصل الشهابي بعد سنة دراسية على شهادة الدروس الابتدائية العليا ليدخل من بعد مدرسة غرينيون الزراعية العالية(١) ، قضى فيها ثلاث سنين ليتخرج منها في الحادية والعشرين من عمره (١٩١٤) مهندساً زراعياً .

وليس من همي أن أشير إلى شتى المؤثرات العلمية والأخلاقية التي تلقاها في فرنسا وإنما أكتفي بالإشارة إلى صلته بدعاة القومية العربية الذين قصدوا باريس ، وأسسوا جمعية (العربية الفتاة) ، كان يتردد عليهم ويستمع إليهم ، ثم كان شهوده المؤتمر العربي بباريس في حزيران عام ١٩١٣ ، لم يتجاوز في عمله نطاق هذه الدائرة من الصلة ، فقد كان بطبعه معتدلاً يؤثر متابعة الدراسة ، والنجاح فيما قصد له ، تحدث عن المؤتمر العربي الذي شهده بباريس فقال : « وكانت مهمتي فيه أنا ولفيف من الطلاب الرياضيين بسيطة ، لم تتعد التهيئة ومراقبة الأعداء وحفظ النظام » .

وغادر الشهابي باريس في صيف ١٩١٤ إلى فروق . عاصمة بني عثمان ، وتقدم إلى فحص شهادة التعادل العثمانية ، أسوة بخريجي المدارس الطبية

(١) مدرسة غرينيون : مدرسة زراعية وطنية ، افتتحت في عام ١٨٢٦ في قصر شيد أيام لويس الثالث عشر ، بقرية ثيفرفال - غرينيون (قرية صغيرة في منطقة فرساي) ، وهي اقدم مدرسة من نوعها في فرنسا .

والحقوقية الأجنبية ، ليكون له الحق ببلوغ المناصب العالية في الدولة ، فنجح في فحصه .

وشبت الحرب العالمية الأولى ، واضطر الشهابي أن يلتحق بصفوف الجيش العثماني وتقلب في أعمال عدة : بدأ فدخل المدرسة الحربية في اسطنبول مرشحاً لرتبة ضابط احتياط في المشاة ، ثم التحق بمدرسة البرق والهاتف الحربية في قصر « يلدز » ليقضي فيها ستة أشهر ، يتخرج بعدها برتبة وكيل ضابط احتياط ، ويعين قائد فصيل في سرية البرق في القدس ، لينقل من بعد ترجمانا في رهط البرق واللاسلكي بدمشق ، حيث حاز رتبة ملازم ثان احتياط ، وحلت سنة ١٩١٦ بكل مآسيها ، فازدادت المجاعة في الشام ، ومن أجل مواجهة ذلك أنشأت الحكومة العسكرية سرايا زراعية ، وعين الشهابي قائداً لسريتين في مرج ابن عامر ثم في بيسان ومجدل طبرية ، فقام بتجارب زراعية علمية .

وفي سنة ١٩١٨ عين مديراً لزراعة الجيش بدمشق ، وكان جمال السفاح قد غادر الشام .

ولما انحسر سلطانُ الترك عن بلاد الشام وقامت الحكومة العربية في سنة ١٩١٨ ، بدأ الشهابي حياته الحكومية : شغل منصب مدير الزراعة والخراج خمس سنين (١٩١٨ - ١٩٢٣) ثم مدير أملاك الدولة إحدى عشرة سنة (١٩٢٣ — ١٩٣٤) ثم مدير الاقتصاد الوطني (١٩٣٥) ليتولى من بعد وزارة المعارف (١٩٣٦) ، واختير واحداً من أعضاء الوفد السوري المفاوض لمعاهدة (١٩٣٦)[١] ، ثم أصبح محافظ حلب (١٩٣٧ -

---

(١) كان الوفد السوري المفاوض لمعاهدة ١٩٣٦ مؤلفاً من ستة أعضاء هم السادة : هاشم الأتاسي رئيس الوفد ، وفارس الخوري ، وجميل مردم ، وسعد الله الجابري ، ومصطفى الشهابي ، وإدمون حمصي .

١٩٣٩) ، وأسندت إليه بعد ذلك وزارة المالية ووزارة الدولة للمالية والاقتصاد الوطني (١٩٤٣) ثم تسلم محافظة اللاذقية (١٩٤٣ - ١٩٤٥) فالأمانة العامة لرئاسة مجلس الوزراء (١٩٤٥) وعاد فأصبح محافظاً لحلب المرة الثانية (١٩٤٦ — ١٩٤٧) فمحافظاً للاذقية للمرة الثانية (١٩٤٨ - ١٩٤٩) فوزيراً للعدل (١٩٤٩) وكان آخر ماوليه منصب وزير مفوض فسفير لسورية في مصر (١٩٥١ — ١٩٥٤) .



لعل أظهر صفات الفقيد الجد في العمل ، كان مولعاً بالقراءة ، والنظر في الكتب ، جلداً على المطالعة والتأليف ، يحب البحث ، ويوالي الدرس ، لايشغله عن ذلك شيء مهما جلّ ، ومن أقواله : « إذا عاش المرء عيشة منتظمة استطاع أن يطالع أو يؤلف بمعدل ساعة أو ساعتين في كل يوم ، مهما تكن مهنته المعاشية شاقة » .

وقد هيأت له مناصبه الأولى التي شغلها في الدولة مدة سبع عشرة سنة أن يفيد من اختصاصه في الزراعة وأن يتعمقه : كان يتتبع المؤلفات الزراعية ويتعرف إلى الجديد فيها ، يضيف إلى ذلك معرفة نمت وازدادت من تجاربه وخبراته حين طبق معارفه تطبيقاً عملياً في نطـاق بلاده بتربتها ومناخها ، مفيداً في ذلك أيضاً من التقارير التي تلقاها من موظفي الزراعة في وصف المناطق الزراعية المختلفة بسـورية ، حتى غدا من أكبر علماء الزراعة في بلاد الشام .

وفي هذه المرحلة ألف كتبه الزراعية العلمية :

— ألف كتاب الزراعة العملية الحديثة في عام ١٩٢٢ (أعيد طبعه منقحاً عام ١٩٣٥) ، وهو مجموعة الدروس التي ألقاها في مدرسة الغوطة

الزراعية ، ولخص فيها فن الزراعة العامة والخاصة مع تطبيقاته العملية في البلاد السورية .

– وألف رسالة مسك الدفاتر الزراعية في عام ١٩٢٣ ، وهي رسالة تحتوي على الدروس التي وضعها طبق برنامج التدريس في مدرسة سلمية الزراعية .

– وألف كتاب الأشجار والأنجم المثمرة في عام ١٩٢٤ وهو يبحث في فن زراعة الأشجار والأنجم المثمرة مع تطبيقه على أقاليم بلاد الشام وأشباهها .

– وكان الحلقة الرابعة كتاب البقول ألفه في عام ١٩٢٧ وهو يبحث في زرع الخضر في أقاليم بلاد الشام ونظائرها .

– ثم أصدر كتاب الدواجن في عام ١٩٣٠ .

وبه ختم كتبه الزراعية التي ألفها لتكون مرجعاً لأرباب الزراعة ولتلاميذ المدارس الزراعية في بلاد الشام .

– ولعل خير ما يمكن أن نصف به صنيعه في هذه الكتب كلمة له قالها في تصدير أحد كتبه : « خلاصة ما جاء في الموسوعات الأوربية ، مع خلاصة تطبيقها على ديار الشام وما شاكلها من الديار في إقليمه » .

– تهدّى الشهابي ، وهو يؤلف في علوم الزراعة ، إلى المجال الذي أخلص له نفسه ، واستأثر باهتمامه ، وقصر عليه جهده وكده حتى كاد يكون فيه نسيج وحده ، وهو التأليف في المصطلحات العلمية الزراعية . كان واثقاً من نفسه حين خاض غمار هذه اللجة ، فهو متقن علوم الزراعة متضلع من علوم اللغة العربية ، عارف باللغة الفرنسية وأساليبها .

– كان أول كتاب ألفه في هذا الباب : معجم الألفاظ الزراعية في عام ١٩٤٣ ، فكان فتحاً في المصطلحات الزراعية ، إذ تأتّى لصاحبه

أن يجمع في نفسه كل الأدوات التي تيسر له النجاح والتفوق في عمله « فلا يظنن أني جمعت في هذا المعجم ألفاظ علوم وفنون لم أدرسها فإن تخرجي مهندساً زراعياً من مدرسة غرينيون الوطنية الزراعية في فرنسا منذ سنة ١٩١٤ ، وإشرافي بضع سنين على بعض المزارع ، وتقلدي منصب مديرية الزراعة فمديرية أملاك الدولة في سورية مدة خمس عشرة سنة ، كافية وحدها للاطلاع على مدلولات معظم ألفاظ المعجم » .

– كان الكتاب ثمرة جهد طويل متواصل ، بدأه في نحو عام ١٩٢٣ ، ليخرجه بعد عشرين سنة من التنقيح والتهذيب والمراجعة ، وتضمن الكتاب نحو تسعة آلاف لفظ فرنسي أو علمي في الزراعة والعلوم المتصلة بها ، جعل إزاءها مايقابلها بالعربية ، منها ثلاثة آلاف كلمة عربية على الأقل من وضعه وتحقيقه لم يسبقه إليها أحد من أصحاب المعجمات الأعجمية العربية .

كان نواة الكتاب مقالات نشرها في مجلتي المجمع العلمي العربي بدمشق ، والمقتطف بالقاهرة ، أضاف إليها ماحققه أو وضعه أو اقتبسه في المصطلحات ، « فتألف منها جميعاً هذا المعجم الصغير » وقد آثر أن يلحق بمعظم الألفاظ العربية في المعجم شرحاً علمياً موجزاً للتعريف بها « تسهيلاً للمراجعين » .

– وتجلت عبقرية الشهابي في هذا الكتاب واهتدى إلى موهبته في هذا الفن فعني به أكبر العناية ووقف نفسه عليه و « كلٌّ ميسر لما خلق له » .

وعاد يردد النظر في الكتاب ويوالي البحث أربعة عشر عاماً أخرى ليقدّم من جديد في عام ١٩٥٧ طبعة الكتاب الثانية منقحة مزيدة ،

أصبح بها مجموع كلمات المعجم عشرة آلاف كلمة ، وهو أجـل كتبه وأعلاها شأناً وأبقاها ، به تجلت شخصية الشهابي المجمعي ، حتى أصبح علماً على فن المصطلح الزراعي ، لايذكر إلا ذكر به .

— وكان لابد من أن يمضي في الطريق الناهجة التي بدأها ، وأن يوضح الأسس والقواعد التي اعتمدها في وضع مصطلحاته العلمية ، فألف في ذلك كتابه : المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث في عام ١٩٥٥ . (أعيد طبعه منقحاً عام ١٩٦٥) .

— وكان كتاب : معجم المصطلحات الحراجية ، الذي نشره في عام ١٩٦٣ خاتمة كتبه في باب المصطلح ، وهو معجم يشتمل على ٩٨٧ مصطلح من مصطلحات الحراج بالانكليزية ، مع مايقابلها بالفرنسية والعربية . وقد ضم إلى المصطلحات التعريف بها .

— ولم نشر هنا إلى مقالاته الكثيرة الأخرى التي عرضت لهذا الفن وتحدثت عنه ، « نشرت حتى أول سنة ١٩٦٦ في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، ومجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٦٦ بحثاً ودراسة في اللغة والمصطلحات والعلوم المختلفة » .

— لابد لي هنا من أن أقف عند هذا الجهد المعجز الذي قام به الشهابي حتى تحقق له أن يكون المجمعي المنفرد في ميدانه .

لقد ألم في مطلع أيامه ببعض مبادىء العربية ، ولم يتح له التمكن منها والتعرف إلى أسرارها ، صُرف عن ذلك بدراساته المتخصصة في الزراعة ، قال في مقدمة كتابه الأول في الزراعة العملية الحديثة الذي ألفه في عام ١٩٢٢ : « وألتمس من القراء معذرة عما يجدونه في الكتاب من ضعف في التعبير ، أو أغلاط لغوية ومطبعية ، فمع اعترافي بقصر

الباع في اللغة العربية الكريمة قضت الظروف أن أطبع هذا المؤلف (وهو الباكورة) بعجلة زائدة دون أن أتمكن من عرضه على أرباب اللغة لتصحيح ألفاظه وسبكه بقالب متين » .

وقالت مجلة المجمع العلمي العربي حين قرظت الكتاب : « وعرّب [الشهابي] بعض الاصطلاحات مما لا يخلو من نظر قليل فيه ، لبعده أحيـــاناً عن مرمى الاشتقاق اللغوي ، والدقة في التعريب ، ولتعبيره بالألفاظ العامية » . ولكن الشهابي الذي كان يؤمن أن العبقرية كدح طويل ، عكف على دراسة كتب العربية العلمية والأدبية ، وجعـل ذلك ديدنه ووكده ، يطالعها صباح مساء ، حتى انقادت له طيعة ، وكشفت له عن مكنونات سرها ، وعني بالمصطلح العلمي في عـــلوم الزراعة أتم العناية : توفر عليه ، ووقف له جهده ووقته ، وكاد يقصر نفسه على بحثه ، منقباً مدققاً ، « لابد لمن يجشم نفسه وضع المصطلحات العلمية باللغة العربية من أن يقتصر في عمله على الألفاظ المتعلقة بعلم اختص به ، واطلع على دقائقه » ، « ووضعُ المصطلحات العلمية أو تحقيقُها من أشـــق الأمور وأدعاها إلى الجلد والصبر والأناة والتخصص الواسـع بعـلم واحد ، حتى بفرع من عـلم واحد » وظل طوال حياته وفياً لهذه النزعة من التحقيق والتخصص ، يتابع كل مايصدر في موضوع المصطلحات العلمية الزراعية ، ويؤلف فيها ويحاضر ويناقش ويعقب ، وله في هذا الباب مقالات شتى نشرها في مختلف المجلات ، يوضح فيها رأيه ، وينافح عن فكرته .

بدأ ذلك في عام ١٩٢٤ ، ولما انتخب عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٩٢٦ دأب على عمله الدأب الصابر ، لاتزيده الصعاب إلا تصميماً ومضياً ، يقول في كتابه المصطلحات العلمية (ط ٢) : « وأنا أدلي دلوي في الدلاء منذ سنة ١٩٢٤ ، أي منذ أربعين سنة ، فلا أخرج

عن علوم الزراعة والمواليد ومصطلحاتها ، وقد أربى ما نشرته في المجلة [مجلة مجمع اللغة العربية] حتى آخر عام ١٩٦٤ على خمسين دراسة وبحثاً في المصطلحات » .

فما ملامح الطريقة التي اعتمدها الشهابي في وضع المصطلح ودافع عنها ؟ اهتدى الشهابي في وضع المصطلح بالنهج الذي سار عليه قدماء النقلة والمؤلفين العرب في نقل علوم يونان وفارس والهند وغيرها إلى العربية ، وأجمل هذا المنهج في النقاط التالية :

١ - تحري لفظ عربي يؤدي معنى اللفظ الأعجمي ، فإذا وجد في المعجمات العربية أو الكتب القديمة الموثوق بها كلمة صحيحة عربية أو معربة ، أو كلمة مولدة سائغة لها معنى موافق أو مقارب لمعنى الكلمة الأعجمية ، رجح تلك الكلمة الصحيحة أو المولدة السائغة على غيرها من الكلم ، وإذا وجد في المراجع المذكورة لمدلول الكلمة الأعجمية كلمتين : الأولى صحيحة ، والثانية مولدة ، رجح الأولى على رفيقتها أو ذكرهما معاً .

« وعمدتُ في تحري أصلح الألفاظ العربية إلى الأمهات من كتب اللغة ، ولا سيما المخصص لابن سيده والقاموس المحيط للفيروزابادي ، فأخرجت منها ، عدداً كبيراً من الكلمات التي تتصل بالعلوم الزراعية ، وكذلك أفردت ما وجدت من مصطلحات في مخطوطة كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية ، وفي كتاب الفلاحة الأندلسية لابن العوام الاشبيلي وهو مطبوع في مدريد ، ومخطوطة فضل الخيل لشرف الدين عبد المؤمن الدمياطي ، والفلاحة اليونانية لقسطا بن لوقا ، وعلم الملاحة في علم الفلاحة للشيخ عبد الغني النابلسي ، وحسن الصناعة في علم الزراعة لأحمد ندى ، ... والقانون لابن سينا ، ومخطوطة

الجزء الخامس من كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري ، ومخطوطة الجامع لصفات أشتات النبات للادريسي ... » .

٢ ـ إذا كان اللفظ العلمي الأعجمي جديداً لامقابل له في لساننا ، ترجمه بمعناه إذا أمكن ترجمته أو وضع له لفظاً عربياً مقارباً بطريق الاشتقاق أو المجاز أو التضمين أو النحت .

٣ ـ إذا تعذر وضع لفظ عربي بالطرق المذكورة لجأ إلى التعريب .

هذه هي أصول المنهج الذي التزمه في وضع المصطلح واهتدى به ، يُضم إليها كثير من التفاصيل والدقائق التي توضح طرق تطبيق هذه الأصول والتي أفصح عن أكثرها في كتابه : المصطلحات العلمية في اللغة العربية ، وكان يرى أن مجال الترجمة والاشتقاق والمجاز في نقل ألفاظ المعاني الأعجمية إلى اللغة العربية أوسع من مجال التعريب ، أما في نقل أسماء الأعيان الأعجمية فالأمر معكوس . ويجعل الشهابي للترجمة شأناً كبيراً في وضع المصطلح ويدعم رأيه بقوله : « والدليل على ذلك أنني أوجدت في معجم الألفاظ الزراعية نحو ألفي لفظة عربية تدل على نباتات زراعية ما كان يعرفها أجدادنا وليس لها أسماء بلغتنا » .

فإذا تجاوزنا الترجمة ، فإن الشهابي يضع الاشتقاق في المرتبة الأولى في وضع المصطلح ويرى أن باب الاشتقاق واسع ، وأن فيه مجالاً لتنمية اللغة والمصطلح العلمي خاصة . وكان يشتق من أسماء الأعيان اشتقاقه من أسماء المعاني وقد أفاد من ذلك كثيراً في وضع مصطلحاته .

ويأتي المجاز في المرتبة الثانية ، ويذكر الشهابي كثرة المصطلحات التي تمت

بطريقه ، كالقطار والسيارة والمدرعة والطرادة والمدمرة والغواصة والباخرة(١).

أما النحت فقد تخوفه الشهابي ، ولم يلجأ إليه إلا قليلاً في حال الضرورة ، لأن النحت يحتاج إلى ذوق سليم ، وقد يكون ضرره أكبر من نفعه .

ولم يتسع الشهابي في التعريب ، ورأى ألا يؤخذ به إلا إذا تعذر العثور على كلمة عربية قديمة ، تقابل الكلمة الأعجمية ، أو تعذر إيجاد كلمة عربية تفيد معنى الكلمة الأعجمية بطريق الاشتقاق أو المجاز .

— وأصبح المصطلح العلمي شغل الشهابي الشاغل ، كانت تتجلى له مأساة المصطلح العلمي في أمرين :

أولهما : مسلك من آثروا التعريب ، فكانوا يقبلون الكلمة الأجنبية على علاتها لتدخل في أضعاف الجملة العربية ، وكان يرى أن مثل هذا الاتجاه خطر ، إذ أن هذه الكلمات لها دلالتها الاشتقاقية في اللغة الأجنبية ، فالقارىء الأجنبي حين يقرؤها يتبادر معناها إلى ذهنه ، أما القارىء العربي فهو أمام لفظ لا يفقه أصوله ، ولو ترجم له اللفظ الأجنبي بدل تعريبه لفهم منه محتواه ومضمونه ، إلى جانب إغناء العربية بمعان جديدة بدل تهجينها بألفاظ أعجمية .

والثاني : تعدد الألفاظ الموضوعة للمصطلح الأجنبي الواحد ، وهو أمر لا يقل خطراً عن سابقه ، فاللفظة الأجنبية الواحدة تنقل بألفاظ عربية

---

(١) في كلمة للأستاذ محمد الخضر حسين عرض للمجاز والنقل ومايكسبان اللغة من ثروة ، وما يقومان به في سد حاجات العلوم وما يتجدد من مرافق الحياة ، وأدخل كلمات القطار والبرق والمدرعة (أو الدارعة) والسيارة والغواصة في باب النقل (دراسات في اللغة : ٥ - ١٦) .

مختلفة ، باختلاف العلماء في الطريقة التي يريدون بها نقل اللفظة إلى العربية : أهي الترجمة أم الاشتقاق أم المجاز أم النحت أم التعريب ، وباختلاف أذواقهم اللغوية في اختيار اللفظة الملائمة ، ومثل هذا النهج يؤدي إلى الضياع وبعثرة الجهود ولا بد من أداة حكيمة فعالة للترجيح يمكن الركون إليها .

وقد انتهى الشهابي إلى ضرورة البدء بتأليف معجمين : معجم فرنسي عربي ومعجم انكليزي عربي يشتملان على أصح الألفاظ العربية في المصطلحات العلمية والفنية والفلسفية والأدبية وألفاظ الحضارة ، مما يحتاج إليه في التعليم الثانوي وفي قسم من التعليم العالي على الأقل : تعرَّفُ الألفاظ العربية فيها تعريفاً علمياً موجزاً دقيقاً ، وتلتزم الحكومات العربية باستعمال ألفاظ المعجمين في إداراتها ومحاكمها ومدارسها الرسمية والأهلية .

وقد استأثرت به هذه الفكرة استئثاراً ملك عليه نفسه إذ وجد فيها وحدها طريق الخلاص من فوضى المصطلح العلمي ، ولهذا مالهج بها وردَّد ذكرها في غير موضع من كتبه ومقالاته .

— وكان من أعمال الشهابي في باب المصطلح العلمي ، توليه رئاسة اللجنة التي عهد إليها بوضع المعجم العسكري . وقد اتخذت اللجنة المعجم العسكري الكندي أساساً لعملها ، وصدر المعجم في عام ١٩٦١ ، وكان أوسع معجم عسكري عربي ، اشتمل على نحو خمسة وثلاثين ألف لفظة في كل قسم من قسميه : الفرنسي ـ العربي ، والانكليزي ـ العربي .

— لم يفت الشهابي ، وهو المنقب في بطون المعجمات العربية القديمة يسائلها عن طلبته من المصطلح ، أن يتبين تخلفها عن الاستجابة لمطالب العصر العلمية ، على مابذله أصحابها الأقدمون من جهود صادقة في تصنيفها ، وقد دل الشهابي على تسعة أنماط من العيوب ساقها نماذج لما يعتور المعجمات العربية

القديمة من نواقص وعيوب ، مما ألمّ به وهو يتابع موضوع المصطلح العلمي وقد قصر القول فيما ضربه من أمثلة على أسماء المواليد ، مجال اختصاصه ، لم يجاوزه إلى سواه من ألوان العلوم والمعارف . وخرج من ذلك إلى ضرورة أن يكون المعجم صورة دقيقة لمعارف العصر وعلومه . ولكن ما الطريق إلى ذلك ؟ رأى الشهابي أن العود إلى المعجمات القديمة بالتشذيب والتنقيح لتلبي متطلبات العصر ، من أشق الأمور ، وهو مضيعة للجهد والوقت ، والطريق الصحيح أن نبدأ تصنيف معجم لغوي جديد يشتمل على الضروري من ألفاظ المعجمات القديمة ، وعلى مايستقر عليه الرأي من ألفاظ العلوم والفنون والمخترعات الحديثة ، وأن تعرف جميعها تعريفاً علمياً صحيحاً على مقتضى المعاني في معارف العصر .

* * *

وثمة ميدان آخر لايتصل بالزراعة ومصطلحها ، ألف فيه الشهابي وحاضر ، ذلك هو موضوع القومية العربية ويقظتها وصراعها الاستعمار ، وكنت بينت في مطلع الترجمة أن الشهابي عاش في الآستانة بصحبة أخيه الأكبر الأمير عارف ، وكان الأمير عارف من أشد دعاة القومية العربية حماسة وأكثرهم اندفاعاً وتوقداً ، عمل في سبيل القضية العربية سراً وجهراً في الآستانة ودمشق وبيروت .

وتلقى الأمير مصطفى عن أخيه حب العروبة والعربية ، وكان من شهود اليقظة العربية ، عرف الدعوة العربية في أواخر أيام السلطان عبد الحميد حين كان طــالباً في الآستانة ، واطلع على نشاط الشبان العرب في الآستانة وباريس في ظلّ حكم الاتحاديين ، وكان من المؤمنين بالقومية العربية

ذا صلة بدعاتها ، فلما وقعت الواقعة بين العرب والترك ، وقام جمال السفاح بفعلته الشنعاء ، كان الأمير عارف الشهابي في مقدمة قوافل الشهداء الذين أعدموا شنقاً ببيروت في السادس من أيار عام ١٩١٦ ، قضى في ربيع العمر وهو ابن سبع وعشرين سنة ، أنضر ما كان شباباً ، وأشد ما كان تضحية وعطاء . وكانت الصورة بليغة التأثير في الأمير مصطفى الذي أحب أخاه أشد ما يكون الحب ونعم بصحبته في الآستانة واستمع إلى أحاديثه في القومية العربية وفي دعوة العرب إلى النهوض ليستأنفوا مجدهم الغابر ، ويقيموا دولتهم الواحدة ، وظل الشهابي يذكر لأخيه فضله وتعليمه ، وأنه معلمه الأول في هذا الباب : علمه حب العروبة ، وعلمه حب العربية ، صرح بذلك في الإهداء الذي صدر به كتابيه : معجم الألفاظ الزراعية ، والقومية العربية .

ولما قامت الحكومة العربية بدمشق عام ١٩١٨ أصبح الشهابي أحد أعضاء جمعية (العربية الفتاة) ، وتوالت الأحداث سراعاً ، وشاهد الشهابي المستعمرين الفرنسيين وهم يطيحون بآمال العرب وينزلون بالبلاد صنوف الشرور والآثام ، وتكشفت له نياتهم الخبيثة بكل شناعتها حين سافر إلى باريس عام ١٩٣٦ عضواً في الوفد السوري المفاوض .

كان مؤمناً بالقومية العربية الايمان الراسخ « .. نهضتنا الحديثة يجب أن تبنى على أساس القومية العربية الخالصة ... ولا حياة لنا إلا بالتشبث بالنزعة القومية الصحيحة المبنية على احترام السلف الصالح والإشادة بمجده وعظمتـــه ، والتمسك بكل ما أبقاه لنا من تراث علمي وأدبي يصلح لهذه الأيام ».

وقـــد خلّف الشهابي في هـذا المجال كتابيه في الاستعمار وفي القوميـة العربيـة :

ألف كتاب الاستعمار في عامي ١٩٥٦ و ١٩٥٧ ، وبحث فيه تاريخ الاستعمار وأساليب المستعمرين ، وطرائقهم في استغلال الشعوب المستعمرة ثم أفرد البلاد العربية بدراسة خاصة ، وإذا كان الشهابي قد ألقى كتابه محاضرات في معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ، فإنه كان قد بدأ التفكير في تأليفه منذ سنة ١٩٣٦ وله مقالة بعنوان (الاستعمار الأوربي للعالم الشرقي) كتبها في عام ١٩٤٨ حين كان محافظاً للاذقية ، تضمنت بذور ما جاء في كتاب الاستعمار .

ثم أصدر كتابه في القومية العربية عام ١٩٥٩ (أعيد طبعه عام ١٩٦١) وكان قد ألقاه محاضرات في معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة وبدأه بالحديث عن القومية عامة وعواملها ليخلص من ذلك إلى الحديث عن القومية العربية ونشوئها ويقظتها ، ومظاهر نضالها في العهد العثماني ، ثم في ظل الاستعمار الغربي ، وقد عرض الشهابي لتعريف العربي فذهب إلى أنه من تكلم العربية وأراد أن يكون عربياً ، ثم لخص مضمون دعوة القومية العربية التي بسطها في كتابه بقوله في الخاتمة : « ويتضح من ذلك أن القومية العربية ليست فلسفة قومية ضيقة ، ولامذهباً اجتماعياً محدوداً ، قوامه الأثرة أو التعصب أو البغضاء ، بل هي فلسفة اجتماعية مثالية بناءة تقدمية ، تدعو كل عربي إلى محبة أمته العربية ، ووطنه العربي ، وإلى الاعتزاز بماضي هذه الأمة ، وإلى العمل التقدمي لحاضرها ولمستقبلها ، كما تدعو إلى محبة الإنسانية ، وإلى خير البشرية ، وإلى حق كل شعب على الأرض بتقرير مصيره ».

ويحس قارىء كتابيه في الاستعمار والقومية أن قيمتها الأولى تكمن في أن مؤلفها كان أحد شهود الحركة القومية أيام يقظتها ، فهو يتحدث حديث عيان ومشاركة ، أو حديث سماع لايقل صدقاً عن العيان ، « وكثير

من المعلومات التي اشتملت عليها المحاضرات مقتبسة من مذكراتي أو معتصرة من ذاكرتي ، فقد شهدت في الشام مولد عقيدتنا القومية المنظمة في أوائل القرن الحاضر ، واتصلت منذ ذلك الزمن إلى يومنا هذا بمعظم زعمائها من شهداء وأحياء ، فحقّ علي أن أدلي دلوي بين الدلاء وأن أطرح رأيي في جملة الآراء » .

ومن هنا فإن عبارة المؤلف في كتابه كانت تعنف وتشتد ، وهو يذكر أحداثاً في العهد العثماني شاهدها ولابسها ، كان كره الأتراك العثمانيين يتجلى في سطوره ، وكيف ينسى لهم أنهم أرادوا وأد القومية العربية ، ومحو اللغة العربية .« أما عهد الأتراك العثمانيين فقد كان في الجملة أسوأ عهد مر على العربية وآدابها : اتخذوا اسطنبول عاصمة لهم وجعلوا التركية وحدها لغة حكومتهم الرسمية حتى في بلادنا العربية ، وكان ذلك ضربة أصابت لغة القرآن في الصميم » .

ويتصل بهذا الميدان العلمي ماقام به الشهابي من محاضرات ومقالات وأحاديث تناول فيها موضوعات قومية وأدبية وفلسفية وفنية ، فقد كان رحمه الله جم النشاط ، كثير القراءة ، لم يحبس نفسه على دراسة العلوم الزراعية ووضع المصطلح العلمي ، على شدة تعلقه بها ، بل فسح لها فقرأ أمهات الكتب العربية قراءة درس واستفادة ، وتابع مسيرة الأدب العربي الحديث منذ أوائل هذا القرن ، وساعده اتقانه اللغة الفرنسية فطالع كتب أعاظم الأدباء الفرنسيين ، وأفاد من أفكارها وصورها البيانية ، وتجلت آثار ذلك في مقالاته : أفكاراً وأسلوباً ، بل إنه يصرح لك أحياناً بالمطالعات التي أوحت إليه مقالته ، فعله حين كتب مقالة : العلم والفلسفة والأخيلة الشعرية ، أو حين ترجم بتصرف مقالتي المصنفات والانتقام . وقد ضم الشهابي مجموعة من

هذه المقالات في كتاب سماه (الشذرات) نشره في عام ١٩٦٦ .

أيها الحفل الكريم :

قال ابن مناذر : سألت أبا عمرو بن العلاء : حتى متى يحسن بالمرء أن يتعلم ؟ قال : ما دامت الحياة تحسن به . ولم أجد صفة تصدق على فقيدنا الشهابي صدق هذه الجملة ، فهو يحب الكتاب حباً جماً يستبد به ، وهل ننسى أن من جليل أعماله بناءه داري الكتب في حلب واللاذقية حين كان محافظاً لهما ، استجابة لهذه النزعة الأصيلة في نفسه ، وهو دؤوب على الدرس والمطالعة لايسأم العمل ، يتبين ذلك جلياً واضحاً من نظر في كتبه وتابع مقالاته ، إن مؤلفاته في الثلاثينات دونها في الأربعينات أو الخمسينات مادة وأسلوباً . ويروعك وأنت تنظر في طبعتين لكتاب من كتبه هذا التدقيق في الأسلوب ، وهذه الزيادات والإضافات والتصحيحات . كان حبه للمعرفة وإيثاره جانب الحق وتعلقه بنصاعة البيان العربي تدفعه أن يعيد النظر فيما ألف وكتب ، ويدقق فيه وينقح ويستكمل النقص ، يساعده على ذلك كثرة مطالعاته وتنوعها ، وأكتفي بمثل واحد أسوقه لأدلل على ما قدمت ، ذلك هو كتاب معجم الألفاظ الزراعية ، فأنت حين توازن بين طبعتيه ، تجد المؤلف وقد صارحك بأنه عدل في طبعته الثانية عن بعض المصطلحات العربية إلى ماهو أصلح منها ، ونقح بعض مواد الطبعة الأولى وشرح بعضها بإيجاز ، وأضاف نحو ألف مادة جديدة ، واستكثر من المصادر التي رجع إليها ، أما حديثه عن طريقته في وضع المصطلح فقد تبدل تبدلاً تاماً .

كان الشهابي مطبوعاً على التنقيح والتثقيف في مادته وفي أسلوبه ، يؤثر في كتابته الأسلوب العلمي الذي يجنح إلى المساواة بين المضمون والعبارة ، إلا في مقالاته الأدبية التي لابد من أن ينسق فيها بين المضمون

والأسلوب ، وكان يضمن أحياناً مقالته الأدبية أبياتاً من الشعر يزين بها كلمته . وقد ترد في عبارته الفاظ ندر استعمالها وهي عذبة على السمع فآثرها ليغني لغة الكتابة ، أو لتحل محل الالفاظ الاعجمية الدارجة. وهو أثر من آثار حبه العربية ، وتعلقه بها .

— ولكن الشهابي لم ينج ، بل لعله ما أراد أن ينجو من غلبة فنه الزراعي عليه ، تتراءى لك وأنت تقرأ مقالة له أدبية ، كلماتـه الزراعية الحلوة ، يستعين بها وهو يعرض لصفة الطبيعة وما تجملت بـه من أنواع النبات وصنوف الحيوان ، بل إني أراه كان يتعمد ذلك ، يدفعه إليه ما كان يمر به من أغلاط الكتاب أو جهلهم حين يعرضون لصفة الطبيعة ، وفي مقالته (أدباؤنا والألفاظ العلمية) إشارة إلى ذلك بينة . وأمر ثان كان يغريه باصطناع الألفاظ العلمية في مقالاته الأدبية وهو أن يثبت بالعمـل طواعية اللغة العربية على تمثل هذه الكلمات ، إنه لايريد للكلمات العلمية أن تظل حبيسة الكتب بل يريد لها أن تخرج إلى الفضاء الواسع ودنيـا الناس ، تتداولها الألسنة وتجـــري بها الأقلام ، فكأنما كان يرمي من مقالاته الأدبية أن تكون نماذج حية لمرونة اللغة العربية وتقبلها الألفاظ العلمية الدقيقة أحسن قبول .



هذه لمع تناولت بها جوانب من حياة فقيدنا العالم المجمعي ، أهلتـه لتبوؤ تلك المكانة العالية الرفيعة في أوساط العلماء واللغويين ورشحته لمناصب علمية شغلها بكفاية ومقدرة .

انتخب الفقيد في سنة ١٩٢٦ عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق ، وانتخب بعدها في سنة ١٩٤٨ عضواً مراسلاً لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ثم انتخب سنة ١٩٥٤ عضواً عاملاً فيه . وانتخبه المجمـع العلمي العراقي في سنة ١٩٦١ عضواً مراسلاً .

وفي ١٤ تموز ١٩٥٦ انتخب نائباً لرئيس المجمع العلمي العربي .

وفي ١٥ تشرين الأول ١٩٥٩ انتخب رئيساً للمجمع العلمي العربي بدمشق لمدة أربع سنوات خلفاً للرئيس الراحل خليل مردم ، فكان ثالث رئيس للمجمع ، بعد الأستاذين الجليلين محمد كرد علي وخليل مردم ، ثم جدد انتخابه لرئاسة المجمع مرة ثانية وثالثة . ومنحته الجمهورية العربية السورية جائزة الدولة التقديرية في ٨ تشرين الثاني ١٩٦٦ فكان أول من منح هـذه الجائزة .

★ ★ ★

عرفته ، رحمه الله ، في عام ١٩٦٣ ، وكنتُ إذ ذاك وزيراً للتربية ، وكان المجمع مرتبطاً بها : جاء يحدثني في أمور المجمع ، وما ينتظره له وكيف تتحقق وحدة المصطلح العلمي ، كان بادي النشاط ، عالي الهمة ، وكأنه لايأبه لما ألمَّ به من مرض ، والتقينا بعد ذلك مرات ، وكنا معاً من خطباء الحفل الذي أقامته وزارة الثقافة والإرشاد القومي في التاسع والعشرين من نيسان ١٩٦٤ على مدرج جامعة دمشق ، تأبيناً للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد . كانت كلمته عن (العقاد في مجمعي اللغة) وكانت كلمتي عن (العقاد الناقد) ، وسافرت من بعد إلى الجزائر ، وكان يسعدني أن أقرأ له مقالاته في المصطلح ، ذلك الموضوع الذي نذر له نفسه ، فجوّد فيه ماجوّد حتى بلغ الغاية ، وظل حياته كلها مشرع القلم ، يدعو الدعوة الحارة لتكون العربية لغة العلم في الجامعات ، ويسعى السعي الحثيث لإنجاح مشروعه في توحيد المصطلح العلمي حتى وافاه الأجل ، وهو وراء مكتبه ، في الثالث عشر من أيار سنة ١٩٦٨ ، وقد أتم آخر مقالة له (في النسب إلى كيمياء وأشباهها) . وقد أوصى أن ينقش على قبره :

أم اللغات قضيت العمر أخدمها فهي الشفيعة في غفران زلاتي

فليرحم الله أبا لميس الرحمة الواسعة العميقة جزاء ما قام بـــه في خدمة العربيـة .

★ ★ ★

يطيب لي وأنا في ختام كلمتي أن أنوه بما لقيه مجمع اللغة العربية من رعاية السيد الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية الذي تفضل فاستقبل رئيس المجمـع والمجمعيين في التاسع عشر من أيار سنة ١٩٧٣ ، وتحدث إليهم عن مكانة اللغة العربية والتراث في حفظ وحدة الأمة العربية ، واتصال حاضرها بماضيها المشرق ، وأكد لهم تصميم القطر على الالتزام بالعربية في التدريس في كل مراحل التعليم ، لأنها المقوم الأساسي في قيام النهضة العربية وأبدى السيد الرئيس تقديره لرسالة المجمع وعمل المجمعين في حماية العربية وتنميتها وإحياء تراثها ، واستمع إلى ما عرضه رئيس المجمع من شؤون المجمع وأمر بدعم ميزانيته وتوسيع ملاكه وبناء مقر له جديد(١) ، يوازي مكانته العلمية ليأتي عمله في مستوى المهام الكبيرة المنوطة به .

أشكر لكم جميعاً تفضلكم بالحضور

والسـلام عليـكم

---

(١) خصصت محافظة مدينة دمشق قطعة أرض في حـــي المالكي بجانب ثانوية محمد بن القاسم الثقفي ليشيد عليها مبنى مجمع اللغة العربية بدمشق . وقام وزير التعليم العالي بإرساء حجر الأساس في التاسع عشر من تشرين الثاني ١٩٧٥ ، في حفل اقيم تحت رعاية السيد رئيس الجمهورية العربية السورية ، تقديراً لمكانة المجمع ، وتنويهاً برسالته في خدمة العربية .

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الثالث من عام ١٩٧٥

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو المحقق	مكان الطبع وتاريخه
نشأة الخط العربي وتطوره	محمود شكر الجبوري	بغداد ١٩٧٤
المجموعة الإحصائية السنوية	وزارة التخطيط العراقية	« ١٩٧٢
الإسلام أولاً	محمد الفرحاني	بيروت ١٩٦٥
تاريخ داريا	الخولاني .تحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني	« ١٩٧٥
الحروب الصليبية الأوربية التاسعة	محمد الفرحاني	« ١٩٧٣
دراسات في تاريخ الخط العربي	الدكتور صلاح الدين المنجد	« ١٩٧٢
فارس الخوري وأيام لا تنسى	محمد الفرحاني	« ١٩٦٥
رسائل من السجن	أحمد طالب الإبراهيمي. تعريب الصادق مازيغ	تونس ١٩٦٩
الأرض غير المقدسة	ا. سي فورست . ترجمة محمود فلاحة	دمشق ١٩٧٥
اقتصاديات التجارة الداخلية في سورية	منير الحمش	« «
انتحار الديمقراطيات	كلود جوليان . ترجمة عيسى عصفور	« «

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو المحقق	مكان الطبع وتاريخه
الأوائل (القسم الأول)	أبو هلال العسكري. تحقيق محمد المصري ـ وليد قصاب	دمشق ١٩٧٥
باقة من العبير واللهب	علي محمد حسن	« «
بستان السحب	أحمد سليمان الأحمد	« «
بقايا صـــور	حنا مينه	« «
بقعة ضوء	رياض عصمت	« «
بول سيزان	طارق الشريف	« «
تاريخ القضاء الإداري ونظام مجلس الدولة في سورية (نصوص دستورية وإدارية غير منشورة).	الدكتور عدنان الخطيب	القاهرة ١٩٧٥
الترموديناميك الهندسية وانتقال العمل والحرارة	ج. ف س روجرز ، ي رمايهو .ترجمة برهان داغستاني	دمشق ١٩٦٥
التعويض الكامل في طب الأسنان	ج لوجوايو .ترجمة الدكتور عبد الغني السروجي ، مراجعة الدكتور ميشيل خوري	« «
دور العلم والتكنولوجيا في البلدان النامية	غراهام جونس . ترجمة هشاب دياب	« «
ديوان بدر الدين الحامد ، شاعر العاصي (١ ـ ٢)		« «
رديف المقاتلين (الجبهة الداخلية في حرب تشرين التحريرية)	القيـــادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي	« «
السيف الخشبي	عادل أبو شنب	« «

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو المحقق	مكان الطبع وتاريخه
شعر أبي حية النميري	جمعه وحققه الدكتور يحيى الجبوري	دمشق ١٩٧٥
الطبيعة في الفيزياء المعاصرة	فرنر هازنبرغ ، ترجمة قسطنطين قسي	» »
العالم الفقير يتحدى	غونار ميردال ، ترجمة عيسى عصفور	» »
عسر الحضارة	فرويد ، ترجمة الدكتور عادل العوا	» »
عندما جاءت عصافير الدوري	ليدا ميليفا ، ترجمة عيسى فتوح	» »
قراءة رأس المال (الجزء الثاني)	لويس ألتوسر ، ترجمة تيسير شيخ الأرض	» »
الكليات (القسم الثاني)	أبو البقاء الكفوي، تحقيق د. عدنان درويش - محمد المصري	» »
ماهو علم البيئة	د.ف اوين ، ترجمة باسل الطباع	» »
المسرح المغربي	أديب السلاوي	» »
مصدر الأزمة الخطيرة	لاديكين ، ترجمة هاشم حمادي	» »
الممثلون يتراشقون الحجارة	فرحان بلبل	» »

اســم الكتاب	اسم المؤلف أو المحقق	مكان الطبع وتاريخه
نصوص مختارة	سان سيمون ، ترجمة سعيد القضماني، مراجعة يحيى علي أديب	ء ء
غمائم الخريف	رياض معلوف	زحلة ١٩٧٤
تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير الأعلام (الجزء الثاني)	الذهبي ،تحقيق حسام الدين القدسي	القاهرة ١٩٧٤
شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (١ - ٢)	الحميري	القاهرة
مع رجال الفكر في القاهرة	مرتضى الرضوي	القاهرة ١٩٧٤
الخبرات التاريخية المجتناة من الإصلاح الزراعي في بلادنا		كوريا ١٩٧٤
التاريخ المنصوري	محمد بن علي الحموي	موسكو ١٩٦٣
أعلام الطب الحديث (الجزء الأول)	كريم الشيخ إسماعيل آل كاشف الغطاء	النجف ١٩٦٧
جبابرة العقل البشري (١-٢)	كريم الشيخ إسماعيل آل كاشف الغطاء	النجف ١٩٦٠
خوارق الإدراك لما وراء الحس والحواس الخمس	كريم الشيخ إسماعيل آل كاشف الغطاء	النجف ١٩٧٤
الزورق والرياح	محمد رضا آل صادق	النجف ١٩٧٥

تصويبات لأخطاء في الأعداد السابقة

أ ـ في المجلد التاسع والأربعين :

ص	س	الصواب
٨٣٨	١٧	وذلك لوقوعها
٨٣٩	١٢	ولذا
٨٤٤	١١	لقد رأى الرواة في
٨٥٥		٦٩٠ م

ب ـ في المجلد الخمسين :

ص	س	الصواب
٣٢٧	٢	عبد الرحمن المرتضى
٤٧٦	١	الخمسين
٤٧٩	١٢	خواطري
٤٩١	١٨	Nisan
٥٠٥	١٠	بالرؤى
٥٧٢	١٤	١٨/٢
٥٧٨	٢	إلاّ
٦٠٧	١٤	من
٦١٥-٦٢٣		في رؤوس الصفحات اليسرى ذكر اسم المترجم والصواب اسم صاحب المقال : رودلف زلهايم
٦١٨	١٨	ناشرا
٦٦٨	١٥	ثلاثة عشر ألف
٦٨٤	٤	إثرهـن
٦٨٤	٦	ما اسطعت
٦٨٩	٨	خاص الخاص

الفهارس العامة للمجلد الخمسين

١ ـ فهرس المواد

منسوقة على حروف المعجم

ب – فهرس الأعلام – كتّاب المقالات

منسوقة على حروف المعجم

فهرس الجزء الرابع من المجلد الخمسين

المقـــالات

الصفحة

التعريف والنقد

آراء وأنبـاء

